



مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



ارحم الراحمين  
عليهم يا صابغ

www.ghaemiyeh.com  
www.ghaemiyeh.org  
www.ghaemiyeh.net  
www.ghaemiyeh.ir

# أَهْمِيَّةُ الْأَنْبَاءِ وَالنَّبِيِّينَ

دراسة تاريخية تحليلية علمية

تأليف

الدكتور السيد حسين الموسوي الصافي

الجزء الأول - الثاني

مكتبة دار الفكر  
بغداد - العراق  
الطبعة الأولى: ١٩٨٥  
الطبعة الثانية: ١٩٨٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

امهات الائمة المعصومين عليهم السلام: دراسه تاريخيه، تحليليه، علميه

كاتب:

الدكتور السيد حسين الموسوى الصافى

نشرت في الطباعة:

العتبة الحسينية المقدسة

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

# الفهرس

5	الفهرس
23	امهات الانمه المعصومين عليهم السلام: دراسه تاريخيه، تحليليه، علميه
23	اشارة
23	امهات الانمه المعصومين عليهم السلام: دراسه تاريخيه، تحليليه، علميه المجلد 1
23	هوية الكتاب
27	الإهداء
29	مقدمة اللجنة العلمية
31	المقدمة
35	التمهيد
35	آثار الأمّ على الجنين
36	دور الأمّ
38	الصفات الوراثية
43	الصفات الوراثية السلبية
44	الآثار الوراثية لشرب الخمر
47	الأرحام الطاهرة
49	آثار الأرحام الملوثة
52	اختيار الزوجة
54	طهارة أمّهات الأنمة
58	من آثار الحمل بالمعصوم
59	أسماء المعصومين وأمّهاتهم في صحيفة الزهراء عليها السلام
60	إهمال التاريخ لأمّهات الأنمة عليهم السلام
65	الفصل الأول: أمنة بنت وهب أمّ النبي الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم
65	اشارة

- 67
- 69 ..... نبذة عن أبناء كلاب
- 71 ..... تقرش قرش
- 72 ..... الكمالات العالية للسيدة آمنة
- 76 ..... طهارتها وإيمانها بالله
- 79 ..... مكر اليهود في إطفاء النور المحمدي
- 81 ..... موقف من بسالة عبد الله
- 82 ..... يمكرون ويمكر الله
- 83 ..... زواج السيدة آمنة من عبد الله
- 84 ..... وهب يرغب في تزويج عبد الله
- 85 ..... فاطمة زوجة عبد المطلب تصف آمنة
- 86 ..... عقد القران بين عبد الله وآمنة
- 87 ..... وفاة زوجها عبد الله ورثاؤها عليه
- 89 ..... آمنة وعاء نور النبي الخاتم
- 91 ..... شغف النساء بنور النبي صلى الله عليه وآله
- 91 ..... اشارة
- 92 ..... الرواية الأولى
- 92 ..... الرواية الثانية
- 93 ..... الرواية الثالثة
- 94 ..... الجمع بين الروايات
- 94 ..... اشارة
- 94 ..... الصحيح
- 95 ..... مشهد من إيمان عبد الله
- 96 ..... عملية اغتيال فاشلة
- 99 ..... إرهاصات في حملها وولادتها للنبي صلى الله عليه وآله

101	تاريخ ولادتها للنبي صلى الله عليه وآله
103	وفاتها ومحل قبرها
106	زيارة النبي لقبرها وإحيائها له
108	تحريف الحقائق
108	اشارة
110	والصحيح
113	مرضعات النبي صلى الله عليه وآله
113	1 - حليلة السعدية
113	اشارة
115	زوج حليلة السعدية
116	2 - ثوبية
116	طهارة آباء النبي صلى الله عليه وآله
116	علماء السنة على ثلاثة آراء
121	الشيعة الإمامية
121	اشارة
123	محاولة فاشلة
124	والجواب
124	خلاصة الأدلة على إيمان آباء النبي صلى الله عليه وآله
124	اشارة
127	استغفار إبراهيم عليه السلام لأبيه
127	اشارة
127	والجواب
128	إشكال وجواب
129	الجواب
133	الفصل الثاني: فاطمة بنت أسد أم الإمام عليّ عليهما السلام

- 133 ..... اشارة
- 135 ..... النسب الطاهر
- 136 ..... ايمانها بالله والرسول
- 138 ..... مكاتها عند الله ورسوله
- 140 ..... فاطمة بنت أسد أم النبي الثانية
- 142 ..... مشهد من كرم بنى هاشم
- 143 ..... زواجها من أبى طالب
- 144 ..... مشهد من إيمان أبى طالب
- 147 ..... أبو طالب رمز الإيمان
- 147 ..... اشارة
- 147 ..... الأول: الروايات الواردة بحقه
- 150 ..... الثانى: أشعاره فى نصرة النبي وتأييده
- 151 ..... الثالث: موافقه من الرسول ودفاعه عنه
- 155 ..... الرابع: وصية أبى طالب عند وفاته بالنبي صلى الله عليه وآله
- 155 ..... الخامس: قول النبي بحقه
- 156 ..... أولادها
- 156 ..... اشارة
- 157 ..... إسلام طالب ابن أبى طالب
- 157 ..... الأدلة على إيمان طالب بن أبى طالب
- 158 ..... أشعاره وموافقه تجاه النبي صلى الله عليه وآله
- 160 ..... الروايات الدالة على إسلام طالب
- 161 ..... استشهاد طالب بن أبى طالب
- 162 ..... نبذة عن عقيل بن أبى طالب
- 163 ..... عقيل ينتصر على معاوية
- 165 ..... نبذة عن جعفر بن أبى طالب



166	أبو طالب يبشر زوجته بالوصى ..
167	فاطمة بنت أسد وعاء نور الوصى ..
170	الكعبة تستقبل فاطمة بنت أسد ..
173	فاطمة وبعلمها يسألان الله فى تسمية على عليه السلام ..
175	وفاتها ومحل دفنها ..
176	النبي يصلى على فاطمة بنت أسد ..
176	النبي يدفن فاطمة بنت أسد ..
179	زيارة خاصة لفاطمة بنت أسد ..
181	الفصل الثالث: خديجة بنت خويلد أم السيدة فاطمة عليهما السلام ..
181	اشارة ..
183	النسب الطاهر ..
185	الأسرة الكريمة ..
187	دور آباء خديجة ..
189	مميزات خويلد والد السيدة خديجة عليها السلام ..
192	خويلد على خط الأنبياء ..
193	دين السيدة خديجة قبل الإسلام ..
193	الصفات الكمالية للسيدة خديجة ..
195	من صفاتها السخاء ..
196	من صفاتها العلم ..
197	رؤيا نورانية صادقة ..
198	من صفاتها الرواية ..
199	من صفاتها الشعر ..
199	إيمانها برسول الله قبل زواجها منه ..
201	زواجها من رسول الله ..
203	أبو طالب خاطب خديجة للنبي صلى الله عليه وآله ..

- 204 ..... هل تزوجت خديجة قبل النبي صلى الله عليه وآله .....
- 206 ..... سبب زواجها من النبي صلى الله عليه وآله .....
- 208 ..... عمر خديجة حين زواجها .....
- 209 ..... مقدار مهر السيدة خديجة .....
- 211 ..... من هو الذى عَيَّنَّ مهر خديجة .....
- 212 ..... أولادها .....
- 212 ..... اشارة .....
- 213 ..... فاطمة البنت الوحيدة للنبي صلى الله عليه وآله .....
- 218 ..... سبب تصدى السيدة خديجة للتجارة .....
- 218 ..... اشارة .....
- 220 ..... مصادر أموال السيدة خديجة .....
- 223 ..... هل كان النبي أجيراً عند خديجة .....
- 223 ..... اشارة .....
- 225 ..... زيف القول .....
- 225 ..... والجواب .....
- 226 ..... تصيد بالماء العكر .....
- 227 ..... منزلة خديجة عند الله .....
- 229 ..... مكاتها عند النبي صلى الله عليه وآله .....
- 231 ..... سبق إسلامها .....
- 232 ..... النبي يعلم خديجة الوضوء والصلاة .....
- 233 ..... خديجة وعاء لأم الأئمة .....
- 234 ..... نساء الجنة يحضرن خديجة فى مخاضها .....
- 235 ..... خديجة مربية لأمير المؤمنين عليه السلام .....
- 237 ..... خديجة عند احتضارها .....
- 239 ..... من وصايا خديجة للنبي صلى الله عليه وآله .....

- 239 ..... اهتمامها بفاطمة عليها السلام
- 240 ..... النبي يجهزها
- 241 ..... وفاتها ومحل دفنها ..
- 243 ..... التبرك بقبر خديجة ومنزلها
- 243 ..... استحباب زيارة قبر خديجة الكبرى ..
- 245 ..... أزواج النبي صلى الله عليه وآله ..
- 247 ..... الفصل الرابع: فاطمة بنت محمد أم الحسين عليهم السلام ..
- 247 ..... اشارة ..
- 249 ..... مولدها المبارك ..
- 251 ..... كيفية ولادة فاطمة عليها السلام ..
- 253 ..... انعقاد نطفة فاطمة من ثمار الجنة ..
- 255 ..... من الأدلة على عصمة فاطمة عليها السلام ..
- 256 ..... أم الكتاب ..
- 256 ..... تقريب الاستدلال بالآية ..
- 257 ..... أما السنة ..
- 260 ..... مكانة الزهراء عليها السلام ..
- 262 ..... أكابر قریش تخطف فاطمة عليها السلام ..
- 264 ..... الله يأمر بتزويج فاطمة من على عليهما السلام ..
- 266 ..... فلسفة زواج فاطمة من على عليهما السلام ..
- 267 ..... مقدار مهر فاطمة ..
- 269 ..... تاريخ زواج فاطمة عليها السلام ..
- 269 ..... الملائكة تحضر زفاف فاطمة عليها السلام ..
- 270 ..... فاطمة المصداق الأكمل للزوجة وللأم الصالحة ..
- 273 ..... كذبة بيضاء ..
- 275 ..... حرمة الزواج على علي في حياة الزهراء عليها السلام ..

275	.....	اشارة
277	.....	إشكال وجواب
278	.....	والجواب
279	.....	مصحف فاطمة عليها السلام
282	.....	أسماء فاطمة عليها السلام
282	.....	اشارة
282	.....	سبب تسميتها بفاطمة
283	.....	سبب تسميتها بالزهراء
285	.....	سبب تسميتها بالصديقة
287	.....	سبب تسميتها بالمباركة
289	.....	سبب تسميتها بالطاهرة
291	.....	تسميتها بالراضية
292	.....	تسميتها بالمرضية
293	.....	تسميتها بالمحدثة
294	.....	سؤال وجواب
295	.....	سبب تسميتها بالبتول
295	.....	اشارة
296	.....	دم الحيض والنفاس نقص أم كمال؟
298	.....	كيفية شهادتها
300	.....	فاطمة في حالة الاحتضار
301	.....	فاطمة تفارق الحياة
303	.....	تشيعها وإعفاء قبرها
305	.....	الوداع الأخير
306	.....	تاريخ وفاتها
307	.....	محل دفنها

308	.....	استحباب زيارة فاطمة عليها السلام .....
308	.....	اشارة .....
309	.....	وذكرت زيارة أخرى .....
310	.....	من أزواج أمير المؤمنين .....
310	.....	1 - خولة الحنفية .....
310	.....	اشارة .....
311	.....	من مآسى التاريخ .....
312	.....	زواجها من أمير المؤمنين .....
314	.....	2 - أم البنين الكلابية .....
314	.....	اشارة .....
315	.....	أم البنين ترى أولادها .....
315	.....	موقف من إيمانها .....
317	.....	تاريخ وفاة أم البنين عليها السلام .....
318	.....	3 - ليلى النهشلية .....
318	.....	4 - أسماء بنت عميس الخثعمية .....
320	.....	5 - أمامه بنت أبي العاص .....
323	.....	الفصل الخامس: شهر ياتو أم الإمام السجاد عليهما السلام .....
323	.....	اشارة .....
325	.....	اسمها ونسبها .....
325	.....	اشارة .....
326	.....	اكاذيب واهية فى نسب أم السجاد عليه السلام .....
327	.....	والصحيح .....
331	.....	اشكال وجواب .....
332	.....	مقتل والدها يزيدجرد .....
332	.....	اشارة .....

- 336 ..... ما قاله البلاذرى فى مقتل يزيد جرد
- 338 ..... تكامل صفاتها .
- 339 ..... على يغير اسمها .
- 341 ..... رسول الله يخطبها للحسين عليه السلام .
- 341 ..... الرؤيا فى القرآن والسنة .
- 344 ..... الرؤيا الصادقة .
- 346 ..... تطبيق الرؤيا فى المقام .
- 347 ..... موقف من عفاها وإيمانها .
- 349 ..... زمان سببها .
- 351 ..... على ينظر إلى المستقبل .
- 353 ..... شهر يانويه تختار الحسين عليه السلام زوجاً .
- 354 ..... شهر يانو وعاء للمعصوم .
- 354 ..... اشارة .
- 355 ..... سؤال وجواب .
- 356 ..... والجواب .
- 357 ..... فلسفة أكثر أممات الأئمة جوار .
- 357 ..... اشارة .
- 358 ..... الأول: التربية الإلهية لأم المعصوم .
- 360 ..... الثانى: محاربة الطبقية والعرقية .
- 366 ..... الثالث: الإسلام لكل الناس .
- 366 ..... اشارة .
- 368 ..... احتمال يفرض نفسه .
- 369 ..... أنا ابن الخيرتين .
- 369 ..... اشارة .
- 370 ..... من كلام المعرضين .

371	..... والجواب عليه .....
372	..... مأساتها في كربلاء .....
374	..... زمان وفاتها .....
376	..... محل قبرها .....
377	..... السجاد يزوج حاضنته .....
378	..... من أزواج الحسين عليه السلام .....
378	..... 1 - ليلي (أم علي الأكبر) .....
378	..... اشارة .....
380	..... حضور ليلي في كربلاء .....
381	..... من الأدلة على حضور ليلي في كربلاء .....
384	..... 2 - الرباب (أم عبد الله الرضيع) .....
386	..... محتويات الكتاب .....
403	..... امهات الانمه المعصومين عليهم السلام: دراسه تاريخيه، تحليليه، علميه المجلد 2 .....
403	..... اشارة .....
403	..... هوية الكتاب .....
407	..... المقدمة .....
411	..... الفصل السادس: فاطمة بنت الحسن أم الإمام الباقر عليهم السلام .....
411	..... اشارة .....
413	..... النسب الطاهر .....
414	..... كنيتهما وألقابها .....
414	..... اشارة .....
415	..... الدليل على كنيتهما أم عبد الله .....
416	..... من خصوصيات فاطمة بنت الحسن عليهما السلام .....
417	..... مقامها السامى .....
418	..... الزواج الميمون .....

- 418 ..... اشارة
- 419 ..... المهدي حسيني الأب حسنى الأم
- 420 ..... أولادها ..
- 420 ..... اشارة
- 422 ..... النبي يبعث سلاماً لابنها الباقر عليه السلام ..
- 423 ..... زيد الشهيد فى لسان المعصوم ..
- 424 ..... الفرق بين العلوى والفاطمى ..
- 426 ..... فاطمة بنت الحسن وعاء وحجر للمعصوم ..
- 427 ..... الملائكة تادى فاطمة بنت الحسن عليها السلام ..
- 428 ..... من صفاتها الصّدِّيقَة ..
- 430 ..... من صفاتها الرواية ..
- 431 ..... من أخبارها فى آخر الزمان ..
- 432 ..... الأوضاع السياسية فى عصرها ..
- 434 ..... حضورها كربلاء ..
- 434 ..... وفاتها ومحل دفنها ..
- 436 ..... زيارة السيدة فاطمة بنت الحسن ..
- 437 ..... الفصل السابع: فاطمة بنت القاسم أم الإمام الصادق عليهما السلام ..
- 437 ..... اشارة
- 439 ..... اسمها ونسبها
- 441 ..... منزلة والدها القاسم ..
- 443 ..... نبذة عن جدّها محمد بن أبى بكر ..
- 446 ..... منزلته عند أهل البيت عليهم السلام ..
- 448 ..... نظرة فى جدّها من أمها عبد الرحمن بن أبى بكر ..
- 450 ..... كمالاتها العالية ..
- 450 ..... الصفات التى تتمتع بها ..



- 450 ..... اشارة
- 452 ..... قوة الإيمان
- 454 ..... شدة التقوى
- 456 ..... من صفاتها الإحسان
- 458 ..... من صفاتها الرواية
- 459 ..... من صفاتها العلم
- 460 ..... أم فروة وعاء وحاضنة للمعصوم
- 461 ..... أولادها
- 462 ..... إيثارها بنفسها
- 463 ..... سبب تسمية ولدها بالصادق
- 465 ..... النبي يكشف عن أسماء الأئمة وألقابهم
- 469 ..... ولدني أبو بكر مرتين
- 469 ..... اشارة
- 470 ..... المناقشة في سند الرواية
- 472 ..... المناقشة في الدلالة
- 474 ..... وفاتها ومحل قبرها
- 477 ..... الفصل الثامن: حميدة بنت صاعد البربري أم الإمام الكاظم عليهما السلام
- 477 ..... اشارة
- 479 ..... اسمها ونسبها
- 479 ..... من ألقاب السيدة حميدة
- 480 ..... البرابرة في سطور
- 483 ..... اقتران السيدة حميدة بالإمام الصادق عليه السلام
- 485 ..... حميدة الزوجة الأولى للمعصوم عليه السلام
- 487 ..... اهتمامها بزوجها الصادق عليه السلام
- 487 ..... تكامل صفات السيدة حميدة

- 488 ..... المعلى بن خنيس فى لسان المعصوم .
- 490 ..... الأملاك تحرس حميدة .
- 491 ..... حميدة من أهل العلم .
- 493 ..... حميدة من وكلاء الصادق عليه السلام .
- 494 ..... من صفاتها الرواية .
- 495 ..... أولادها .
- 497 ..... حميدة وعاء للمعصوم .
- 498 ..... علامات غيبية فى ولادتها للكاظم عليه السلام .
- 499 ..... حميدة ترعى أم الإمام الرضا عليه السلام .
- 500 ..... حميدة تزوج الإمام الكاظم عليه السلام .
- 501 ..... حرق دار السيدة حميدة .
- 502 ..... حزنها على زوجها .
- 503 ..... حميدة من أوصياء الصادق عليه السلام .
- 505 ..... وفاتها ومحل قبرها .
- 507 ..... الفصل التاسع: نجمة النوبة أم الإمام الرضا عليهما السلام .
- 507 ..... اشارة .
- 509 ..... نسبها ومولدها .
- 510 ..... السبب فى تعدد أسمائها .
- 512 ..... بلدنا الأصلي .
- 514 ..... بلاد النوبة .
- 516 ..... صفات السيدة نجمة الكمالية .
- 518 ..... خلقها العظيم .
- 519 ..... إنَّها من الرواة .
- 520 ..... تربيتها فى بيت المعصوم .
- 521 ..... بُعدها الدينى .

- 522 ..... الله يختار أم الرضا عليهما السلام
- 523 ..... زواجها بأمر الغيب .....
- 524 ..... إزالة توهم .....
- 525 ..... السيدة نجمة وعاء للمعصوم .....
- 527 ..... أولادها .....
- 528 ..... الظروف المأساوية التي عاصرت السيدة نجمة .....
- 530 ..... من بناتها فاطمة المعصومة عليها السلام .....
- 531 ..... من صفات فاطمة المعصومة عليها السلام .....
- 531 ..... وفاة المعصومة ومحل قبرها .....
- 533 ..... فضل زيارة فاطمة المعصومة عليها السلام .....
- 534 ..... وفاة ومحل قبر السيدة نجمة .....
- 537 ..... الفصل العاشر: خيزران المرسيية أم الإمام الجواد عليهما السلام .....
- 537 ..... اشارة .....
- 539 ..... اسمها ونسبها .....
- 541 ..... الحكمة من تعدد أسمائها .....
- 542 ..... الاختلاف في بلدها بين المرسيية والمرسيية .....
- 544 ..... مكائنها الرفيعة .....
- 545 ..... الصفات الكمالية للسيدة خيزران .....
- 545 ..... اشارة .....
- 546 ..... من صفاتها الطاهرة .....
- 549 ..... من صفاتها المُطَهَّرَةُ .....
- 551 ..... المقدسة .....
- 553 ..... المنتجة .....
- 554 ..... رسول الله يمدح السيدة خيزران .....
- 556 ..... الإمام الكاظم يرسل لها سلامه .....

- 557 ..... أزواج الإمام الرضا عليه السلام .
- 559 ..... اقتران السيدة خيزران بالإمام الرضا عليه السلام .
- 560 ..... أولادها ..
- 564 ..... ولادة السيدة خيزران للمعصوم ..
- 565 ..... من المعجزات فى ولادتها للمعصوم ..
- 566 ..... براءتها من الاتهام ..
- 568 ..... وفاة ومحل قبر السيدة خيزران ..
- 571 ..... الفصل الحادى عشر: سوسن المغربية أم الإمام الهادى عليهما السلام ..
- 571 ..... اشارة ..
- 573 ..... اسمها ونسبها ..
- 575 ..... بلاد المغرب ..
- 576 ..... تكامل صفات السيدة سوسن ..
- 577 ..... من صفاتها العارفة ..
- 579 ..... من صفاتها المعصومة ..
- 579 ..... الحراسة الإلهية للسيدة سوسن ..
- 581 ..... السيدة سوسن من أهل الجنة ..
- 583 ..... أزواج الإمام الجواد عليه السلام ..
- 585 ..... اقتران السيدة سوسن بالإمام الجواد عليهما السلام ..
- 586 ..... اهتمام الإمام الجواد بالسيدة سوسن ..
- 587 ..... ولادة السيدة سوسن للهادى عليه السلام ..
- 589 ..... أولادها ..
- 590 ..... من بنات الإمام الجواد حكيمة ..
- 591 ..... حكيمة ترعى أم الإمام المهدي ..
- 592 ..... نبذة من حياة السيد موسى المبرقع ..
- 594 ..... وفاة السيدة سوسن ومحل قبرها ..

597	الفصل الثاني عشر: سُمانَة النوبية أم الإمام العسكري عليهما السلام
597	اشارة
599	اسمها ونسبها
599	اشارة
600	سبب الاختلاف في تعيين اسمها
601	سمو مقام السيدة سمانة
602	السيدة سُمانَة مسلوقة من كل الآفات
604	مطهرة من كل رجس
605	من صفات السيدة سُمانَة الرواية
606	تلقبها أسرار الإمام العسكري عليه السلام
607	أمانتها لميراث الإمامة
608	رجوع الناس إليها بعد العسكري عليه السلام
610	أولادها
611	ولادتها للإمام العسكري عليه السلام
613	الظروف السياسية التي مرت بها
616	وفاتها ومحل قبرها عليها السلام
619	الفصل الثالث عشر: نرجس الرومية أم الإمام الحجة المنتظر عليهما السلام
619	اشارة
621	اسمها ونسبها
623	من هو شمعون الصفا
625	شمعون وصى نبي الله عيسى عليه السلام
627	الشبه بين نرجس وأم موسى عليه السلام
629	مكانة السيدة نرجس عند الله وأهل البيت عليهم السلام
629	الرعاية الإلهية لأم القانم عليه السلام
631	السيدة نرجس تكشف عن التحرك الغيبي

632	رسول الله صلى الله عليه وآله يخطب السيدة نرجس للعسكري عليه السلام .....
634	زيارة الزهراء للسيدة نرجس عليها السلام .....
634	كيفية أسر السيدة نرجس عليها السلام .....
635	وثيقة رجال الرواية .....
638	خلاصة القول في حال السيدة نرجس عليها السلام .....
639	السيدة نرجس تتكلم العربية .....
639	الإمام الهادي يبشرها بالمهدي عليه السلام .....
640	ولادة السيدة نرجس عليها السلام للإمام المهدي عليه السلام .....
641	العسكري يستقبل ابنه المولود المنتظر عليهما السلام .....
642	العسكري يجرى مراسم يوم السابع .....
642	ولادة السيدة نرجس عليها السلام للقائم عليه السلام بلسان آخر .....
645	ولادتها للمهدي المنتظر عجل الله فرجه الشريف عند المخالفين .....
651	محاولات لقتل السيدة نرجس والحجة عليهما السلام .....
653	أولادها .....
656	الظروف السياسية الأليمة التي مرت بها السيدة نرجس عليها السلام .....
657	حكيمة تتكلم عن المهدي وأمه عليهما السلام .....
659	إزالة وهم .....
660	شفاعة السيدة نرجس عليها السلام .....
660	من كرامات السيدة نرجس عليها السلام .....
661	وفاة السيدة نرجس ومحل قبرها عليها السلام .....
664	زيارة ضريح السيدة نرجس عليها السلام .....
667	فهرس المصادر .....
695	فهرس المحتويات .....
705	تعريف مركز .....

## امهات الائمة المعصومين عليهم السلام: دراسة تاريخيه، تحليليه، علميه

### اشاره

سرشناسه: أمهات الأئمة المعصومين عليهم السلام: دراسة تاريخية تحليلية علمية / تأليف الدكتور السيد حسين الموسوي الصافي؛ تقديم اللجنة العلمية السيد محمد علي الحلو. الطبعة الأولى. - كربلاء: قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة، 1436

عنوان و نام پديدآور: امهات الائمة المعصومين / تأليف سيد حسين موسوي صافي

مشخصات نشر: العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية و الثقافية

محل نشر: كربلاى معلى - عراق

سال نشر: 1436

مشخصات ظاهري: 2 ج.

يادداشت: عربي.

موضوع: چهارده معصوم -- مادران

موضوع: زنان مقدس مسلمان -- سرگذشتنامه

ص: 1

امهات الائمة المعصومين عليهم السلام: دراسة تاريخيه، تحليليه، علميه المجلد 1

هوية الكتاب

الموسوى الصافى، حسين.

أمّهات الأئمة المعصومين عليهم السلام: دراسة تاريخية تحليلية علمية / تأليف الدكتور السيد حسين الموسوى الصافى؛ تقديم اللجنة العلمية السيد محمد على الحلوى. الطبعة الأولى. - كربلاء: قسم الشؤون الفكرية والثقافية فى العتبة الحسينية المقدسة، 1436 ق. = 2015 م.

2 ج. (قسم الشؤون الفكرية والثقافية فى العتبة الحسينية المقدسة؛ 153)

المصادر.

1. النساء المقدسات فى الإسلام سيرة. 2. الأربعة عشر معصوم أمّهات. 3. فاطمة الزهراء (س)، 8 ق. هـ -- 11 هـ - العصمة. 4. النساء المقدسات فى الإسلام دفع مطاعن. ألف. الحلوى، محمد على، 1957 - م، مقدم. ب. العنوان. ج. السلسلة.

BP 52 . M85 2015

تمت الفهرسة فى مكتبة العتبة الحسينية المقدسة قبل النشر

ص: 2





بسم الله الرحمن الرحيم

ص: 4

إلى أمّ أبيها وبضعة نبيها والحجة على من يليها  
سيدة نساء العالمين أمّ الحسن والحسين عليهما السلام...  
إلى جميع أمّهات الأنبياء والأوصياء المعصومين...  
إلى من غذتني الولاء وأسعدتني بعد الفناء  
وأبعدتني عن الشقاء إلى والدتي الحنوننة...  
إلى من شاطرتني الحياة وشاركتني المأساة  
وصبرت على تخطى العقبات إلى أمّ أبنائي..



تدرج كثير من البحوث في غياهب التحقيق الكلى، الذى لم يثبت أهمية هذه لبحوث إلا ما وقع منها فى مطاوى السير التحقيقى، ولعل الكثير منها يحمل أهميته وخطورته بشكل ينسجم فى تثبيت الحصييلة النهائية التى يخرج بها الباحث، إلا أن هذه البحوث لم تكن من أولوياته واهتماماته مع أهميتها بشكل يحتم على الباحث أن لا يغفل عنها، فيعيد النظر فى قراءته لبحوث كهذه مع أنها غير معنونة بعنوان، ولا مندرجة تحت قضية بحثية مستقلة، ولم تزل هذه البحوث تفرض أهميتها على الباحث ومن ثم القارئ فهى إذن لم تكن ثانوية حقاً بل بحوث لها أهميتها وقيمتها العلمية، ومن تلك البحوث التى غفل عنها المحققون، البحث عن أمهات المعصومين حيث لم يفرد لها المحققون عنواناً خاصاً بل اكتفوا بالبحوث الفرعية التى تأتى استطراداً فى سيرة المعصومين عليهم السلام، فالباحث لا يمكن له أن يتعدى أمهات المعصومين إذ البحث عنهن يعد جزءاً مكماً للوقوف على سيرتهم إلا أنه لا يتعدى الأمر عن ذكر نتف عن حياتهن دون الغور إلى عوالم التحقيق لحياتهن الشريفة، وهذا ما يجعل البحث مخرلاً غير جاد فى

أحيان أخرى.. إذن لا- تُعد بحوث حياة أمّهات المعصومين من الترف الفكري الذي يتعرض إليه بعضهم، بل فرضت هذه التحقيقات أهميتها على الباحث ليجد مسلكاً علمياً خطيراً يدخل في ترجمة بعض فترات الحقب التي عاشها أهل البيت عليهم السلام ولعل ما يعزز هذا الأمر هو أهمية معالجة الكثير من الشبهات التي تدخل في إطار التنقيب البحثي الذي يقدم نتائجه للباحث على أساس المسلك العلمي الدقيق.

من هنا وجد الباحث الدكتور السيد حسين الموسوي الصافي الذي أعد بحثاً مهماً في شأن "أمّهات الأئمة المعصومين عليهم السلام" والذي حاول من خلاله معالجة الكثير من القضايا المهمة التي تدخل في معرفة مقطع مهم من سيرتهم عليهم السلام، وبذلك يخلص البحث إلى التعريف بأهمية أمّهاتهم عليهم السلام كونهن الوعاء المقدس للمعصوم، فالبحث يعالج النظرة التاريخية بأسلوب تحليلي فضلاً عن السمة العلمية التي تُعطى بعداً آخر لمحطات تاريخية مهمة لا غنى للباحث عنها ومراعاتها.

عن اللجنة العلمية

السيد محمدعلي الحلو

ص: 8

الحمد لله خالق الخلق وباسط الرزق والصلاة والسلام على رسوله وآل بيته الطيبين الطاهرين.

إنّ الشرع الحنيف أولى اهتماماً في بيان بعض المزايا والصفات الكمالية العالية التي تتمتع بها أمّ المعصوم سواء في المجال العلمي أم العملي، المادى أم المعنوى، فعندما يذكر القرآن الكريم السيدة مريم عليها السلام (أمّ نبي الله عيسى عليه السلام) فقد يكشف أنّها محدثة الملائكة ومطهرة من كل شائبة، وقد احتلت مرتبة الاصطفاء من قبل الله وأصبحت سيدة نساء عالمها، كما يتضح من قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ) 1، وأيضاً قوله تعالى: (إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْمُسَبِّحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ) 2، فإنّ الكمال الروحي والمعنوى الذي تجسّد في كيان السيدة

مريم عليها السلام قد أهلها لكل هذه المزايا ولأن تكون وعاءً وحجراً لنبيٍّ من أنبياء أولى العزم عليهم السلام، كما بشرها الله بهذه المنقبة العظيمة.

وهكذا الحال في أم نبي الله موسى وأخيه هارون عليهما السلام (السيدة يوخايد عليها السلام)، فقد خصها الله بالإيحاء واليقين والإيمان، كما في قوله تعالى (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَاِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) 1، فقد أوحى الله لها وصدقته وامثلت أوامره بكل ثقة ويقين في أحلك الظروف، حتى أن البعض قال هذا يقتضى ظهور المعجز لها من وجهين: أحدهما الوحي وهو معجز، والثاني أنها عليها السلام لا يجوز أن تقدم على جعل ولدها في التابوت وطرحه في اليم إلا بعد اليقين بأن الأمر لها بذلك هو القديم سبحانه ولا سبيل إلى ذلك إلا بظهور معجز تعلم به أن الخطاب المتضمن لذلك وحي منه سبحانه(1).

وقد بشر الله أم نبي الله إسحاق ويعقوب عليهما السلام (السيدة سارة عليها السلام) بقوله تعالى: (وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَسَرَّزْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ \* قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ \* قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ) 3، فهنا خصها الله بالبشارة وقد حدثتها الملائكة وحدثتهم، وأنها من أهل

ص: 10



البيت الذين خصّهم الله بالرحمة. وهكذا سبيل باقى امّهات المعصومين عليهم السلام من الأنبياء وغيرهم.

وقد جعل الله السعى بين الصفا والمروة من مناسك الحج؛ إحياءً لذكرى سعى السيدة هاجر عليها السلام (أم نبي الله إسماعيل عليه السلام) واحتفالاً بعملها، واستحباب الهرولة فى محل الوادى الذى سعت فيه هاجر سعى الإنسان المجهود إحياءً لذكرى هرولتها هناك.

فنستفيد من خلال هذه الرؤية السماوية فى حق امّهات الأولياء المعصومين عليهم السلام أمرين, أولاً: أنّ هناك رابطة وعلية ليس فقط فى طهارة وعفاف والدة المعصوم عليه السلام, بل لا بد أنّ تكون بالمستوى اللائق والمطلوب من صفات وأبعاد كمالية عالية تنسجم مع ما تحمل من أمانة عظيمة وهى حجة الله فى خلقه, فالأم لها الأثر الكبير فى تغيير حال الابن على المستوى المادى والمعنوى, وهذا بخلاف مجرد الزوجة فلم تكن هناك ثمة رابطة وعلية فى البين, فلذلك نجد القرآن الكريم قد كشف عن ذمّ وسوء عاقبة بعض أزواج الأنبياء عليهم السلام كما فى قوله تعالى: (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَ امْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدّٰخِلِينَ) 1 .

وثانياً: إنّ فى إعطائه سبحانه وتعالى هذه الأهمية فى بيان وذكر المزايا الإيجابية لأمّهات المعصومين عليهم السلام يمكن أن تكون فيه إشارة فى توجيه الأنظار

إلى الاهتمام بدراسة وبيان سيرة أمّ المعصوم عليه السلام وبيان صفاتها ومدى إيمانها، لاسيما أمّهات أهل البيت عليهم السلام فإنّهن لسن أقل شأنًا من أمّهات الأنبياء عليهم السلام، لكن مع الأسف لم نجد اهتماماً بدراسة وبحث سيرة أمّهات المعصومين عليهم السلام لاسيما سيرة أمّهات ما بعد الزهراء عليها السلام، فقد همشت إذا لم نقل أهملت، فلم نعثر على دراسة لا من القدماء ولا من المتأخرين ولا من المحدثين ولا من المؤرخين إلا الشتات من الروايات وغيرها، مع أنّها من المواضيع الساخنة والتي لها صلة بالاعتقادات وما إليها. ونحن بعون الله قد وضعنا هذه الدراسة بعد ما لاحظنا أنّ هناك فراغاً في عالم السيرة والتاريخ في هذا الجانب، ولم نقتصر في هذه الدراسة على سرد التاريخ وما إليه، بل انتحلنا النهج العلمي الاستقرائي التحليلي، ومناقشة الآراء بالأدلة المنطقية لاسيما في المواضيع العقديّة والقريبة منها، والرجوع إلى المصادر المعتبرة عند الفريقين، بالإضافة إلى ذكر المواضيع التي لها صلة في الموضوع أو القربة منه، من قبيل ذكر أزواج المعصوم وما شاكله، ونأمل أن تكون هذه الدراسة خطوة للشروع في دراسات معمقة وتحقيقات منتظمة من قبل المختصين وغيرهم. سائلين المولى القبول والتسديد.

المؤلف

15 / شعبان / 1432

ص: 12

## آثار الأم على الجنين

تحظى الأم بمكانة رفيعة لا تقل أهمية عن مكانة الأب إذا لم تزد عليها، وهذا ما أكده الشرع الحنيف وفسّره العلم الحديث، فهي بمثابة المنعطف الكبير لتأهيل البشر وإعداد الأجيال، حيث أنّ المجتمعات عبارة عن شعوب وقبائل وأسر، ونواة هذه الأسر الزوج والزوجة (الأبوان) فهما أصل التكاثر البشرى بما جعلته الحكمة الإلهية لاستمرار الحياة الإنسانية في عالم الدنيا، ولو لاحظنا ذلك لوجدنا الأم أكثر تأثيراً وانفعالاً وأنها لها الحظ الكبير في إعداد الأجيال على الصعيد المادى والمعنوى.

ومن هنا نرى أقلام العلماء وقرائح الأدباء تصفها بمدح لا يضاهى حيث قالوا: المرأة نصف المجتمع، وأنها تهزّ المهدي في يد والعالم في يدها الأخرى، وقول الشاعر:

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق<sup>(1)</sup>

ص:13

---

1- (1) التعديل والتجريح، سليمان بن خلف الباجي، ص 57.

صحيح أن رحم المرأة يكون بالنسبة إلى نطفة الرجل كالأصيص بالنسبة إلى البذرة إلا أن الأمر يختلف تماماً في موضوع تكوين الخلية التناسلية، إذ ليست نطفة الرجل هي الخلية التناسلية الكاملة - كما كانت البذرة وإنما المرأة تكون الشريك الأهم للرجل في الوهلة الأولى، كما أشار لذلك القرآن الكريم في قوله: (إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ) 1 .

أى أن الله خلق الإنسان من نطفة مركبة وممزوجة من حويمن الرجل وبويضة المرأة كليهما.

وكذلك رحم الأم يتحمل في المرحلة الأولى نصف مسؤولية عملية التلقيح، ثم ينفرد في أنه يتحمل مسؤولية الاحتفاظ بالنطفة لمدة تسعة أشهر كاملة في داخله حتى يصنع إنساناً كاملاً.

وجدير بنا أن نذكر دور الأم في هذه المرحلة بحسب ما أفادنا به العلم الحديث: ويكون ردّاً على هذا السؤال: من أن البويضة التي تحتويها المرأة هي أكبر خلية في جسم الإنسان، حيث تبلغ في قطرها (200) ميكرون، بينما الحيوان المنوى الذي يضعه الرجل لا يزيد عن خمسة ميكرونات (لكن مع هذا المستوى من صغر الحيوان المنوى فإنه يساهم بنصف مكونات الجنين تماماً كما تساهم البويضة)، فما هو السبب في كبر حجم البويضة، وصغر حجم الحيوان المنوى؟

وقد أجابوا: إنّ البويضة هي المسؤولة عن تغذية النطفة الأمشاج، المكونة من كروموسومات الحيوان المنوى (الأب) وكروموسومات البويضة (الأم)، وعليها أن تقوم بالتغذية حتى تعلق النطفة، وتنشأ في جدار الرحم لتصبح العلقة، فتعطيه من دمائها وتوفر له الغذاء والهواء والحماية من السموم التي يفرزها جسمه أثناء نموه، حتى يأذن الله بخروجه متكامل البناء سوى الأعضاء (1).

فمن هنا نفهم أن دور الأم في التغذية والرعاية يبدأ من أول لحظة دخول النطفة في الحياة، فلا غرور أن جعل لها الإسلام مكانة عظيمة، وأعطاهما المقام الأول في البر والصلة والطاعة وقدمها على الأب ثلاثاً، وجعل الجنة تحت أقدامها، كما روى عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله:

«الجنة تحت أقدام الأمّهات» (2).

وعن أبي القاسم الكوفي قال: قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وآله: إن والدتي بلغها الكبر، وهي عندي الآن، أحملها على ظهري، وأطعمها من كسبي، وأميط عنها الأذى بيدي، وأصرف عنها (مع ذلك) وجهي استحياءً منها وإعظاماً لها، فهل كافأتها؟ قال صلى الله عليه وآله:

«لا؛ لأن بطنها كان لك وعاء، وثديها كان لك سقاء، وقدمها لك حذاء، ويدها لك وقاء، وحجرها لك حواء، وكانت تصنع ذلك لك وهي تمنى حياتك، وأنت تصنع هذا بها وتحب مماتها» (3).

وأيضاً قال صلى الله عليه وآله:

«إذا كنت في صلاة التطوع، فان دعاك والدك فلا

ص: 15

1- (1) انظر: خلق الإنسان بين الطب والقرآن: ص 164.

2- (2) مستدرک الوسائل، الميرزا النوري، ج 15 ص 180.

3- (3) المصدر نفسه.

تقطعها، وان دعتك والدتك فاقطعها»(1).

وعن الباقر عليه السلام، أنه قال:

«قال موسى بن عمران عليه السلام: يا رب، أوصني، قال: أوصيك بى، قال فقال: رب أوصني، قال: أوصيك بى، ثلاثاً، قال: يا رب أوصني، قال: أوصيك بأمك، قال: رب أوصني، قال: أوصيك بأمك، قال: رب أوصني، قال: أوصيك بأبيك، قال: (فكان يقال) لأجل ذلك أن للأم ثلثي البر وللأب الثلث»(2).

وعن مهر بن حكيم، عن أبيه، عن جده قال:

«قلت للنبي صلى الله عليه وآله: يا رسول الله، من أبرر؟ قال: أمك قلت: ثم من؟ قال: أمك قلت: ثم من؟ قال: ثم أمك قلت: ثم من؟ قال: ثم أباك، ثم الأقرب فالأقرب»(3). وأيضاً ورد عن الإمام الباقر عليه السلام:

إنَّ للأم ثلثي البر وللأب الثلث(4). وغيرها من الروايات المستفيضة التي تؤكد على بَرِّ الوالدين لاسيما الأم بالذات، وهذا يعبر عن مدى أهمية الأم في المجتمع.

## الصفات الوراثية

حُدِّدَتِ الوراثة بأنها مشابهة الفرع لأصله، ولا تقتصر على المشابهة في المظاهر الشكلية وإنما تشمل الخواص الذاتية، والمقومات الطبيعية، كما نص على

ص:16

1- (1) المصدر نفسه، ج 15 ص 181.

2- (2) الأمالى، الشيخ الصدوق، ص 602.

3- (3) مستدرک الوسائل، الميرزا النورى، ج 15 ص 181.

4- (4) راجع: مستدرک الوسائل، الميرزا النورى، ج 15 ص 180.

ذلك علماء الوراثة وقالوا: أن ذلك أمر بيّن في جميع الكائنات الحية فبدور القطن تخرج القطن، وبدور الزهرة تخرج الزهرة، وهكذا غيرها، فالفرع يحاكي أصله ويساويه في خواصه وأدق صفاته، كما يقول بعض العلماء: «إن كثيراً من الصفات الوراثية تنتقل بدون تجزئة أو تغير من أحد الأصلين أو منهما إلى الفرع...». وأكد هذه الظاهرة (هكسلى) بقوله: «إنه ما أثر أو خاصة لكائن عضوى إلا ويرجع إلى الوراثة أو إلى البيئة فالتكوين الوراثي يضع الحدود لما هو محتمل، والبيئة تقرر أن هذا الاحتمال سيحقق، فالتكوين الوراثي إذن ليس إلا القدرة على التفاعل مع أية بيئة بطريق خاص...» (1).

ومعنى ذلك أن جميع الآثار والخواص التي تبدو في الأجهزة الحساسة من جسم الإنسان ترجع إلى العوامل الوراثية وقوانينها، والبيئة تقرر وقوع تلك المميزات وظهورها في الخارج، فإذن ليست البيئة إلا -عاملاً مساعداً للوراثة، حسب البحوث التجريبية التي قام بها الاختصاصيون في بحوث الوراثة.

وكيف كان قد أكد علماء الوراثة بدون تردد أن الأبناء والأحفاد يرثون معظم صفات آبائهم وأجدادهم النفسية والجسمية، وهي تنتقل إليهم بغير إرادة ولا اختيار، وقد جاء هذا المعنى صريحاً فيما كتبه الدكتور (الكسيس كارل) عن الوراثة بقوله: «يمتد الزمن مثلما يمتد في الفرع إلى ما وراء حدوده الجسمية، وحدوده الزمنية ليست أكثر دقة ولا ثباتاً من حدوده الاتساعية، فهو مرتبط بالماضى والمستقبل، على الرغم من أن ذاته لا تمتد خارج الحاضر...»

ص: 17

---

1- (1) انظر: حياة الإمام الحسين عليه السلام، الشيخ باقر شريف القرشي، ج 1 ص 43.

وتأتى فرديتنا كما نعلم إلى الوجود حينما يدخل الحويمن فى البويضة, ولكن عناصر الذات تكون موجودة قبل هذه اللحظة ومبعثرة فى أنسجة أبويننا وأجدادنا وأسلافنا البعيدين جداً لأننا مصنوعون من مواد آبائنا وأمهاتنا الخلوية, وتتوقف فى الماضى على حالة عضوية لا تتحلل... ونحمل فى أنفسنا قطعاً ضئيلة لأعدادٍ من أجسام أسلافنا, وما صفاتنا ونقائصنا إلا امتداد لنقائصهم وصفاتهم»<sup>(1)</sup>.

وقد اكتشف الإسلام - قبل غيره - هذه الظاهرة، ودلل على فعاليتها فى التكوين النفسى والتربوى للفرد، وقد حث بإصرار بالغ على أن تقوم الرابطة الزوجية على أساس وثيق من الاختيار والفحص عن سلوك الزوجين، وسلامتهما النفسية والخلقية من العيوب والنقص، وأشار القرآن الكريم إلى ما تنقله الوراثة من أدق الصفات. قال تعالى حكاية عن نبيه نوح عليه السلام: (وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا \* إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا)<sup>2</sup>. فالآية دلت بوضوح على انتقال الكفر والإلحاد بالوراثة من الآباء إلى الأبناء، وقد حفلت موسوعات الحديث بكوكبة كبيرة من الأخبار التى اثرت عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، وهى تدلل على واقع الوراثة وقوانينها وما لها من الأهمية البالغة فى سلوك الإنسان، وتقويم كيانه.

فإن ما اكتشفه علماء الوراثة اليوم، وتوصلوا إليه بأبحاثهم الدقيقة من

ص: 18

---

1- (1) الإنسان ذلك المجهول، الدكتور. الكسيس كارل، ص 202.



وجود موجودات صغيرة داخل الكروموسومات تنقل الصفات الوراثية والتي أسموها (الجينات) ليس أمراً جديداً ومبتكراً، فالقرآن والرسول الأعظم والأئمة الطاهرون عليهم السلام - الذين كانوا يكشفون الحقائق بنور الوحي والإلهام - لم يغفلوا أمر هذا القانون الدقيق. بل أشاروا إليه وأطلق على عامل الوراثة فيها اسم (العرق).

وبعبارة أوضح: إنَّ المعنى الذى يستفیده علماء الوراثة اليوم من كلمة (الجينة) هو نفس المعنى الذى عبرت عنه الأخبار بكلمة (العرق) وعلى سبيل المثال نذكر بعض الروايات الواردة فى هذا المجال.

منها، عن النبى صلى الله عليه وآله قال:

«وانظر فى أى نصاب تضع ولدك فإن العرق دساس»<sup>(1)</sup>. ومنها: عن النبى صلى الله عليه وآله:

(تزوجوا فى الحجز الصالح)، أى الأصل والمنبت الصالح وهو كناية عن العفة.

(فإن العرق دساس)<sup>(2)</sup> أى إدخال بالتشديد؛ لأنه ينزع فى خفاء ولطف، يقال دسست الشىء إذا أخفيتہ وأخملتہ، ومنه قوله تعالى: (وَقَدْ خَابَ مَنْ أَفْتَرَى) أى أخمل نفسه وأبخس حظها. وقيل: معنى دساس خفى قليل وكل من أخفيتہ وقللتہ فقد دسسته<sup>(3)</sup>. والمعنى: أن الرجل إذا تزوج فى منبت صالح يجىء الولد يشبه أهل الزوجة فى العمل والأخلاق ونحوهما وعكسه بعكسه.

ص: 19

1- (1) مسند الشهاب، ابن سلامة، ج 1 ص 370.

2- (2) أنظر: النهاية فى غريب الحديث، ابن الأثير، ج 1 ص 345. وميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج 2 ص 1183.

3- (3) راجع: فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوى، ج 3 ص 317

وذلك حينما نراجع المعاجم اللغوية فى معنى كلمة (دساس) نجد أن بعضها - كالمنجد يعلق على ذلك بالعبارة التالية: «العرق دساس أى: أن أخلاق الآباء تنتقل إلى الأبناء»(1).

فهذان الحديثان يتحدثان عن قانون الوراثة بصراحة, ويعبران عن العامل فيها ب - (العرق). فالنبي صلى الله عليه و آله: يوصى أصحابه بأن لا يغفلوا عن قانون الوراثة, بل يفحصوا عن التربة الصالحة التى يريدون أن يبذروا فيها, لكى لا يرث الأولاد الصفات الذميمة.

ومنها: عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال:

«حسن الأخلاق برهان كرم الأعراق»(2).

وهذا الحديث يثبت إمكان اكتشاف الطهارة العائلية للفرد من السجيا الفاضلة عنده.

ومنها: حديث محمد ابن الحنفية ابن الإمام على عليه السلام كان حامل اللواء فى حرب الجمل، فأمره على عليه السلام بالهجوم، فأجهز على العدو، لكن ضربات الأسنة ورشقات السهام منعتة من التقدم فتوقف قليلاً... وسرعان ما وصل إليه الإمام وقال له: (احمل بين الأسنة) فتقدم قليلاً ثم توقف ثانية، فتأثر الإمام من ضعف ابنه بشدة فاقترب منه ووكزه بقائم سيفه وقال: أدركك عرق من أمك(3).

ص:20

---

1- (1) المنجد، مادة دس.

2- (2) غرر الحكم ودرر الكلم، للآمدى، ص 167.

3- (3) تامة المنتهى، ص 17.

فهنا الحديث يعطينا صورة عملية عن الواقع الوراثي من لحاظ الجانب السلبي، وقد أثبت الإمام عليه السلام أن التراجع الذي ظهر واضحاً في ابنه محمد ليس موروثاً منه عليه السلام؛ لأنه وآبائه لم يعرفوا للتوقف معنى قط، فلا بد وأن يكون ذلك من أمه؛ لأنها لم تكن من الفضيلة بدرجة تكون معها بمنزلة الصديقة الزهراء عليها السلام.

## الصفات الوراثية السلبية

حذر علماء الاختصاص من انتقال الصفات الوراثية السلبية إلى الأبناء كالحرق والبلادة والبله فإنها تنتقل من الآباء والأمهات إلى الأبناء، الأمر الذي يسبب أسمى أنواع شقاء المجتمع، فالفرد الأحق يظل طوال سنى عمره أسيراً للحرمان العقلي وعدم النضج الفكري مما يسبب للأمة مشاكل عديدة.

وقد توصل العلم الحديث، بعد التجارب العديدة والإحصائيات الدقيقة إلى خطر هذا النوع من الزواج، ولذلك أخذ العلماء يحذرون الناس منه بقولهم: «يجب أن يعلم كل فرد أن التزوج من الأسر المصابة بالجنون أو الحمق أو البلادة، أو الإدمان على الخمر يؤدي إلى تحطيم كيان المجتمع وهدم قانون التكاثر والتناسل، مما يجر معه سلسلة من المعايب والجرائم التي لا تحمد عقبها»<sup>(1)</sup>.

ص: 21

---

1- (1) نقلاً عن كتاب الطفل بين الوراثة والتربية، الشيخ محمد تقى فلسفى، ج 1 ص 75.

وأيضاً لاحظ (كدار) في إحصائياته الدقيقة التي أجراها على الأسر التي كان أبؤها أو أمهاتها مصابين بضعف العقل وجود (470) طفلاً ضعيفي العقل منهم و (6) فقط سالمين وبديهي أن إيجاد جيل منحط ومجرم وأبله يعد خيانة كبيرة(1).

وهذه الظاهرة لم يغفل عنها الشرع الحنيف، فقد أدرك أخطارها فحذر المسلمين منها.

ولذا نرى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يقول:

«إياكم وتزوج الحمقاء، فإن صحبتها بلاء وولدها ضياع»(2).

وأحسن تعبير عن الأولاد الناتجين من آباء أو أمهات مصابين بالحمق هو الضياع.

وعن محمد بن مسلم قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن الخبيثة يتزوجها الرجل،

قال: لا، ثم قال: إن كان له أمة وطنها ولا يتخذها أم ولده(3).

### الآثار الوراثية لشرب الخمر

لقد انتشر شرب الخمر في كثير من دول العالم، وتكبلوا بهذا الداء الوييل وأسراره، وهذا السم الفاتك لا يكتفى بتوجيه ضربات قاسية إلى المدمنين عليه فقط، بل يتعداهم إلى أطفالهم البريئين ويجعلهم يرزحون تحت كابوس

ص: 22

1- (1) راه ورسم زندكي، الكسيس كارل، ص 74.

2- (2) الكافي، الشيخ الكليني، ج 5 ص 354.

3- (3) المصدر نفسه، ج 5 ص 353.

الأمراض والعوارض المختلفة، فقد تترك الخمرة آثاراً سيئة على أجسام المدمنين عليها، ومن تأثيراتها فيهم إيجاد اختلالات في خلايا المخ والأعصاب مما يجعلهم أناساً غير اعتياديين، ومما يبعث على الأسف أن هذا الاختلال ينتقل إلى أولادهم، والنطف الحادثة من أناس مأسورين للخمرة تنتج أطفالاً منحرفين وغير اعتياديين في سلوكهم وتفكيرهم، إنَّ قسماً كبيراً من المجانين الذين يقضون حياتهم في مستشفيات المجانين يننون من ويلات انحراف آبائهم. كما ورد ذلك عن المختصين والمهتمين بهذا الشأن حيث قالوا: «إن قلة الذكاء واختلال القوة العاقلة تنشأ من المشروبات الروحية والسلوك المفرط في جميع جوانب الحياة، إنه لا ريب في وجود رابطة قوية بين استعمال المشروبات الروحية والضعف العقلي في مجتمع ما. ومن بين الدول المتقدمة علمياً وصناعياً نجد فرنسا أكثرها استعمالاً للخمرة في حين أنها أقل تلك الدول حصولاً على جوائز نوبل»<sup>(1)</sup>.

وعليه لاحظ الإسلام جميع العوارض والويلات الناشئة من الخمرة، ونظر إلى آثارها السيئة في المدمنين عليها وفي أولادهم، فلم يكتف بتحريم عصرها والتعامل بها وتعاطيها على المسلمين من الجهة القانونية فقط، بل حذر من الاتصال الجنسي والتناكح مع شاربي الخمر بكل صراحة، وهناك جملة من الشواهد الروائية على ذلك.

منها: عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: شارب الخمر لا

ص: 23

---

1- (1) راجع: الطفل بين الوراثة والتربية، الشيخ محمد تقى فلسفى، ج 1 ص 76.

يزوج إذا خطب(1).

ومنها: عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

من زوج كريمته من شارب خمر، فقد قطع رحمها(2).

وبديهي أن يعتبر إنجاب أطفال مختلين (بدنياً وعصبياً وروحياً) قطعاً لرحم المرأة التي بإمكانها أن تنجب أولاداً سالمين من غيره.

وغيرها من الروايات الواردة عن الأئمة المعصومين عليهم السلام في هذا المجال، ولكن أشدها تحذيراً وأعظمها توبيخاً ما إذا حصل الاتصال الجنسي في حالة السكر، كما يتضح ذلك من حديث الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«أيما امرأة أطاعت زوجها وهو شارب الخمر، كان لها من الخطايا بعدد نجوم السماء، وكل مولود تلد منه فهو نجس، ولا يقبل الله منها صرفاً ولا عدلاً حتى يموت زوجها، أو تخلع عنه نفسها»(3).

وقد نقل نص لأحد علماء الغرب بهذا الصدد عن الدكتور كاريل يقول: «إن سكر الزوج أو الزوجة حين الاتصال الجنسي بينهما يعتبر جريمة عظيمة، لأن الأطفال الذين ينشأون في ظروف كهذه يشكون في الغالب من عوارض عصبية ونفسية غير قابلة للعلاج»(4).

ص:24

1- (1) تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي، ج 7 ص 398.

2- (2) الكافي، الشيخ الكليني، ج 5 ص 347.

3- (3) عوالي اللئالي، أبي جمهور الأحسائي، ص 267.

4- (4) راه زندكي، الكسيس كارل، ترجمة، دبيري، ص 91.

بالرغم من أن الأب والأم كليهما يشتركان في صنع الخلية الأولى للطفل ويتساوى دورهما فيه (ولهذا نجد أن الأطفال يكتسبون بعض صفاتهم من آبائهم وبعضها من أمهاتهم) لكن الرحم هو الذى يصنع الطفل ويخرج تلك الذرة الصغيرة بصورة إنسان كامل. وإن جميع الاستعدادات التى كانت كامنة فى تلك الخلية الأولية تظهر إلى عالم الفعلية فى رحم الأم كما تقدم. إذن فالمقدرات التفصيلية للطفل من الصلاح والفساد، والجمال والقبح، والنواقص والكمالات الظاهرية والباطنية كلها تخطط فى الرحم، فهناك مئات التفاعلات والتأثيرات الاختيارية والاتفاقية تمرُّ فى طريق أصلاب الآباء وأرحام الأمهات، وتؤثر فى الأطفال بصورة خفية حيث تظهر نتائجها جميعاً فى الرحم، والرحم هو آخر مراحل التأثيرات المختلفة الطارئة على تكوين الطفل، وعند عبوره هذه المرحلة يبدأ الحياة على الأرض.

إذن فالسعادة والشقاء التكوينيَّان للإنسان يجب البحث عنهما فى آخر المراحل وهو رحم الأم، ولهذا نجد الرسول الأعظم والأئمة الطاهرين عليهم السلام (بالرغم من عنايتهم الشديدة بالتأثير المشترك لأصلاب الآباء وأرحام الأمهات حول سعادة الطفل وشقائه) يوجهون جل اهتمامهم إلى رحم الأم فيقولون:

«السعيد سعيد فى بطن أمه، والشقى شقى فى بطن أمه»<sup>(1)</sup>.

ولهذا السبب اعتبرت الروايات رحم الأم هو الملاك فى السعادة والشقاء،

ص: 25

وأغفلت ذكر صلب الأب من حيث إنّه لا مندوحة لنا من القول بأن دور الأم في بناء الطفل يفوق دور الأب بكثير. نعم لو اكتفينا بملاحظة دور الأب والأم في تلقيح البويضة بواسطة الحيمن لإيجاد الخلية الأولى للطفل لكانا متساويين في ذلك الدور، إلا أن الواقع من أن الأم تتحمل في دور الحمل مسؤولية كبيرة وبالخصوص فيما يتعلق بأسلوب تغذية الأم ونوعه.

فإنّ دور الآباء في البناء الطبيعي للطفل ينتهي بعد انعقاد النطفة وحصول التلقيح، لكن دور الأم يستمر طيلة أيام الحمل، فالطفل يتغذى من الأم، ويأخذ منها جميع ما يحتاجه في بنائه. ولهذا فإنّ سلامة الأم ومرضاها، طهارتها ورذالتها، سكرها وجنونها... أثراً مباشراً في الجنين. وأشار إلى ذلك كاريل: «إنّ الأب والأم يساهمان بقدرٍ متساوٍ في تكوين نواة البويضة التي تولد كل خلية من خلايا الجسم الجديد ولكن الأم تهب علاوة على نصف المادة النووية كل البروتويلازم المحيط بالنواة، وهكذا تلعب دوراً أهم من دور الأب في تكوين الجنين».

وقال أيضاً: «إنّ دور الرجل في التناسل قصير الأمد. أما دور المرأة فيطول إلى تسعة أشهر، وفي خلال هذه الفترة يغذى الجنين بمواد كيميائية ترشح من دم الأم من خلال أغشية الخلاص»(1).

إنّ الطفل أشبه ما يكون بعضو من أعضاء الأم تماماً، عندما يكون في بطنها، وجميع العوامل التي تؤثر في جسد الأم وروحها تؤثر في الطفل أيضاً. وهذا بخلاف ما إذا ابتلى أب بعد انعقاد النطفة - بشرب الخمر أو العوارض الأخرى

ص:26



فإنها لا تؤثر في الطفل، لأن صلة الطفل بأبيه إنما تكون ثابتة إلى حين انعقاد النطفة فقط، لكن صلة الأم تستمر لمدة تسعة أشهر، وعليه فإذا أقدمت الأم - في أيام الحمل - على شرب الخمر فإن الجنين يسكر ويتسمم أيضاً.

فإن أحد أسباب سلامة هيكل الطفل ورشاقة قوامه أو عدمها في أيام الحمل يتعلق بالغذاء الذي تتناوله الأم وهي حامل. وكذلك الغذاء الذي كان يتناوله الأب قبل انعقاد النطفة.

## آثار الأرحام الملوثة

توجد بين النساء الملوثات بالانحرافات الجنسية طائفة معلنة بالفجور لا تملك الإيمان كي يراقبن الخوف من الله ولا تملك سمعة حسنة في المجتمع كي يخفن من انفضاح الأمر، ولذلك يرتكبن الزنا من دون اكتراث، ولا يرين فرقاً بين الاتصال القانوني وغير القانوني.

وقد حذر الإسلام الحنيف من هذه الشريحة الملوثة، كما ورد عن الحلبي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام

«لا تتزوج المرأة المعلنة بالزنا ولا تزوج الرجل المعلن بالزنا إلا أن يعرف منهما التوبة»<sup>(1)</sup>.

وهناك بعض النساء يتزوجن ولكن نفوسهن القذرة الدنيئة تميل إلى الرجال الأجانب، ومن الممكن أن ترتكب الزنا بالرغم من أنها ذات زوج وتستفيد من ذلك لأنها تجعل الزوج حصناً منيعاً أمام التهم الاجتماعية. إن ما لا شك فيه أن

ص: 27

هذه المرأة مصابة بالانحراف النفسى وحتى إذا حملت من زوجها القانونى، فإن الطفل بالرغم من كونه قانونياً حسب المقررات الشرعية ولكنه من جهة الانحراف الروحى والفساد النفسى لا يقل عن ولد الزنا، إذ أن الطفل يرث الصفات الرذيلة من أمه فهو ينزع إلى الإجرام والخروج على القانون. ونأخذ لذلك مثلاً: كان الحجاج بن يوسف الثقفى فرداً غير طبيعى، وخطراً فى نفس الوقت، والتاريخ أحصى له جرائم وجنایات عظيمة سودت وجه البشرية، فقد بلغ عدد من قتله الحجاج صبراً فى غير حروبه مئة وعشرين ألفاً. وعندما توفى خلف فى محبسه خمسين ألف رجل، وثلاثين ألف امرأة، وكان حبسه لا يكتنهم من برد ولا حرّ، ويسقون الماء مشوباً بالرماد(1). ومن طرائفه المّبكية قالوا عندما أخذه السل وهجره النوم أحضر منجماً فسأله: هل ترى ملكاً يموت؟ قال: نعم أرى ملكاً يموت ولكن أسمه كليب، فقال: بذلك سمّتى أمى، قال المنجم كذلك تدل عليه النجوم، قال الحجاج: فلأقدمنك أمامى، ثم أمر به فضربت عنقه، ثم مات الحجاج(2). فإنّ مما لا شك فيه أنّ عوامل عديدة تدخلت فى انحراف سلوك هذا الإنسان مما جعلته خطراً وشريراً إلى هذه الدرجة، ومن الممكن أن قسطاً وافراً من ذلك يرجع إلى روح أمّه المنحرفة. حيث أنّ أمّ الحجاج التى أسمها (فارغة) كانت زوجة (للمغيرة بن شعبة) قبل أن تتزوج يوسف الثقفى، وكان عمر بن الخطاب يسير فى أزقة المدينة فى بعض الليالى... فسمع امرأة تغنى فى أحد البيوت وتنشد البيت الآتى:

ص:28

1- (1) راجع: موسوعة التاريخ الإسلامى، اليوسفى الغروى، ج 6 ص 518.

2- (2) تاريخ مختصر الدول، ابن العربى، ص 113.

هل من سبيل إلى خمر فأشربها أم من سبيل إلى نصر بن حجاج؟

فتأثر عمر من هذا البيت، وساءه أن تكون في عاصمة حكومته امرأة تترنم بغرام شاب أجنبي بالرغم من أنها متزوجة، فأحضر النصر بن الحجاج (وكان شاباً جميلاً) فحلق رأسه وسفره إلى البصرة(1).

إن المرأة المحصنة التي تفكر في رجل أجنبي وتتمنى معاورة الخمر والوصول بالنصر بن حجاج إذا حملت من زوجها القانوني نطفة فإن انحرافها سيؤثر في نفس طفلها قطعاً. وأيضا المرأة التي لا تفهم لاحترام القوانين الإلهية والتعاليم الدينية معنى لا يستغرب منها أن تلد طفلاً مثل الحجاج في فساده وانتهاكه حريم الناس وأرواحهم وأموالهم.

فقد أثبت الواقع الاجتماعي والواقع العلمي بدراساته المستفيضة الأثر الحاسم للوراثة والمحيط الاجتماعي في تكوين الطفل ونشوته، وانعكاسات الوراثة والمحيط عليه في جميع جوانبه الجسدية والنفسية، فأغلب الصفات تنتقل من الآباء والأمهات والأجداد إلى الأبناء، كالذكاء والاضطراب السلوكي وانقسام الشخصية والأمراض العقلية والانضباط الذاتي، وصفات التسامح والمرونة، فيكونون وسطاً مساعداً للانتقال أو يكون في الأبناء الاستعداد للاتصاف بها، إضافة إلى انعكاس العادات والتقاليد على الأبناء نتيجة لتكرار الأعمال، ومن هنا أكد الإسلام على الزواج الانتقائي، أي بانتقاء الزوجين من أسرة صالحة وبيئة صالحة.

ص:29

راعى الإسلام فى تعليماته لاختيار الزوجة الجانبين: الجانب الوراثى الذى انحدرت منه المرأة، والجانب الاجتماعى الذى عاشته. ولهذين الجانبين دور كبير فى انعكاسه على سلوكها وسيرتها، كما كشف ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال:

اختاروا لنطفكم فان الخال أحد الضجيعين(1).

فالرسول الأكرم يؤكد على اختيار الزوجة من الأسر التى تحمل الصفات النبيلة، لتأثير الوراثة على تكوين المرأة وعلى تكوين الطفل الذى تلده، وكانت سيرته قائمة على هذا الأساس، فاختر خديجة فأنجبت له أفضل النساء فاطمة عليها السلام، وتبعه فى السيرة هذه أهل البيت عليهم السلام فاختروا زوجاتهم من الأسر الكريمة، أو التى حظيت برعاية وتربية إلهية كما سيأتى. وإلى جانب الانتقاء على أسس الوراثة، أكد الإسلام على انتقاء الزوجة من المحيط الاجتماعى الصالح الذى أكسبها الصلاح وحسن السلوك، وفى نفس الوقت حذر من المحيط غير الصالح الذى تعيشه، فحذر من الزواج من الحسناء المترعرة فى منبت السوء فقال صلى الله عليه وآله:

إياكم وخضراء الدمن(2) قيل: يا رسول الله وما خضراء الدمن؟ قال:

المرأة الحسناء فى منبت السوء(3).

وغيرها من الروايات الكثيرة فى هذا المجال وأكدت هذه الروايات على

ص:30

1- (1) تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسى، ج 7 ص 402.

2- (2) الدمن: البعر. تقول: والماء متدمن، إذا سقطت فيه أبعاد الغنم والإبل. الصحاح، الجوهري، ج 5 ص 2114.

3- (3) الكافى، الكلينى، ج 5 ص 332.

أن يكون التدين مقياساً لاختيار الزوجة، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يشجع على ذلك، فقد أتاه رجل يستأمره في الزواج فقال:

عليك بذات الدين تربت يداك(1).

وقدّم الإمام الصادق عليه السلام اختيار التدين على المال والجمال، فقال:

إذا تزوج الرجل المرأة لجمالها أو مالها وكل إلى ذلك وإذا تزوجها لدينها رزقه الله الجمال والمال(2).

فالمرأة المنحدرة من سلالة طاهرة ومن أسرة صالحة وكان التدين صفة ملازمة لها، فإن سير الحركة التربوية يتقدم أشواطاً إلى الأمام، وتكون تربيته للأطفال منسجمة مع القواعد التي وضعها الإسلام في شؤون التربية، فيكون المنهج التربوي المتبع متفقاً عليه من قبل الزوجين، لا تناقض فيه ولا تضاد، وتكون الزوجة حريصة على إنجاح العملية التربوية وتعتبرها تكليفاً شرعياً قبل كل شيء، وهذا التكليف يجنبها عن أى ممارسة سلبية مؤثرة على النمو العاطفي والنفسى للأطفال.

ولو نظرنا إلى صفة الكرم والجود التي احتوتها نفس حاتم الطائي لرأينا أنه ورثها من أمه عنتر بنت عفيف بن عمرو بن امرئ القيس، فقد ذكر المؤرخون أنها لا تمسك شيئاً سخاءً وجوداً، وكان إخوتها يمنعونها فتأبى، وكانت امرأة موسرة، فحبسوها في بيت سنة يطعمونها قوتها لعلها تكف عما تصنع، ثم

ص: 31

1- (1) المصدر نفسه.

2- (2) المصدر نفسه، ج 5 ص 333.

أخرجوها بعد سنة، وقد ظنوا أنها قد تركت ذلك الخلق، فدفعوا إليها صرمة(1) من مالها وقالوا استمتعي بها. فأتتها امرأة من هوازن وكانت تغشاها فسألتها، فقالت: دونك هذه الصرمة، فقد والله مسنى من الجوع ما آليت أن لا أمنع سائلا، ثم أنشأت تقول:

لعمري لقدما عضنى الجوع عضه فآليت ألا أمنع الدهر جائعا

فقولاً لهذا اللائمى اليوم أعفى وإن أنت لم تفعل فعض الأصابع

فماذا عساكم أن تقولوا لأختكم سوى عدلكم أو عدل من كان مانعا

وماذا ترون اليوم إلا طبيعة فكيف بتركى يا بن أمى الطبايعا(2)

### طهارة أمّهات الأئمة

نستخلص مما تقدم أنّ اهتمام الهدى السماوى فى شؤون الأم، وكشفه عن مدى أهميتها وخطورتها وما تعكسه بالنسبة إلى الأبناء، والذى يلزم أن يكون هذا الوعاء طاهراً خالياً من الشوائب والأدناس كى يخرج منه الجيل الصالح الذى يسعد البشرية وتتحقق منه أهداف الإنسانية، فلا نستغرب عندما نرى اختصاص أمّهات الأئمة الأطهار عليهم السلام قد حظين بالأدب والتربية الإلهية، وما أوعزته السماء من اهتمام كبير فى رعاية هذه الأوعية التى كانت مضاجع لخير الخلق وحملة الرسالة الإلهية، وهذا معتقد مسلم عندنا (أشهد أنك كنت نوراً فى الأصلاب

ص: 32

---

1- (1) الصرمة: القطيع من الإبل، والفرقة من الغنم. وقيل الصرمة: ما بين العشرة الى الأربعين من الإبل. راجع: لسان العرب، ابن منظور، ج 8 ص 196.

2- (2) السيرة النبوية، ابن كثير، ج 1 ص 114.

الشامخة والأرحام المطهرة(1)، وهذه الطهارة والصفات الايجابية التي حوتها أمّ المعصوم عليها السلام لم تكن وليدة الفترة المتأخرة أو المزامنة باقترانها بالإمام عليه السلام، حيث ربما يقال أنه لا يشترط أن تكون أمّ الإمام المعصوم عليها السلام طاهرة وكاملة في بداية أمرها، وإنما يكون ذلك بعد دخولها الإسلام وقد تابت وأحسنت توبتها وحصلت على الطهارة والصفات العالية.

قلنا: صحيح أنّ التائب من الذنب كمن لا ذنب له، لكن هذا لا يرفع الآثار التكوينية والمخلفات النفسية والجسدية، نعم يصح أن نقول يرتفع عنه العقاب الأخرى بحسب تطبيق موازينه وإجراء أحكامه، وإنما تبقى الآثار التكوينية في الجسد والنفس جراء تلك الذنوب وممارسة المنكرات، ويمكن أن تقرب ذلك بمثال: من قبيل لو شرب الإنسان الخمر وبعد الشرب مباشرة أدركته الرحمة الإلهية وتاب توبة نصوحة فلا تجديه هذه التوبة عن ترتب الآثار التكوينية (السكر) حيث يصاب بالسكر والغثيان وتترتب عليه كل الآثار الجسدية والنفسية، نعم كل ما هنالك يرتفع عنه العقاب الأخرى في حال قبول التوبة، وهنا لو فرضنا أنّ أمّ المعصوم عليه السلام كانت تزاوّل وتمارس المنكر قبل اقترانها بالإمام عليه السلام، بلا شك يبقى أثره في جسمها ونفسها ولا تصلح أن تكون وعاءً وحجراً للمعصوم؛ لأنه سينعكس عليه جملة من الآثار السلبية جراء تلوث جسد ونفس الأم، كما تقدمت الإشارة إليه من الناحية العلمية والشرعية، فعليه لابد أن تكون أمّ المعصوم عليها السلام خالية من الشوائب والآثار السلبية لاسيما من اللحاظ الجسدى

ص:33

والنفسى فى كل أطوار حياتها، فلا بد أن تكون لأم المعصوم درجة رفيعة فى مجال التكامل النفسى والطهارة الروحية بحيث تجعلها أهلاً لحمل السر الإلهى الذى لولاه لساخت الأرض بأهلها، والنور الربانى الذى أودع فى الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة، فلها إذن درجة ترتفع بصاحبها عن مرديات الهوى، ومهلكات النفس، وتسمو به عالياً نحو المقصود الكلى والوجود الأزلى، من هنا كان اختيار أم المعصوم محفوفاً بالطف جلية، ورعاية إلهية، ومعجز ربانية لذلك جاءت جملة من الروايات تكشف لنا اهتمام السماء فى أمّهات المعصومين عليهم السلام، حيث نجد أنّ من ألقاب فاطمة الزهراء عليها السلام (البتول): وذلك لأنها لم ترّ الحيض، كما فسّره النبى الأكرم صلى الله عليه وآله عندما سئل عن معناه فقال صلى الله عليه وآله:

هى المرأة التى لم تحض ولم تر حمرة قط وإنّ الحيض مكروه فى بنات الأنبياء عليهم السلام(1).

وقد روى عنهم عليهم السلام أن سبيل أمّهات الأئمة عليهم السلام سبيل فاطمة عليها السلام فى ارتقاء الحيض عنهن. وهذا مما تميزت به أمّهات أئمتنا عليهم السلام من سائر النساء لأنه لم يصح فى واحدة من جميع النساء حصول الولادة مع ارتقاء الحيض عنها سواهن تخصيصاً لهن لمكان أولادهن المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين(2).

فالممتنع لقصة أسر شهر بانويه، كما ستأتى فى محلها، واختيارها للإمام الحسين عليه السلام من دون الرجال، وتقريظ أمير المؤمنين عليه السلام لها بقوله للحسين عليه السلام. (ليلدن لك منها خير أهل الأرض)، لا يخفى عليه عمق التسديد الإلهى، والإعداد

ص:34

1- (1) معانى الأخبار، الصدوق، ص 64.

2- (2) تاج المواليد، الشيخ الطبرسى، ص 20



ويحدثنا الصادق عليه السلام عن حميدة أم الإمام الكاظم عليه السلام فيقول:

حميدة مصفاة من الأدناس، كسبيكة الذهب، ما زالت الأملاك تحرسها حتى أدبت إلى، كرامة من الله لى والحجة من بعدى (1). وفى هذا الحديث دلالة واضحة على أن أم المعصوم عليها السلام تعيش تحت الحراسة والرعاية الإلهية منذ البدء، حيث وَكَّلَ اللهُ تعالى أملاكاً تحرسها وتدرأ عنها شوائب الأقدار؛ وذلك لكى تكون الوعاء المناسب للحجة عليه السلام.

وأبضا ذكر أبو عبد الله الصادق عليه السلام جدته أم أبيه فقال عليه السلام:

كانت صديقة لم تدرک فى آل الحسن امرأة مثلها (2). وهذا يعنى أنها كانت منذ البدء كاملة طاهرة.

وقد ذكر ابن مهزيار عن الإمام الهادى عليه السلام يصف أمه قائلاً:

أمى عارفة بحقى وهى من أهل الجنة، لا يقربها شيطان مارد، ولا ينالها كيد جبار عنيد، وهى مكلووءة بعين الله التى لا تنام، ولا تختلف عن أمّهات الصديقين والصالحين (3).

وهكذا كل أمّهات الأئمة طاهرات مطهرات مصطفيات، لجليل ما يحملن، وعظيم ما اختير لهن.

ص: 35

1- (1) الكافى، الكلينى، ج 1 ص 477.

2- (2) المصدر نفسه، ج 1 ص 469.

3- (3) الأنوار البهية، الشيخ عباس القمى، ص 273.

من أشد المصاعب والآلام التي تمر بها الأم وتعكر عليها صفوة حياتها، هي في حال حملها بجنينها حيث تعترئها أزمات وأعراض جانبية، نفسية كانت أم جسدية، بالإضافة إلى الثقل وغيره، نعم ربما يختلف ذلك بين امرأة وأخرى اختلافاً بسيطاً، ولكن هناك فرقٌ شاسعٌ في حمل أمّهات الأئمة بالمعصوم عليه السلام يختلف عن حمل باقي النساء من لحاظ الخفة والغشيان وما إليها من الكرامات، كما نقل بأسانيد معتبرة عن الصادق عليه السلام قال:

ذا حملت بهم أمّهاتهم أصابها فترة شبه الغشية، فأقامت في ذلك يومها ذلك إن كان نهاراً، أو ليلتها إن كان ليلاً، ثم ترى في منامها رجلاً يبشرها بغلام، عليم حلیم، فتفرح لذلك، ثم تنتبه من نومها، فتسمع من جانبها الأيمن في جانب البيت صوتاً يقول: حملت بخير وتصيرين إلى خير وجئت بخير، أبشري بغلام، حلیم عليم، وتجد خفة في بدنّها ثم لم تجد بعد ذلك امتناعاً من جنبيها وبطنها، فإذا كان لتسع من شهرها سمعت في البيت حساً شديداً، فإذا كانت الليلة التي تلد فيها ظهر لها في البيت نور تراه لا يراه غيرها إلا أبوه، فإذا ولدته ولدته قاعداً وتفتحت له حتى يخرج متربعاً يستدير بعد وقوعه إلى الأرض، فلا يخطئ القبلة حيث كانت بوجهه، ثم يعطس ثلاثاً يشير بأصبعه بالتحميد ويقع مسروراً مختوناً ورباعيته من فوق وأسفل وناباه وضاحكاه ومن بين يديه مثل سبيكة الذهب نور وقيم يومه وليلته(1).

ص:36

لم تكن أسماء وألقاب أهل البيت عليهم السلام وحتى ذكر أسماء أمهاتهم وليدة عصرها، بل هي سابقة في علم الله ومعرفة أوليائه والمقربين لهم، وهذه واحدة من الروايات التي تذكر ذلك مفصلاً، وكان مدوناً في صحيفة الزهراء عليها السلام، كما ورد عن أبي نصره قال: لما احتضر أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام عند الوفاة دعا بابنه الصادق عليه السلام ليعهد إليه عهداً فقال له أخوه زيد بن علي عليه السلام: لو امتثلت في تمثال الحسن والحسين عليهما السلام لرجوت أن لا تكون أتيت منكراً فقال له: يا أبا الحسن إن الأمانات ليست بالتمثال ولا العهود بالرسوم وإنما هي أمور سابقة عن حجج الله عز وجل ثم دعا بجابر بن عبد الله فقال: له يا جابر حدثنا بما عاينت من الصحيفة فقال له جابر: نعم يا أبا جعفر دخلت على مولاتي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله لأهنئها بمولودها الحسين عليه السلام فإذا بيديها صحيفة بيضاء من دره فقلت لها: يا سيدة النساء ما هذه الصحيفة التي أراها معك؟ قالت: فيها أسماء الأئمة من ولدي قلت لها: ناوليني لأنظر فيها قالت: يا جابر لولا النهي لكنت افعل لكنه قد نهى أن يمسه إلا نبي أو وصي نبي أو أهل بيت نبي، ولكنه مأذون لك أن تنظر باطنها من ظاهرها قال جابر: فإذا أبو القاسم محمد بن عبد الله المصطفى أمه آمنة، أبو الحسن علي بن أبي طالب المرتضى أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، أبو محمد الحسن بن علي البر، أبو عبد الله الحسين بن التقي، أمهما فاطمة بنت محمد، أبو محمد علي بن الحسين العدل أمه شهربانو بنت يزدجرد، أبو جعفر محمد بن علي الباقر أمه أم عبد الله بنت الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، أبو

عبد الله جعفر بن محمد الصادق وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر، أبو إبراهيم موسى بن جعفر أمه جارية اسمها حميدة المصفاة، أبو الحسن علي بن موسى الرضا أمه جارية اسمها نجمة، أبو جعفر محمد بن علي الزكي أمه جارية اسمها خيزران، أبو الحسن علي بن محمد بن الأمين أمه جارية اسمها سوسن، أبو محمد الحسن بن علي الرفيق أمه جارية اسمها سمانة، وتكنى أم الحسن، أبو القاسم محمد الحسن هو حجة الله القائم أمه جارية اسمها نرجس صلوات الله عليهم أجمعين<sup>(1)</sup>.

### إهمال التاريخ لأُمَّهَات الأئمة عليهم السلام

هناك عدة عوامل وقفت عائقاً أمام الحديث عن ذكر خصوصيات أمّهات الأئمة عليهم السلام بشكل مفصل، أو لا أقل بما يليق بشأنهنّ ومقامهنّ السامى الذى أوصلهنّ، بأن يكنّ وعاءً وحجراً لخير أهل الأرض فى زمانه، فهنّ يعشنّ فى بحر من الكرامات والمعاجز، وربّما من تلك العوامل هى أن التاريخ عاش وترعرع فى أحضان أعداء أهل البيت عليهم السلام ومن الواضح لا تسنح الظروف الراهنة آنذاك فى نشر فضائل أهل البيت عليهم السلام سواء كان من جهة الآباء أو الأمّهات، نعم هناك مواقف وكرامات فرضت نفسها على التاريخ وأختزلت فى أذهان الناس وانتشرت فى ربوع المعمورة وغالبا ما يتأتى هذا من جهة الرجال دون النساء لما تحيطها من ظروف اجتماعية وغيرها.

ص: 38

---

1- (1) عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق، ج 2 ص 47. والاحتجاج، الطبرسى، ج 2 ص 137.

وأيضاً من العوامل التي تقف حائلاً دون ذلك، تحجيم دور المرأة في المجتمع حينذاك ولم تحظَ بمكانة بينهم في جميع الأصعدة، ولا نبالغ حينما نقول عانت المرأة خلال العصور التاريخية المختلفة ألواناً من الظلم والاضطهاد والتعسف في جميع مراحل التاريخ، وذلك أنّ المرأة كانت في كثير من المجتمعات شخصية غير مستقلة في جميع الحقوق الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، فكانت المرأة تعامل معاملة الكائن غير المستقل، وكانوا يستثمرونها بشكل فظيع قريب من حالة التوحش، وبلغ وضع المرأة من الانحطاط بحيث إن صاحبها كان يستفيد منها للارتزاق أحياناً، فيعرضها للإيجار، بما كان يعانيه هؤلاء من فقر حضارى وفقر مادي جعل منهم قساة لا يتورعون عن ارتكاب جريمة (الوَأْد) بحق الأنثى. نعم مع ظهور الإسلام وانتشار تعاليمه السامية، دخلت حياة المرأة مرحلة جديدة بعيدة كل البعد عما سبقها، ففي هذه المرحلة أصبحت المرأة مستقلة ومتمتعة بكل حقوقها الفردية والاجتماعية والإنسانية، لكن بقيت هذه الرواسب الجاهلية كامنة في أذهان الكثير لاسيما المتغطرسين والمتسلطين على رقاب الناس ما يمنع من نشر فضائل النساء اللاتي خصَّهنَّ الله بالكرامة والتقدير، والتي فيها مواقف مشرّفة تبيض فيها وجه الإنسانية والتاريخ، ولنأخذ مثلاً مختصراً على بعض المواقف الخالدة من بعض النساء الشامخات، قال المدائني أتى عبيد الله بن زياد بامرأة من الخوارج فقطع رجلها وقال لها كيف ترين فقالت إن في الفكر في هول المطلع لشغلاً عن حديدتكم هذه ثم قطع رجلها الأخرى وجذبها فوضعت يدها على فرجها فقال لتسترينه فقالت لكن سمية

وكذلك من العوامل المهمة أيضاً التي حالت دون وصول تاريخ وفضائل أمّهات الأئمة المعصومين عليهم السلام هي إحراق وإتلاف مكتبات وتراث الشيعة في مرّ العصور لاسيّما في العصور القديمة والقريبة من عصر الأئمة عليهم السلام، كحرق مكتبة الشيخ الطوسي رحمه الله والتي تعد من أكبر المكتبات في زمانها، وما حدث على يد التتار عند دخولهم بغداد من إحراق المكتبات وإلقاء الكتب في نهر دجلة حتى أسودّ ماؤه. وأيضاً ما جرى في إحراق المكتبات الشيعية في مصر على أيدي الأيوبيين. ولناخذ مثلاً لما جرى على الكتب والتراث الشيعي آنذاك، ذكروا أنّ طغرل بك أول ملوك السلاجقة لما ورد بغداد في سنة (447 هـ -) وشن حملته المشهورة على الشيعة أمر بإحراق مكتبتهم التي أسسها أبو نصر سابور بن أردشير وزير بهاء الدولة البويهى في محلة (بين السورين) في كرخ بغداد سنة (381 هـ). وقد كانت من دور العلم المهمة في بغداد بناها هذا الوزير الجليل والأديب الفاضل على مثال بيت الحكمة الذي بناه هارون الرشيد كما ذكر في ترجمته، وقد جمع فيها هذا الوزير ما تفرق من كتب فارس والعراق، واستكتب تأليف أهل الصين والروم ونافت كتبها على عشرة آلاف، من جلائل الآثار ومهام الأسفار، وأكثرها نسخ الأصل بخطوط المؤلفين، ولم يكن في الدنيا أحسن كُتُباً منها، كانت كلها بخطوط الأئمة المعتبرة وأصولهم المحررة. وكان من جملتها مئة مصحف بخط ابن مقلة(2).

ص:40

1- (1) بلاغات النساء، ابن طيفور، ص 140.

2- (2) أنظر: الصراط المستقيم، على بن يونس العاملي، ج 2 ص 21.

فنفهم من هذا وغيره أنّ كثيراً من العلوم القيمة لاسيما المرتبطة بأهل البيت عليهم السلام (ليس فقط سيرة وفضائل أمّهات الأئمة عليهم السلام) قد اتلفت وأحرقت من قبل المجرمين وحرّموا منها الإنسانية أن تواصل مسيرها في العلم والكمال والإرشاد نحو مستقبل زاهر، هذا إضافة ما جرى على الشيعة من سفك دمائهم ومصادرة أموالهم وما إليه والحديث في ذلك ذو شجون.

فتحصل أنّ هذا هو الآخر من الأسباب التي حالت دون وصول فضائل وكرامات وتاريخ أمّهات الأئمة المعصومين عليهم السلام، وربما كانت قد أحصيت ودونت من قبل العلماء حينذاك كثير مما يرتبط بأمهاتهم عليهم السلام من فضائل وسيرة وغيرهما ولكن أتلقت وأحرقت مع باقي الكتب القيمة. ويؤيده ما ذكر في الاتهام الباطل لأم الإمام الجواد عليه السلام (كما سيأتي في محله)... ثم قال عليه السلام:

يا عم، ألم تسمع أبي وهو يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: بأبي ابن خيرة الإمام ابن النوية الطيبة الفم، المنتجة الرحم... الخ(1).

فنفهم من هذا أنّ طهارة ونزاهة أم المعصوم عليه السلام كانت واضحة في أذهان غير المعصوم أيضاً، لذلك الإمام الرضا عليه السلام أخذ يذكر عمه بما قاله النبي صلى الله عليه وآله بحق زوجته السيدة خيزران. فهناك اهتمام من قبل النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام في بيان مزايا وصفات أمّهات المعصومين عليهم السلام ولكن حال دون وصوله الجهل والتخلف والطغيان.

ص: 41





## الفصل الأول: آمنة بنت وهب أمُّ النبي الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم

إشارة

ص: 43



هى السيدة آمنه بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة ابن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان(1).

ووهب بن عبد مناف (أبو آمنة أم رسول الله صلى الله عليه وآله) من قريش وهو سيد بنى زهرة قبل الإسلام. وكانت كنيته أبا كبشة، فلما ظهر النبي صلى الله عليه وآله وناوأته قريش كانوا ينسبونهم إليه، فيقولون: قال ابن أبى كبشة، وفعل ابن أبى كبشة. وفى وهب يقول أحد معاصريه:

يا وهب يابن الماجدين زهره سدت كلابا - كلها - ابن مره

بحسب زاك وأم حره(2)

ولا يُعلم أنه أكان لآمنة أخ فيكون خالاً للنبي صلى الله عليه وآله أم لا، ولكن بنى زهرة يقولون: نحن أخوال رسول الله صلى الله عليه وآله، لأن آمنة منهم وأقارب الأم أخوال، وقد كانت أفضل امرأة فى قريش نسباً وموطناً، ويؤخذ من اللهجة التى كانت تتكلم بها السيدة آمنة أن أصلها من المدينة.

ص: 45

1- (1) تاريخ الموالي، الطبرسى، ص 4.

2- (2) أنظر: الأعلام، خير الدين الزركلى، ج 8 ص 125.

وورد في لسان العرب: أن بنى زهرة حى من قريش أخوال النبي صلى الله عليه وآله، وهو اسم امرأة كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر، نسب ولده إليها. وقد سمت زاهراً وأزهر وزهيراً(1).

وهناك قول آخر هو أقرب للصحة، كما نقل عن ابن إسحاق والطبرى وغيرهم أن زهرة هو جد بنى زهرة (وهو اسم رجل) اسمه زهرة بن كلاب ومن ولده الحارث وعبد مناف ومن ولد عبد مناف وهب(2) (والد أمينة بنت وهب، أم النبي صلى الله عليه وآله).

وأما نسبها من الأم: هي أمينة بنت برة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصى بن كلاب، وأم برة أم حبيب بنت أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب(3).

ونسبها قريب جداً من سلسلة النبوة، فهي متصلة من الطرفين بنسب النبي صلى الله عليه وآله بوسائط قريبة. فإن نسب النبي صلى الله عليه وآله يتحد بأبيه وأمه فى كلاب، الذى هو الجد الخامس للنبي صلى الله عليه وآله.

ومحل ولادتها مكة المكرمة، ما يقارب سنة (76) قبل الهجرة، لها من العمر (30 سنة)، حيث ذكروا أن تاريخ وفاتها سنة (46) قبل الهجرة، وقيل سنة (576) بعد الميلاد(4).

ص: 46

- 
- 1- (1) لسان العرب، ابن منظور، ج 4 ص 333.
  - 2- (2) انظر: حاشية البداية والنهاية، ابن كثير، ج 2 ص 268.
  - 3- (3) الطبقات الكبرى، ابن سعد، ج 1 ص 59.
  - 4- (4) راجع: كتاب كاروانى با سيزده كجاوه، ص 21. ومادران معصومان، أحمد أميرى بور، ص 42.

وآمنة تلى خديجة الكبرى فى جلاله القدر وفى كمالها وجمالها الصورى والمعنوى ونبيل المقام فى مكة المكرمة، وشهد الكثير بطهارتها وتكامل صفاتها، حيث قالوا: إن رحم آمنة أشرف الأرحام وأسمائها وأعلاها إذ استقرت فيه نطفة كريمة عظيمة ما زالت تتقلب فى الأصلاب بتدبير وتقدير من البارى عز وجل حتى استفرغها عبدالله فتى قریش لكى يبقى الاصطفاء حقيقة فاعلة، وذلك لأنه حمل خاتم النبیین وإمام المرسلین مع إيماننا وإقرارنا باصطفاء مریم بنت عمران، وسیأتى الكلام عن ذلك.

## نبذة عن أبناء كلاب

لا بأس أن نلقى نظرة مقتضبة فى حال أبناء كلاب كل من زهرة جد آمنة (والدة النبى صلى الله علیه وآله) وأخیه قصى جد عبدالله (والد النبى صلى الله علیه وآله) وكلهم أبناء كلاب، فقد ذكر المؤرخون أن قصياً اسمه زيد وإنما قيل له قصى؛ لان أباه كلاب بن مرة كان تزوج أم قصى فاطمة بنت سعد بن سيل، فولدت لکلاب زهرة وزيداً (قصى) فهلك كلاب وزيد صغير وقد شب زهرة وكبر، فقدم ربيعة ابن حرام وتزوج فاطمة أم زهرة وقصى، وزهرة رجل قد بلغ وقصى فطيم أو قريب من ذلك فاحتملها إلى بلاده من أرض بنى عذرة من أشرف الشأن فاحتملت معها قصياً لصغره وتخلف زهرة فى قومه فولدت فاطمة بنت سعد بن سيل لربيعه بن حرام رزاح بن ربيعة فكان أخاه لأمه وكان لربيعه بن حرام ثلاثة نفر من امرأة أخرى وهم حن بن ربيعة ومحمود بن ربيعة وجلهمة بن ربيعة وشب زيد فى حجر ربيعة فسمى زيد قصياً لبعده داره عن دار قومه ولم يبرح

زهرة مكة فبيننا قصى بن كلاب بأرض قضاعة لا ينتمى فيما يزعمون إلا إلى ربيعة بن حزام إذ كان بينه وبين رجل من قضاعة شىء وقد بلغ قصى وكان رجلاً شاباً فأنبه القضاعى بالغرابة وقال له ألا تلحق بقومك ونسبك فإنك لست منا فرجع قصى إلى أمه وقد وجد فى نفسه مما قال له القضاعى فسألها عما قال له ذلك الرجل فقالت له أنت والله يا بنى أكرم منه نفساً ووالداً أنت ابن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشى وقومك بمكة عند البيت الحرام وفيما حوله فأجمع قصى الخروج إلى قومه واللحوق بهم وكره الغربة بأرض قضاعة فقالت له أمه يا بنى لا تعجل بالخروج حتى يدخل عليك الشهر الحرام فتخرج فى حاج العرب فإنى أخشى عليك أن يصيبك بعض البأس فأقام قصى حتى إذا دخل الشهر الحرام خرج حاج قضاعة فخرج فيهم حتى قدم مكة فلما فرغ من الحج أقام بها وكان رجلاً جليداً نسيباً فخطب إلى حليل بن حبشية الخزاعى ابنته حبى بنت حليل فعرف حليل النسب ورغب فيه فزوجه وحليل يومئذ فيما يزعمون يلى الكعبة وأمر مكة فأقام قصى معه يعنى مع حليل وولدت له ولده عبد الدار وعبد مناف وعبد العزى وعبد ابنى قصى فلما انتشر ولده وكثر ماله وعظم شرفه هلك حليل بن حبشية فرأى قصى أنه أولى بالكعبة وأمر مكة من خزاعة وبنى بكر وأن قريشاً فرعة إسماعيل بن إبراهيم, وصريح ولده فكلم رجلاً من قريش وبنى كنانة ودعاهم إلى إخراج خزاعة وبنى بكر من مكة فلما قبلوا منه ما دعاهم إليه وابعوه عليه كتب إلى أخيه من أمه رزاح بن ربيعة بن حرام وهو ببلاد قومه يدعوهم إلى

نصرته والقيام معه فقام رزاح بن ربيعة في قضاة فدعاهم إلى نصر أخيه والخروج معه إليه فأجابوه إلى ما دعاهم من ذلك(1).

وبقيت هذه الأخوة المتأصلة والمودة بين بني زهرة وإبناء قصي مستمرة وكانت بنو زهرة تحمل الود والإخلاص لبني عبد مناف وكانت معها في حلف في الضراء والسراء، وكانوا متجاورين لا تنفصل بيوتهم، وحينما جزأت قريش الكعبة كان شق الباب لبني عبد مناف وبني زهرة.

## قريش قريش

قريش في اللغة: هو تصغير القرش، وهي دابة في البحر لا تدع دابة إلا أكلتها، فجميع الدواب تخافها(2).

وفي الاصطلاح: قبيلة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، أبوهم النضر بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة بن إلياس بن مضر، فكل من كان من ولد النضر، فهو قرشي دون ولد كنانة ومن فوقه، كما هو المشهور في أن قريش تفرشت (أي تجمعت) من النضر ابن كنانة، وكان لكنانة ولد غير النضر ولا يسمون قريشاً. وقيل: من فهر بن مالك ابن النضر، وسبب ذلك أن أولاد النضر كانوا قد تفرقوا في البلاد لاستيلاء خزاعة عليهم فلما انتقل أمر مكة من خزاعة إلى قصي بن كلاب جمع أولاد النضر في مكة فسموا قريشاً، وفي قريش بطون كثيرة(3).

ص: 49

- 1- (1) راجع: تاريخ الطبري، الطبري، ج 2 ص 14.
- 2- (2) لسان العرب، ابن منظور، ج 6 ص 335.
- 3- (3) أنظر: شرح أصول الكافي، مولى محمد صالح المازندراني، ج 5 ص 229.

والحاصل: سميت بذلك لتقرشها أى تجمعها إلى مكة من حوالها بعد تفرقها فى البلاد حين غلب عليها قصى بن كلاب، وبه سمي قصى مجمعاً.

وقيل: سموا بقريش هو مشتق من الدابة التى ذكرت وهى التى تخافها جميع الدواب، كما فى حديث ابن عباس فى ذكر قريش قال: هى دابة تسكن البحر تأكل دوابه(1)، وبها سميت قريش قريشاً. وقيل: سميت باسم قريش بن مخلد بن غالب بن فهر، حيث كان صاحب غيرهم، فكانوا يقولون: قدمت غير قريش وخرجت غير قريش. وقيل: سميت بذلك لأنهم كانوا أهل تجارة ولم يكونوا أصحاب ضرع وزرع، من قولهم: فلان يتقرش المال أى يجمعه(2).

### الكلمات العالية للسيدة آمنة

بلا- شك أنّ المرأة التى تحظى بهذا الفخر العظيم وتكون وعاءاً لخاتم النبیین وخير الخلق أجمعين من الأولين والآخرين لابد وأن تكون متصفة بكلمات عالية تؤهلها لذلك سواء على الصعيد المادى أو المعنوى كى تكون مستعدة لتقبل النور النبوى.

وعليه قد روى فى أوصاف آمنة أم النبى صلى الله عليه وآله أنها كانت كالمرآة المضيئة، ووجهها كفلقة قمر، وكانت من أحسن النساء جمالاً وكمالاً، وأفضلهن حسباً ونسباً. قال عبد المطلب لولده عبد الله: «فوالله ما فى بنات أهل مكة مثله، لأنها محتشمة ونفسها طاهرة مطهرة، وهى دينة أديبة عاقلة فصيحة بليغة، وقد

ص:50

1- (1) أنظر: معجم البلدان، الحموى، ج 4 ص 337.

2- (2) أنظر: لسان العرب، ابن منظور، ج 6 ص 335.



كساها الله جمالاً لا يوصف»(1). ويمكن استكشاف أدبها وفضلها وعقلها وإيمانها وبيانها المليح من أبياتها المنظومة وكلماتها المنثورة، ومنها ما خاطبت به النبي الخاتم صلى الله عليه وآله قبل وفاتها:

إن صح ما أبصرت في المنام فأنت مبعوث على الأنام

من عند ذي الجلال والإكرام تبعث في الحل وفي الحرام

تبعث بالتحقيق والإسلام دين أبيك البر إبراهيم

فالله أنهاك عن الأصنام أن لا تواليا مع الأقسام(2)

وهذه الأبيات هل يفهم منها سوى إيمانها وتحقق إسلامها، وإتباعها لملة إبراهيم الحنيف؟ ومن ذرابة لسانها وحلاوة بيانها وحسن منطقتها وعقيدتها الصحيحة، أنها قالت في بعض نثرها عند وفاتها: كل حي ميت، وكل جديد بال، وكل كثير يفنى، وأنا ميتة وذكرى باق، وقد تركت خيراً، وولدت طهراً والسلام(3).

فلا تستغرب من هذا المنطق الدقيق والنظر البعيد الذي يحمل في طياته روح الإيمان والإخلاص بالله وبالرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، فالله أعلم حيث يضع نور نبيه الخاتم، وعليه فإن آمنة بنت وهب من كبار النساء، ومن أشرف النسوة المكرمات، وإنها من أعلى العرب نسباً وحسباً، سطع نور فخرها إلى السماوات

ص: 51

1- (1) بحار الأنوار، المجلسي، ج 15 ص 99.

2- (2) سبل الهدى والرشاد، الصالحى الشامى، ج 2 ص 121.

3- (3) سبل الهدى والرشاد، الصالحى الشامى، ج 2 ص 121.

العلی، وهبت رياح عطرها في كل ذرات الهواء، فلها الفضل الجميل، ولم يسمع لها بمثيل، أذاقنا الله من أسرار نفحاتها، وأعاد علي من آمن بها وبإيمانها من بركاتها ورحماتها.

وأن الواقدي ومن شاكله رووا أخباراً في ولادة النبي صلى الله عليه وآله تشعر في الغالب بجلالة قدر آمنة وصلابة إيمانها ومن فضل تلك الدرّة اليتيمة والسيدة الكريمة والجوهرة الثمينة والحسناء الحصينة آمنة عليها السلام أنها صارت وعاءاً للوجود النبوي المقدس، ونالت به شرف الأمومة، ولنعم ما قاله الحلبي: فهنيئاً لآمنة الفضل الذي حصل لها بسبب ولادتها له صلى الله عليه وآله أي لا يشوب ذلك الفضل كدر ولا مشقة الذي شرفت بذلك الفضل حواء التي هي أم البشر ومن يشفع لحواء في أنها حملت به وأنه أصابها نفاس به يوم أعطيت آمنة بنت وهب بسبب وضعه من الفخار وهو ما يمتدح به من الخصال العلية والشيم المرضية ما لم يعطها غيرها من النساء أي وقد أقسم الله بليلة مولده صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: (وَ الصُّحَى وَاللَّيْلِ) وقيل أراد بالليل ليلة الإسراء ولا مانع أن يكون الأقسام وقع بهما أي استعمل الليل فيهما ويدل لكون ولادته صلى الله عليه وآله كانت ليلاً، قول بعض اليهود ممن عنده علم الكتاب لقريش هل ولد فيكم الليلة مولود؟ قالوا لا نعلم، قال ولد الليلة نبي هذه الأمة الأخيرة إلى آخر (1).

والأفضل منه ما قيل في ولادته صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام معاً: كما عن السيد الحميري المتوفى (173) قال:

ص: 52

ولدتَه في حرم الإله وأمنه والبيت حيث فناؤه والمسجد

بيضاء طاهرة الثياب كريمة طابت وطاب وليدها والمولد

في ليلة غابت نحوس نجومها وبدت مع القمر المنير الأسعد

ما لُفَّ في خرق القوابل مثله إلا ابن آمنة النبي محمد(1)

وروى أن كعب الأخبار اليهودى قال لمعاوية: إني قد قرأت اثنين وسبعين كتاباً كلها أنزلت من السماء، وقرأت صحف دانيال كلها، ووجدت في كلها ذكر مولده ومولد عترته، وأن اسمه لمعروف، وأنه لم يولد نبى قط فنزلت عليه الملائكة ما خلا عيسى وأحمد (صلوات الله عليهما)، وما ضرب على آدمية حجب الجنة غير مريم وآمنة أم أحمد صلى الله عليه وآله، وما وكلت الملائكة بأنثى حملت غير مريم أم المسيح وآمنة أم أحمد... الخ(2).

ولا شك أن الله يأبى أن يساوى بين امرأة كافرة وأخرى مؤمنة مثل مريم ويكرمهما بنفس التكريم، فما الفرق بين الإيمان والكفر حينئذ؟ وأي ميزان سيميز بينهما فى العبودية؟ وذكر هذا الشرف فى حق فاطمة أيضا التى صارت وعاءاً للأئمة المعصومين عليهم السلام، ونالت فضيلة الأمومة للأولياء الكاملين. وهكذا كان الوعاء الشريف الذى ضم الوجود المحمدى السعيد، عظيماً فى ذاته، تميز بالمزايا الذاتية والأصالة الفطرية، فحسدتها لذلك نساء مكة وتمنين منزلتها وأثنين عليها بكل تلك الكرامات والسعادات والمواهب الجميلة والمناقب الجليلة، وباركن

ص:53

1- (1) الغدير، الشيخ الأمينى، ج 6 ص 28.

2- (2) الأمالى، الشيخ الصدوق، ص 698. وبحار الأنوار، المجلسى، ج 15 ص 261.

لأبيها بهذه النعمة المحمودّة والمكرمة المسعودّة، وكان الناس رجالاً ونساءً يدعون النبي بها، وينسبونه إليها كما فعل الجارود ابن المنذر النصراني في عام الحديبية حينما أسلم، وكان عالماً بالطب والفلسفة والكتب السماوية؛ قال في قصيدة:

أتيتك يا بن أمانة الرسولا لكي بك أهتدى النهج السبيلا

إلى آخر ما قال(1).

ولم تكن هذه النسبة إهانة، بل كانت على سبيل التفخيم والجلالة.

### طهارتها وإيمانها بالله

ما تجدد في سيرة أمانة بنت وهب عند أدنى متابعة إلا الكرامات والمعاجز، وذوبانها في الله وشدة توحيدها، وهذا ديدن الأسرة الهاشمية حسب سلسلة طهارة وتوحيد آباء النبي الخاتم صلى الله عليه وآله (هذا مع غض النظر من أنها وعاء وحاضنة النبوة والذي هو بحد ذاته دليل قاطع على طهارتها ومدى إيمانها)، وقد كشف عن مدى إيمانها وطهارتها النبي صلى الله عليه وآله والمعصومون عليهم السلام، فقد فاضت الأدلة على ألسنة العلماء والمحدثين لدى الفريقين، فمن ذلك: ما رواه الثعلبي والواحدى وابن بطة، عن عطاء وعكرمة، عن ابن عباس في قوله تعالى: (وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ) يعنى ندبرك من أصلاب الموحدين من موحد إلى موحد حتى أخرجك في هذه الأمة، وما زال رسول الله صلى الله عليه وآله، يتقلب في أصلاب الأنبياء والصالحين حتى ولدته أمه(2).

ص:54

1- (1) راجع: كنز الفوائد، ابو الفتح الكراكي، ص 258.

2- (2) الدر المنثور، جلال الدين السيوطي، ج 5 ص 98.

وعن علي عليه السلام: أن النبي صلى الله عليه وآله قال:

«خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي، ولم يصبني من سفاح الجاهلية شيء»<sup>(1)</sup>. لقد منّ الله عليه بالآباء الطاهرين الساجدين. ولو عنى سجدة الأصنام لما منّ عليه؛ لأن المنة على الكفر قبيح.

وقد انتهى النبي صلى الله عليه وآله إلى رسم قبر، فجلس وجلس الناس حوله، فجعل يحرك رأسه كالمخاطب، ثم بكى، فقيل: ما يبكيك يا رسول الله؟ قال هذا قبر آمنة بنت وهب، استأذنت ربي في زيارة قبرها فأذن لي، فزوروا القبور يذكركم الموت.<sup>(2)</sup> ولو لم تكن مؤمنة لما جاز له زيارتها، ولا أذن له، لقوله تعالى: (وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ)<sup>3</sup>.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: نزل جبرئيل على النبي صلى الله عليه وآله فقال:

«يا محمد إن الله جل جلاله يقرؤك السلام ويقول: إني قد حرمت النار على صلب أنزلك، وبطن حملك، وحجر كفلك»<sup>(3)</sup> يعني عبد الله وآمنة وأبا طالب وفاطمة بنت أسد.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«لم يزل ينقلني من أصلاب الطاهرين، إلى أرحام المطهرات حتى أخرجني في عالمكم هذا»<sup>(4)</sup>.

ص: 55

1- (1) البداية والنهاية، ابن كثير، ج 2 ص 255.

2- (2) راجع: صحيح مسلم، ج 2 ص 672 باب 36 من كتاب الجنائز ح 106.

3- (4) روضة الواعظين، ص 139. الكافي، ج 1 ص 446 باب مولد النبي ح 21.

4- (5) أوائل المقالات، الشيخ المفيد، ص 46.

وعن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده، عن أبيه عليهم السلام، قال: سئل النبي صلى الله عليه وآله أين كنت في الجنة؟ قال:

كنت في صلبه، وهبط بي إلى الأرض في صلبه، وركبت السفينة في صلب أبي نوح، وقذف بي في النار في صلب أبي إبراهيم، لم يلتق لي أبوان على سفاح قط، ولم يزل الله عز وجل ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة هادياً مهدياً حتى أخذ الله بالنبوة عهدى، وبالإسلام ميثاقى، وبين كل شىء من صفتى، وأثبت في التوراة والإنجيل ذكرى، ورقى بي إلى سمائه، وشق لي اسماً من أسمائه الحسنى، أمتى الحمادون، فذو العرش محمود وأنا محمد(1).

وعن الكلبي أنه قال كتبت للنبي صلى الله عليه وآله خمسمائة أم، أى من قبل أمه وأبيه فما وجدت فيهن سفاحاً والمراد بالسفاح الزنا أى فإن المرأة كانت تسافح الرجل مدة ثم يتزوجها إن أراد(2).

وقال ابن هشام: فرسول الله صلى الله عليه وآله أشرف ولد آدم حسباً وأفضلهم نسباً من قبل أبيه وأمه(3).

وقال الشيخ المفيد، أجمعوا على أن أمانة بنت وهب كانت على التوحيد، وأنها تحشر في جملة المؤمنين وأن أمانة بنت وهب كانت مسلمة(4). بل من خيرة المؤمنات العالمات.

ص: 56

1- (1) الأمالى، الشيخ الصدوق، ص 723.

2- (2) السيرة الحلبية، الحلبي، ج 1 ص 65.

3- (3) السيرة النبوية، ابن هشام، ج 1 ص 127.

4- (4) أوائل المقالات، الشيخ المفيد، ص 46.

اجتمع الأخبار بأرض الشام، وتكلموا فى مولد رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما أيقنوا أنه قد قرب خروج صاحب السيف، وظهرت أنواره تشاوروا فيما بينهم وساروا إلى حبر لهم وكان فى قرية من قرى الأردن، وكانوا يقتبسون من علمه، وكان ممن عمر فى زمانه، فقصده القوم، فلما وصلوا إليه قال لهم: ما الذى أزعجكم؟ قالوا له: إنا نظرنا فى كتبنا فوجدنا صفة هذا الرجل السفاك الذى تقاتل معه الأملاك، وما نلقى عند ظهوره من الأهوال والهلاك، وقد جئناك نشاورك فى أمره قبل ظهوره وعلو ذكره، قال: يا قوم إن من أراد إبطال ما أراد الله فهو جاهل مغرور، وإنه لكائن بكم، وهذا الذى ذكرتم قد سبق أمره عند الله، فكيف تقدرون على إبطاله؟ وهو مبطل كهانة الكهان، ومزِيل دولة الصلبن، وسيكون له وزير وقريب، فلما سمعوا كلامه خافوا وحاروا، فقام حبر من أخبارهم يقال له: هيوبا بن داحورا، وكان كافراً شديداً البأس، فقال لهم: هذا رجل قد كبر وخرف وقل عقله فلا تسمعوا من قوله، ثم قال لهم: رأيتم الشجرة إذا قطعت من أصلها فهل تعود خضراً؟ قالوا: لا، قال: فإن قتلتم صاحبكم هذا الذى يخرج من صلبه هذا المولود فما الذى تخافون منه؟ فقوموا هذه الساعة وخذوا معكم تجارة وسيروا إلى البلد الذى هو فيها، يعنى مكة، فإذا وصلتكم دبرتم الحيلة فى هلاكه فتبعوا قوله وقالوا له: أنت سيدنا، قال لهم: افعلوا ما أمركم به، وأنا معكم بسيفى ورمحى، ولكن ما أسير معكم حتى تعاهدونى، فيعمد كل واحد منكم إلى سيفه ليسقيه سما فأجابوه إلى ذلك وافترقوا، ثم اجتمعوا بايلة، وخرجوا بجمالهم محملة بالتجارة، وساروا

حتى وصلوا مكة، فكان كل من لقاهم يحدثهم بحسن عبد الله وجماله، فوقع في قلوبهم الكمد والحسد، فجعلوا يسومون متاعهم ولا يبيعون منه شيئاً، وإنما يريدون بذلك المقام بمكة والحيلة في قتل عبد الله، فأقبل يوماً عبد المطلب وهو قابض على يد ولده عبد الله، ومّر باليهود، وكان عبد الله قد رأى رؤيا أفزعته، فخرج مرعوباً إلى أبيه فقال: ما أصابك يا بني؟ قال: رؤيا هالتني، قال: رأيت سيوفاً مجردة في أيدي قردة وهم قعود على أديبارهم، وأنا أنظر إليهم وهم يهزون السيوف ويشيرون بها إلى فعلوت عنها في الهواء، فبينما أنا كذلك وإذا بنار قد نزلت من السماء فزادتني خوفاً، وقلت: كيف خلاصى منها؟ فبينما أنا كذلك وإذا بالنار قد وقعت على القردة فأحرقتهم عن آخرهم، فزادني ذلك رعباً، فقال له أبوه: وقاك الله يا بني شر ما تحاذر من الحساد والأضداد، فإن الناس يحسدونك على هذا النور الذي في وجهك، ولكن لو اجتمعت أهل الأرض انسها وجنّها لم يقدروا على شيء، لأنه وديعة من الله عز وجل لخاتم الأنبياء، وهاهنا أحبار اليهود من الشام وفيهم الحكمة والمعرفة فقم معي حتى أقص عليهم رؤياك، فقبض عبد المطلب على يد ولده عبد الله ودخلا عليهم، فلما نظر إليه الأحبار وهو كأنه البدر المنير نظر بعضهم إلى بعض وقالوا: هذا الذي نطلبه، فقال لهم عبد المطلب: يا معاشر اليهود جئنا إليكم نخبركم برؤيا رأها ولدى هذا، فقالوا له: وماذا؟ فقص عليهم الرؤيا، فزادهم حنقاً عليه، وقال له هيو با: أيها السيد إنها أضغاث أحلام وأنتم سادات كرام، ليس لكم معاند ولا مضاد، ثم انصرف عبد المطلب بولده (1).

ص: 58



أقام اليهود أياماً يريدون الحيلة في اغتيال والد النبي صلى الله عليه وآله (عبدالله) فلم يجدوا إلى ذلك سبيلاً، وكان عبد الله مغرمًا بالصيد، وكان إذا خرج إلى الصيد لا يرجع إلا ليلاً، وكان يخرج مع أبيه فلم يجدوا إلى ذلك سبيلاً حتى خرج ذات يوم وحده فخرجوا وراءه من حيث لا يشعر بهم أحد، فقال لهم هيبوا: ما انتظاركم وقد خرج الذي تطلبونه؟ فقالوا له: إنا نخاف من فتيان مكة وفرسان بني هاشم وهم لا يطاقون وقد ذلت لهم العمالقة وغيرهم، ونخشى أن يشعروا بنا، فلما سمع هيبوا مقالتهم قال: خاب سعيكم، فإذا كنتم هكذا فما الذي أتى بكم إلى هاهنا؟ فلا بد من قتل هذا الغلام، ولو طال عليكم المقام، ولم تجدوا يوماً مثل هذا اليوم، فإذا قتلناه وخفتم التهمة به فعلى ديتة، وكانوا قد بعثوا عبداً من عبيدهم ينظر إلى أين يتوجه عبد الله، فرجع العبد وأخبرهم أنه قد غاب بين الجبال والشعاب، وقد خرج من العمران، وليس عنده إنسان، فعزم القوم على ما أملوه، وجعلوا نصفاً عند الأمتعة، والنصف الآخر أخذوا السيوف تحت ثيابهم وخرجوا قاصدين عبد الله والعبد أمامهم حتى أوقفهم عليه، وكان عبد الله قد صاد حمار وحش وهو يسلكه فنظر إلى القوم وقد أقبلوا عليه، فقال لهم هيبوا: هذا صاحبكم الذي خرجتم من أوطانكم في طلبه، فما أحس عبد الله إلا وقد أحاطوا به، وكانوا قد افترقوا فرقتين، وقالوا للذين خلفوهم عند متاعهم: إذا دعوناكم أجيونا مسرعين، فلما أشرفوا على عبد الله وقد سدوا الطرقات، وزعموا أنهم قد حكموا عليه، فرفع عبد الله رأسه إلى السماء، ودعا الله تعالى وأقبل إليهم وقال: يا قوم ما شأنكم؟

فوالله ما بسطت يدي إلى واحد منكم بمكروه أبداً فتطالبوني به، ولا غضبت مالا قط، ولا قتلت أحداً فاقتل به، فما حاجتكم؟ فإن يكن سبقت مني فعلة سوء إليكم فأخبروني حتى أعرفها، واليهود يومئذ تلتهموا ولم يبين منهم إلا حماليق الحدق، فلم يردوا عليه جواباً، وأشار بعضهم إلى بعض وهموا بالهجوم عليه، فجعل نبلة في كبد قوسه ورمى بها نحوهم فأصاب رجلاً منهم فوق ميثا، ثم رماه بأربع نبال أصابت أربعة رجال فاشتغلوا عنه بأنفسهم (1).

## يُمكرون ويُمكر الله

بعدما عجزوا عن مواجهة عبدالله أخذوا يدبرون الخديعة في قتله حيث قال له هيوبا: يا فتى احبس عنا نبالك فقد أسرفت في فعالك، ولقد قتلت منا رجالاً من غير ذنب ولا سابقة سبقت منا إليك، ونحن قوم تجار، ونحن الذين وقفت علينا بالأمس مع أبيك، وكان لنا عبد قد هرب منا، فلما رأينا أنك أنكرناك، فعندما عرفناك أنك عبد الله فنحن ما لنا معك طلابة، وأنك لأعزُّ الخلق علينا، وأكرمهم لدينا، فامض لسبيلك فقد سمحنا لك بما فعلت فينا، فقال لهم: يا ويلكم ما الذي تبين لكم مني أني عبدكم؟ فهل عبدكم مثلي، أو صفته صفتي، أو له نور كنوري؟ فقالوا له: إنما دخلنا الشك وأنت متباعد عنا، فلما قربت منا وعرفناك، فاسمح لنا بما كان منا إليك فإننا سمحنا لك بما كان وإن كان وأعظم من ذلك أنك قتلت منا رجالاً لا ذنب لهم، ونحن حيث أكلنا طعام أبيك وشربنا شرابه فنحن لك شاكرون، وأنت أولى بكتمان ما كان اليوم منا، فلما سمع عبد الله كلامهم زعم أنه

ص:60

1- (1) راجع: المصدر نفسه، ج 15 ص 95.

حق وهو خديعة، ثم إنه ركب جواده وأخذ قوسه وعطف إلى ناحية المضيق، فلما رآه القوم قد أقبل عليهم يريد الخروج بادروا إليه بأجمعهم وجعلوا يرمونه بالحجارة وقاموا إليه بالسيوف، فجعل يكر فيهم كرة بعد كرة، فعند ذلك صاح فيهم هيو بافتبادروا إليه بأجمعهم وهو يكر فيهم يميناً وشمالاً، وكلما رمى رجل خر صريعاً ونزل عبد الله عن فرسه واستند إلى المضيق، وقد أقبلوا إليه من كل جانب يرمونه بالحجارة، فبينما هم فى المعركة وإذا هم برجال قد أقبلوا بأيديهم السيوف مشهورة وهم عراة مسرعون نحوهم، فإذا هم بنو هاشم، وأبو طالب وفتيان مكة وكان فى أولهم أبو طالب وحمزة والعباس، فعند ذلك ناداه أبوه فقال: يا بنى هذا تأويل رؤياك من قبل، فما استتم كلامه حتى أحاط بعبد الله إخوته وأقاربه(1).

### زواج السيدة آمنة من عبد الله

ذكر المؤرخون أن عبد الله بن عبد المطلب تزوجها (آمنة بنت وهب) وله ثلاثون سنة، وقيل: خمس وعشرون سنة(2). وذكر اليعقوبى: وبعد حفر زمزم بعشر سنين وبعد الفداء عن عبد الله بسنة واحدة كان تزويجه بآمنة بنت وهب وكان سنّه يوم تزويجها أربعاً وعشرين سنة(3).

وذلك خرج به أبوه عبد المطلب إلى وهب فزوجه ابنته. وقيل: كانت آمنة

ص: 61

1- (1) راجع: المصدر نفسه، ج 15 ص 96.

2- (2) ذخائر العقبى، أحمد بن عبد الله الطبرى، ص 258

3- (3) تاريخ اليعقوبى، ج 2 ص 9.

فى حجر عمها وهيب بن عبد مناف؁ فخطب عبد المطلب ابنته هالة بنت وهيب لنفسه؁ وخطب لابنه عبد الله آمنة ابنة وهب. فهو قد تزوج هالة وزوج ابنة آمنة فى مجلس واحد. فولدت آمنة رسول الله وولدت هالة لعبد المطلب حمزة(1).

### وهب يرغب فى تزويج عبد الله

ذكر أن وهب أقبل على زوجته برة بنت عبد العزى وقال لها: يا برة لقد رأيت اليوم عجباً من عبد الله (والد النبى صلى الله عليه وآله) ما رأيت من أحد؁ وهو يكر على هؤلاء القوم (يقصد اليهود الذى مرّ ذكرهم)؁ وكلما رماهم بنبله قتل منهم إنساناً؁ وهو أجمل الناس وجهاً مما خصه الله تعالى من الضياء الساطع؁ فامضى إلى أبيه واخطبه لابنتنا واعرضها عليه؁ فعسى أن يقبلها؁ فإن قبلها سعدنا سعادة عظيمة؁ قالت له يا وهب: إن رؤساء مكة وأبطال الحرم وأشرف البطحاء قد رغبوا فيه فأبى عن ذلك؁ وقد كاتبه ملوك الشام والعراق على ذلك فأبى عليهم؁ فكيف يتزوج بابنتنا وهى قليلة المال؟ قال لها: إن لى عليهم اليد إنى أخبرتهم بأمر عبد الله مع اليهود؁ ثم إن برة قامت ولبست أوفر أثوابها وخرجت حتى أتت دار عبد المطلب فوجدته يحدث أولاده بالخبر؁ فقالت: أنعم الله مساءكم؁ ودامت نعمائكم؁ فرد عليها عبد المطلب التحية والإكرام؁ وقال لها: لقد سلف لبعلك اليوم علينا يد لا نقدر أن نكافيه أبداً؁ وله أياد بالغة بذلك؁ وسنجازيه بما فعل إن شاء الله تعالى؁ فطمعت برة فى كلامه؁ ثم قال: بلغى بعلك عنا التحية والإكرام وقولى له: إن كان له لدينا حاجة تقضى إن شاء الله مهما كانت؁ فقالت له برة: يا أبا الحارث

ص:62

---

1- (1) مستدركات علم رجال الحديث؁ الشيخ على النمازى الشاهرودى؁ ج 8 ص 545.

قد طلبنا تعجيل المسرة، وقد علمنا أن ملوك الشام والعراق وغيرهم تناولت إليكم، وقد رغبوا في ولدكم يطلبون أولادكم وأنواركم المضيئة، ونحن أيضا طمعنا فيمن طمع في ولدكم عبد الله، ورجوانه مثل من رجا. وقد رجا وهب أن يكون عبد الله بعلاً لابنتنا، وقد جئناكم طامعين وراغبين في النور الذي في وجه ولدكم عبد الله، ونسألكم أن تقبلونا، فإن كان مالها قليلاً فعلياً ما نجملها به وهي هدية منا لابنك عبد الله، فلما سمع عبد المطلب كلامها نظر إلى ولده وكان قبل ذلك إذا عرض عليه التزويج من بنات الملوك يظهر في وجهه الامتناع، وقال أبوه: ما تقول يا بني فيما سمعت؟ فوالله ما في بنات أهل مكة مثلاً، لأنها محتشمة في نفسها طاهرة مطهرة، عاقلة دينة، فسكت عبد الله ولم يرد جواباً، فعلم أبوه أنه قد مال إليها، فقال عبد المطلب: قد قبلنا دعوتكم، وأجبنا ورضينا بابنتكم (1).

### فاطمة زوجة عبد المطلب تصف آمنة

بعد ما سمعت فاطمة زوجة عبد المطلب ما دار بين زوجة وهب وبني هاشم في تزويج ابنها عبد الله قالت أنا أمضى معك إليها حتى أنظر إلى آمنة، فرجعت برة مسرورة بما سمعت، ثم سارت إلى زوجها مسرعة وبشرته وسمعت أم آمنة هاتقاً في الطريق يقول: (بخ بخ لكم يا معشر أهل الصفا، قد قرب خروج المصطفى)، فدخلت على زوجها فقال: وما وراءك؟ قالت: لقد سعدت سعادة علا قدرك في جملة العالمين، اعلم أن عبد المطلب قد رضى بابنتك، ولكن مع الفرح ترحه، قال: وما هي؟ قالت: إن فاطمة خارجة تنظر إلى ابنتك آمنة، فأدخلوا فاطمة، فقامت لها

ص: 63

آمنة إجلالاً وتعظيماً ورحبت بها أحسن المرحب، فنظرت إليها فاطمة وإذا بها قد كساها الله جمالاً لا يوصف، فلما رأَت فاطمة ذلك الحسن والجمال وقد أضاء من نور وجهها ذلك المجلس، قالت فاطمة: يا برة ما كنت عهدت أن آمنة على هذه الصورة ولقد رأيتها قبل ذلك مراراً، فقالت برة: يا فاطمة كل ذلك ببركتهم علينا، ثم خاطبت فاطمة آمنة وإذا هي أفصح نساء أهل مكة، فقامت فاطمة وأتت إلى عبد المطلب وعبد الله، وقالت: يا ولدي ما في بنات العرب مثلها أبداً، ولقد ارتضيتها، وإن الله تعالى لا يودع هذا النور إلا في مثل هذه (1).

### عقد القران بين عبدالله وآمنة

ولما وقع الحديث بين وهب وبين عبد المطلب في أمر ابنته آمنة، قال وهب: يا أبا الحارث هذه آمنة هدية مني إليك بغير صداق معجل ولا مؤجل، فقال عبد المطلب جزيت خيراً ولا بد من صداق، ويكون بيننا وبينك من يشهد به من قومنا، ثم وبعد ذلك خرج عبد المطلب وولده وزوجته إلى منزلهم، وقالوا: يا وهب إذا كان في غداة غد جمعنا قومنا وقومك ليشهدوا بما يكون من الصداق، فقال: جزاك الله خيراً، فلما طلع الفجر أرسل عبد المطلب إلى بني عمه ليحضروا خطبتهم، ولبس عبد المطلب أوفر أثوابه، وجمع وهب أيضاً قرابته وبني عمه فاجتمعوا في الأبطح، فلما أشرف عليهم الناس قاموا إجلالاً لعبد المطلب وأولاده، فلما استقر بهم المجلس خطبوا خطبتهم وعقدوا عقد النكاح، وقام عبد المطلب فيهم خطيباً فقال: (الحمد لله حمد الشاكرين حمداً استوجبه بما أنعم علينا وأعطانا،

ص:64

وجعلنا لبيته جيراناً، ولحرمه سكاناً، وألقى محبتنا في قلوب عباده، وشرفنا على جميع الأمم، ووقنا شر الآفات والنقم، والحمد لله الذى أحل لنا النكاح، وحرّم علينا السفاح، وأمرنا بالاتصال وحرّم علينا الحرام، اعلّموا أن ولدنا عبد الله هذا الذى تعرفونه قد خطب فتاتكم آمنة بصداق معجل ومؤجل كذا وكذا، فهل رضيتم بذلك من ولدنا؟ قال وهب: قد رضينا منكم، فقال عبد المطلب: اشهدوا يا من حضر، ثم تصافحوا وتهانوا وتصافقوا وتعانقوا، وأولم عبد المطلب وليمة عظيمة، فيها جميع أهل مكة وأوديتها وشعابها وسوادها، فأقام الناس فى مكة أربعة أيام. قال أبو الحسن البكرى: ولما تزوج عبد الله بآمنة أقامت معه زماناً، والنور فى وجهه لم يزل حتى نفذت مشية الله تعالى وقدرته وأراد أن يخرج خيرة خلقه محمداً رسول الله(1).

### وفاة زوجها عبد الله وراثتها عليه

اختلفوا فى تحديد زمان وفاة عبد الله والد النبي صلى الله عليه وآله، منهم من قال توفى والنبي صلى الله عليه وآله حمل كما اختاره ابن سعد فى طبقاته، فقد روى عن ابن أبى صعصعة قال: خرج عبد الله بن عبد المطلب إلى الشام إلى غزة فى غير من غيرات قريش يحملون تجارات ففرغوا من تجاراتهم ثم انصرفوا فمروا بالمدينة وعبد الله بن عبد المطلب يومئذ مريض فقال أنا أتخلف عند أخوالى بنى عدى بن النجار فأقام عندهم مريضاً شهراً ومضى أصحابه فقدموا مكة فسألهم عبد المطلب عن عبد الله فقالوا خلفناه عند أخواله بنى عدى بن النجار وهو مريض فبعث إليه عبد المطلب

ص: 65

---

1- (1) راجع: المصدر نفسه، ج 15 ص 102.

أكبر ولده الحارث فوجده قد توفى ودفن في دار النابغة وهو رجل من بنى عدى ابن النجار في الدار التي إذا دخلتها فالدويرة عن يسارك وأخبره أخواله بمرضه وبقيامهم عليه وما ولوا من امره وإنهم قبروه فرجع إلى أبيه فأخبره فوجد عليه عبد المطلب وإخوته وأخواته و جداً شديداً ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ حمل ولعبد الله يوم توفى خمس وعشرون سنة(1).

وأيضاً اختاره محمد بن عمر الواقدي حيث قال: هذا هو أثبت الأقاويل والرواية في وفاة عبد الله بن عبد المطلب وسنة عندنا. قال وأخبرنا محمد بن عمر حدثني معمر عن الزهري قال بعث عبد المطلب عبد الله إلى المدينة يمتار له تمرأ فمات قال محمد بن عمر والأول أثبت(2).

وهناك أقوال أخرى في وفاة عبد الله حيث قيل: إن عبد الله توفى والنبي صلى الله عليه وآله ابن ثمانية وعشرين شهراً، وذلك بعد ما أرسله أبوه يمتر بالمدينة(3). وقيل: وعمر النبي صلى الله عليه وآله سبعة أشهر. وقيل ابن شهرين(4).

وذكر ابن سعد عن محمد بن عمر بن واقد الأسلمي قال ترك عبد الله بن عبد المطلب أم أيمن وخمسة أجمال أوارك يعني تأكل الأراك وقطعة غنم فورث ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت أم أيمن تحضنه واسمها بركة، وقالت آمنة بنت وهب ترثي زوجها عبد الله بن عبد المطلب:

ص:66

- 
- 1- (1) راجع: الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، ج 1 ص 99.
  - 2- (2) نقلا عن البداية والنهاية، ابن كثير، ج 2 ص 323.
  - 3- (3) راجع: حياة النبي ج 1 ص 26 محمد قوام الشنوي.
  - 4- (4) راجع: الوافي بالوفيات، الصفدي، ج 1 ص 63.



عفا جانب البطحاء من ابن هاشم وجاور لحداً خارجاً في الغمام

دعته المنايا دعوة فأجابها وما تركت في الناس مثل ابن هاشم

عشية راحوا يحملون سريره تعاوره أصحابه في التراحم

فان يك غالته المنايا وربها فقد كان معطاءً كثير التراحم(1)

## آمنة وعاء نور النبي الخاتم

كان الملوك والسلاطين وأشرف مكة وصناديد قريش وسدنة البيت وخدام الحرم ورؤساء القبائل يتمنون لسنوات طويلة مصاهرة عبد المطلب، فكانوا يعرضون بناتهم الخيرات الحسان بلا مهر ولا عوض، بل كانوا يبذلون المهر وأكثر؛ لعلهم ينقلون النور الساطع اللامع في جبينه إلى أرحام بناتهم، ويشرفون أسرهم بهذا الفخر. فلما تزوجت السيدة آمنة تكدرت منها النفوس وأعرضت عنها القلوب، ورأوا أن النور النبوي المحمدي صلى الله عليه وآله انتقل من صلب عبد الله إلى صدر آمنة بنت وهب، فحسدوها وأرادوا إطفاء ذلك النور سيما نساء مكة، حيث كانت آمنة على مرأى ومسمع منهن، وشاهدن انتقال النور الطيب إليها، فمات منهن أكثر من مائتي باكر نادرة الحسن والجمال فتعرين من كسوة الدنيا وتغطين بإطباق التراب وسلمن أرواحهن إلى الموت بعد أن ماتت آمالهن ويئسن من الوصال مع عبد الله عديم المثال(2).

وقد ورد عن ابن عباس، قال: سمعت أبي العباس يحدث، قال: ولد لأبي

ص:67

1- (1) راجع: الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، ج 1 ص 99.

2- (2) الخصائص الفاطمية، باقر الكجوري، ج 2 ص 53.

عبد المطلب عبد الله، فرأينا في وجهه نوراً يزهر كنور الشمس، فقال أبى: إن لهذا الغلام شأنًا عظيمًا. قال: فرأيت في منامى أنه خرج من منخره طائر أبيض، فطار فبلغ المشرق والمغرب، ثم رجع راجعاً حتى سقط على بيت الكعبة، فسجدت له قريش كلها، فبينما الناس يتأملونه إذ صار نوراً بين السماء والأرض، وامتد حتى بلغ المشرق والمغرب. فلما انتبهت سألت كاهنة بنى مخزوم فقالت: يا عباس، لئن صدقت رؤياك ليخرجن من صلبه ولد يصير أهل المشرق والمغرب تبعاً له.

قال أبى: فهمنى أمر عبد الله إلى أن تزوج بأمته، وكانت من أجمل نساء قريش، وأتمها خلقاً، فلما مات عبد الله وولدت أمينة رسول الله صلى الله عليه وآله أتيته، فرأيت النور بين عينيه يزهر، فحملته وتفرست في وجهه، فوجدت منه ريح المسك، وصرت كأني قطعة مسك من شدة ريحي، فحدثتني أمينة وقالت لى: إنه لما أخذنى الطلق واشتد بى الأمر، سمعت جلبة وكلاماً لا يشبه كلام الآدميين، ورأيت علماً من سندس على قضيب من ياقوت قد ضرب بين السماء والأرض، ورأيت نوراً يسطع من رأسه حتى بلغ السماء، ورأيت قصور الشامات كأنها شعلة نار نوراً، ورأيت حولى من القطة امرأة عظيماً، قد نشرت أجنحتها حولى، ورأيت شعيرة الأسدية قد مرت وهى تقول: أمينة، ما لقيت الكهان والأصنام من ولدك؟ ورأيت رجلاً شاباً من أتم الناس طولاً، وأشدهم بياضاً، وأحسنهم ثياباً، ما ظننته إلا عبد المطلب، قد دنا منى فأخذ المولود، فتغل فى فيه، ومعه طست من ذهب مضروب بالزمرد، ومشط من ذهب، فشق بطنه شقاً، ثم أخرج قلبه فشقه، فأخرج منه نكتة سوداء فرمى بها، ثم أخرج صرة من حريرة خضراء ففتحها، فإذا فيها

كالذرية البيضاء فحشاها، ثم رده إلى ما كان، ومسح على بطنه، واستنطقه فنطق، فلم أفهم ما قال، إلا أنه قال: فى أمان الله وحفظه وكلاءته، قد حشوت قلبك إيماناً وعلماً وحلماً و يقيناً وعقلاً وشجاعة، أنت خير البشر، طوبى لمن اتبعك، وويل لمن تخلف عنك. ثم أخرج صرة أخرى من حريرة بيضاء ففتحها فإذا فيها خاتم، فضرب على كتفيه، ثم قال: أمرنى ربي أن أنفخ فيك من روح القدس. فنفخ فيه، وألبسه قميصاً، وقال: هذا أمانك من آفات الدنيا. فهذا ما رأيت - يا عباس - بعينى. قال العباس: وأنا يومئذ أقرأ، فكشفت عن ثوبه، فإذا خاتم النبوة بين كتفيه، فلم أزل أكرم شأنه، وأنسيت الحديث فلم أذكره إلى يوم إسلامى حتى ذكرنى رسول الله صلى الله عليه وآله (1).

## شغف النساء بنور النبى صلى الله عليه وآله

### إشارة

ذكر المؤرخون وأصحاب السير بعض القصص التى تشير إلى أنّ بعض النساء حاولن أن يحظين بنور النبى صلى الله عليه وآله وتكون هى الوعاء لخاتم الرسل كى تحظى بسعادة الدارين، وتناسين أنّ أمّهات المعصومين أمر موكول إلى البارى عز وجل. وهذه الروايات أو القصص فى عمومها لا تنسجم مع شأن عبدالله والد النبى صلى الله عليه وآله، بل سيرة الأسرة الهاشمية التى عرفت بالنجابة والإيمان لاسيما آباء النبى الذين خصهم الله بالطهارة واتسموا بالعفاف والتدين بحسب ما هو ثابت عقلاً ونقلاً، فهذه المرويات إمّا فيها تصحيف وزيادة أو أنّها موضوعة، الغرض منها النيل من والد النبى الأكرم.

ص:69

---

1- (1) أنظر: الأمالى، الشيخ الصدوق، ص 335. وكمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، ص 176.

## الرواية الأولى

ورد في طبقات بن سعد: إنّ قتيلة ابنة نوفل (أخت ورقة) كانت تنظر وتعتاذ، فمر بها عبد الله بن عبد المطلب فدعته يستمتع منها ولزمت طرف ثوبه فأبى وقال حتى آتيك، وخرج سريعاً حتى دخل على آمنة بنت وهب فوقع عليها فحملت برسول الله صلى الله عليه وآله، ثم رجع عبد الله بن عبد المطلب إلى المرأة فيجدها تنتظره فقال هل لك في الذي عرضت علي فقالت لا، مررت وفي وجهك نور ساطع ثم رجعت وليس فيه ذلك النور، وقيل: فقالت له فارقك النور الذي كان معك بالأمس فليس لي بك اليوم حاجة، وقد كانت تسمع من أخيها ورقة بن نوفل وكان قد تنصر واتبع الكتب حتى أدرك فكان فيما طلب من ذلك أنه كائن لهذه الأمة نبي من بني إسماعيل (1).

## الرواية الثانية

عن ابن كثير وغيره عن ابن عباس قال: لما انطلق عبد المطلب بابنه عبد الله ليزوجه مرّ به على كاهنة من أهل تبالة متهودة قد قرأت الكتب، يقال لها فاطمة بنت مرّ الخثعمية، فرأت نور النبوة في وجه عبد الله فقالت يا فتى هل لك أن تقع عليّ الآن وأعطيك مائة من الإبل؟ فقال عبد الله:

أما الحرام فالممات دونه والحل لا حل فأستبينه

فكيف بالأمر الذي تبغينه يحمي الكريم عرضه ودينه

ثم مضى مع أبيه فزوجه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة، فأقام عندها

ص:70

---

1- (1) الطبقات الكبرى، ابن سعد، ج 1 ص 98. تاريخ مدينة دمشق، ابن عساکر، ج 3 ص 406.

ثلاثاً. ثم إن نفسه دعت إلى ما دعت إليه الكاهنة فأتاها فقالت: والله ما أنا بصاحبة ريبة، ولكنى رأيت في وجهك نوراً فأردت أن يكون فيّ، وأبى الله إلا أن يجعله حيث أراد، فما صنعت بعدى قال زوجنى أبى آمنة بنت وهب. ثم أنشأت تقول:

إنى رأيت مخيلة لمعت فتألأت بحناتم القطر

فلمأتها نوراً يضىء له ما حوله كإضاءة البدر

ورجوتها فخراً أبوء به ما كل قاذح زنده يورى

لله ما زهرية سلبت ثوبيك ما استلبت وما تدرى (1)

### الرواية الثالثة

عن أبى إسحاق بن يسار أنه حدث: أن عبد الله إنما دخل على امرأة كانت له مع آمنة بنت وهب، وقد عمل في طين له، وبه آثار من الطين، فدعاها إلى نفسه فأبطأت عليه لما رأت به من أثر الطين، فخرج من عندها فتوضأ وغسل ما كان به من ذلك الطين، ثم خرج عامداً إلى آمنة فمر بها، فدعته إلى نفسها، فأبى عليها، وعمد إلى آمنة، فدخل عليها فأصابها، فحملت بمحمد صلى الله عليه وآله، ثم مرّ بامرأته تلك فقال لها: هل لك؟ قالت: لا، مررت بى وبين عينيك غرة بيضاء فدعوتك فأبيت ودخلت على آمنة فذهبت بها. قال ابن إسحاق: فزعموا أن امرأته تلك كانت تحدث: أنه مرّ بها وبين عينيها غرة مثل غرة الفرس، فقالت: فدعوته رجاء أن تكون تلك بى فأبى علىّ، ودخل على آمنة فأصابها، فحملت برسول الله صلى الله عليه وآله. فكان رسول الله صلى الله عليه وآله أوسط قومه نسباً،

ص: 71

---

1- (1) السيرة النبوية، ابن كثير، ج 1 ص 178، والكامل فى التاريخ، ابن الأثير ج 2 ص 8.

وأعظمهم شرفاً من قبل أبيه وأمه، ولذا قد ورد أن التي عرضت عليه نفسها لم تك بغياً وإنما كانت زوجته. (1)

## الجمع بين الروايات

### إشارة

ذهب الحلبي في السيرة إلى إمكان الجمع بين هذه القصص وأن لكل واقعة بمعزل عن الأخرى حيث يقول: لا يخفى أن تعدد الواقعة ممكن وأن هذا السياق يدل على أن هذه المرأة كان عندها علم بأن عبد الله تزوج آمنة وأنه يريد الدخول بها وأنها علمت أنه كائن نبي يكون له الملك والسلطان وغير خاف أن عرض عبد الله نفسه على المرأة لم يكن لريبة بل ليستبين الأمر الذي دعاها إليه بذلك القدر الكثير من الإبل في مقابلة هذا الشيء على خلاف عادة النساء مع الرجال ولا يخالف ذلك بل يؤكد ما في الوفاء من قوله، ثم تذكر الخثعمية وجمالها وما عرضت عليه فأقبل إليها الحديث والله أعلم (2).

### الصحيح

إن هذه القصص ليس حظ في الوجود وهي بعيدة عن واقع الأسرة الهاشمية لاسيما آباء النبي صلى الله عليه وآله الذين اصطفاهم الله وأبعدهم عن الأرجاس كما سيأتي، لذلك علماؤنا ومؤرخونا قد أعرضوا عن ذكر هذه القصص ولم يذكروها في كتبهم، بل حتى في كتب القوم لاسيما الرواية الأولى فقد ذكرها ابن سعد ونقلها عنه ابن عساكر وليس على نحو ثبوتها وإنما ذكروها واحدة من تلك النصوص

ص: 72

1- (1) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج 3 ص 406

2- (2) السيرة الحلبيية، ج 1 ص 65.

التاريخية وفي الأغلب المحدث والمؤرخ يذكر النصوص مجرد لسرد التاريخ من دون التدقيق في صحتها وعدمه.

ولو فرضنا ثبوت هذه النصوص التاريخية أو هذه القصص فقد يتضح من الآيات التي أطلقها عبد الله خير دليل على إيمانه وتمسكه وابتعاده عن الفحشاء والمنكر، فهذا إما أن يكون بأمر مشروع كما يستشف من ظاهرها، أى أنه طلب منها الزواج. أو هو إضافة من بعض الرواة المنحرفين بقصد تشويه سيرة آباء النبي صلى الله عليه وآله.

### مشهد من إيمان عبدالله

عندما سافر عبدالله مع أبيه نحو اليمن قبل أن يتزوج بأمّنة بنت وهب، وكان نور النبي، في وجهه، وأن الزرقاء نظرت إليه وقد نزل بقصر من قصور اليمامة، وذهب أبوه عبد المطلب في حاجة وتركه عند متاعه وسيفه عند رأسه، فنزلت الزرقاء مسرعة، وفي يدها كيس من الورق، فوثبت عليه ثم قالت له: يا فتى حياك الله بالسلام، وجللك بالانعام، من أى العرب أنت؟ فما رأيت أحسن منك وجهاً، قال: أنا عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، سيد الأشراف، ومطعم الأضياف، سادات الحرم، ومن لهم السابقة في القدم، فقالت: فهل لك يا سيدى من فرحتين عاجلتين؟ قال: وما هما؟ قالت: تجمعى الساعة، وتأخذ هذه الدراهم، وأبذل لك مائة من الإبل محملة تمرًا وبسرًا وسمناً، فلما استتم كلامها قال: إليك عنى، فما أقبح صورتك يا ويلك، أما علمت أنا قوم لا نركب الآثام، اذهبي، وتناول سيفاً كان عنده فانهمزت ورجعت خائبة، فأقبل أبوه فوجده وسيفه مسلول

وهو يقول شعراً:

أنرتكب الحرام بغير حل ونحن ذووا المكارم فى الأنام

إذا ذكر الحرام فنحن قوم جوارحنا تصان عن الحرام

فقال له أبوه: يا ولدى ما جرى عليك بعدى؟ فأخبره بخبره، ووصف له صفاتها فعرفها، وقال له: يا بنى هذه زرقاء اليمامة، قد نظرت إلى النور الذى فى وجهك يلوح، فعرفت أنه الشرف الوكيد، والعز الذى لا يبید، فأرادت أن تسلبه منك، والحمد لله الذى عصمك عنها، ثم رحل به إلى مكة، وزوجه بأمنة بنت وهب، فلما رأته الزرقاء عرفته، وعلمت أنه تزوج، فقالت: ألسن صاحبى باليمامة فى يوم كذا؟ قال لها: نعم، فلا أهلاً بك ولا سهلاً، يا ابنة اللخناء، قالت: أين النور الذى كان فى غرتك؟ قال: فى بطن زوجتى أمينة بنت وهب، قالت: لا شك أنها لذلك أهل(1).

### عملية اغتيال فاشلة

بعدهما عجزت زرقاء اليمامة من عبد الله والد النبى صلى الله عليه وآله ولم تقلح فى اختطاف النور النبوى وعلمت أنه انتقل إلى السيدة أمينة فأخذت تخطط وتفكر فى قتل أمينة، وكيف تعمل الحيلة، فأقبلت حتى نزلت على امرأة من الخزرج اسمها تكنا، وكانت ماشطة لأمينة، فلما أصبحت جلست بين يدي الزرقاء فقالت: ما لى أراك مغمومة؟ قالت لها: يا أختاه إن الذى نزل بى من الهموم والغموم لخروجى من الأوطان، وذهابى من البلدان، وتشتى فى كل مكان، وتفردى عن

ص:74

---

1- (1) راجع: بحار الأنوار، العلامة المجلسى، ج 15 ص 313.



الخلان، قالت لها: ولم ذلك؟ قالت لها: يا ويلك من حامل مولود، يدعو إلى أكرم معبود، يكسر الأصنام، ويذل السحرة والكهان، يخرب الديار، ولا يترك بمكة أحداً من ذوى الأبصار، وأنت تعلمين أن القعود على النار، أيسر من الذل والصغار، فلو وجدت من يساعدني على قتل آمنة بذلت له المنا، وأعطيته الغنا، وعمدت إلى كيس كان معها فأفرغته بين يدي تكنا، وكان مالاً جزيلاً، فلما نظرت تكنا إلى المال لعب بقلبها، وأخذ بعقلها، وقالت لها: يا زرقاء لقد ذكرت أمراً عظيماً، وخطباً جسيماً، والوصول إليه بعيد، وإنى ماشطة لجملة نساء بنى هاشم، ولا يدخل عليهن غيري، ولكن سوف أفكر لك فيما ذكرت، وكيف أجسر على ما وصف، والوصول إلى ما ذكرت، قالت الزرقاء: إذا دخلت على آمنة وجلست عندها فاقبضى على ذوائبها، واضربها بهذا الخنجر، فإنه مسموم، فإذا اختلط الدم بالسم هلكت، فإذا وقع عليك تهمة، أو وجب عليك دية فأنا أقوم بخلاصك، وأدفع عنك عشر ديات غير الذى دفعته إليك فى وقتى هذا، فما أنت قائلة؟ قالت: إنى أجبتك، لكن أريد منك الحيلة بأن تشغلى بنى هاشم عنى، قالت الزرقاء: إنى هذه الساعة أمر عبيدى أن يذبحوا الذبائح، ويطرحوها فى الجفان، فإذا أكلوا ظفرت بحاجتك، قالت لها تكنا: الآن تمت الحيلة، فافعلى ما ذكرت، فصنعت الزرقاء ما ذكرت، وأمرت عبيدها ينادون فى شوارع مكة أن يجمعوا الناس، فلم يبق أحد إلا وحضر وليمتها من أهل مكة، فلما أكلوا وشربوا وعلمت أن القوم قد خالط عقولهم الشراب أقبلت إلى تكنا وقالت: قومى إلى حاجتك، فقامت تكنا وجاءت بالخنجر ورشت فى جوانبه السم، ودخلت على آمنة فرحبت

بها آمنة، وسألتهما عن حالهما، وقالت: يا تكنا ما عودتيني بالجفاء فقالت: اشتغلت بهمي وحزني، ولولا أياديكم الباسطة علينا لكنا بأقبح حال، ولا أحد أعز عليّ منك، هلمى يا بنية إلى حتى أزينك، فجاءت آمنة وجلست بين يدي تكنا، فلما فرغت من تسريح شعرها عمدت إلى الخنجر وهمت أن تضربها به، فحست تكنا كأن أحداً قبض على قلبها فغشى على بصرها، وكأن ضارباً ضرب على يدها فسقط الخنجر من يدها إلى الأرض، فصاحت: وا حزناه، فالتفتت آمنة إليها وإذا الخنجر قد سقط من يد تكنا، فصاحت آمنة فتبادرت النسوان إليها، وقلن لها: ما دهاك؟ قالت: يا ويلكن أما ترين ما جرى عليّ من تكنا، كادت أن تقتلني بهذا الخنجر، فقلن: يا تكنا ما أصابك؟ ويلك تريدان أن تقتلي آمنة على أي جرم؟ فقالت: يا ويلكن قد أردت قتل آمنة، والحمد لله الذي صرف عنها البلاء، فقالت: الحمد لله على السلامة من كيدك يا تكنا، فقالت لها النساء: يا تكنا ما حملك على ذلك؟ قالت: لا تلوموني، حملني طمع الدنيا الغرور، ثم أخبرتهن بالقصة، وقالت لهن: ويحك دونكن الزرقاء اقتلنها قبل أن تفوتكن، ثم سقطت ميتة، فصاحت النسوان صيحة عالية، فأقبل بنو هاشم إلى منزل آمنة، فإذا بتكنا ميتة، وقد تجلل نور آمنة، ونظروا إلى الخنجر، وحكوا لهم القصة، فخرج أبو طالب ينادى: أدركوا الزرقاء وقد وصلها الخبر، فخرجت هاربة فتبعها الناس من بنى هاشم وغيرهم فلم يدركوها ولم يلحقوها(1).

ص:76

لقد كثرت المشاهدات قبل ولادته المباركة وفي أيام حملته وبعد الولادة بفترة وجيزة، فشاهد الناس عموماً والنساء خصوصاً في اليقظة والنام من الآثار الأرضية والسماوية، ومن هواتف الجن ونداءات الملائكة وأقوال السحرة والكهنة من أهل مكة وغيرها، وهذا أمر اعتادت عليه البشرية في ولادة ذات المكنات العالية والرفيعة عند الله، ومن الكرامات وخوارق العادات والمعجزات الباهرات لهذا المولود المبارك، حتى أذعن الأغلب بنبوته ورسالته وخاتمته، فكيف يعقل أن لا تؤمن تلك المخدرة؟ وهل يستقيم هذا الظن الفاسد والخيال الكاسد مع ظهور كل تلك المعجزات وبروز تلك الآيات البينات؟ حاشاها من هذه العقائد الفاسدة والنيات الكاسدة.

فنقول: إذا قامت القيامة وأخرجت أمّهات الأنبياء والأوصياء والصديقين والأولياء الكاملين رؤوسهن من التراب، فكم سيكون لهذه المخدرة من حرمة خاصة ومنزلة شريفة عند فاطمة الزهراء عليها السلام لا تكون لغيرها من النساء، سيما حينما تستظل آمنة تحت لواء الولاية، وتدخل في حمى النبوة والشفاعة، فأى امرأة تفضل عليها وتتناول إلى مقامها.

ورد عن أبي عبد الله عليه السلام، قال:

كان حيث طلقت آمنة بنت وهب وأخذها المخاض بالنبي صلى الله عليه وآله حضرتها فاطمة بنت أسد امرأة أبي طالب، فلم تزل معها حتى وضعت، فقالت إحداها للأخرى: هل ترين ما أرى؟ قالت: وما ترين؟ قالت: هذا النور الذي قد سطع ما بين المشرق والمغرب،

فبينما هما كذلك إذ دخل عليهما أبو طالب، فقال لهما: ما لكما، من أى شىء تعجبان؟ فأخبرته فاطمة بالنور الذى قد رأته، فقال لها أبو طالب: ألا أبشرك؟ فقالت: بلى، فقال: أما إنك ستلدين غلاماً يكون وصى هذا المولود(1).

وعن ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن إسحاق قال: يزعمون فيما يتحدث الناس والله أعلم أن آمنة بنت وهب أم رسول الله صلى الله عليه وآله كانت تحدث أنها أتيت لما حملت برسول الله فقبل لها إنك قد حملت بسيد هذه الأمة فإذا وقع بالأرض فقولى أعيذه بالواحد من شر كل حاسد ثم سميه محمداً ورأت حين حملت به أنه خرج منها نور رأت منه قصور بصرى من أرض الشام، فلما وضعت أرسلت إلى جده عبد المطلب أنه قد ولد لك غلام فأتته فانظر إليه، فأتاه فنظر إليه وحدثته بما رأت حين حملت به، وما قيل لها فيه، وما أمرت أن تسميه(2).

وقال يونس بن بكير عن ابن إسحاق: وكانت آمنة بنت وهب أم رسول الله صلى الله عليه وآله تحدث أنها أتيت حين حملت بمحمد صلى الله عليه وآله، فقبل لها إنك قد حملت بسيد هذه الأمة، فإذا وقع على الأرض فقولى: أعيذه بالواحد، من شر كل حاسد، من كل بر عاهد، وكل عبد رائد، يذود عنى ذائد، فإنه عند الحميد الماجد، حتى أراه قد أتى المشاهد. وقال: فإن آية ذلك أن يخرج معه نور يملأ قصور بصرى من أرض الشام، فإذا وقع فسميه محمداً، فإن اسمه فى التوراة والإنجيل أحمد، يحمد

ص:78

1- (1) حلية الأبرار، السيد هاشم البحرانى، ج 1 ص 28.

2- (2) تاريخ الطبرى، الطبرى، ج 1 ص 571.

أهل السماء والأرض، واسمه في الفرقان محمد، فسّمته بذلك. فلما وضعت به بعثت إلى عبد المطلب جاريتها(1).

وروى الطبرسي في (الاحتجاج) عن الكاظم عليه السلام انه قال: إنّ أمانة بنت وهب رأت في المنام أنّه قيل لها: إنّ ما في بطنك سيد، فإذا ولدته فسميه محمداً. ثم قال على عليه السلام: فاشتق الله له اسماً من أسمائه، فإن الله المحمود وهذا محمد(2).

وروى عن أمه أنّها قالت: لما وضعت رأيت نوراً ساطعاً بدا مني حتى أفزعني، ولم أر شيئاً مما يرينه النساء. قال: وروى بعضهم: أنّها قالت: سطع مني النور حتى رأيت قصور الشام. ولما وقع إلى الأرض قبض قبضة من تراب، ثم رفع رأسه إلى السماء(3).

## تاريخ ولادتها للنبي صلى الله عليه وآله

اختلف المؤرخون في تعيين زمان ولادة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، فقليل: ولد النبي صلى الله عليه وآله لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول في عام الفيل يوم الجمعة مع الزوال، وروى أيضاً عند طلوع الفجر قبل أن يبعث بأربعين سنة. وحملت به أمه في أيام التشريق عند الجمرّة الوسطى وكانت في منزل عبد الله بن عبد

ص: 79

1- (1) سيرة ابن اسحاق، محمد بن اسحاق بن يسار، ج 1 ص 22.

2- (2) الاحتجاج، ج 1 ص 321.

3- (3) أنظر: موسوعة التاريخ الإسلامي، محمد هادي اليوسفي، ج 1 ص 252.

المطلب، وولده في شعب أبي طالب في دار محمد بن يوسف(1)، في الزاوية القصوى عن يسارك وأنت داخل الدار، وقد أخرجت الخيزران ذلك البيت فصيرته مسجداً، يصلى الناس فيه(2).

ونقل المجلسي عن كتاب (حدائق الرياض) و (التواريخ الشرعية) للشيخ المفيد أنه قال: السابع عشر من ربيع الأول مولد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله عند طلوع الفجر من يوم الجمعة عام الفيل. وقال الطبرسي عليهم السلام: ولد يوم الجمعة عند طلوع الشمس، السابع عشر من شهر ربيع الأول عام الفيل، وذلك لأربع وثلاثين سنة مضت من ملك كسرى أنوشيروان.

وقال السيد ابن طاووس في (الإقبال): إن الذين أدركناهم من العلماء كان علمهم على أن ولادته المقدسة صلى الله عليه وآله كانت يوم الجمعة السابع عشر من ربيع الأول في عام الفيل عند طلوع فجره. ولذلك قال الشيخ المجلسي قدس سره: اعلم أنه اتفقت الإمامية (إلا من شذ منهم) على أن ولادته صلى الله عليه وآله كانت في السابع عشر من شهر ربيع الأول، وذهب أكثر المخالفين إلى أنها كانت في الثاني عشر منه، واختاره الكليني قدس سره(3).

ص:80

- 
- 1- (1) قال في هامش البحار: قال المؤرخون: كانت هذه الدار للنبي صلى الله عليه وآله فوهبها لعقيل بن أبي طالب، فباعها أولاده لمحمد بن يوسف أخ الحجاج الثقفي، فاشتهرت بدار محمد بن يوسف، فأدخلها في قصره الذي كانوا يسمونه البيضاء وبعد انقضاء دولة بني أمية حجت خيزران أم الهادي والرشيدي فأفرزتها من القصر وجعلتها مسجداً، وهو الآن يصلى ويزار فيه. البحار ج 15 ص 250.
  - 2- (2) الكافي، الشيخ الكليني، ج 1 ص 439.
  - 3- (3) راجع: موسوعة التاريخ الإسلامي، محمد هادي اليوسفي، ج 1 ص 254.

لما أتى على رسول الله صلى الله عليه وآله ست سنين خرجت أمينة بنت وهب زائرة لقبر زوجها عبد الله ومعها عبد المطلب، وأم أيمن حاضنة رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما صارت بالأبواء منصرفه إلى مكة ماتت بها. وقيل توفيت وهو ابن أربعة أشهر أو أربع سنين أو ست (1).

وهذا كان السبب في دفنها (أمينة بنت وهب) بالأبواء هناك، حيث أن عبد الله والد رسول الله صلى الله عليه وآله كان قد خرج إلى المدينة يمتار تمرًا، فمات بالمدينة، فكانت زوجته أمينة بنت وهب، تخرج في كل عام إلى المدينة تزور قبره.

ويقال إن أبا طالب زار أخواله بني النجار بالمدينة وحمل معه أمينة أم رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما رجع منصرفًا إلى مكة، ماتت أمينة بالأبواء، ولها من العمر ثلاثون سنة (2).

والأبواء: الأخطاط من الناس، قال كثير: إنما سميت الأبواء للوباء الذي بها؛ ولا يصح هذا إلا على القلب. وبواديها من نبات الطرفاء ما لا يعرف في واد أكثر منه. وعلى خمسة أميال منها مسجد للنبي صلى الله عليه وآله (3).

وقيل: هي قرية من أعمال الفرع بين المدينة والجحفة بينها وبين المدينة ثلاثة وعشرون ميلًا؛ وقيل الأبواء جبل على يمين آرة ويمين الطريق للمصعد إلى

ص: 81

---

1- (1) مستدركات علم رجال الحديث، الشيخ علي النمازي الشاهرودي، ج 8 ص 545.

2- (2) معجم البلدان، الحموي، ج 1 ص 79.

3- (3) معجم ما استعجم، البكري الأندلسي، ج 1 ص 102.

مكة من المدينة؛ وهناك بلد ينسب إلى هذا الجبل. وقال السكري: هو جبل مشرف شامخ ليس به شيء من النبات غير الخزم والبشام وهو لخزاعة وضمرة، وقد اختلف في تحقيق لفظه فقيل: هو فعلاء من الأبوة، كما يدل له صنيع المصنف حيث ذكره هنا، وقيل: أفعال كأنه جمع بو: وهو الجلد، أو جمع بوى وهو السواد، وقيل: إنه مقلوب من الأوباء سمى بذلك لما فيه من الوباء. وقال ثابت اللغوى: سمى لتبوء السيول به، وهذا أحسن، وسئل عنه كثير فقال: لأنهم تبؤوا به منزلاً (1).

لكن ذكر البعض أن مزارها في الحجون، حيث يقول: أما مزار آمنة بنت وهب فإن قلنا أنه في الحجون من مكة، وهي مقبرة السالفين إلى اليوم، وأهل مكة يزورونها قرب قبر خديجة سلام الله عليها، فهو يعارض القول بدفنها في الأبواء. والحق أن السيدة آمنة نقلت إلى الحجون. وعلى ضريحها قبة سامية يتلألأ النور من أعلاها، وقبرها مشهور بين البقاع، يقصد لدفع المهمات، ويزار لكشف الملمات (2).

والحجون: بفتح الحاء جبل بمعلاة مكة مشرف مما يلي شعب الخرازين، فيه اعوجاج، عنده مقبرة. قال السهيلي: على فرسخ وثلثين من مكة؛ قال الأعشى:

فما أنت من أهل الحجون ولا الصفا ولا لك حق الشرب في ماء زمزم

وقال عمرو بن مضاى الجرهمى يتأسف على البيت:

ص: 82

---

1- (1) تاج العروس، الزبيدي، ج 19 - ص 131.

2- (2) الخصائص الفاطمية، ج 2 ص 70.



كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر(1)

وروى الطبراني وابن مردويه عن عكرمة، عن ابن عباس، أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما أقبل من غزوة تبوك فلما هبط من ثنية عسفان أمر أصحابه أن يستندوا إلى العقبة حتى يرجع إليهم، فذهب فنزل على قبر أمه فناجى ربه طويلاً، ثم إنه بكى فاشتد بكاؤه ثم عاد(2).

وأيضاً روى عن عائشة أن النبي مرّ في سفره إلى الحج بالحجون، فبكى كثيراً وبكى لبكائه، ثم قال: خذى زمام ناقتي، وذهب إلى قبر أمه وعاد مستبشراً ضاحكاً، فسألته فقال: سألت الله أن يحيى أُمى فأحياها، فعرضت عليها الإيمان فأقرت، ثم عادت إلى نومتها(3).

وروى البيهقي في مثله عن عائشة، وألف السيوطي رسالة في ذلك، وقال ابن حجر فيه شعراً:

الله أحيا للنبي أباه للإيمان والأم آمنة الأمانة(4)

أقول: مع غض النظر عن مراجعة سند الرواية يظهر من قول النبي صلى الله عليه وآله (فأقرت) أنّها كانت مؤمنة وهذا الإيمان الذي تشرب فيها قد أقرته وأكدته، ولو كان غير ذلك لكان الأصح أن يقول (فآمنت) بعد ما عرض عليها الإيمان. ويؤيد هذا: ما تقدم من خلال سيرتها ومدى إيمانها شعراً ونثراً، فعند نزول الوحي

ص: 83

1- (1) تاج العروس، الزبيدي، ج 18 ص 132.

2- (2) المعجم الكبير، للطبراني، ج 11 ص 296.

3- (3) الخصائص الفاطمية، الشيخ محمد باقر الكجوري، ج 2 ص 71.

4- (4) بحار الأنوار، المجلسي، ج 10 ص 441.

والرسالة أقرت ذلك بكل يقين.

## زيارة النبي لقبرها وإحيائها له

ذكر المؤرخون أن النبي صلى الله عليه وآله لما فرغ من حجة الوداع لاذ بقبر قد درس فقعد عنده طويلاً ثم استعبر، فقبل له يا رسول الله ما هذا القبر؟ فقال: هذا قبر أُمِّي آمنَةَ بنت وهب، سألت الله في زيارتها فأذن لي. وقال صلى الله عليه وآله: قد كنت نهيتكم عن زيارة القبور إلا فزوروها(1). وفي رواية أخرى أتى قبرها وأصلحه وبكى عنده وبكى المسلمون لبكائه(2).

وعن الصدوق بسنده قال: حدثنا أبو الحسن محمد بن عمرو بن علي البصري، قال: حدثنا أبو عبد الله عبد السلام ابن محمد بن هارون الهاشمي، قال: حدثنا محمد بن [محمد بن] عقبة الشيباني، قال: حدثنا أبو القاسم الخضر بن أبان، عن أبي هدية إبراهيم بن هدية البصري، عن أنس بن مالك قال: أتى أبو ذر يوماً إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: ما رأيت كما رأيت البارحة. قالوا: وما رأيت البارحة؟ قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يباه فخرج ليلاً فأخذ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام وخرجا إلى البقيع فما زلت ألقوا أثرهما إلى أن أتيا مقابر مكة فعدل إلى قبر أبيه فصلى عنده ركعتين فإذا بالقبر قد انشق وإذا بعبد الله جالس وهو

ص:84

- 
- 1- (1) الفصول المختارة، الشريف المرتضى، ص 131. وغيره من الخاصة والعامة، منها الحاكم النيسابوري في المستدرک، ج 1 ص 374، قال فقد أذن الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله في زيارة قبر أمه. ثم قال: هذا الحديث مخرج في الكتابين الصحيحين للشيخين.
- 2- (2) مستدرکات علم رجال الحديث، الشيخ علي النمازي الشاهرودي، ج 8 ص 545. السيرة الحلبية، ج 1 ص 172.

يقول: (أنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله). فقال له: من وليك يا أبة؟ فقال: وما الولي يا بني؟ فقال: هو هذا علي. فقال: وأن علياً وليي. قال: فارجع إلى روضتك. ثم عدل إلى قبر أمه آمنة فصنع كما صنع عند قبر أبيه فإذا بالقبر قد انشق وإذا هي تقول: (أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك نبي الله ورسوله). فقال لها: من وليك يا أمه؟ فقالت: وما الولاية يا بني؟ قال: هو هذا علي بن أبي طالب. فقالت: وأن علياً وليي. فقال: ارجعي إلى حفرتك وروضتك. فكذبوه ولببوه وقالوا: يا رسول الله كذب عليك اليوم. فقال: وما كان من ذلك؟ قالوا إن جنذب حكى عنك كيت وكيت، فقال النبي صلى الله عليه وآله: ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء علي ذى لهجة أصدق من أبي ذر. قال عبد السلام بن محمد: فعرضت هذا الخبر على الجهمي محمد بن عبد الأعلى فقال: أما علمت أن النبي صلى الله عليه وآله قال: أتاني جبرئيل عليه السلام فقال: إن الله عز وجل حرم النار على ظهر أنزلك، وبطن حملك، وثدى أرضعك، وحجر كفلك؟(1).

وذكر ابن طاووس قدس سره زيارتها ضمن الزيارة الخاصة بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

السلام عليك وعلى أهل بيتك الطيبين الطاهرين الهادين المهديين، السلام على جدك عبد المطلب وعلى أبيك عبد الله، السلام على أمك آمنة بنت وهب، السلام على عمك حمزة سيد الشهداء(2).

ص: 85

1- (1) معاني الأخبار، الشيخ الصدوق، ص 178.

2- (2) إقبال الأعمال، السيد ابن طاووس، ج 3 - ص 123.

ذكر البعض عن ابن مسعود قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً فخرجنا معه حتى انتهينا إلى المقابر، فأمرنا فجلسنا، ثم تخطينا القبور حتى انتهينا إلى قبر منها، فجلس إليه فواجه طويلاً، ثم ارتفع نحيب رسول الله صلى الله عليه وآله باكياً، فبكينا لبكائه، ثم إن النبي أقبل فلقبه عمر بن الخطاب فقال: ما الذى أبكاك يا رسول الله؟ قال: لقد أبكنا وأفزعنا فأخذ بيد عمر، ثم أوماً إلينا فأتيناها فقال: أفزعكم بكائي؟ فقلنا: نعم، يا رسول الله قال: فإن القبر الذى رأيتمنى عنده قبر أمى آمنة بنت وهب، وإنى استأذنت ربي فى زيارتها، فأذن لى، ثم استأذنته فى الاستغفار لها، فلم يأذن لى، وأنزل قوله تعالى: (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ)، وقوله: (وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ) فأخذنى ما يأخذ الولد للوالد من الرأفة فذلك أبكاني، ألا إنى نهيتكم عن ثلاث: عن زيارة القبور، وعن أكل لحوم الأضاحى فوق ثلاث ليسعكم، وعن نبيذ الأوعية، فزوروا فإنها تزهده فى الدنيا وتذكر الآخرة، وكلوا لحوم الأضاحى وأنفقوا منها ما شئتم، فإنما نهيتكم إذا الخير قليل، وتوسعة على الناس، ألا وإن الوعاء لا يحرم شيئاً، كل مسكر حرام(1).

وهذا ما ذهب إليه أغلب المفسرين من الجمهور، فى تفسير قوله تعالى: (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ...)، الخ وذلك أن النبي صلى الله عليه وآله سأل بعدما افتتح مكة: أى أبويه أحدث به عهداً، قيل له: أمك آمنة بنت وهب بن عبد مناف، قال: حتى أستغفر لها، فقد استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك، فهم

النبي صلى الله عليه وآله بذلك، فأنزل الله عز وجل قوله: (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ...)، الخ يعنى: ما ينبغي للنبي (وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ) (وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا) كانوا كافرين ف- (تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ) حين ماتوا على الكفر، نزلت في محمد صلى الله عليه وآله، وعلى بن أبي طالب عليه السلام. فقد استغفر إبراهيم لأبيه وكان كافراً، فبين الله كيف كانت هذه الآية، فقال تعالى: (وَ مَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِثًّا)، وذلك أنه كان وعد أباه أن يستغفر له، فلذلك استغفر له، (فَلَمَّا تَبَيَّنَ) لإبراهيم (أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ) حين مات كافراً، لم يستغفر له، وتبرأ منه (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ) 1 .

نعم ذكر السمعاني في تفسيره أن هناك اختلافاً في شأن نزول هذه الآية، حيث قال: أن القوم اختلفوا في سبب نزول قوله تعالى: (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ) على ثلاثة أقوال:

الأول: ما رواه سعيد بن المسيب، عن أبيه: أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية، فقال له النبي: أي عم قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله.

فقال له أبو جهل وعبد الله بن [أبي] أمية: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فما زالوا يكلمانه حتى كان آخر كلمة قالها: على ملة عبد المطلب، فقال النبي صلى الله عليه وآله: لأستغفرن لك ما لم أنه عنه؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية: (مَا كَانَ

لِلنَّبِيِّ... الخ.

والثاني: روى مسروق، عن عبد الله بن مسعود: أن النبي خرج إلى المقابر فاتبعناه، فأتى قبراً وقعد عنده، وناجاه طويلاً، ثم بكى وبكىنا لبكائه، فقلنا له: يا رسول الله من صاحب هذا القبر؟ فقال: هذه أمى آمنة بنت وهب، استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي، ثم استأذنته في أن أستغفر لها فلم يأذن لي، قال: فأخذني عليها الشفقة ما يأخذ الولد للوالدة فبكيت، وأنزل الله تعالى هذه الآية: (ما كان للنبي... الخ).

والثالث: روى عن علي - رضى الله عنه - أنه سمع رجلاً يستغفر لأبويه وهما مشركان، فقال له علي: أتستغفر للمشركين؟ فقال ذلك الرجل: قد استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك، فأتى النبي وأخبره بذلك، فأنزل الله تعالى هذه الآية: (ما كان للنبي... الخ).

### والصحيح

أن التحريف والتغيير في الحقائق الحقة والجليّة أمر متبع ومعتاد عليه بحسب المصالح والأطماع الدنيوية للذين اشتروا الدنيا بالآخرة، لاسيما وأن التاريخ كان قد عاش وترعرع في أحضان السياسة الأموية والتي طالما سعت وأجهدت نفسها وشمرت عن ساعدها في دفن وإطفاء النور الإلهي ولكن أبي الله إلا أن يتمم نوره.

ص: 88

وعليه فإن سيرة آمنة بنت وهب بما فيها أقوالها وأعمالها عند الفريقين تكذب هذا الافتراء جملة وتفصيلاً، وهي لم تكن أقل شأنًا من أمهات الأنبياء في الطهارة والاصطفاء، وقد ذكر القرآن أمثلة على ذلك، منها: أم نبي الله إسماعيل عليه السلام هاجر حيث يتحدث عنها القرآن بقوله تعالى: (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ). (1) ومنها: ما ذكره سبحانه وتعالى عن أم نبي الله موسى عليه السلام وكيف أوحى لها وألهمها طريق النجاة لها ولولدها بقوله تعالى: (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) 2. ومنها: ما كشف عن مكانة أم نبي الله عيسى عليه السلام بقوله تعالى: (وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ). (2) بالإضافة إلى كل ذلك ما ورد عند الفريقين عن النبي الأكرم والأئمة عليهم السلام في التأكيد على طهارتها وشدة إيمانها، والتي منها: ما ورد عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلتق أبواي قط على سفاح لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفىً مهذباً لا تشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما (3). وقد تقدمت بعض

ص: 89

1- (1) القصص: 7.

2- (3) آل عمران 42.

3- (4) الدر المنثور، جلال الدين السيوطي، ج 3 ص 294.

الروايات في هذا المجال. مع أنه لو كانت مشرقة كيف جوز الله للنبي ولغيره زيارتها، والبكاء عليها، فالآية بسياقها ودلالاتها بعيدة عن هذا التصور ولكن العدو أعمى البصر والبصيرة وغفل أو أغفل نفسه عن كل التناقضات الواضحة، وذلك لغاية في قلب يعقوب.

أما شأن نزول هذه الآية: هو أن المسلمين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله ألا نستغفر لأبائنا الذين ماتوا في الجاهلية وكانوا مشركين؟ فأنزل الله هذه الآية، قوله تعالى: (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ) ويبيّن أنه لا ينبغي لنبي ولا لمؤمن أن يدعو لكافر ويستغفر له. (1)

ويؤيده ما ذكره السمعاني في القول الثالث، من أن علياً عليه السلام سمع رجلاً يستغفر لأبويه وهما مشركان، فقال له علي: أتستغفر للمشركين؟ فقال (ذلك الرجل): قد استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك فأتى النبي وأخبره بذلك، فأنزل الله تعالى هذه الآية: (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ) : أي ما كان ذلك يا محمد إلا بأمر مني، الله عليه وآله.

وقد ورد عن الحسن البصري في قوله تعالى: (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ) : أي ما كان ذلك يا محمد إلا بأمر مني، فلما أمره أن يقول: (وَقُلْ رَبِّ اذْحَمُّهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) علمنا أن الله أمره (2). كما سيأتي التفصيل إن شاء الله في طهارة آباء النبي صلى الله عليه وآله.

ص: 90

1- (1) تفسير مجمع البيان، الطبرسي ج 5 ص 132.

2- (2) الدر النظيم، ابن حاتم العاملي، ص 27.



إشارة

وهي حليلة بنت أبي ذؤيب عبد الله بن الحارث بن شحنة بن جابر بن رزام ابن ناصرة بن فُصَيَّة بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس بن غيلان(1). ينتهي نسبهم إلى نزار وهو أحد أجداد النبي صلى الله عليه وآله، له أربعة أولاد ذكور: مضر وربيعة وأنار وأياد، وتجتمع قبائل مضر في قيس وخنندف.

وقبرها بالبقيع، وقد هُدمت قبتها كغيرها من مشاهد الأئمة والصالحين(2).

والسبب في إعطائه للمرضعة، كما هو المعتاد عن الأشراف في مكة كانوا يسلمون أولادهم الرضع إلى المراضع اللواتي كن يقصدن مكة في سنى العجاف، وذلك ليكتسب الشجاعة والنطق بالكلمات، وأيضا الحفاظ عليه من الوباء والأمراض التي كانت تتعرض لها مكة بسبب الوفود التي كانت تلتقى فيها من جميع أنحاء شبه الجزيرة، وفي نفس الوقت إنّ جو الصحراء يساعد على صفاء الفطرة ونمو الأعضاء ويزود الجسم بالقوة والمناعة، فهذا من شيم العرب وأخلاقهم إذا ولد لهم وُلِدَ يلتمسون له مرضعة في غير قبيلتهم ليكون أنجب للولد وأفصح له.

ص: 91

1- (1) السيرة النبوية، ابن هشام، ج 1 ص 186.

2- (2) أنظر: العقد الفريد، ج 3 ص 251.

وقيل لأنهم كانوا يرون أنه عار على المرأة أن ترضع ولدها. أى تستقل برضاعه ويدل للأول ما جاء أنه صلى الله عليه وآله كان يقول لأصحابه أنا أعربكم أى أفصحكم عربية أنا قرشى واسترضعت فى بنى سعد(1).

وجاء أن أبا بكر لما قال للنبي صلى الله عليه وآله ما رأيت أفصح منك يا رسول الله فقال له ما يمنعنى وأنا من قريش وأرضعت من بنى سعد، فهذا كان يحمله على دفع الرضعاء إلى المراضع الأعرابيات ومن ثم نقل عن عبد الملك بن مروان أنه كان يقول أضربنا حبّ الوليد يعنى ولده لأنه لمحبته له أبقاه مع أمه فى المصر ولم يسترضعه فى البادية مع الأعراب فصار لحاناً لا عربية له وأخوه سليمان استرضع فى البادية مع الأعراب فصار عربياً غير لحان(2).

وحليمة السعدية مرضعة الرسول من المخدرات المعروفة بالعفاف والشرف والحياء، وكانت وسيطة فى بنى سعد كريمة من كرائم قومها لذلك اختار الله تعالى إياها لرضاعة نبيه كما اختار له شرف البطون والأصلاب والرضاعة كالنسب لأنه يغير الطباع. ورد عن عائشة ترفعه: لا تسترضعوا الحمقى فإن اللبن يورث(3).

وأيضاً هى من البيوتات ذات الاسم والسمة المعروفة بين قبائل تهامة والحجاز، والموصوفة بالنجابة والطهر، والداخله فى زمرة النساء الكريمات العظيمات ذوات العز والشأن، وكانت حليمة مشهورة بين العرب بكمال الجود

ص:92

---

1- (1) أنظر: الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، ج 1 ص 113.

2- (2) السيرة الحلبية، الحلبي، ج 1 ص 146.

3- (3) السيرة النبوية، ابن هشام، ج 1 ص 188.

وتمام الشرف.

يروى عندما جاءت حليلة ابنة عبد الله أم النبي صلى الله عليه وآله من الرضاعة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقام إليها وبسط لها رداءه فجلست عليه(1).

وروى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: إن الله خلق الخلق فجعلني في خير خلقه، وجعلهم فرقاً فجعلني في خيرهم فرقة، وجعلهم قبائل فجعلني في خير قبيلة، وجعلهم بيوتاً فجعلني في خير بيت، فأنا خيركم بيتاً، وخيركم نسباً. وقال: أنا ابن الفواطم والعواتك من سليم، واسترضعت في بني سعد.

وقال: نزل القرآن بأعرب اللغات، فلكل العرب فيه لغة، ولبنى سعد بن بكر سبع لغات، وبنو سعد بن بكر بن هوازن أفصح العرب فهم من الأعجاز، وهي قبائل من مضر متفرقة(2).

### زوج حليلة السعدية

هو الحارث بن عبد العزى بن رفاعة بن ملان بن ناصرة بن قُصيّة بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن السعدى.

وقد قدم مكة ودخل على رسول الله صلى الله عليه وآله حين أنزل عليه القرآن، فقالت له قريش ألا تسمع ما يقول ابنك هذا، فقال: ما يقول؟ قالوا: يزعم أنّ الناس يبعثون بعد الموت وأنّ لله دارين يعذب فيهما من عصاه ويكرم فيهما من أطاعه، فقد شئت أمرنا وفرق جماعتنا، فأتاه فقال: أى بنى ما هذا الذى تقول؟ قال: نعم لو قد كان ذلك اليوم

ص:93

1- (1) الإصابة، ابن حجر، ج 8 ص 87.

2- (2) أنظر: العقد الفريد، ج 3 ص 250.

أخذت بيدك حتى أعرفك حديثك اليوم، فأسلم الحارث بعد ذلك وحسن إسلامه وكان يقول لو قد أخذ ابني بيدي لم يرسلني حتى يدخلني الجنة(1).

## 2 - ثوبية

وكانت ثوبية مولاة أبي لهب بن عبد المطلب أرضعته أيضا بلبن ابنها مسروح، وذلك قبل أن تقدم حليلة، وكانت قد أرضعت ثوبية قبله حمزة بن عبد المطلب عمه، فلذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله لابنة حمزة: إنها ابنة أخي من الرضاعة، وكان حمزة أسن من رسول الله صلى الله عليه وآله بأربع سنين(2).

توفيت سنة سبع بعد مرجعه من خيبر، فقال: ما فعل ابنها مسروح؟ قالوا: مات قبلها. وكانت خديجة تكرمها، وطلبت شراءها من أبي لهب فامتنع(3).

## طهارة آباء النبي صلى الله عليه وآله

### علماء السنة على ثلاثة آراء

أختلف علماء جمهور السنة في مسألة إيمان آباء النبي الخاتم صلى الله عليه وآله، إلى ثلاثة آراء.

الرأى الأول: ذهبوا فيه إلى طهارة وإيمان آباء النبي صلى الله عليه وآله، كما نقل عن السيوطي أنه قال في كتابه (مسالك الخلفاء) في والدى المصطفى: إني استقرأت

ص: 94

1- (1) الإصابة، ابن حجر، ج 1 ص 676.

2- (2) أنظر: مستدرک سفينة البحار، الشيخ النمازی، ج 4 ص 145. وبحار الأنوار، العلامة المجلسی، ج 15 ص 281.

3- (3) تاریخ الإسلام، الذهبي، ج 2 ص 445.

أمّهات الأنبياء فلم أجد فيهن إلا مؤمنة ماتت على الإيمان(1). وذهب القرطبي والدمياطي وابن حجر وعلماء آخرون من أهل الخلاف إلى مذهب السيوطي، وماتوا على هذا المذهب(2).

فقد نقل عن أبي حيان الأندلسي أنه قال: ذهبت الرافضة إلى أن آباء النبي صلى الله عليه وآله كانوا مؤمنين، أما غير الامامية، فذهب أكثرهم إلى كفر والدي النبي صلى الله عليه وآله وغيرهما من آباءه صلى الله عليه وآله، وذهب بعضهم إلى إيمانهم. وممن صرح بإيمان عبد المطلب، وغيره من آباءه صلى الله عليه وآله، المسعودي، واليعقوبي، وهو ظاهر كلام الماوردي، والرازي في كتابه أسرار التنزيل، والسنوسي، والتلمساني محشى الشفاء، والسيوطي، وقد ألفت هذا الأخير عدة رسائل لإثبات ذلك. وفي المقابل قد ألفت بعضهم رسائل لإثبات كفرهم، مثل إبراهيم الحلبي، وعلى القاري الذي فصل ذلك في شرح الفقه الأكبر، واتهموا السيوطي بأنه متساهل، لا عبرة بكلامه، ما لم يوافقهم كلام الأئمة النقاد(3). حتى أن بعضهم أخذ يأول في أخبار والد نبي الله إبراهيم عليه السلام حتى انتهى إلى إيمانه كما هو الحق عندنا. فعن محمد بن كعب القرظي أنه قال: الخال والد والعم والد وتلا الآية: (قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)4. وفي الخبر

«ردوا على أبي العباس»، وأيد بعضهم دعوى أن أبا إبراهيم عليه السلام الحقيقي

ص: 95

1- (1) حاشية البحار، ج 15 ص 118.

2- (2) الخصائص الفاطمية، الشيخ محمد باقر الكجوري، ج 2 ص 59.

3- (3) الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، السيد جعفر مرتضى، ج 2 ص 187.

لم يكن كافراً وإنما الكافر عمه بما أخرجه ابن المنذر في تفسيره بسند صحيح عن سليمان بن صرد قال: لما أرادوا أن يلقوا إبراهيم عليه السلام في النار جعلوا يجمعون الحطب حتى إن كانت العجوز لتجمع الحطب فلما تحقق ذلك قال: حسبى الله تعالى ونعم الوكيل فلما ألقوه قال الله تعالى: (قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ) فكانت، فقال عمه من أجل دفعه عنه فأرسل الله تعالى عليه شرارة من النار فوقعت على قدمه فأحرقته (1).

الرأى الثانى: هو ما يختلف تماماً عن الرأى الأول حيث قالوا بكفر آباء النبى صلى الله عليه وآله، فقد ذكر الفخر الرازى فى التفسير الكبير، أنه قال: أن والدى رسول الله كانا كافرين، وذكر أن نص الكتاب يدل على أن آزر كان كافراً، وكان والد إبراهيم الخليل. فيقول: واعلم أن الرفضة ذهبوا إلى أن آباء النبى صلى الله عليه وآله كانوا مؤمنين وتمسكوا فى ذلك بهذه الآية وبالخبر، أمّا هذه الآية فقالوا: قوله تعالى: (وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ) 3 يحتتمل الوجوه التى ذكرتم ويحتتمل أن يكون المراد أن الله تعالى نقل روحه من ساجد إلى ساجد كما نقوله نحن، وإذا احتتمل كل هذه الوجوه وجب حمل الآية على الكل ضرورة أنه لا منافاة ولا رجحان، وأمّا الخبر فقوله صلى الله عليه وآله:

«لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات» وكل من كان كافراً فهو نجس لقوله تعالى: (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ

ص: 96

نَجَسٌ) 1 قالوا: فإن تمسكتم على فساد هذا المذهب بقوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ) قلنا الجواب عنه أن لفظ الأب قد يطلق على العم كما قال أبناء يعقوب له: (نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ) فسموا إسماعيل أباً له مع أنه كان عمّاً له، وقال صلى الله عليه وآله:

«ردوا على أبي» يعنى العباس، ويحتمل أيضاً أن يكون متخذاً الأصنام، أب أمه؛ فإن هذا قد يقال له الأب قال تعالى: (وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَ سُلَيْمَانَ) إلى قوله تعالى: (وَ عِيسَى) فجعل عيسى من ذرية إبراهيم مع أن إبراهيم كان جده من قبل الأم.

واعلم إننا تمسك بقوله تعالى: (لَأَبِيهِ آزَرَ) وما ذكره صرف للفظ عن ظاهره، وأمّا حمل قوله: (وَ تَقَلَّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ) على جميع الوجوه فغير جائز لما بينا أن حمل المشترك على كل معانيه غير جائز، وأمّا الحديث فهو خبر واحد فلا يعارض القرآن (1).

وأشار إلى ذلك الألوسى فى تفسيره حيث يقول: والذى عول عليه الجهم الغفير من أهل السنة أن (أازر) لم يكن والد إبراهيم عليه السلام وادعوا أنه ليس فى آباء النبى صلى الله عليه وآله كافر أصلاً لقوله صلى الله عليه وآله:

«لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات والمشركون نجس». وتخصيص الطهارة بالطهارة من السفاح لا دليل له يعول عليه. والعبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب. وقد ألقوا فى هذا المطلب الرسائل واستدلوا له بما استدلووا، والقول بأن ذلك قول الشيعة كما ادعاه

ص: 97

الرأى الثالث: قالوا: بالتوقف والإسك فى مسألة آباء النبى؁ فقد جاء فى فتاوى الأزهر تحريم الإساءة لآباء النبى صلى الله عليه وآله لما فيه إيذاء له صلى الله عليه وآله فتشملة اللعنة.

سئل القاضى أبو بكر بن العربى أحد أئمة المالكية (رحمه الله) عن رجل قال إن آباء النبى صلى الله عليه وآله فى النار فأجاب بأنه ملعون لأن الله تعالى يقول: (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً)2, قال ولا أذى أعظم من أن يقال عن أبيه أنه فى النار وقال الإمام السهيلي (رحمه الله) فى كتاب (الروض الأنف): وليس لنا نحن أن نقول ذلك فى أبويه صلى الله عليه وآله لقوله عليه الصلاة والسلام لا تؤذوا الأحياء بسبّ الأموات والله تعالى يقول: (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا) وقد أمرنا أن نمسك اللسان إذا ذكر أصحابه رضى الله عنهم بشىء يرجع إلى العيب والنقص فيهم.

فلأن نمسك ونكف عن أبويه أحق وأحرى إذا تكرر ذلك فحق المسلم أن يمسك لسانه عما يخل بشرف نسب نبيه عليه الصلاة والسلام بوجه من الوجوه ولا خفاء فى أن إثبات الشرك فى أبويه إخلال ظاهر بشرف نسب نبيه الطاهر، وجملة هذه المسائل ليست من الاعتقادات فلا حظّ للقلب فيها، وأما اللسان فحقه الإسك عما يتبادر منه النقصان خصوصاً عند العامة لأنهم لا يقدرّون على دفعه وتداركه.

ص: 98



ومن ذلك يعلم أن الرجل الذي قال بموت أبوي النبي صلى الله عليه وسلم على الكفر قد أخطأ خطأً بيّناً يَأْتُم ويدخل به فيمن أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن لا يحكم عليه بالكفر؛ لأن المسألة ليست من ضروريات الدين التي يجب على المكلف تفصيلها. هذا هو الحق الذي تقتضيه النصوص وعليه المحققون من العلماء والله أعلم(1).

## الشيعة الإمامية

### إشارة

إنّ ما دلت عليه أخبار الإمامية وغيرها، واشتهر بين الاثني عشرية، أنّ والدي رسول الله صلى الله عليه وآله ماتا على الإيمان الكامل والإسلام الخالص، ولم يتدينا بأديان أهل مكة طرفة عين أبداً، ولم يعبدا إلا الله، كما هو حال سلسلة آباء النبي صلى الله عليه وآله إلى آدم عليه السلام. قال الصدوق في الاعتقادات: اعتقادنا في آباء النبي صلى الله عليه وآله أنهم مسلمون من آدم عليه السلام إلى أبيه (النبي) عبد الله، وأن أبا طالب كان مسلماً، وأمنة بنت وهب أم رسول الله كانت مسلمة. وقال النبي صلى الله عليه وآله:

«إني خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لادن آدم عليه السلام». وقد روى أن عبد المطلب كان حجة وأبو طالب كان وصيه(2).

«لم أزل ينقلني الله من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهرات، حتى أخرجني من عالمكم هذا ولم يدنسني دنس الجاهلية»(3).

ص: 99

1- (1) راجع: فتاوى الأزهر، ج 7 ص 316.

2- (2) أنظر: الاعتقادات في دين الإمامية، الشيخ الصدوق، ص 110.

3- (3) أوائل المقالات، الشيخ المفيد، ص 46.

مشرك لم يصفهم جميعا بالطهارة مع قوله تعالى: (أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ) 1 .

قال أمين الدين الطبرسي في مجمع البيان: أجمعت الطائفة على ذلك. (1)

وقال المجلسي: اتفقت الإمامية على أنّ والدي الرسول صلى الله عليه وآله وكل أجداده إلى آدم صلى الله عليه وآله كانوا مسلمين، بل كانوا من الصديقين، أو أوصياء معصومين. ولعل بعضهم لم يُظهِر الإسلام لمصلحة دينية ولتقية (2).

وفي الحديث المعتبر عند الفريقين: «نزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا محمد إن الله عز وجل: قد شفّعك في خمسة: في بطن حملك وهي أمّنة بنت وهب بن عبد مناف، وفي صلب أنزلك وهو عبد الله بن عبد المطلب وفي حجر كفلك، وهو عبد المطلب بن هاشم، وفي بيت آواك وهو عبد مناف بن عبد المطلب أبو طالب، وفي أخ كان لك في الجاهلية، قيل: يا رسول الله من هذا الأخ؟ فقال: كان انسى وكنت انسه، وكان سخياً يطعم الطعام. واسم هذا الأخ الجلاس بن علقمة» (3).

وفي حديث علل الشرائع: إن الله شفّعك في خمسة منها: في حجر كفلك وفي بيت آواك، والمراد من الحجر عبد المطلب ومن البيت عبد مناف بن عبد المطلب. والنبي صلى الله عليه وآله لا يشفع للمشرك.

ص: 100

1- (2) أنظر: تفسير مجمع البيان، الطبرسي، ج 4 ص 90.

2- (3) البحار، المجلسي، ج 15 ص 117.

3- (4) أنظر الخصال، الشيخ الصدوق، ص 293.

وفى تهذيب الأحكام عن صفوان الجمال عن الصادق عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله قال: إنى مستوهب من ربي أربعة وهو واهبهم لى إن شاء الله تعالى: آمنة بنت وهب، وعبد الله بن عبد المطلب، وأبو طالب، ورجل من الأنصار جرت بينى وبينه ملححة(1). والرسول صلى الله عليه وآله لا يستوهب مشركاً وينجيه من النار. ولعل الرجل هو (خلاص بن علقمة)، والملححة: إما أن تكون (الحلف) أو أكل الملح، أى أنه صلى الله عليه وآله أكل من زاده وملححه. وأيضاً من أدلتنا معاشر الشيعة على طهارة آباء النبي صلى الله عليه وآله وأجداده من كتاب الله قوله تعالى: (الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ \* وَ تَقَلُّبِكَ فِي السَّاجِدِينَ)2 أى أنه كان ينقل روحه من ساجد إلى ساجد، فالآية دالة على أن جميع آباء النبي صلى الله عليه وآله كانوا مسلمين مؤمنين: عبد المطلب وهاشم وعبد مناف وغيرهم.

ومعنى ذلك: هو أنه ليس فى آباء الرسول صلى الله عليه وآله إلا الخير والبركة، وهذا هو ما ورثه الرسول عنهم، ويتأكد بذلك طهارته صلى الله عليه وآله من الأرجاس، والرذائل، حتى ما يكون عن طريق الوراثة، والناس معادن كمعادن الذهب والفضة، وهو ما أثبتته العلم الحديث أيضاً، حيث لم يبق ثمة أية شبهة فى تأثير عامل الوراثة فى تكوين شخصية الإنسان، وفى خصاله ومزياه.

### محاولة فاشلة

ذكر ابن أبى الحديد احتمالاً لإثبات خيالات أبناء جنسه، فقال: إذا تعارض الجرح والتعديل، فالترجيح لجانب الجرح؛ لأن الجرح قد اطلع على زيادة

ص:101

---

1- (1) قرب الإسناد، الحميرى القمى، ص 56.

لم يطلع عليها المعدل ولا شهادة على النفي (1).

## والجواب

أولاً: إننا نقول إن أخبارنا وصلت حد الاستفاضة، وما تروونه من أن أبا طالب قال عند موته: «أنا على دين الأشياخ» فالمقصود من الأشياخ آباؤه الكرام وأجداده العظام، وعلى هذا فلا تعارض بين الدليلين لتصل النوبة إلى الجرح والتعديل وتقديم الجرح على المعدل.

وثانياً: من البديهي عدم إمكان إثبات كفر والدي الرسول وأبي طالب من ظاهر قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَزْرًا) لأن آزر كان عمه ولم يكن أباه الواقع في عمود النسب النبوي، وإطلاق الأب على العم لغة مستعملة عند العرب إلى يومنا هذا، كما أنهم يطلقون الأم على الخالة.

وثالثاً: إن ابن أبي الحديد نفسه قال أنه سأل شيخه النقيب يحيى بن أبي زيد فقال: قد نقل الناس كافة عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: نقلنا من الأصحاب الطاهرة إلى الأرحام الزكية، فوجب بهذا أن يكون آباؤه كلهم منزهين عن الشرك، لأنهم لو كانوا عبدة أصنام لما كانوا طاهرين (2).

## خلاصة الأدلة على إيمان آباء النبي صلى الله عليه وآله

### إشارة

أولاً: هناك روايات كثيرة تدل على إيمان آباءه صلى الله عليه وآله، بالإضافة إلى إجماع

ص: 102

1- (1) شرح النهج، ابن أبي الحديد، ج 14 ص 49.

2- (2) شرح النهج، ج 14 ص 38.

الطائفة المحقة، وهذا الإجماع وإن كان معلوم المستند، فلا بد من النظر إلى مستنده نفسه، ومستند ذلك هو الأخبار. والإحاطة بجميعها متعسر، إن لم يكن متعذرا. وهذا هو الدليل المعتمد (1).

من تلك الأخبار قوله صلى الله عليه وآله:

«لم يزل ينقلني الله من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهرات، حتى أخرجني في عالمكم، ولم يدنسني بدنس الجاهلية» (2). ولو كان في آباءه صلى الله عليه وآله كافر، لم يصفهم كلهم بالطهارة، مع قوله تعالى: (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ). وغيرها كثير وقد تقدم بعضها. ومنها: قال صلى الله عليه وآله:

«فأحبطني الله تعالى إلى الأرض في صلب آدم وجعلني في صلب نوح وقذفني في صلب إبراهيم عليهم الصلاة والسلام ثم لم يزل ينقلني من الأصلاب الكريمة والأرحام الطاهرة حتى أخرجني من بين أبوي لم يلتقيا على سفاح قط» (3).

ومنها: عن الأصبع بن نبأته قال: سمعت علياً عليه السلام يقول:

والله ما عبد أبي، ولا جدى عبد المطلب، ولا هاشم، ولا عبد مناف صنماً قط. قيل: وما كانوا يعبدون؟ قال:

كانوا يصلون إلى البيت، على دين إبراهيم، متمسكين به (4).

ثانياً: الآيات القرآنية منها قوله تعالى: (الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ \* وَتَقَلُّبِكَ

ص: 103

1- (1) راجع الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، السيد جعفر مرتضى، ج 2 ص 189.

2- (2) أوائل المقالات، الشيخ المفيد، ص 46.

3- (3) السيرة الحلبيية، الحلبي، ج 1 ص 49.

4- (4) الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندى، ج 3 ص 1074.

فِي السَّاجِدِينَ)1 . وقد روى عن ابن عباس، وأبي جعفر، وأبي عبد الله عليهما السلام: أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمْ يَزَلْ يَنْقَلُ مِنْ صَلْبِ نَبِيِّ إِلَى نَبِيٍّ حَتَّى صُرْتُ نَبِيًّا(1). والروايات صريحة في تفسير هذه الآية وقد تقدم بعضها.

ومنها: حكاية قوله تعالى لقول إبراهيم وإسماعيل: (رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)3 ، مع قوله تعالى: (وَاجْعَلْهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)4 ، أي في عقب إبراهيم، فيدل على أنه لا بد أن تبقى كلمة الله في ذرية إبراهيم، ولا يزال ناس منهم على الفطرة يعبدون الله تعالى حتى تقوم الساعة. ولعل ذلك استجابة منه تعالى لدعاء إبراهيم الذي قال: (وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ) وقوله: (رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِي) .

ثالثاً: أمر الإمام الصادق في الطواف لأبائه النبي صلى الله عليه وآله وصلاة ركعتين، كما ورد في الكافي عن داود الرقي قال: دخلت على أبي عبد الله صلى الله عليه وآله ولي على رجل مال قد خفت تواه فشكوت إليه ذلك فقال لي:

«إِذَا صُرْتَ بِمَكَّةَ فَطَفَّ عَنْ عَبْدِ الْمُطَلِّبِ طَوْفَاً وَصَلَّ رَكَعَتَيْنِ عَنْهُ وَطَفَّ عَنْ أَبِي طَالِبٍ طَوْفَاً وَصَلَّ رَكَعَتَيْنِ عَنْهُ وَطَفَّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ طَوْفَاً وَصَلَّ عَنْهُ رَكَعَتَيْنِ وَطَفَّ عَنْ أَمْنَةَ طَوْفَاً

ص:104

---

1- (2) مجمع الزوائد، الهيثمي، ج 8 ص 214. قال ورجاله ثقات، الطبراني في المعجم الكبير، ج 11 ص 287.

وصلَّ عنها ركعتين وطف عن فاطمة بنت أسد طوافاً وصلَّ عنها ركعتين ثم ادع أن يرد عليك مالک»، قال: ففعلت ذلك ثم خرجت من باب الصفا وإذا غريمى واقف يقول: يا داود حبستنى تعال أقبض مالک(1).

فلو كانوا مشركين كيف يأمر الإمام الصادق عليه السلام بذلك، بل نفهم من ذلك أن لهم خصوصيات زائدة على الأيمان ومكانة عالية عند الله.

## استغفار إبراهيم عليه السلام لأبيه

### إشارة

وقد اعترض على القائلين بإيمان جميع آبائه صلى الله عليه وآله إلى آدم، بأن القرآن الكريم ينص على كفر (آزر) أبى إبراهيم، قال تعالى: (وَ مَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِتَاءَ فَلَئِمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ)2. فيلزم من هذا خرم للقاعدة، فى أن سلسلة آباء النبى صلى الله عليه وآله إلى آدم كانوا على الإيمان والطهر، حيث أن والد نبى الله إبراهيم عليه السلام (الذى هو من سلسلة آباء النبى صلى الله عليه وآله) لم يكن على ملة الإسلام وإتّما كان من المشركين كما فى هذه الآية، فعليه لا يصح القول إن جميع آباء النبى صلى الله عليه وآله كانوا مؤمنين.

### والجواب

أولاً: إن اسم (آزر) الذى فى الآية ليس أباً لإبراهيم عليه السلام وإنما عمه، أو جده لأمه، على اختلاف النقل واسم أبيه الحقيقى: (تارخ) وإتّما أطلق عليه لفظ الأب توسعاً، وتجوزاً، وهذا كقوله تعالى: (أُمُّ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ

ص: 105

الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ(1) . فعد فيهم إسماعيل، وليس من آبائه، ولكنه عمه(1). يؤيده ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

آزر كان عم إبراهيم، منجماً لنمرود(2).

وثانياً: إن استغفار إبراهيم لأبيه قد كان في أول عهده وفي شبابه، مع أننا نجد أن إبراهيم عليه السلام حين شيخوخته، وبعد أن رزق أولاداً، وبلغ من الكبر عتياً يستغفر لوالديه، قال تعالى حكاية عنه: (رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ)4 قال هذا بعد أن وهب الله له على الكبر إسماعيل وإسحاق حسب نص الآيات الشريفة. ومن الواضح: أن بين الوالد والأب فرقاً، فإن الأب يطلق على المربي وعلى العم والجد، أما (الوالد) فإنما يخص الوالد بلا واسطة. فالاستغفار هنا في الآية إنما كان للوالد، أما في الآية: (وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ...) الخ فكان للأب الذي هو غير والده.

### إشكال وجواب

روى مسلم وغيره: أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وآله: أين أبي؟ فقال: في النار. فلما قفا دعاه، وقال له: إن أبي وأباك في النار(3).

ص: 106

1- (2) راجع: الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، السيد جعفر مرتضى، ج 2 ص 189.

2- (3) راجع: تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، ج 7 ص 207.

3- (5) صحيح مسلم، ج 1 ص 133. وسنن أبي داود، ج 2 ص 417.



أولاً: إنَّ هذا غير صحيح لما تقدم. وهو ما يدل على إيمان جميع آباءه صلى الله عليه وآله. وأن أنوارهم محفوظة: يعنى حفظها الله عز وجل عن أقدار الجاهلية وأنجاسها وأدناس الضلالة وأرجاسها بأن لم يودعها إلا الأصلاب الطاهرة والأرحام المطهرة، فإن اعتقادنا كما عليه الإجماع، بل الضرورة أن آباءهم الذين استودعوا تلك الأمانة الإلهية من الخاتم إلى آدم، كانوا بأجمعهم مؤمنين طاهرين، لم يشركوا بالله تعالى طرفة عين، وكذلك أمَّهاتهم اللاتي استودعن تلك الأمانة كما فى الزيارة (لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسك من مدلهمات ثيابها). وكما ورد عن الصادق عليه السلام قال: إن الله كان إذ لا كان فخلق الكان والمكان وخلق الأنوار وخلق نور الأنوار الذى نورت منه الأنوار، وأجرى فيه من نوره الذى نورت منه الأنوار، وهو النور الذى خلق منه محمداً وعلياً، فلم يزالا نورين أولين إذ لا شىء كون قبلهما، فلم يزالا يجريان طاهرين مطهرين فى الأصلاب الطاهرة حتى افترقا فى أطهر طاهرين فى عبد الله وأبى طالب (1).

وفى الاحتجاج عن الصادق عليه السلام فى جواب مسائل الزنديق، قال عليه السلام: وأخرج من آدم نسلأ طاهراً طيباً، أخرج منه الأنبياء والرسل، هم صفوة الله وخالص الجوهر، طهروا فى الأصلاب وحفظوا فى الأرحام، ولم يصبهم سفاح الجاهلية ولا شاب أنسابهم؛ لأن الله تعالى جعلهم فى موضع لا يكون أعلى درجة وشرفاً منه، فمن كان خازن علم الله، وأمين غيبه، ومستودع سره، وحجة على

ص: 107

خلقه، وترجمانه، ولسانه لا يكون إلا بهذه الصفة، فالحجة لا يكون إلا من نسلهم، يقوم مقام النبي صلى الله عليه وآله في الخلق. (1)

وثانياً: لقد روى هذه الرواية حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس. مع أننا نجد: أنّ معمرًا قد روى نفس هذا الحديث عن ثابت عن أنس، ولكن بنحو آخر لا يدل على كفر أبيه صلى الله عليه وآله، فقد قال له صلى الله عليه وآله: (حيثما - أو إذا - مررت بقبر كافر فبشره بالنار). وقد نص علماء الجرح والتعديل (من أصحاب هؤلاء الرواة) على أن معمرًا أثبت من حماد. وأن الناس قد تكلموا في حفظ حماد، ووقع في أحاديثه مناكير، دسها ربيعة في كتبه، وكان حماد لا يحفظ، فحدث بها، فوهم فيها (2).

وثالثاً: لقد رويت هذه الرواية بسند صحيح على شرط الشيخين عن سعد بن أبي وقاص، وجاء فيها: حيثما مررت بقبر مشرك فبشره بالنار. وكذا روى عن الزهري، بسند صحيح أيضاً. وهذا نص الرواية: حدثنا محمد بن إسماعيل بن البختری الواسطي، حدثنا يزيد بن هارون، عن إبراهيم بن سعد، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه، قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إنَّ أبي كان يصل الرحم، وكان وكان. فأين هو؟ قال صلى الله عليه وآله: (في النار)، قال فكأنه وجد من ذلك. فقال: يا رسول الله فأين أبوك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله «حيثما مررت بقبر مشرك، فبشره بالنار» قال فأسلم الأعرابي، بعد. وقال: لقد كلفني رسول الله صلى الله عليه وآله

ص: 108

1- (1) الاحتجاج، ج 2 ص 78.

2- (2) راجع الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، السيد جعفر مرتضى، ج 2 ص 192.

تعباً. ما مررت بقبر كافر إلا بشرته بالنار. وفي الزوائد: إسناد هذا الحديث صحيح (1).

وقد رفض الجمهور ما جاء في المستدرک، أنّ رجلاً من الأنصار جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال يا رسول الله إنّ أُمَّنا تحفظ على البعل وتكرم الضيف وقد أدت في الجاهلية فأين أُمَّنا قال أمكما في النار، فقاما وقد شق ذلك عليهما فدعاهما رسول الله صلى الله عليه وآله فرجعا فقال: إنّ أُمى مع أمكما (2).

حتى أنّ الحلبي وغيره قد أسقطوه، فقال: يجوز أن يكون قوله لشخصين أُمى وأمكما في النار على تقدير صحته التي ادعاها الحاكم في المستدرک كان قبل إحيائها وإيمانها به كما تقدم، نظير ذلك في أبيه صلى الله عليه وسلم. وقولنا على تقدير صحة الحديث إشارة لما تقرر في علوم الحديث أنه لا يقبل تفرد الحاكم بالتصحيح في المستدرک لما عرف من تساهله فيه في التصحيح وقد بين الذهبى ضعف هذا الحديث وحلف على عدم صحته يمينا (3).

ص: 109

---

1- (1) سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني، ج 1 ص 501. ومجمع الزوائد، ج 1 ص 118.

2- (2) المستدرک، الحاكم النيسابوري، ج 2 ص 364.

3- (3) راجع: السيرة الحلبيّة، الحلبي ج 1 ص 174.



## الفصل الثاني: فاطمة بنت أسد أم الإمام عليّ عليهما السلام

إشارة

ص: 111



هى السيدة فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وهو من أولاد نبي الله إسماعيل عليه السلام.

وإنها أول هاشمية ولدت لهاشمى (1)، حيث لم يكن فى زمانها هاشمى ابن هاشميين إلا أولادها، ثم أولاد على عليهم السلام، وهى تكون بنت عم أبى طالب عليه السلام زوجها (عبد مناف بن عبد المطلب)، حيث أنّ عبد المطلب بن هاشم (الذى هو والد أبى طالب) وأسّد إخوان. كما نفهم منه أيضا قربها من النبي صلى الله عليه وآله حيث أنّ أباهما أسد أخ لجد النبي صلى الله عليه وآله كما هو واضح، فهى بنت عم والد النبي صلى الله عليه وآله، وهو عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، فتجتمع مع النبي صلى الله عليه وآله فى هاشم من جهة الأب.

وأما أمها: فهى فاطمة بنت هرم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص بن

ص: 113

عامر بن لؤى(1). وتلتقى فاطمة بنت أسد بنسب النبي صلى الله عليه وآله من جهة الأم في لؤى, وهو الجد السابع لها من قبل أمها. وأمّا إخوانها: حنين بن أسد, وخالدة بنت أسد.

ومحل ولادة السيدة فاطمة بنت أسد عليها السلام في مكة المكرمة, حدودا في سنة (61 قبل الهجرة), ومدة عمرها ما يقارب (65 سنة), وفي رواية (60 سنة) ورواية أخرى (70 سنة)(2). وقد توفيت سنة (4 بعد الهجرة النبوية), كما سيأتى بيانه إن شاء الله تعالى.

## إيمانها بالله والرسول

لم يكن إيمان فاطمة بنت أسد متأخراً كما هو شأن عوام الناس بعد البعثة, بل كان أمره سابقاً حتى على ولادة النبي صلى الله عليه وآله بحسب مقتضيات الأسرة الهاشمية ودينها بإيمانهم بالحنيفية الإبراهيمية, وبمجيء البعثة المحمدية, وهو أمر واضح عند أدنى نظرة في سيرتها المباركة الخالدة, وقد كشف لنا النبي صلى الله عليه وآله مدى إخلاصها وإيمانها قبل مجيء الإسلام, حيث يقول: «رحمك الله يا أمى كنت أمى بعد أمى تجوعين وتشبعينى وتعرين وتكسينى وتمنعين نفسك طيباً وتطعمينى تريدين بذلك وجه الله والدار الآخرة»(3). فكانت خدمتها ورعايتها للنبي صلى الله عليه وآله في وقت سابق على البعثة بدافع إيماني مرسخ بالإخلاص والتقرب لله تعالى, ويظهر مدى إيمانها السابق أيضاً ما جرى على لسانها في حال لجوئها إلى

ص: 114

- 
- 1- (1) مقاتل الطالبين, أبو فرج الأصفهاني, ص 3.
  - 2- (2) راجع: كتاب كاروانى با سيزده كجاوه, ص 44.
  - 3- (3) المعجم الأوسط, الطبراني, ج 1 ص 67.



الكعبة الشريفة لا غير فى مخاضها بسيد الوصيين أمير المؤمنين حيث قالت: رب إني مؤمنة بك وبما جاء من عندك من رسل وكتب، وإني مصدقة بكلام جدى إبراهيم الخليل عليه السلام، وإنه بنى البيت العتيق... وهكذا إلى آخر حياتها، لاسيما بعد البعثة المباركة، وظهور ما كان راسخاً فى أذهانهم ومتشرباً فى عقائدهم، فقد كشفت لنا جملة من النصوص مدى ذوبانها بالإسلام، فعن عبد الله ابن يسار، عن جعفر بن محمد عليه السلام قال: كانت فاطمة بنت أسد أم على بن أبى طالب حادية عشرة، يعنى فى السابقة إلى الإسلام، وكانت بدرية(1).

وعن أبى عبد الله عليه السلام

قال: إن فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين كانت أول امرأة هاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من مكة إلى المدينة على قدميها وكانت من أبر الناس برسول الله(2).

وعن جرير بن عبد الحميد عن مغيرة عن إبراهيم، عن الحسن البصرى عن الزبير بن العوام قال: سمعت النبى صلى الله عليه وآله يدعو النساء إلى البيعة حين أنزلت هذه الآية: (يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ)3 . وكانت فاطمة بنت أسد أول امرأة بايعت رسول الله صلى الله عليه وآله. وكانت سالحة وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يزورها ويقبل فى بيتها(3). ولما توفت نزع رسول الله قميصه فألبسها إياه، كما سيأتى بيانه إن شاء الله.

ص:115

- 
- 1- (1) مقاتل الطالبين، ابى فرج الاصفهاني، ص 55.
  - 2- (2) الكافى، الشيخ الكلينى، ج 1 ص 453.
  - 3- (4) الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، ج 8 ص 222.

حظيت فاطمة بنت أسد (أم الأمام أمير المؤمنين عليه السلام) بمكانة عالية عند الله وعند رسوله تمتاز بها عن غيرها من النساء، فيكفيها فخراً أنها كانت أماً لخاتم النبيين وأماً لسيد الوصيين، وعليه قد صحبتها كرامات ومعجز يعجز عن تفسيرها الذهن البشري، والتي من حملتها انشقاق جدار البيت العتيق ودخولها فيه، وغيرها، لذلك ظللها النبي صلى الله عليه وآله بما يتناسب وشأنها ومكاتها المعنوية التي تتمتع بها، فقد ورد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين كانت أول امرأة هاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من مكة إلى المدينة على قدميها وكانت من أبر الناس برسول الله صلى الله عليه وآله، فسمعت رسول الله وهو يقول: إن الناس يحشرون يوم القيامة عراة كما ولدوا فقالوا: وأسواتاه، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: فإني أسأل الله أن يبعثك كآسية. وسمعت يذكر ضغطة القبر، فقالت: وأضعفاه، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: فإني أسأل الله أن يكفيك ذلك، وقالت لرسول الله صلى الله عليه وآله يوماً: إني أريد أن أعتق جاريتي هذه، فقال لها: إن فعلت أعتق الله بكل عضو منها عضواً منك من النار، فلما مرضت أوصت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وأمرت أن يعتق خادمها، واعتقل لسانها فجعلت تومي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وإيماء، فقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وصيتها(1).

ويكفيها ما نزل فيها من المدح في القرآن الكريم في قوله تعالى: (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِياماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ

ص: 116

وَ الْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) , إلى قوله: (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتِي بِعَعْضِكُمْ مِّنْ بَعْضٍ) 1 .

فقد ورد الذكر على، والأنتى الفواطم، وهن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وفاطمة بنت أسد، وفاطمة بنت الزبير، (بعضكم من بعض) يقول: على من فاطمة(1).

وروى فى الذخائر أنها توفيت بالمدينة وشهدها النبى صلى الله عليه وآله وتولى دفنها ونزع قميصه وألبسها إياه واضطجع فى قبرها فلما سوى عليها التراب سئل عن ذلك فقال ألبستها لتلبس من ثياب الجنة واضطجعت معها فى قبرها لأخفف عنها من ضغطة القبر إنها كانت أحسن خلق الله صنيعاً إلى بعد أبى طالب(2).

وبالجملة، جلالة فاطمة بنت أسد يعلم من ولادتها أمير المؤمنين عليه السلام فى جوف الكعبة، وأنها كانت من السابقات إلى الإيمان، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يكرمها ويعظمها ويدعوها أُمى.

وروى أنها لما ماتت بكى عليها النبى صلى الله عليه وآله وكفنها بثيابه، وصلى عليها، وكبر عليها أربعين تكبيرة، وقد صلى عليها صلاة لم يصل قبلها ولا بعدها على أحد مثلها ودخل فى قبرها وتمدد فيه. كما سيأتى بيانه إن شاء الله.

ص: 117

1- (2) الأمالى، الشيخ الطوسى، ص 471.

2- (3) أنظر: ذخائر العقبى، أحمد بن عبدالله الطبرى، ص 56. مجمع الزوائد، الهيثمى، ج 9 ص 257.

حازت فاطمة بنت أسد على هذا اللقب العظيم (أم النبي) والذي يكشف عن مدى إيمانها وعظم مكانتها عند الله ورسوله؛ وذلك لرعايتها واهتمامها برسول الله صلى الله عليه وآله. لذلك: عندما سئل النبي صلى الله عليه وآله عن اهتمامه في تجهيز ودفن فاطمة بنت أسد والذي لم يسبق له نظير، قال: إن أبي هلك وأنا صغير فأخذتني هي وزوجها فكانا يوسعان عليّ ويؤثراني على أولادهما فأحببت أن يوسع الله عليها قبرها. (1)

ويؤكد هذا ما ذكره الحاكم في مستدركه، عن علي عليه السلام قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم كفنها رسول الله صلى الله عليه وآله في قميصه وصلى عليها وكبر عليها سبعين تكبيرة ونزل في قبرها فجعل يومى في نواحي القبر كأنه يوسعه ويسوى عليها وخرج من قبرها وعيناه تذرفان وحثا في قبرها فلما ذهب قال له عمر بن الخطاب رضى الله عنه يا رسول الله رأيتك فعلت على هذه المرأة شيئاً لم تفعله على أحد فقال يا عمر إن هذه المرأة كانت أمى التى ولدتنى إن أبا طالب كان يصنع الصنيع وتكون له المأدبة وكان يجمعنا على طعامه فكانت هذه المرأة تفضل منه كله نصيبنا فأعود فيه وان جبريل عليه السلام أخبرنى عن ربي عز وجل أنّها من أهل الجنة وأخبرنى جبريل عليه السلام أنّ الله تعالى أمر سبعين ألفاً من الملائكة يصلون عليها (2).

وأيضاً روى عن فاطمة بنت أسد: أنه لما ظهرت أماراة وفاة عبد المطلب قال لأولاده: من يكفل محمداً؟ قالوا: هو أكيس منا فقل له يختار لنفسه. فقال عبد

ص: 118

1- (1) علل الشرائع، الشيخ الصدوق، ج 2 ص 469

2- (2) المستدرک على الصحيحين، الحاكم النيسابورى، ج 3 ص 108.

المطلب: يا محمد جدك على جناح السفر إلى القيامة، أي عمومتك وعماتك تريد أن يكفلك؟ فنظر في وجوههم، ثم زحف إلى عند أبي طالب، فقال له عبد المطلب: يا أبا طالب، إني قد عرفت ديانتك وأمانتك، فكن له كما كنت له. قالت: فلما توفي أخذه أبو طالب، وكنت أخدمه، وكان يدعوني الأم(1).

وروى أيضاً أنه صلى الله عليه وسلم صلى عليها وتمرغ في قبرها وبكى وقال جزاك الله من أم خيراً فلقد كنت خير أم، وسماها أمماً؛ لأنها كانت ربه(2).

وقد ذكر الطبراني في المعجم الكبير عن عاصم الأحول عن أنس بن مالك قال لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أم علي بن أبي طالب دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وآله فجلس عند رأسها فقال: رحمك الله يا أمي كنت أمي بعد أمي تجوعين وتشبعيني وتعرين وتكسيني وتمنعين نفسك طيباً وتطعميني تريدين بذلك وجه الله والدار الآخرة ثم أمر أن تغسل ثلاثاً فلما بلغ الماء الذي فيه الكافور سكب رسول الله صلى الله عليه وآله بيده ثم خلع رسول الله صلى الله عليه وآله قميصه فألبسها إياه وكفنها ببرد فوقه ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وآله أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري وعمر بن الخطاب وغلاماً أسود يحفرون فحفروا قبرها فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله صلى الله عليه وآله بيده وأخرج ترابه بيده فلما فرغ دخل رسول الله صلى الله عليه وآله فاضطجع فيه ثم قال: الله الذي يحيى ويميت وهو حي لا يموت أغفر لأمي فاطمة بنت أسد ونكبتنا حجتها ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي فإنك أرحم الراحمين وكبر عليها أربعاً وأدخلوها اللحد(3).

ص: 119

1- (1) الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي، ج 1 ص 138

2- (2) ذخائر العقبى، أحمد بن عبد الله الطبري، ص 55

3- (3) المعجم الكبير، الطبراني، ج 24 ص 351

حفلت سيرة بنى هاشم بهذه الصفة (الكرم) والتي مدحها العقل وأقرها الشرع وأثاب على كل من تلبس بها، وكان من أجلى مصاديق ذلك الأنبياء وأوصياؤهم وذلك بما هو ثابت عقلاً وشرعاً أنّ المعصوم كامل الصفات لا يسبقه أحد على ذلك، نأخذ مثلاً هنا له صلة بالبحث، وهو أن النبي صلى الله عليه وآله قبل الهجرة خرج يوماً إلى خارج مكة ورجع طالباً منزله فاجتاز بمناد ينادى من بنى تميم (وكان لهم سيد يسمى عبد الله ابن جذعان، وكان يعد من سادات قريش وأشياخهم، وكان له منادية ينادون في شعاب مكة وأوديتها: من أراد الضيافة والقرى فليأت مائدة عبد الله بن جذعان، وكان من مناديه: أبو قحافة، وأجرته أربعة دوانيق، وله مناد آخر فوق سطح داره) فأخبر عبد الله بن جذعان بجواز النبي صلى الله عليه وآله على بابه، فخرج يسعى حتى لحق به وقال: يا محمد؟ بالبيت الحرام إلا ما شرفتنى بدخولك إلى منزلي وتحرمك بزادى، وأقسم عليه برب البيت والبطحاء وبشيبية بن عبد المطلب، فأجابه النبي صلى الله عليه وآله إلى ذلك ودخل منزله وتحرم بزاده، فلما خرج النبي صلى الله عليه وآله خرج معه ابن جذعان مشيعاً له، فلما أراد الرجوع عنه قال له النبي صلى الله عليه وآله: إني أحب أن تكون غداً في ضيافتى أنت وقيم وأتباعها وحلفاؤها عند طلوع الغزاة (1)، ثم افترقا ومضى النبي إلى دار عمه أبي طالب وجلس متفكراً فيما وعده لعبد الله بن جذعان، إذ دخلت عليه فاطمة بنت أسد عليها السلام (وكانت هي

ص: 120

1- (1) فى الصحاح، ج 5 ص 1781، غزاة الضحى: أولها، يقال: جاءنا فلان فى غزاة الضحى، ثم قال: ويقال: الغزاة الشمس أيضاً. وفى القاموس، ج 4 ص 24: كسحابة الشمس لأنها تمد حبلاً كأنها تغزل، أو الشمس عند طلوعها، أو عند ارتفاعها، أو عين الشمس.

مرييته، وكان يسميها الأم) فلما رأته مهموما قالت: فداك أبي وأمي، ما لي أراك مهموماً؟ أعارضك أحد من أهل مكة؟. فقال: لا. قالت: فبحقّي عليك إلا ما أخبرتنى بحالك، فقص عليها قصته مع ابن جذعان وما قاله وما وعده من الضيافة، فقالت: يا ولدي لا تضيقن صدرك، معي مشار غسل يقوم لك بكل ما تريد، فبينما هما في الحديث إذ دخل أبو طالب رضى الله عنه، فقال لزوجته: فيما أنتما؟. فأعلمته بذلك كله، وبما قال النبي صلى الله عليه وآله لابن جذعان، فضمه إلى صدره وقبل ما بين عينيه، وقال: يا ولدي بالله عليك لا تضيقن صدرك من ذلك، وفي نهار غد أقوم لك بجميع ما تحتاج إليه إن شاء الله تعالى، وأصنع وليمة تتحدث بها الركبان في سائر البلدان، وعزم على وليمة تعم سائر القبائل... (1).

### زواجها من أبي طالب

اختار أبو طالب فاطمة بنت أسد شريكة لحياته، وذلك بما كانت تمتاز بصفات كمالية عالية تؤهلها لأن تكون كفؤاً له، لاسيما إن قلنا أنه وصى من الأوصياء (كما ذكر عن أبي الحسن الأول... لأنه كان قد آمن وأقر، وكيف لا يكون كذلك والحال أن أبا طالب كان من الأوصياء، وكان أميناً على وصايا الأنبياء وحاملاً لها إليه صلى الله عليه وآله... (2)). وله المكانة والقدر العالي عند الله، ومن ناحية أخرى تكون وعاء لسيد الأوصياء، فهذه وغيرها تكشف لنا عن سبب اختيار أبي طالب لها.

ص: 121

1- (1) بحار الأنوار، المجلسي، ج 30 ص 367.

2- (2) أنظر: تهذيب المقال في تنقيح كتاب رجال النجاشي، السيد محمد علي الأبطحي، ص 407. بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج 35 ص 74.

وقد خطب أبو طالب في نكاح فاطمة بنت أسد حيث قال: الحمد لله رب العالمين رب العرش العظيم والمقام الكريم والمشعر والحطيم الذي اصطفانا أعلاماً وسدنة وعرفاء وخلصاء وحجيته بهاليل أطهار من الخنا والريب والأذى والعيب وأقام لنا المشاعر وفضلنا على العشائر نخب آل إبراهيم وصفوته وزرع إسماعيل. وفي كلام له قال: وقد تزوجت بنت أسد وسقت المهر ونفذت الأمر فاسألوه واشهدوا، فقال أسد: زوجناك ورضينا بك، ثم أطعم الناس فقال أمية بن الصلت:

اغمرنا عرس أبي طالب وكان عرساً لبن الحالب

أقرأؤه البدو بأقطاره من راجل خف ومن راكب(1)

### مشهد من إيمان أبي طالب

من الهوان أن يُشكك في إيمان رائد المسيرة الإسلامية والقاعدة الكبرى لانطلاق الإسلام واستحكامه والممهده له والركن القويم، حتى يأتي الداني الذي تشرب هو وأسلافه في محض الشرك وعبادة الأصنام وتناول النجاسات أن ينال من العالی وينكر وينفي إيمان من هو محل الإيمان، وهذا إن يعبر عن شيء فهو يعبر عن مدى الانتكاسة التي مرّ بها العالم الإسلامي، والازدواجية القصوى في المعايير، فلم يكن إيمان أبي طالب بل العائلة الهاشمية والعدنانية إلا مصدراً للإيمان وللإسلام والممهدين لخاتمية الرسالة، إلا من شد كأي لهب، لذلك نجد سيرتهم لاسيما أبي طالب عليه السلام حافلة بالتلبسات العبادية والتضحيات الإيمانية والتنبؤات اليقينية، ويكفي ذلك إعجازاً أنه أرضع النبي، كما ورد عن أبي بصير، عن أبي عبد

ص:122



الله عليه السلام قال: لما ولد النبي صلى الله عليه وآله مكث أياماً ليس له لبن، فألقاه أبو طالب على ثدى نفسه، فأنزل الله فيه لبناً فوضع منه أياماً حتى وقع أبو طالب على حليلة السعدية فدفعه إليها(1). وربما يضعف تحمل هذا الحديث من ضعف النفوس وقليل الإيمان كما أشار لذلك رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله:

إنّ حديث آل محمد صعب مستصعب لا يؤمن به إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان(2). وعن الإمام الصادق عليه السلام

إنّ حديثنا صعب مستصعب، لا يحتمله إلا صدور منيرة أو قلوب سليمة أو أخلاق حسنة(3). وأيضا تناسوا أو تغافلوا مما صدر عن النبي صلى الله عليه وآله من نظائر لذلك، فهم يرون الحياة من جانب واحد أو من جانب مادي وهو الجانب الذي استولى على حياتهم ومشاعرهم ونفوسهم ولا يعطون للتدخلات الغيبية والمعجزات أو الكرامات الإلهية أى اهتمام أو قبول، فلورجعنا إلى القرآن الكريم لرأينا كيف يفرق بين المؤمن وغيره بالإيمان بالغيب بقوله: (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ)4، فقد شاءت حكمته تعالى أن يعطى لأنبيائه والأوصياء والصالحين القدرة على التحكم بما هو خارج عن نوايس الطبيعة بأذنه سواء كان على سبيل المعجزة أم الكرامة وقد ضرب لنا أمثلة كثيرة في القرآن الكريم سواء كان للأنبياء أم غيرهم من قبيل معاجز نبي الله سليمان عليه السلام أو إحضار عرش بلقيس (قالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنْ

ص: 123

1- (1) الكافي، الشيخ الكليني، ج 1 ص 448.

2- (2) نفس المصدر، ج 1 ص 401.

3- (3) نفس المصدر.

الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَأَهُ مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ<sup>1</sup> , وغير ذلك في القرآن كثير, إضافة إلى ما ورد في السنة الشريفة, فلماذا نستكثر ونستغرب ما حدث عن أبي طالب عليه السلام مع النبي صلى الله عليه وآله سواء كان ذلك إكراماً لمنزلة أبي طالب عند الله أم رعاية للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله. وقد ورد أيضاً عن فاطمة بنت أسد أنها قالت: لما توفي عبد المطلب أخذ أبو طالب النبي صلى الله عليه وآله عنده لوصية أبيه به وكنت أخدمه وكان في بستان دارنا نخلات وكان أول إدراك الرطب وكنت كل يوم ألتقط له حفنة من الرطب فما فوقها وكذلك جاريتي فاتتق يوماً أن نسيت أن ألتقط له شيئاً ونسيت جاريتي أيضاً, وكان محمد نائماً ودخل الصبيان وأخذوا كلما سقط من الرطب وانصرفوا فنمت ووضعت الكم على وجهي حياءً من محمد صلى الله عليه وآله إذا انتبه فانتبه محمد صلى الله عليه وآله ودخل البستان فلم ير رطبة على وجه الأرض فأشار إلى نخلة وقال: أيتها الشجرة أنا جائع. فرأيت النخلة قد وضعت أغصانها التي عليها الرطب حتى أكل منها ما أراد ثم ارتفعت إلى موضعها, فتعجبت من ذلك وكان أبو طالب رضى الله عنه غائباً فلما أتى وقرع الباب عدوت إليه حافية وفتحت الباب وحكيت له ما رأيت فقال: هو إنما يكون نبياً وأنت تلدين له وزيراً بعد يأس. فولدت علياً عليه السلام كما قال<sup>(1)</sup>. وهذا أيضاً يكشف عن مدى اتصال أبي طالب عليه السلام بالغيب وعن مدى إيمانه وعلمه.

ص:124

إشارة

كثرة تشويش أذهان المؤمنين والمستضعفين من قبل المغرضين والمحرّفين في تشويه وتحريف سيرة أحد كبار ورموز المضححين والمدافعين عن بيضة الإسلام وحامل لوائه، جعلتنا أن نذكر وباختصار الأدلة الإثباتية على إيمانه عليه السلام، فإن الدلائل على إيمان أبي طالب بدين ابن أخيه تبلغ من الوفرة والكثرة بحيث استقطبت اهتمام كل المحققين المنصفين والمحايدين، ولكن بعض المتعصبين توقف في إيمان تلك الشخصية المتفانية العظيمة بالدعوة المحمدية بينما تجاوز فريق هذا الحد إلى ما هو أبعد من ذلك، حيث قالوا بأنه مات غير مؤمن. ولو صحت عشر هذه الدلائل الدالة على إيمان أبي طالب الثابتة في كتب التاريخ والحديث، في حق رجل آخر لما شك أحد في إيمانه فضلاً عن إسلامه ولكن لا يعلم الإنسان لماذا لا تستطيع كل هذه الأدلة إقناع هذه الزمرة، وإنارة الحقيقة لهم؟ فهناك أدلة كثيرة تدل على إيمان أبي طالب من جملتها ما يلي:

الأول: الروايات الواردة بحقه

والروايات في هذا المجال كثيرة، منها: ما روى عن علي بن محمد الباقر عليه السلام:

«لو وضع إيمان أبي طالب في كفه ميزان، وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه». ثم قال:

(ألم تعلموا أنّ علياً عليه السلام كان يأمر أن يحج عن أبي النبي عبد الله وعن أمه وأبيه أبي طالب في حياته وقد أوصى

فى وصيته بالحج عنهم بعد مماته(1). فهذه الرواية تكشف لنا أن إيمان أبى طالب يحظى بمرتبة عالية.

ومنها: عن الصادق عليه السلام، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«والذى بعث محمداً صلى الله عليه وآله بالحق نبياً لو شفع أبى فى كل مذنب على وجه الأرض لشفعه الله فيهم»(2).

ومنها: عن الأمالى: عن أبى عبد الله عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: كان ذات يوم جالساً بالرحبة والناس حوله مجتمعون، فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، إنك بالمكان الذى أنزلك الله به وأبوك يعذب بالنار؟

فقال له: مه فض الله فاك والذى بعث محمداً بالحق نبياً، لو شفع أبى فى كل مذنب على وجه الأرض لشفعه الله (تعالى) فيهم، أبى يعذب بالنار وابنه قسيم النار؟ ثم قال: والذى بعث محمداً بالحق نبياً، إن نور أبى طالب يوم القيامة ليطفى أنوار الخلق إلا خمسة أنوار: نور محمد صلى الله عليه وآله، ونورى، ونور فاطمة، ونورى الحسن والحسين ومن ولده من الأئمة، لان نوره من نورنا الذى خلقه الله (عز وجل) من قبل خلق ادم بألفى عام(3).

ومنها: عن أبان بن محمد قال كتبت إلى الإمام على بن موسى عليه السلام: جعلت فداك إنى شككت فى إيمان أبى طالب قال: فكتب

«بسم الله الرحمن الرحيم

ص: 126

1- (1) بحار الأنوار، المجلسى، ج 35 ص 112.

2- (2) خاتمة المستدرک، الميرزا النورى، ج 5 - ص 20.

3- (3) الأمالى، الشيخ الطوسى، ص 305.

ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى أما إنك إن لم تقر بإيمان أبي طالب كان مصيرك إلى النار»(1).

وفى رواية أخرى عن ابن على بن بابويه بإسناد له أن عبد العظيم بن عبد الله العلوي كان مريضاً، فكتب إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام: عرفنى يا بن رسول الله عن الخبر المروى أن أبا طالب فى ضحضاح من نار يغلى منه دماغه، فكتب إليه الرضا عليه السلام:

«بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإنك إن شككت فى إيمان أبي طالب كان مصيرك إلى النار»(2).

ومنها: عن أبان، عن محمد بن يونس، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: يا يونس ما يقول الناس فى أبي طالب؟ قلت: جعلت فداك يقولون هو فى ضحضاح من نار، وفى رجليه نعلان من نار تغلى منهما أم رأسه، فقال:

كذب أعداء الله، إن أبا طالب من رفقاء النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً»(3).

وهذه الطائفة من الروايات تدل بصراحة على أن القول بإيمان أبي طالب له دخل فى العقيدة سلباً وإيجاباً، وعليه من أنكر إيمان أبي طالب فقد خرج عن العقيدة الحقّة وكان مصيره النار مع الكافرين، مع أنّ هذه الروايات ليس المراد منها إثبات إيمان أبي طالب فحسب، وإثباته أيضاً وبوضوح مدى عظمة أبي طالب عليه السلام

ص: 127

1- (1) كنز الفوائد، ابو الفتح الكراچكى، ص 80.

2- (2) أنظر: إيمان أبي طالب، الشيخ المفيد، ص 4.

3- (3) أنظر: كنز الفوائد، ابو الفتح الكراچكى، ص 80.

ومكانته عند الله فلا يقل شأننا عن الرسل والأنبياء؛ بدليل أنّ الشك في إيمانه يلزم منه انحراف بالعقيدة ويستحق على ذلك النار، وهذا ما لا يتأتى إلا لنبي أو وصى لأنّ له ارتباط بالغيب وينطق عن الله، فإذا شك به أو كذّبه فقد شك وكذّب بالله فيكون مصيره الهلاك، وإلا لو أنّ شخصاً شك في إيمان زيد من الناس ولو كان مسلماً لا يلزم خروجه من العقيدة ولا يصبح كافراً ومن ثم يكون مصيره النار.

### الثاني: أشعاره في نصره النبي وتأيدته

إنّ أشعاره عليه السلام التي تدل على مدى إيمانه ومجابهته أعداء الإسلام، هي كثيرة وربما تبلغ أكثر من مجلد، وقد ذكر عن ابن شهر آشوب المازندراني في كتابه مشابهاة القرآن عند قوله تعالى: (وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) 1: إنّ أشعار أبي طالب الدالة على إيمانه تزيد على ثلاثة آلاف بيت يكشف فيها من يكشف النبي صلى الله عليه وآله ويصحح نبوته (1). ونحن هنا نقتصر على نموذجٍ منها كي لا نخرج بعيداً عن موضوع الكتاب والفصل، فمن تلك الأشعار ما جاء في وصيته بالنبي صلى الله عليه وآله:

أوصى بنصر نبي الخير أربعة ابني علياً وشيخ القوم عباسا

وحمزة الأسد الحامي حقيقته وجعفرأ أن تذودا دونه الناسا

كونوا فداء لكم أمي وما ولدت في نصر أحمد دون الناسا (2)

ص: 128

1- (2) إيمان أبي طالب، الشيخ الأميني، ص 18.

2- (3) الغدير، الشيخ الأميني، ج 7 ص 341.

ومنها:

ليعلم خيار الناس أن محمداً نبى كموسى والمسيح بن مريم

أتانا بهدى مثلما أتيا به فكل بأمر الله يهدى ويعصم(1)

ومنها:

ألم تعلموا إنا وجدنا محمداً رسولاً كموسى خط فى أول الكتب(2)

### الثالث: مواقفه من الرسول ودفاعه عنه

إنّ مواقفه من رسول الله صلى الله عليه وآله وكيفية دفاعه وذّبه عنه لا يقتصر على ما بعد البعثة وإنما كان ذلك والنبى صلى الله عليه وآله فى غرة حياته وبداية صباه، فكان أبو طالب يحفه بالرعاية والحفاظ والتكريم، وهذا يعبر عن الترجمة الإيمانية الراسخة له، إضافة إلى جهاده والدفاع عنه ما بعد البعثة، فقد ورد عن الأصبغ بن نباتة قال: سمعت أمير المؤمنين علياً عليه السلام يقول: «مرّ رسول الله صلى الله عليه وآله ببنو نضير من قريش وقد نحروا جزوراً، وكانوا يسمونها الظهيرة، ويذبونها على النصب، فلم يسلم عليهم، فلما انتهى إلى دار الندوة قالوا: يمر بنا يتيم أبى طالب فلا يسلم علينا، فأيكم يأتيه فيفسد عليه مصلاه؟ فقال عبد الله بن الزبيرى السهمى: أنا أفعل. فأخذ الفرث والدم فأنتهى به إلى النبى صلى الله عليه وآله وهو ساجد، فملاً به ثيابه ومظاهره فانصرف النبى صلى الله عليه وآله حتى أتى عمه أبا طالب فقال: يا عم من أنا؟ فقال: ولم يابن أخى؟ فقص عليه القصة، فقال وأين تركتهم؟ فقال: بالأبطح. فنادى [أبو طالب] فى قومه:

ص: 129

1- (1) الإحتجاج، الطبرسى، ج 1 ص 341.

2- (2) شرح نهج البلاغة، ابن أبى الحديد، ج 14 ص 72.

يا آل عبد المطلب يا آل هاشم يا آل عبد مناف! فأقبلوا إليه من كل مكان ملبين، فقال: كم أنتم؟ قالوا: نحن أربعون، قال: خذوا سلاحكم، فأخذوا سلاحهم، وانطلق بهم حتى انتهى إلى أولئك نفر، فلما أرادوا أن يتفرقوا قال لهم: ورب هذه البنية لا يقوم منكم أحد إلا جللته بالسيف، ثم أتى إلى صفاة كانت بالأبطح فضربها ثلاث ضربات حتى قطعها ثلاثة أفعال، ثم قال: يا محمد سألتني من أنت؟ ثم أنشأ يقول ويومئ بيده إلى النبي صلى الله عليه وآله: أنت النبي محمد قرم أغر مسود... إلى آخر الأبيات، ثم قال: يا محمد أيهم الفاعل بك؟ فأشار النبي صلى الله عليه وآله إلى عبد الله بن الزبير السهمي الشاعر، فدعاه أبو طالب، فوجأ أنفه حتى أدماها، ثم أمر بالرفث والدم فأمر على رؤوس الملاء كلهم، ثم قال: يابن أخ أرضيت؟ ثم قال: سألتني من أنت؟ أنت محمد بن عبد الله، ثم نسبه إلى آدم عليه السلام، ثم قال: أنت والله أشرفهم حسباً، وأرفعهم منصباً. يا معشر قريش من شاء منكم يتحرك فليفعل، أنا الذي تعرفوني(1).

وجاء في المستدرک: عن أبي العباس محمد بن يعقوب (إلى قوله) عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضی الله عنها عن النبي صلى الله عليه وآله قال: ما زالت قريش كاعة (أى جبانة)(2) حتى توفى أبو طالب هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه(3).

ص: 130

- 
- 1- (1) حياة أمير المؤمنين عليه السلام عن لسانه، محمد محمدیان، ج 1 ص 271.
  - 2- (2) الكاعة، جمع كاع، وهو الجبان، أراد أنهم كانوا يجبنون عن النبي صلى الله عليه وآله في حياة أبي طالب، فلما مات اجترؤوا عليه. أنظر لسان العرب، ابن منظور، ج 8 ص 312.
  - 3- (3) المستدرک، الحاكم النيسابوری، ج 2 ص 622. وتاريخ الإسلام، الذهبي، ج 1 ص 233. وغيرهم.



وهذا كما يظهر من كلام أبي طالب عليه السلام ليس بدافع عاطفى أو قبلى وإثما بدافع إيمانى إلهى بما يعرفه من حال النبى صلى الله عليه وآله ومستقبله؛ لذلك عندما عرّفه عرّفه بالنبى الأكرم وأرجع نسبه إلى آدم عليه السلام, وهذه المواقف الجريئة والباسلة ليس المراد منها الدفاع عن النبى صلى الله عليه وآله فقط وإثما المراد منها أيضا فتح الطريق وتهيئة الأجواء المناسبة كى يتسنى للنبى الأكرم صلى الله عليه وآله أن يواصل طريق التبليغ ونشر الدعوة الإسلامية, فلا بد أن يحظى بغطاء أمنى يستطيع من خلاله أن يتحرك فى أرجاء شبه الجزيرة العربية, لاسيما فى تلك الظروف الحرجة وبداية الدعوة الإسلامية, وفعلاً كان أبو طالب القاعدة الكبرى والحصن الأمين لانطلاق الرسالة الإلهية.

ومن تلك المواقف: كان أبو طالب كثيراً ما يخاف على رسول الله صلى الله عليه وآله المبيت إذا عُرف مضجعه, فكان يقيمه ليلاً من منامه ويضع ابنه علياً مكانه, فقال له على ليلة: يا أبت إنى مقتول, فقال له:

أصبرن يا بنى فالصبر أحجى كل حى مصيره لشعوب

قد بذلناك والبلاء شديد لفداء الحبيب وابن الحبيب

فأجاب على بقوله:

أتأمرنى بالصبر فى نصر أحمد ووالله ما قلت الذى قلت جازعا

ولكننى أحببت أن تر نصرتى وتعلم أنى لم أزل لك طائعا

سأسعى لوجه الله فى نصر أحمد نبى الهدى المحمود طفلا ويافعا

ص: 131

قال الأميني: إن القرابة والرحم تبعثان إلى المحاماة إلى حد محدود، لكنه إذا بلغت حد التضحية بولد كأمر المؤمنين هو أحب العالمين إلى والده فهناك يقف التفاني على موقفه، فلا يستسهل الوالد أن يعرض ابنه على القتل كل ليلة فينيمه على فراش المفدى، ويستعوض منه ابن أخيه، إلا أن يكون مندفعاً إلى ذلك بدافع ديني وهو معنى اعتناق أبي طالب بالدين الحنيف، وهو الذي تعطيه المحاوراة الشعرية بين الوالد والولد فترى الولد يسارح بالنبوة فلا ينكر عليه الوالد(1).

فان من المستحيل أن تصدر أمثال هذه التضحيات التي كان أبرزها محاصرة بنى هاشم جميعاً في الشعب ومقاطعتهم القاسية، من دافع غير الإيمان العميق بالهدف والشغف الكبير بالمعنوية، الذي كان يتصف به أبو طالب، إذ لا يستطيع مجرد الوشائج العشائرية، وروابط القرى، أن توجد في الإنسان مثل هذه الروح التضحية. لذلك ابن أبي الحديد لما لاحظ تضحيات ومواقف أبي طالب إزاء النبي والإسلام غلبت على أهوائه ومضى يقول: ولم أستجز أن أقعد عن تعظيم أبي طالب، فإنني أعلم أنه لولاه لما قامت للإسلام دعامة. واعلم أن حقه واجب على كل مسلم في الدنيا إلى أن تقوم الساعة، فكتبت:

ولولا أبو طالب وابنه لما مثل الدين شخصاً فقاما

فذاك بمكة آوى وحامى وهذا ييثر ب جس الحماما(2)

ص:132

1- (1) الغدير، الشيخ الأميني، ج 7 ص 357.

2- (2) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج 14 ص 83.

## الرابع: وصية أبي طالب عند وفاته بالنبي صلى الله عليه وآله

... وإني أوصيكم بمحمد خيراً فإنه الأمين في قريش وهو الصديق في العرب وهو الجامع لكل ما أوصيكم به وقد جاء بأمر قبله الجنان وأنكره اللسان مخافة الشنآن (أى البغض وهو لغة في الشنآن) وأيم الله كأنى أنظر إلى صعاليك العرب وأهل البر في الأطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا أمره فخاض بهم غمرات الموت فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذناباً ودورها خراباً وضعفاؤها أرباباً وإذا أعظمهم عليه أحوجهم إليه وأبعدهم منه أحظاهم عنده قد محضته العرب ودادها وأعطته قيادها دونكم يا معشر قريش كونوا له ولاة ولحزبه حماة والله لا يسلك أحد منكم سبيله إلا رشد ولا يأخذ أحد بهديه إلا سعد، (ولو كان لنفسى مدة وفى أجلى تأخير لكفيته الكوافى ولدفعت عنه الدواهى غير أتى أشهد شهادته وأعظم مقالته). وجاء وفى لفظ آخر (أو رواية أخرى) أنه لما حضرته الوفاة دعا بنى عبد المطلب فقال لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد وما اتبعتم أمره فأطيعوه ترشدوا(1).

## الخامس: قول النبي بحقه

إنّ أبا طالب لما مات جاء على عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فأذنه بموته، فتوجع عظيماً وحزن شديداً، ثم قال له: امض فتول غسله، فإذا رفعتة على سريره فأعلمنى، ففعل، فاعترضه رسول الله صلى الله عليه وآله وهو محمول على رؤوس الرجال، فقال: وصلتكم رحم يا عم، وجزيت خيراً فلقد ربيت وكفلت صغيراً، ونصرت

ص:133

---

1- (1) راجع: السيرة الحلبية، الحلبي، ج 2 ص 49. بحار الأنوار، المجلسي، ج 35 ص 107.

وآزرت كبيراً، ثم تبعه إلى حفرته، فوقف عليه، فقال أما والله لاستغفرن لك ولأشفعن فيك شفاعة يعجب لها الثقلان(1).

هذه ملخص الأدلة في إثبات إيمان أبي طالب عليه السلام والذي هو في الحقيقة دفع ضريبة إيمانه ودفاعه عن النبي صلى الله عليه وآله والإسلام والإنسانية بأن تشوه سيرته ويُفترى عليه، ويغفلوا أو يتغافلوا عن كل الشواهد الجلية والبيانات الواضحة، كما هو الحال في ابنه عليه السلام الذي حمل راية الحق وتحمل أعباء الجهاد منذ نعومة أظفاره وقد كلتته السماء وحفّه النبي صلى الله عليه وآله بالوصايا والبيان بالأقوال والأفعال ما لم نجد لها نظيراً، ومع ذلك عاش مظلوماً ومات مظلوماً وأفترى عليه، وقد كشف الله تعالى عن هذه النفوس الخبيثة بقوله: (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) 2.

## أولادها

### إشارة

ولدت فاطمة بنت أسد لأبي طالب عليه السلام، طالباً وعقيلاً وجعفرأً وعلياً وأم هانى (واسمها فاخنة) وجمانة(2) ، وكان عليُّ أصغر ولد أبي طالب، وكان أصغر من جعفر بعشر سنين. وكان جعفر أصغر من عقيل بعشر سنين وكان عقيل أصغر

ص:134

1- (1) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج 14 ص 76

2- (3) الفاخنة: ضرب من الحمام المطوق، إذا مشى توسع في مشيه وباعد بين جناحيه وإبطيه وتمايل. والجمانة: حبة تعمل من الفضة كالدرة، وجمعها جمان. راجع: لسان العرب، ابن منظور، ج 2 ص 65. والصحاح، الجوهري، ج 5 ص 2092.

من طالب بعشر سنين(1). فكان عند أبي طالب أربعة بنين وكان طالب أسن من عليّ بثلاثين سنة. وبه كان يكنى أبوه. وأمهم أجمع فاطمة بنت أسد بن هاشم، أما طالب فأكرهته قريش على الخروج إلى بدر حتى فقد فلم يعرف له خبر، كما سيأتي الكلام عنه، وليس لطالب عقب ولكل من إخوته عقب متصل(2).

### إسلام طالب ابن أبي طالب

أسلم طالب من بداية أمره لكن كتم إيمانه، كما هو الحال في العباس عم النبي صلى الله عليه وآله الذي أسلم قبل واقعة بدر وقبل أن يهاجر، وأوكل إليه النبي مهمة حماية بعض المستضعفين من المسلمين من عادية خصومهم من المشركين وكان بمنزلة العين لرسول الله صلى الله عليه وآله على قريش يوافيه بأخبارهم، وقد كتب إلى رسول الله يطلب إليه الإذن بالهجرة فأبى عليه صلى الله عليه وآله وأمره بالإقامة بمكة لحاجة في إقامته هناك، ولم يهاجر إلا بعد فتح خيبر بعد ما أنجز مهمته في مكة ولم يبق لها موضوع، وأخرجه المشركون معهم إلى بدر كرهاً وأسروا مع المشركين، وعامله النبي صلى الله عليه وآله معاملة المشركين تماماً لتأدية مهمته عندما يعود إلى مكة(3). كما أخرجوا طالباً وبعض بني هاشم كرهاً.

### الأدلة على إيمان طالب بن أبي طالب

وأما الأدلة على إسلام طالب بن أبي طالب فقد ظهرت على لسانه من خلال

ص:135

1- (1) ذخائر العقبى، أحمد بن عبد الله الطبري، ص 55

2- (2) عمدة الطالب، ابن عنبه، ص 30.

3- (3) راجع كتاب عبد الله بن عباس، السيد محمد تقى الحكيم، ص 33.

أشعاره كما هو مبثوث في كتب الفريقين وفيها تأييد صريح لحركة النبي صلى الله عليه وآله، بالإضافة إلى الروايات الواردة في إسلامه، لكن مع ذلك حاول المشركون أن يدفنوا تاريخ طالب معه حينما اغتالوه ودفنوه.

### أشعاره ومواقفه تجاه النبي صلى الله عليه وآله

وهذه الأشعار منها ما يدل على معارضته لقريش في حربهم للنبي صلى الله عليه وآله وتأييده لحركة النبي حتى أودى هذا الميل بحياته، ومنها ما هو صريح في دلالتها على إسلامه ومدى إيمانه بالنبي صلى الله عليه وآله.

أمّا الأول: هو ما جاء في تاريخ الطبري، وأيضاً في الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما خرجت قريش إلى بدر وأخرجوا بني عبد المطلب معهم خرج طالب بن أبي طالب فنزل رجازهم وهم يرتجزون ونزل طالب بن أبي طالب يرتجز ويقول:

يارب إما يغزون بطالب في مقنب من هذه المقانب(1)

في مقنب المغالب المحارب يجعله المسلوب غير السالب

فقال قريش: إن هذا ليغلبنا فردوه(2).

وجاء في بعض السير هكذا:

يارب اما أخرجوا بطالب في مقنب من هذه المقانب

ص:136

1- (1) المقنب - بالكسر - جماعة الخيل والفرسان.

2- (2) الكافي، الكليني، ج 8 ص 375. وتاريخ الطبري، ج 2 ص 144 وغيرهم.

فاجعلهم المغلوب غير الغالب واردهم المسلوب غير السالب(1)

قال صاحب الكامل فى ذكر قصته: وكان بين طالب بن أبى طالب وهو فى القوم وبين بعض قريش محاورة, فقالوا: والله لقد عرفنا أنّ هواكم مع محمد فرجع طالب فيمن رجع إلى مكة. وقيل: انه اخرج كرهاً فلم يوجد فى الأسرى ولا فى القتلى ولا فيمن رجع إلى مكة وهو الذى يقول: يا رب إنا يغزون طالب... إلى آخر الآيات التى تقدم ذكرها.

تحصل مما نقلناه أنه لم يكن راضياً بهذه المقاتلة وكان يريد ظفر النبى صلى الله عليه وآله، إما لأنه قد أسلم كما تدل عليه المرسلة أو لمحبة القرابة، فالذى يخطر بالبال فى توجيه ما فى الخبر أن يكون قوله (بجعله) بدل اشتمال لقوله: (بطالب) أى أمّا تجعل الرسول غالباً بمغلوبية طالب حال كونه فى مقانب عسكر مخالفيه الذين يطلبون الغلبة عليه بأن تجعل طالباً مسلوب الثياب والسلاح غير سالب لأحد من عسكر النبى صلى الله عليه وآله ويجعله مغلوباً منهم غير غالب عليهم.

وأيضاً فى كتب العامة كان المشركون أخرجوه وسائر بنى هاشم إلى بدر كرهاً فخرج طالب وهو يقول: اللهم أما يغزون... إلى آخر الآيات, قال فلما انهزموا، لم يوجد فى الأسرى ولا فى القتلى ولا رجع إلى مكة ولا يدري ما حاله وليس له عقب(2).

أمّا الثانى: إن له ثمة آيات صريحة فى دلالتها على إسلامه ومدى إيمانه

ص:137

1- (1) الوافى بالوفيات, الصفدى, ج 16 ص 222.

2- (2) طبقات ابن سعد ج 1 ص 121, والطبرى ج 2 ص 144, والكامل ج 2 ص 121.

بالنبي صلى الله عليه وآله حيث يقول في رسول الله صلى الله عليه وآله:

وقد حل مجد بنى هاشم فكان النعام والزهرة

ومحض بنى هاشم أحمد رسول المليك على فترة

عظيم المكارم نور البلاد حرى الفؤاد صدى الزبرة

كريم المشاهد سمح البنان إذا ضن ذو الجود والقدرة

عفيف تقى نقى الردا طهر السراويل والازرة

جواد رفيع على المعتقين وزين الأقارب والأسرة

واشوس كالليث لم ينهه لدى الحرب زجرة ذى الزجرة

وكم من صريع له قد ثوى طويل التأوه والزفرة(1)

### الروايات الدالة على إسلام طالب

هناك جملة من الروايات الصريحة فى دلالتها على إسلام طالب بن أبى طالب، وما له من مكانة عظيمة عند الله، فقد جاء فى حديث جابر الأنصارى يقول: قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله أكثر الناس يقولون: إنَّ أباً طالب مات كافراً، قال:

يا جابر ربك اعلم بالغيب أنّ كما كانت الليلة التى اسرى بى فيها إلى السماء انتهيت إلى العرش فرأيت أربعة أنوار فقلت الهى ما هذه الأنوار، فقال: يا محمد هذا عبد المطلب وهذا أبو طالب وهذا أبوك عبد الله وهذا أخوك طالب، فقلت: الهى وسيدى فيم نالوا هذه الدرجة؟ قال بكتمانهم الإيمان

ص: 138

---

1- (1) شرح الأخبار، القاضى النعمان المغربى، ج 3 ص 235.



والصبر على ذلك حتى ماتوا(1). ففي هذا الحديث دلالة واضحة وجلية على إسلام طالب بن أبي طالب, بل على بعد إيمانه وعظم مكانته عند الله عزّ وجلّ, كما هو واضح في صدر الحديث وذيله المعلن, حيث نالوا هذه المرتبة وتبوؤوا هذه المكانة العالية التي يصعب لكل أحد الارتقاء إليها إلا أنّهم ثابروا بشدة إيمانهم وصبرهم وتحملهم.

وفي رواية أخرى عن أبي عبد الله عليه السلام أنه كان أسلم(2). كما عن مستدرك سفينة البحار: إنّ طالب بن أبي طالب: أسلم, وكان مع المؤمنين يوم بدر خرج معهم يرتجز(3). ربما المراد هنا أنّه كان بقلبه وسيفه مع المسلمين ولو أنّه أُخرج كرهاً مع المشركين.

ويؤكد ذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال يوم بدر إنى لأعرف رجلاً من بنى هاشم وغيرهم قد اخرجوا كرهاً لا حاجة لهم بقتالنا فمن لقي منكم أحداً فلا يقتله ومن لقي العباس بن عبد المطلب فلا يقتله إنّما خرج مستكراً(4).

### استشهاد طالب بن أبي طالب

قد اختلف في موت طالب فقليل إنّه لما خرج إلى بدر فُقِد ولم يعرف خبره, وقيل: رجع إلى مكة, وقيل: أفضم فرسه فغرق(5). وهذا القول غاية في البعد

ص: 139

- 1- (1) روضة الواعظين, القتال النيسابورى, ص 81.
- 2- (2) الكافي, الكليني, ج 8 ص 375. وراجع البحار ج 9 ص 296.
- 3- (3) مستدرك سفينة البحار, الشيخ على النمازى الشاهرودى ج 6 - ص 567.
- 4- (4) الكافي, الكليني, ج 8 ص 202.
- 5- (5) أعيان الشيعة, محسن الأمين, ج 8 ص 125.

ولم يرتضيه المجنون فرضاً عن العاقل, حيث لم يكن هناك بحرٌ في ميدان معركة بدر, إضافة إلى انه لم يعقل إقحام الفرس البحر وإجبار فارسها على الغرق والانتحار, فهذا ضرب من الوهم والخيال لأجل تحريف مسيرة التاريخ حتى بالأمور التي لا تعقل, وهذا يعبر عن مدى دناءة أعداء الإسلام وإهمال محاكمة العقول, فظنوا أنّ كل ما يكتب ويدون في التاريخ تتلقاه العقول بسعة وترحيب ويؤخذ مسلماً؛ لأن الناس في نظرهم كالمجانين أو البلداء السذج, كما في المثل (حدث العاقل بما لا يعقل فان صدق فلا عقل له), والصحيح أنّ قريشاً اغتالته حين ما عرفت منه الإسلام وعرفت مصارحته بالتفاؤل بمغلوبيتهم, ويدل على ذلك أنّه بعد معركة بدر لم يكن مع الأسرى ولا مع القتلى ولا مع الذين رجعوا إلى مكة, فليس من البعيد أن يكون قد اغتيل ودفن, ومن ثم طرحت الأكاذيب والأوهام, ولهم في مثل هذه الأعمال نظائر لا يسمح المقام بذكرها.

### نبذة عن عقيل بن أبي طالب

أما عقيل فكان احد أغصان الشجرة الطيبة وممن رضى عنهم الرسول صلى الله عليه وآله, فإن النظرة في التاريخ واستظهار الروايات كلها تفيدنا اعتناق عقيل الإسلام أول الدعوة, وهذا الذي جعله سبباً للحب النبوي, حيث اجتمعت فيه شرائط الولاء من رسوخ الإيمان في جوانحه وعمل الخير في جوارحه ولزوم الطاعة في أعماله, لذلك قال فيه النبي صلى الله عليه وآله كما عن ابن عباس قال: «قال على عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله: يا رسول الله، إنك لتحب عقيلاً؟ قال:

إي والله إنى لأحبه حبين: حبا له، وحبا لحب أبي طالب له، وإن ولده لمقتول في محبة ولدك، فتدمع عليه عيون

المؤمنين، وتصلى عليه الملائكة المقربون. ثم بكى رسول الله صلى الله عليه وآله حتى جرت دموعه على صدره، ثم قال: إلى الله أشكو ما تلقي عترتي من بعدى»(1). فهذه الصفات الايجابية التي اجتمعت في عقيل هي التي دعت النبي صلى الله عليه وآله أن يكشف عن هذا الحب، وليس من المعقول (لاسيما في النبي الذي هو ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى) أن يكون حبه لغاية عاطفية أو لشيء من عرض الدنيا، فكيف صح أن النبي يحب الكافر أو الخارج عن صراط الحق، وهكذا في حب أبي طالب لعقيل لم يكن لمحض البنية، فإنه لم يكن ولده البكر ولا كان أشجع ولده ولا هو ولده الوحيد، وقد كان ولده مثل أمير المؤمنين وجعفر أبو المساكين وهو أكبرهم سنًا، فيظهر أن سبب حبه لعقيل جمعه من الفضائل والفواضل الإيمانية.

### عقيل ينتصر على معاوية

اختلفت الروايات في سفر عقيل إلى الشام هل كان على عهد أخيه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أو بعد استشهاد عليه السلام، وقد استظهر ابن أبي الحديد في أن سفره بعد شهادة أمير المؤمنين عليه السلام، وجزم به العلامة السيد على خان في (الدرجات الرفيعة)(2)، وعليه تكون وفادته كوفود غيره من الرجال المرضيين عند أهل البيت عليهم السلام إلى معاوية في تلك الظروف القاسية، بعد أن اضطرتهم إليه الحاجة، وساقهم وجه الحيلة فلا يلامون ولا يحط من كرامتهم عند المملأ الديني،

ص:141

1- (1) الأمالى، الشيخ الصدوق، ص 191.

2- (2) الدرجات الرفيعة، السيد على خان المدني، ص 160.

فإن للتقية إحكاماً لا يلام فيها المضطر.

أما لو غضضنا النظر عن ذلك وقلنا إنّ وفوده كان في حياة أخيه أمير المؤمنين عليه السلام فهو أيضاً لا يحط من شأنه، بل يكون سبباً لرفعة منزلته، حيث إنّ ذهابه (كما هو الظاهر من حواراته مع معاوية) بمنزلة الصفقة السياسية الإعلامية التي يحتاجها الإسلام آنذاك، فقد قاتل معاوية من ناحية أخرى غير الميدان والسيف، بل في الإعلام والسياسة وهي ما تسمى اليوم بالاصطلاح الحرب الباردة والتي لا تقل أهمية عن غيرها، وفي كل جولة يبدوها معاوية مع عقيل لكي يكسب الرأي العام الذي تعتمد جمعهم لاسيما الشخصيات والرموز كان يخسر فيها معاوية النزال ويخيب أمله ولا- يصل غايته حتى انه أجبر عقيلاً إلى الرجوع، وجدير بنا أن نذكر شيئاً من تلك الجولات على سبيل الاختصار:

بعدما جمع معاوية وجوه الناس ممن معه وجلس وذكر لهم قدوم عقيل، وقال: ما ظنكم برجل لم يصلح لأخيه حتى فارقه وآثرنا عليه، ودعا به، فلما دخل رحب به وقربه، وأقبل عليه، ومازحه، وقال: يا أبا يزيد من خير لك أنا أو علي؟ فقال له عقيل: أنت خير لنا من علي، وعلى خير لنفسه منك لنفسك. فضحك معاوية (وأراد أن يستر بضحكه ما قاله عقيل عن حضر) وسكت عنه. فجعل عقيل ينظر إلى من في مجلس معاوية ويضحك، فقال له معاوية: ما يضحكك يا أبا يزيد؟ فقال: ضحكت والله إنني كنت عند علي، والتفت إلى جلسائه فلم أر غير المهاجرين، والأنصار، والبدرين، وأهل بيعة الرضوان، وأخاير أصحاب النبي صلى الله عليه وآله، وتصفححت من في مجلسك هذا فلم أر إلا الطلقاء وبقايا الأحزاب

ص: 142

أصحابك فقال له معاوية: فلماذا جئتنا؟ قال: لطلب الدنيا. فأراد أن يقطع قوله، فالتفت إلى أهل الشام، فقال: يا أهل الشام أسمعتم قول الله عز وجل: (تبت يدا أبي لهب وتب). قالوا: نعم، قال: فأبو لهب عم هذا الشيخ المتكلم (يعنى عقيل) وضحك وضحكوا. فقال لهم عقيل: فهل سمعتم قول الله عز وجل: (وامراته حمالة الحطب). هي عمه أميركم معاوية، هي ابنة حرب بن أمية زوجة عمى أبي لهب وهما جميعاً فى النار، فانظروا أيهما أفضل الراكب أم المركوب؟ فلما نظر معاوية إلى جوابه قال: إن كنت إنما جئتنا يا أبا يزيد للدنيا فقد أتلناك منها ما قسم لك ونحن نزيدك، والحق بأخيك، فحسبنا ما لقينا منك. فقال عقيل: والله لقد تركت معه الدين، وأقبلت إلى دنياك، فما أصبت من دينه، ولا نلت من دنياك عوضاً منه، وما كثير إعطائك إياي، وقليله عندي إلا سواء، وإن كل ذلك عندي لقليل فى جنب ما تركت من على. وانصرف إلى على عليه السلام(1).

### نبذة عن جعفر بن أبى طالب

أمّا جعفر بن أبى طالب فحسبه من العظمة أنّه من أوائل المسلمين وأسلم بعد على مباشرة، وكان الجناح الآخر للنبي صلى الله عليه وآله كما جاء فى كتب السير والتاريخ أنّ أباً طالب رأى النبي صلى الله عليه وآله وعلياً يصليان وعلى على يمينه فقال لجعفر رضى الله تعالى عنه صل جناح ابن عمك، فصلى عن يساره وكان إسلام جعفر بعد إسلام أخيه على بقليل(2). هذا بالإضافة إلى شهادة الرسول الأكرم له بأنه يشبهه خلقاً

ص:143

1- (1) راجع: شرح الأخبار، القاضى النعمان المغربى، ج 2 ص 100.

2- (2) السيرة الحلبية، الحلبي، ج 1 ص 433.

وَحُلُقًا حَيْثُ قَالَ لَهُ (أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي) (1) وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي كِتَابِهِ الْمَجِيدِ بِالْخَلْقِ الْعَظِيمِ، لَا شَكَّ فِي شَمُولِ جَعْفَرٍ بِهَذَا النَّحْوِ مِنَ الْخَلْقِ. وَلَهُ فِضَائِلٌ عَدِيدَةٌ فِي الْإِسْلَامِ مِنْ جَمَلَتِهَا الْهَجْرَةُ لِلْحَبْشَةِ عَلَى رَأْسِ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي أَوَائِلِ الْبَعْثَةِ، وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى نَالَ وَسَامَ الطَّيَارِ، حَيْثُ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ جَنَاحَيْنِ يَطِيرُ بِهِمَا مَعَ الْمَلَائِكَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَعْدَ مَا قَطَعَتْ يَدَاهُ فِي الْمَعْرَكَةِ. كَمَا وَرَدَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ إِلَى أَنْ يَقُولَ:

(... أَلَا وَإِنْ أَفْضَلَ الشَّهَدَاءِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ، وَجَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ لَهُ جَنَاحَانِ خَضِييَانِ يَطِيرُ بِهِمَا فِي الْجَنَّةِ) (2).

### أبو طالب يبشر زوجته بالوصي

تَقْدِمُ أَنَّ إِيْمَانَ أَبِي طَالِبٍ وَرِثَانِيَّ وَفَطْرِيَّ، وَأَنَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ فِي الْكُتُبِ الْمَنْزُولَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ الْمُرْسَلَةِ وَعَلَى إِطْلَاعٍ أَيْضًا فِي الرِّسَالَةِ وَالنَّبُوَّةِ الْخَاتِمَةِ وَمَا تَشْمَلُهُ مِنْ أَوْصِيَاءِ وَوُزَرَاءِ، كَمَا يَتَضَحُّ مِنْ بَعْضِ الرِّوَايَاتِ الْوَارِدَةِ فِي هَذَا الشَّأْنِ، مِنْهَا: مَا وَرَدَ عَنِ الْمَفْضَلِ بْنِ عَمْرِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: لَمَّا وُلِدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَتَحَّ لِآمَنَةَ بِيَاضِ فَارَسٍ وَقُصُورِ الشَّامِ، فَجَاءَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدٍ أُمِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَبِي طَالِبٍ ضَاحِكَةً مُسْتَبْشِرَةً، فَأَعْلَمْتَهُ مَا قَالَتْ آمَنَةَ، فَقَالَ لَهَا أَبُو طَالِبٍ: وَتَتَعْجِبِينَ مِنْ هَذَا إِنَّكَ تَحْبِلِينَ وَتَلْدِينَ بِوَصِيهِ وَوَزِيرِهِ (3).

ص: 144

1- (1) أنظر: مسند أحمد بن حنبل، ج 1 ص 108. وصحيح البخاري، ج 3 ص 168.

2- (2) الكافي، الشيخ الكليني، ج 1 ص 450.

3- (3) المصدر نفسه، ص 453.

وعن محمد بن عبد الله بن مسكان، عن أبيه قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إن فاطمة بنت أسد جاءت إلى أبي طالب لتبشّره بمولد النبي صلى الله عليه وآله فقال أبو طالب: اصبري سبباً أبشرك بمثله إلا النبوة، وقال: السبت ثلاثون سنة وكان بين رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام ثلاثون سنة(1).

### فاطمة بنت أسد وعاء نور الوصي

ليس من السهل أن تحظى كل امرأة في أن تكون وعاءً لسيد الأوصياء، إلا أن تكون ذات خصائص تؤهلها لذلك وفاطمة بنت أسد هي تلك المرأة التي خصها الله واصطفها وأكرمها بمزايا فائقة ومن جملة تلك المزايا التي حازت عليها وأصبحت وعاءً وحجراً لسيد الأوصياء. فقد ورد عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن ميلاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: آه آه لقد سألتني عن خير مولود ولد بعدى على سنة المسيح عليه السلام إن الله تبارك وتعالى خلقني وعلياً من نور واحد، قبل أن يخلق الخلق بخمسمائة ألف عام فكنا نسيح الله ونقدسه، فلما خلق الله تعالى آدم قذف بنا في صلبه واستقررت أنا في جنبه الأيمن، وعلى في الأيسر ثم نقلنا من صلبه في الأصلاب الطاهرات إلى الأرحام الطيبة، فلم نزل كذلك حتى أطلعني الله تعالى من ظهر طاهر وهو عبد الله بن عبد المطلب فاستودعني خير رحم وهي آمنة، ثم أطلع الله تبارك وتعالى علياً من ظهر طاهر وهو أبو طالب واستودعه خير رحم، وهي فاطمة بنت أسد، ثم قال: يا جابر ومن قبل أن يقع علي في بطن أمه كان في زمانه رجل عابد راهب يقال له المثرم بن رعيب بن

ص: 145

---

1- (1) معاني الأخبار، الشيخ الصدوق، ص 403. والكافي، الكليني، ج 1 ص 453.

الشيقةنام وكان مذكوراً في العبادة قد عبد الله مائة وتسعين سنة، ولم يسأل حاجة فسأل ربه أن يريه ولياً له، فبعث الله تبارك وتعالى بأبي طالب إليه فلما أن بصر به المشرم، قام إليه فقبل رأسه وأجلسه بين يديه، فقال: من أنت يرحمك الله؟ قال: رجل من تهامة، فقال من أي تهامة؟ قال من مكة، قال ممن؟ قال: من عبد مناف قال من أي عبد مناف؟ قال من بني هاشم فوثب إليه الراهب فقبل رأسه ثانياً، وقال الحمد لله الذي أعطاني مسألتى، فلم يمتني حتى أراني وليه، ثم قال له: أبشر يا هذا فإن العلي الأعلى قد ألهمني إلهاماً فيه بشارتك، قال أبو طالب وما هو؟ قال: ولد يخرج من صلبك هو ولي الله تبارك وتعالى وهو إمام المتقين ووصى رسول الله، فان أدركت ذلك الولد فأقرأه مني السلام وقل له: إن المشرم يقرؤك السلام، وهو يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله وانك وصيه حقاً، بمحمد تتم النبوة وبك تتم الوصية، قال: فبكي أبو طالب، وقال له: ما اسم هذا المولود؟ قال اسمه علي، فقال أبو طالب إنى لا أعلم حقيقة ما تقول إلا- ببرهان بين ودلالة واضحة قال المشرم: فما تريد أن أسأل الله لك أن يعطيك في مكانك ما يكون دلالة لك قال أبو طالب: أريد طعاماً من الجنة في وقتي هذا فدعا الراهب بذلك فما استتم دعاؤه حتى اتى بطبق عليه من فواكه الجنة رطبة وعنبية ورمان، فتناول أبو طالب منه رمانة ونهض فرحاً من ساعته، حتى رجع إلى منزله فأكلها فتحولت ماءً في صلبه، فجامع فاطمة بنت أسد، فحملت بعلي وارتجت الأرض وزلزلت بهم أياماً حتى لقيت قريش من ذلك شدة وفرغوا... الخ(1).

ص:146



وفى حديث آخر عن أنس بن مالك عن معاذ بن جبل، أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إن الله عز وجل خلقنى وعلياً وفاطمة والحسن والحسين قبل أن يخلق الدنيا بسبعة آلاف عام قلت: وأين كنتم يا رسول الله؟ قال: قدام العرش، نسبح الله عز وجل ونقدسه ونمجده، قال: قلت: على أى مثال؟ قال: أشباح نور حتى [إذا] أراد الله تعالى أن يخلق صورنا، صيرنا عمود نور. ثم قذفنا فى صلب آدم، ثم أخرجنا إلى أصلاب الآباء وأرحام الأمهات لا يصيبنا نجس الشرك ولا سفاح الكفر، يسعد بنا قوم ويشقى بنا آخرون. فلما صيرنا إلى صلب عبد المطلب، أخرج ذلك النور فشقه نصفين، فجعل نصفه فى صلب عبد الله ونصفه فى صلب أبى طالب. ثم أخرج النصف الذى لى إلى آمنه، والنصف الآخر إلى فاطمة بنت أسد فأخرجتني آمنه، وأخرجت فاطمة علياً. ثم أعاد الله عز وجل العمود إلى فخرجت منى فاطمة. ثم أعاد عز وجل العمود إلى [على] فخرج الحسن والحسين، فما كان من نور على صار فى الحسن، وما كان من نورى صار فى ولدى الحسين، فهو ينتقل فى الأئمة من ولده إلى يوم القيامة(1).

وفى خبر طويل: إن فاطمة بنت أسد رأت النبى صلى الله عليه وآله يأكل تمرأله رائحة تزداد على كل الأطايب من المسك والعنبر من نخلة لا- شماریخ لها فقالت: ناولنى أنل منها، قال عليه السلام: لا تصلح إلا أن تشهدى معى أن لا إله إلا الله وانى محمداً رسول الله فشهدت الشهادتين فناولها فأكلت فازدادت رغبتها وطلبت أخرى لأبى طالب فعاهدها أن لا تعطيه إلا بعد الشهادتين فلما جن عليها الليل اشتم أبو طالب

ص: 147

نسمّاً ما اشتهم مثله قط فأظهرت ما معها فالتمسه منها فأبت عليه إلا أن يشهد الشهادتين فلم يملك نفسه أن شهد الشهادتين غير أنه سأها أن تكتم عليه لئلا تعيره قريش فعاهدته على ذلك فأعطته ما معها وآوى إلى زوجته فعلمت بعلى فى تلك الليلة ولما حملت بعلى ازداد حسنهما فكان يتكلم فى بطنها فكانت فى الكعبة فتكلم على مع جعفر فغشى عليه فألقيت الأصنام خرت على وجوهها فمسحت على بطنها وقالت: يا قرّة العين سجدت لك الأصنام داخلاً فكيف شأنك خارجاً، وذكرت لأبى طالب ذلك (1).

### الكعبة تستقبل فاطمة بنت أسد

صحيح أنّ المولود (على بن أبى طالب) له مكانة عظيمة عند الله، وشاءت حكمته تعالى أن يدخل هذا المولود الطاهر الدنيا من بيته تعالى ويكون معجزة خالدة، كما أنه خرج من الدنيا من بيت الله أى مسجد الكوفة، لكن فى نفس الوقت يدل على عظمة السيدة فاطمة بنت أسد عليها السلام. بما أنها وعاء لخير البشرية بعد النبى صلى الله عليه وآله وبما حظيت من صفات فريدة من نوعها، فقد ورد عن سعيد بن جبير، قال: قال يزيد بن قعنب: كنت جالساً مع العباس بن عبد المطلب وفريق من عبد العزى بإزاء بيت الله الحرام، إذ أقبلت فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين عليه السلام، وكانت حاملة به لتسعة أشهر وقد أخذها الطلق، فقالت: ربّ إني مؤمنة بك وبما جاء من عندك من رسل وكتب، وإني مصدقة بكلام جدى إبراهيم الخليل عليه السلام، وإنه بنى البيت العتيق، فبحق الذى بنى هذا البيت، وبحق المولود الذى فى بطنى

ص: 148

لما يسرت على ولادتي. قال يزيد بن قعنب: فرأينا البيت وقد انفتح عن ظهره، ودخلت فاطمة فيه، وغابت عن أبصارنا، والتزق الحائط، فرمنا أن يفتح لنا قفل الباب فلم يفتح، فعلمنا أن ذلك أمر من أمر الله عز وجل ثم خرجت بعد الرابع وبيدها أمير المؤمنين عليه السلام، ثم قالت: إني فضلت على من تقدمني من النساء، لأنَّ آسية بنت مزاحم عبدت الله عز وجل سرّاً في موضع لا يحب أن يعبد الله فيه إلا اضطراراً، وإن مريم بنت عمران هزت النخلة اليابسة بيدها حتى أكلت منها رطباً جنياً، وإني دخلت بيت الله الحرام فأكلت من ثمار الجنة وأرزاقها، فلما أردت أن أخرج هتف بي هاتف: يا فاطمة، سميته علياً، فهو على، والله العلي الأعلى يقول: إني شققت اسمه من اسمي، وأدبته بأدبي، ووقفته على غامض علمي، وهو الذي يكسر الأصنام في بيتي، وهو الذي يؤذن فوق ظهر بيتي، ويقدم سني ويمجدني، فطوبى لمن أحبه وأطاعه، وويل لمن أبغضه وعصاه(1).

وعن الأميني في غديره قال: وقد انشق جدار البيت لأمه فاطمة بنت أسد فدخلته ثم التأمت الفتحة، فلم تزل في البيت العتيق حتى ولدت مشرف البيت بذلك الهبوط الميمون، وأكلت من ثمار الجنة، ولم ينفلق صدف الكعبة عن دره الدرى إلا وأضاء الكون بنور محياه الأبلج، وفاح في الأجواء شذى عنصره الأقدس، وهذه حقيقة ناصعة أصفق على إثباتها الفريقان، وتضافرت بها الأحاديث، وطفحت بها الكتب، فلا نعبأ بجلبة رماة القول على عواهنه بعد نص

ص:149

---

1- (1) الأمالي، الشيخ الصدوق، ص 194. وقد ورد في أكثر من (77) كتاباً ولادتها في الكعبة المكرمة، كما عددهم على محمد دخيل، في كتابه فاطمة بنت أسد، ص 19.

جمع من أعلام الفريقين على تواتر حديث هذه الأثر (1).

وقال الحاكم في المستدرک وقد تواترت الأخبار أنّ فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في جوف الكعبة (2).

وروى عن عمارة بنت عبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان الساعدي، أنها كانت ذات يوم في نساء من العرب إذ أقبل أبو طالب كنيباً حزيناً، فقلت له: ما شأنك يا أبا طالب؟ قال: إن فاطمة بنت أسد في شدة المخاض. ثم وضع يديه على وجهه فبينما هو كذلك، إذ أقبل محمد صلى الله عليه وآله فقال له ما شأنك يا عم؟ فقال: إن فاطمة بنت أسد تشتكي المخاض، فأخذ بيده وجاء وهي معه فجاء بها إلى الكعبة فأجلسها في الكعبة، ثم قال: أجلسي علي اسم الله. قالت: فطلقت طلبة فولدت غلاماً مسروراً نظيفاً منظفاً لم أر كحسن وجهه، فسماه أبو طالب (علياً) وحمله النبي صلى الله عليه وآله حتى أده إلى منزلها (3).

وقد نظمت هذه الحادثة والمكرمة العظيمة بقوالب شعرية جميلة لا بأس بذكرها:

أما سمعت خبر ابن قعب ينطق من مقصودنا بالعجب

وإنه محقق مشهور يثبت المدقق التحرير

قال جلست مع أناس شتى في المسجد الحرام يوماً حتى

مرت بنا فاطمة بنت أسد حاملة بالمرتضى ذاك الأسد

ص: 150

1- (1) الغدير، الشيخ الأميني، ج 6 ص 21.

2- (2) المستدرک، للحاكم النيسابوري، ج 3 ص 483.

3- (3) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، السيد ابن طاووس، ص 17.

فجاءها الطلق فطافت سبعا ثم دعت أكرم رب يدعا  
قالت إلهى إننى آمنت بك حقا وصدقت جميع كتبك  
وما على الخليل جدى أنزلا وما به كل رسول أرسلا  
ثم دعت خالقها بما سنح فسهل الله العسير وانفتح  
باب لها تجاه باب الكعبة وذاك مستجار أهل الرهبة  
ودخلت فيه فعاد مثل ما كان وما زال مشيدا محكما  
هذا وقفل الباب لم يفتح لنا من بعد جهد وعلاج واعتنا  
فقلت إن ذاك أمر الله فلم أكن عن ذكره باللاهى  
فمكثت ثلاثة أياما وخرجت فأعلنت كلاما  
إنى فضلت على النساء دخلت بيت رافع السماء  
ثم أكلت من ثمار الجنة ورزقها فهو على جنه  
فعندما وضعته ورمت أن أخرج نادى هاتف بى بالعلن  
سمى الذى وضعته عليا فلن يزال قدره عليا(1)

### فاطمة وبعلا يسألان الله فى تسمية على عليه السلام

لما ولدت فاطمة بنت أسد علياً عليه السلام قال لها أبو طالب هلّم حتى نعلو أبا قبيس ليلاً وندعو خالق الخضراء فلعله أن ينبئنا فى اسمه،  
(وربما تأكيد بما أنبئت به فاطمة بنت أسد) فلما أمسيا خرجا وصعدا أبا قبيس، ودعيا الله تعالى، فأنشأ يقول أبو طالب:

ص: 151

يارب هذا الغسق الدجى والفلق المبتلج المضى

بين لنا عن أمرك المقضى بما نسمى ذلك الصبى

فإذا خشخشة من السماء، فرفع أبو طالب طرفه، فإذا لوح مثل الزبرجد الأخضر فيه أربعة أسطر فأخذه بكلتا يديه وضمه إلى صدره ضمّاً شديداً فإذا مكتوب (فيه).

خصصتما بالولد الزكى والطاهر المنتجب الرضى

واسمه من قاهر على على اشتق من العلى

فسرّ أبو طالب سروراً عظيماً، وخر ساجداً لله تبارك وتعالى وعق بعشرة من الإبل، وكان اللوح معلقاً فى بيت الله الحرام يفتخر به بنو هاشم على قریش حتى غاب زمان قتال الحجاج بن الزبير (1).

وقد نقل الأبيات الكنجى الشافعى محمد بن يوسف بن محمد فى كتابه كفاية الطالب، وفيها اختلاف فى بعض الكلمات وهذا نص ألفاظه:

يارب هذا الغسق الدجى والقمر المنبلج المضى

بين لنا من أمرك الخفى ماذا ترى فى اسم ذا الصبى

قال فسمع صوت هاتف يقول:

يا أهل بيت المصطفى النبى خصصتم بالولد الزكى

إن اسمه من شامخ على على اشتق من العلى (2)

ص:152

1- (1) ينابيع المودة، القندوزى، ج 2 ص 306.

2- (2) نقلا عن كتاب إيمان أبى طالب، الشيخ الأمينى، ص 25.

توفيت فاطمة بنت أسد في السنة الرابعة للهجرة(1)، وقالوا أنّها توفيت بعد زواج ابنها علي عليه السلام بفاطمة الزهراء عليها السلام، وفي كل الأحوال يظهر من التأريخ أنّها توفيت بعد ميلاد الحسن عليه السلام، ومع ذلك لم نسمع بذكرها في زفاف وزواج ابنها أمير المؤمنين عليه السلام بفاطمة ولا حتى في ميلاد حفيدها الإمام الحسن عليه السلام، نعم نجد بدلاً عنها أسماء بنت عميس، وهي في الحقيقة غير ثابتة، بل هي إمّا أختها سلمى بنت عميس، أو أسماء بنت يزيد بن سكن الأنصارية؛ لأنّ أسماء كانت حينذاك في الحبشة مع زوجها جعفر. وقد دفنت فاطمة بنت أسد عليها السلام في المدينة المنورة بالبقيع مع الأئمة الأربعة وهم الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب، والإمام علي بن الحسين زين العابدين، والإمام محمد الباقر، والإمام جعفر الصادق عليهم السلام. وقد ذكر الفقهاء أنّه يستحب زيارة قبرها،(2) حيث ذكر المحدثون أنّ لها زيارة خاصة كما سنذكرها فيما بعد. والبقيع: مقبرة في الجهة الشرقية للمسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة، وتقع فيه مراقد بعض أئمة أهل البيت عليهم السلام في جهة الجنوب مع ميل للشرق وهم (الحسن بن علي، وعلي زين العابدين، ومحمد الباقر، وجعفر الصادق، عليهم السلام) ومع قبورهم قبر العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وآله(3). وقيل دفنت فاطمة بنت أسد بن هاشم بالروحاء مقابل حمام أبي قطيعة(4).

ص:153

1- (1) راجع: مستدرک سفينة البحار، الشيخ علي النمازي، ج 8 ص 256.

2- (2) راجع: مناسك الحج، السيد الكلبيكاني، ص 225.

3- (3) معجم ألفاظ، الفقه الجعفري، ص 88.

4- (4) علل الشرائع، الشيخ الصدوق، ج 2 ص 469.

وهذه المزية الأخرى قد نالتها فاطمة بنت أسد وكان لها وسام شرف خلد في صفحات التاريخ وهي أن يهتم النبي الأكرم بتجهيزها والصلاة عليها، فقد ورد عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وآله صلى على فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين عليه السلام صلاة لم يصل على أحد قبلها مثل تلك الصلاة، ثم كَبَّرَ عليها أربعين تكبيرة، فقال له عمار: لِمَ كبرت عليها أربعين تكبيرة يا رسول الله؟ قال: نعم يا عمار، التفت إلى يميني فنظرت إلى أربعين صنفاً من الملائكة فكبرت لكل صف تكبيرة(1).

## النبي يدفن فاطمة بنت أسد

من الدلالات الساطعة على مكانة فاطمة بنت أسد عند الله وعند رسوله هي ما رواه المؤرخون وأصحاب السير عند الفريقين وبطرق كثيرة وألسن مختلفة، أن النبي صلى الله عليه وآله قام بتجهيزها وأجرى عليها بعض الأمور ما لم يكن قد صنعها بأحد، كما ورد عن أبي عبد الله عليه السلام قال لما ماتت فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين جاء على عليه السلام عند النبي فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله يا أبا الحسن مالك، قال: أمي ماتت، قال فقال النبي صلى الله عليه وآله وأمي والله، ثم بكى وقال وا أمّاه ثم قال لعلى عليه السلام هذا قميصى فكفنها فيه وهذا ردائي فكفنها فيه فإذا فرغتم فأذنونى فلما أخرجت صلى عليها النبي صلى الله عليه وآله صلاة لم يصل قبلها ولا بعدها على أحد مثلها، ثم نزل على قبرها

ص:154



فاضطجع فيه، ثم قال لها يا فاطمة قالت لبيك يا رسول الله فقال فهل وجدت ما وعد ربك حقاً قالت نعم فجزاك الله جزاء وطالت مناجاته في القبر فلما خرج قيل يا رسول الله لقد صنعت بها شيئاً في تكفينك ثيابك ودخولك في قبرها وطول مناجاتك وطول صلواتك ما رأيتك صنعته بأحد قبلها قال أما تكفيني إياها فيأتي لما قلت لها يعرض الناس يوم يحشرون من قبورهم فصاحت فقالت وأسوأته فلبستها ثيابي وسألت الله في صلواتي عليها ان لا يبلى أكفانها حتى تدخل الجنة فأجابني إلى ذلك واما دخولي في قبرها فإني قلت لها يوماً ان الميت إذا دخل قبره وانصرف الناس عنه دخل عليه ملكان منكر ونكير فيسألانه فقالت وأغوثاه بالله فما زلت أسأل ربي في قبرها حتى فتح لها روضة من قبرها إلى الجنة وروضة من رياض الجنة(1).

وعن الكافي يقول: فبينما هو ذات يوم قاعد (أي رسول الله) إذ أتاه أمير المؤمنين عليه السلام وهو يبكي فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: ما يبكيك؟

فقال: ماتت أمي فاطمة، فقال رسول الله: وأمي والله وقام مسرعاً حتى دخل فنظر إليها وبكى، ثم أمر النساء أن يغسلنها وقال صلى الله عليه وآله: إذا فرغتن فلا تحدثن شيئاً حتى تعلمنني، فلما فرغن أعلمنه بذلك، فأعطاهن أحد قميصيه الذي يلي جسده وأمرهن أن يكفننها فيه وقال للمسلمين: إذا رأيتموني قد فعلت شيئاً لم أفعله قبل ذلك فسلوني لم فعلته، فلما فرغن من غسلها وكفننها دخل صلى الله عليه وآله فحمل جنازتها على عاتقه، فلم يزل تحت جنازتها حتى أوردتها قبرها، ثم وضعها ودخل القبر

ص:155

فاضطجع فيه، ثم قام فأخذها على يديه حتى وضعها في القبر ثم انكب عليها طويلاً يناجيها ويقول لها: ابنك، ابنك [ابنك] ثم خرج وسوى عليها، ثم انكب على قبرها فسمعوه يقول: لا إله إلا الله، اللهم إني أستودعها إياك ثم انصرف، فقال له المسلمون: إنا رأيناك فعلت أشياء لم تفعلها قبل اليوم فقال: اليوم فقدت بر أبي طالب، إن كانت ليكون عندها الشيء فتؤثرني به على نفسها وولدها وإني ذكرت القيامة وأن الناس يحشرون عراة، فقالت: وأسوأته، فضمنت لها أن يبعثها الله كاسية وذكرت ضغطة القبر فقالت وأضعفاه، فضمنت لها أن يكفيها الله ذلك، فكفنتها بقميصي واضطجعت في قبرها لذلك، وانكبت عليها فلقتنها ما تسأل عنه، فإنها سئلت عن ربها فقالت وسئلت عن رسولها فأجابت وسئلت عن وليها وإمامها فارتج عليها، فقلت: ابنك، ابنك(1).

وعن مستدرک الوسائل: أنه لما أهيل عليها التراب، وأراد الناس الانصراف، جعل رسول الله صلى الله عليه وآله.

يقول لها: «ابنك ابنك لا جعفر ولا عقيل، ابنك ابنك على بن أبي طالب عليه السلام»،... إلى أن قال صلى الله عليه وآله: وأما قولي لها ابنك ابنك لا جعفر ولا عقيل، فإنها لما نزل عليها الملكان وسألاها عن ربها فقالت: الله ربي، وقالوا: من نبيك؟ قالت: محمد نبيي فقالوا: من وليك وإمامك؟ فاستحيت أن تقول ولدي، فقلت لها: قولي: ابنك على بن أبي طالب عليه السلام: فأقر الله بذلك عينها(2).

ص: 156

1- (1) الكافي، الكليني، ج 1 ص 453.

2- (2) مستدرک الوسائل، الميرزا النوري، ج 2 - ص 342.

بلا شك أن صاحب المكانة السامية والمنزلة الرفيعة عند الله هو الذى يحظى بالتكريم والترحيب ويبقى ذكره خالداً فى الدنيا والآخرة، فهذه الزيارة شاهد آخر يدل على عظمة أم أمير المؤمنين ومربية خاتم النبيين. فعندما تقف على قبرها تقول:

السلام على نبي الله، السلام على رسول الله، السلام على محمد سيد المرسلين، السلام على سيد الأولين، السلام على سيد الآخرين، السلام على من بعثه الله رحمة للعالمين، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته. السلام على فاطمة بنت أسد الهاشمية، السلام عليك أيها الصديقة المرضية، السلام عليك أيها التقية النقية، السلام عليك أيها الكريمة الرضية، السلام عليك يا كافلة محمد خاتم النبيين. السلام عليك يا من ظهرت شفقتها على رسول الله خاتم النبيين، السلام عليك يا من تربيتها لولى الله الأمين، السلام عليك وعلى روحك وبدنك الطاهر، السلام عليك وعلى ولدك ورحمة الله وبركاته. اشهد انك أحسنت الكفالة وأديت الأمانة، واجتهدت فى مرضاة الله، وبالغت فى حفظ رسول الله، عارفة بنبوته، مستبصرة بنعمته، كافلة بتربيته، مشفقة على نفسه، واقفة على خدمته، مختارة رضاه، مؤثرة رضاه. واشهد انك مضيت على الإيمان والتمسك بأشرف الأديان، راضية مرضية، طاهرة زكية، تقية نقية، فرضى الله عنك وأرضاك، وجعل الجنة منزلك وماواك. اللهم صل على محمد وآل محمد وانفعنى بزيارتها، وثبتنى على محبتها، ولا تحرمنى شفاعتها وشفاعة الأئمة من ذريتها، وارزقنى مراقبتها،

واحشرنى معها ومع أولادها الطاهرين. اللهم لا- تجعله آخر العهد من زيارتى إياها، وارزقنى العود إليها أبداً ما أبقيتني، وإذا توفيتني فاحشرنى فى زمرتها، وأدخلنى فى شفاعتها، برحمتك يا ارحم الراحمين. اللهم بحقها عندك ومنزلتها لديك اغفر لى ولوالدى ولجميع المؤمنين والمؤمنات، وآتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا برحمتك عذاب النار. ثم تصلى ركعتين للزيارة قرابة إلى الله تعالى(1).

ص:158

---

1- (1) بحار الأنوار، المجلسى، ج 97 ص 219.

## الفصل الثالث: خديجة بنت خويلد أم السيدة فاطمة عليهما السلام

إشارة

ص: 159



هى السيدة خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر. وفى قصى يجتمع نسبها مع نسب النبى صلى الله عليه وآله.

وأما: فاطمة بنت زيد بن الأصم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤى بن غالب بن فهر(1).

فهى (خديجة) تلتقى بالرسول صلى الله عليه وآله بالجد الرابع لها (قصى بن كلاب) الذى هو الجد الخامس للنبنى صلى الله عليه وآله, وتلتقى به أيضاً بالجد الثامن لها من ناحية أمها (الذى هو لؤى بن غالب).

ومن هذا النسب الزاهر الشامخ الطاهر ذكر الرواة فى أنها ولدت فى بيت مجد وسؤدد, وكانت خديجة بنت خويلد تسمى الطاهرة فى الجاهلية والإسلام. وقال البعض إنها كانت تسمى سيدة نساء قريش(2).

ص: 161

---

1- (1) الذرية الطاهرة النبوية, محمد بن أحمد الدولابى, ص 44. سيرة ابن هشام ج 1 ص 214.

2- (2) أنظر: السيرة النبوية, ابن هشام, ج 1 ص 212.

نعم لم تحدد لنا الروايات السنة التي ولدت فيها السيدة خديجة عليها السلام، بل تعرضت لعمرها عند زواجها من رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا سيأتى بيانه مفصلاً إن شاء الله تعالى.

وأما إخوانها فأكبرهم عدى بن خويلد، والعوام بن خويلد، قد تزوج من صفية بنت عبد المطلب فولدت له الزبير والسائب وأم حبيب وعبد الكعبة الذى سماه الرسول صلى الله عليه وآله عبد الرحمن(1). وأيضاً من إخوانها حزام بن خويلد، وقد تزوج فاحته بنت زهير بن الحارث بن أسد فأنجبت له حكيماً وخالداً وهشاماً. قتل هو وأخوه العوام فى حرب الفجار(2).

ومن إخوانها أيضاً نوفل بن خويلد، كان له ولدٌ يسمى الأسود ابن نوفل مع المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة، بخلاف أبيه فقد روى أنه كان مشركاً وكان شجاعاً ويسمى أسد قريش وكان شديد العداة للإسلام، وقد قُتل بسيف على بن أبى طالب عليه السلام فى معركة بدر، كما جاء فى الإرشاد بسنده عن عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري قال: لما عرف رسول الله صلى الله عليه وآله حضور نوفل بن خويلد بداراً قال: (اللهم اكفنى نوفلاً) فلما انكشفت قريش رآه على بن أبى طالب عليه السلام وقد تحير لا يدرى ما يصنع، فصمد له ثم ضربه بالسيف فنشب فى حجفته (أى

ص: 162

1- (1) الوافى بالوفيات، الصفدى، ج 18 ص 95.

2- (2) سُمى الفجار لأنهم فجرُوا فى شهر حرام، حيث اقتتلوا فى رجب، وكان عندهم من الأشهر الحرم الذى لا تسفك فيه الدماء، راجع: موسوعة التاريخ الإسلامى، محمد هادى اليوسفى، ج 1 ص 304. وقيل: استحلت كنانة وقيس عيلان فى الحرب من المحارم بينهم، فسمى حرب الفجار، راجع: تاريخ الإسلام، الذهبى، ج 1 ص 61.



الترس) فانتزعه منها، ثم ضرب به ساقه (وكانت درعه مشمرة) فقطعها، ثم أجهز عليه فقتله. فلما عاد إلى النبي صلى الله عليه وآله سمعه يقول: من له علم بنوفل؟ فقال له: أنا قتلته يا رسول الله، فكبر النبي صلى الله عليه وآله وقال: الحمد لله الذي أجاب دعوتي فيه (1). ولها أيضاً أخت تسمى هالة بنت خويلد زوجة أبي هند التميمي.

## الأسرة الكريمة

كانت خديجة بنت خويلد من أسرة أصيلة، لها مكانة وشرف في قريش، عرفت بالعلم والمعرفة، والتضحية والفداء، وحماية الكعبة، وحينما جاء تَبَع (ملك اليمن) ليأخذ الحجر الأسود من المسجد الحرام إلى اليمن، هبت قريش ومنهم خويلد لحمايته ومنعه عن ذلك وكان أسد بن عبد العزى (جد خديجة) من المبرزين في حلف الفضول الذي تداعت له قبائل من قريش، فتعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها أو غيرهم ممن دخلها من سائر الناس، إلا قاموا معه وكانوا على من ظلمه حتى ترد مظلمته قال رسول الله صلى الله عليه وآله: آله:

«لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لى به حمر النعم، ولو ادعى به في الإسلام لأجبت» وقد سماهم ابن إسحاق بن يسار قال: بنو هاشم بن عبد مناف، وبنو المطلب بن عبد مناف، وبنو أسد ابن عبد العزى بن قصي، وبنو زهرة بن كلاب، وبنو تيم بن مرة، فتحالفوا في دار عبد الله بن جدعان، فسموا ذلك الحلف حلف الفضول تشبيهاً له بحلف كان بمكة أيام جرهم على

ص: 163

التناصف والأخذ للضعيف من القوى وللغريب من القاطن، قام به رجال من جرهم يقال لهم الفضل بن الحارث والفضل بن وداعة والفضل بن فضالة فقيل حلف الفضول جمعاً لأسماء هؤلاء(1).

وكان ورقة بن نوفل (ابن عم خديجة) أحد الأربعة الذين رفضوا عبادة الأوثان، وبحثوا عن الدين الحق وكانوا من الأحناف، يدينون الله على ملة إبراهيم. وهم: ورقة بن نوفل، وزيد بن عمرو، وابن أبي السلط، وقس ابن ساعدة وغيرهم ممن سخرُوا بالأصنام وعبادتها، واعتبروا ذلك جهلاً وضلالاً قال ابن إسحاق: واجتمعت قريش يوماً في عيد لهم عند صنم من أصنامهم كانوا يعظمونه وينحرون له ويعكفون عنده ويديرون به، فخلص منهم أربعة نفر نجياً، ثم قال بعضهم لبعض: تصادقوا وليكنم بعضكم على بعض قالوا: أجل (وهم ورقة بن نوفل وثلاثة آخرون) كما سبق ذكرهم. فقال بعضهم لبعض: تعلموا (والله) ما قومكم على شيء، لقد أخطأوا دين أبيهم إبراهيم، ما حجر نطيف به لا يسمع ولا يبصر، ولا يضر ولا ينفع؟ فتفرقوا في البلدان يلتمسون الحنيفية دين إبراهيم، فاما ورقة بن نوفل فتنصر واستحکم في النصرانية وتعلم الكتب(2).

ففي ظل هذه العائلة عاشت السيدة خديجة عليها السلام حياة أبناء العوائل الشريفة الكبيرة، مع ما لأبيها وأجدادها من مكانة في قريش، ومما لاشك فيه أن قوة شخصيتها ومكانتها جاءت نتيجة لتأثير هذه العائلة فيها، فضلاً عن مميزاتها الذاتية.

ص: 164

1- (1) أنظر: السنن الكبرى، البيهقي، ج 6 ص 367.

2- (2) إمتاع الأسماع، المقرئ، ج 6 ص 255.

فستطيع أن نعرف أن تأثير الأسرة كان كبيراً فيها؛ لأنها خير قاعدة يبدأ منها الإنسان حياته وتقرر معالم شخصيته.

## دور آباء خديجة

بعدما رجع قصي (الجد الرابع لخديجة عليها السلام) إلى وطنه ومسقط رأسه مكة (كما تقدم) آلت إليه زعامة قريش من دون منازع وأصبح زعيم مكة، وقد قام في عدة مشاريع في جميع الأصعدة لاسيما الاجتماعية منها والسياسية، فقد شرع في تنظيم الحياة في مكة فكان أول إجراءاته أن نظم سكن القرشيين في مكة، فقسم المناطق المحيطة بالكعبة على بطون قريش فأنزلها على قسمين.

الأول: قريب من الكعبة، وهم بنو زهرة بن كلاب، وبنو تيم بن مرة، وبنو مخزوم بن مرة، وبنو جمح وبنو سهم وبنو عدى بن كعب، إضافة على قصي وأبنائه.

القسم الثاني: أنزله في مناطق بعيدة عنها(1). ويبدو من هذا التقسيم السكاني الذي قام به قصي حيث أنزل البطون القريبة منه قريب مكة والبطون البعيدة منه بعيد عنها، ربما يكون الهدف من وراء ذلك التقسيم إيجاد قوة يستطيع من خلالها حماية ما حققه من إنجازات في مكة، كما يستفاد من قول ابن إسحاق (وجمع قومه من قريش من منازلهم إلى مكة)(2).

كما قام قصي بعد ذلك بتنظيم إدارة مكة حيث بنى دار الندوة قريب الكعبة

ص: 165

1- (1) أنظر: حياة السيدة خديجة بنت خويلد من المهد الى اللحد، حسين على الشهران، ص 46.

2- (2) أنظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ج 2 ص 263.

لتكون بمثابة مبنى للحكومة يتشاورون فيها هو وقومه في الأمور الخاصة بهم. وعمل أيضاً على الاهتمام بالكعبة والوظائف التابعة لها وهي الحجابة: أى قفل البيت الحرام وفتحه للزائرين. والسقاية: وهي توفير مياه الشرب للحجاج في موسم الحج. والرفادة: وهي توفير الطعام للحجاج واستضافتهم. واللواء: وهي راية قريش في الحرب(1).

إمّا جد خديجة الثالث عبد العزى فقد نال جزءاً من وظائف الكعبة وهي الرفادة، وذلك بعد وفاة قصي لم يتمكن أحد من أبنائه الأربعة (عبد الدار وعبد العزى وعبد مناف وعبد قصي) أن يجمع كل السلطان بيده كما كان عليه الحال في عهد أبيهم قصي، بل توزعت الزعامة بينهم، كما ذكر ذلك اليعقوبي «أن قصياً قسم بين ولده فجعل السقاية والرئاسة لعبد مناف، والدار لعبد الدار والرفادة لعبد العزى وحافتي الوادي لعبد قصي(2). ومن ثمة حصل نزاع بين الأبناء والأحفاد استمر فترة طويلة، ويبدو من هذا النزاع حول وظائف الكعبة جعل أسد (جد خديجة) بن عبد العزى يتنبه إلى ضعف موقفه في قريش لذلك تزوج العديد من النساء وصل عددهن إلى ست نساء، أولهن زهرة بنت عمر (أم خويلد والد خديجة) وهذه الزيجات حققت لأسد ما أراد حيث أنجب عدداً كثيراً من الأبناء تجاوزوا العشرة استطاعوا أن يثبتوا مكانة هذه الأسرة في مجتمع مكة قبل الإسلام.

ص: 166

---

1- (1) أنظر: السيرة النبوية، ابن هشام الحميري، ج 1 ص 81.

2- (2) أنظر: تاريخ اليعقوبي، ج 1 ص 211.

من الوظائف المهمة التي شغلها خويلد بن أسد وحصلت عليها أسرته هي وظيفة المشورة: وهي من أهم الوظائف الثانوية، حيث أنّ صاحبها كالمستشار العام التي تُعرض عليه القرارات التي يتوصل إليها المملأ المكي، فهي إن اجتمعت قريش على أمر عرضته عليه فإن وافق رأيهم سكت وإلا أعترض أو اختار.

وهذا المنصب ليس من صلاحية كل أحد يستطيع أن يتصدى له، إلا من كان ذا كفاءة عالية وله أساس عائلي متين في قريش، من جملتها أن ينتسب إلى قصي كما هو الحال في خويلد بن أسد. ولم تقتصر هذه الاستشارة على مجال معين بل في شتى المجالات سواء كانت على الصعيد الاجتماعي أم غيره. وقد أورد ابن إسحاق رواية حول تولى خويلد هذا المنصب الرفيع والتي تكون بمثابة التطبيق لما كان يتصدى له. حيث قال: فلما أراد (تبع) الشخصوص إلى اليمن أراد أن يخرج حجر الركن فيخرج به معه فاجتمعت قريش إلى خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي فقالوا ما دخل علينا يا خويلد إن ذهب هذا بحجرنا قال وما ذاك قالوا تبع يريد أن يأخذ حجرنا يحمله إلى أرضه فقال خويلد الموت أحسن من ذلك، ثم أخذ السيف وخرج وخرجت معه قريش بسيوفهم حتى أتوا تبعاً فقالوا: ماذا تريد يا تبع إلى الركن فقال أردت أن أخرج به إلى قومي فقالت: قريش الموت أقرب ذاك ثم خرجوا حتى أتوا الركن فقاموا عنده فحالوا بينه وبين ما أراد من ذلك. فقال خويلد في ذلك شعراً:

دعيني أم عمرو ولا تلومي ومهلاً عادلي لا تعذليني

دعيني لا أخذت الخشف منهم وبيت الله حتى يقتلونى

فما عذرى وهذا السيف عندى وعضب نال قائمه يمينى

ولكن لم أحد عنها محيدا وانى راهق ما أرهقونى(1)

بالإضافة إلى هذا المنصب فقد مارس خويلد أعمالاً أخرى لا تقل أهمية عن غيرها، ومن أهمها تهنئة انتصار سيف بن ذى يزن على الأحباش وطردهم من اليمن، ووقوع حرب الفجار. أما الحدث الأول فقد خرج مع وفد من مكة مكون من أربع شخصيات لتهنئة سيف على الانتصار وكان هذا الوفد يضم عبد المطلب ابن هاشم وخويلد بن أسد وأمّية بن عبد شمس، وعبدالله بن جدعان، وكان لهم كلام مع الملك واستضافهم ما يقارب الشهر، ثم أرسل إلى عبد المطلب فأدنى مجلسه وأخلاه ثم قال: يا عبد المطلب إنى مفض إليك من سر علمى ما لو يكون غيرك لم أبح به. ولكنى رأيتك معدنه فأطلعتك عليه، فليكن عندك مطويّاً حتى يأذن الله فيه، فإن الله بالغ أمره. إنى أجد فى الكتاب المكنون والعلم المخزون الذى اخترناه لأنفسنا واحتجبتناه دون غيرنا خبراً عظيماً، وخطراً جسيماً فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة، للناس عامة ولرهطك كافة ولك خاصة. فقال عبد المطلب: أيها الملك مثلك سر وير، فما هو، فداؤك أهل الوبر زمرأ بعد زمر؟ قال: إذا ولد بتهامة، غلام به علامة، بين كتفيه شامة، كانت له الإمامة، ولكم به الزعامة إلى يوم القيامة. قال عبد المطلب: أبيت اللعن، لقد أبت بخير ما أب به وافد، ولولا هيبه الملك وإجلاله وإعظامه لسألته من بشارته إياى ما أزداد به سروراً.

ص:168

---

1- (1) أنظر: سيرة ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار، ج 1 - ص 31.

قال ابن ذى يزن: هذا حينه الذى يولد فيه أوقد ولد، واسمه محمد، يموت أبوه وأمه، ويكفله جده وعمه، ولدناه مراراً والله باعته جهاراً، وجاعل له منا أنصاراً، يعز بهم أوليائه ويذل بهم أعداءه، ويضرب بهم الناس عن عرض، ويستبيح بهم كرائم الأرض، يكسر الأوثان ويخمد النيران، يعبد الرحمن ويدحر الشيطان، قوله فصل، وحكمه عدل، يأمر بالمعروف ويفعله، وينهى عن المنكر ويبطله (1).

والذى يهمننا من الكلام هنا، أولاً: أنّ خويلد من الشخصيات التى لها الثقل الأكبر سواء فى العلاقات أم فى صنع القرار. وثانياً: أنّ هذا التحرك فيه نوع من تحسين العلاقات مع الدول المجاورة من أجل استمرار العمل التجارى أو غيره. وثالثاً: يؤكد لنا أيضاً أنّ خويلد بن أسد لا يزال إلى جنب بنى هاشم فى خط الأحلاف، وكونه أحد زعماء مكة المعروفين.

وأما دور خويلد بن أسد فى حرب الفجار التى دارت رحاها بين قريش وكنانة مع هوازن، وقد شاركت جميع البطون القرشية بدون استثناء، وذلك يشعر بأنّ هناك خطراً محدقاً يهدد مصالحهم التجارية وغيرها، حتى أنّ بنى أسد تحملوا دوراً كبيراً فى هذه الحرب، وكان زعيم هذه العائلة فى الحرب خويلد بن أسد، حيث فقد فى هذه الحرب أربعة إخوان وأثنين من أبنائه إضافة إلى نفسه على أحد الأقوال المرجحة. أما الأخوان: فهم نوفل بن أسد، وحبيب بن أسد، وطالب بن أسد، وطليب بن أسد، وأبناؤه، العوام بن خويلد، وحزام بن خويلد.

ص: 169

---

1- (1) أنظر: السيرة النبوية، ابن كثير، ج 1 ص 335.

من خلال تتبع التاريخ والسيرة الخاصة بخويلد بن أسد وأسرته يظهر لنا جلياً أنّ خويلد وعائلته كانوا من المتدينين الملتزمين المتبعين لخط الأنبياء، كما يؤكد ذلك اعتناق اثنين من أبناء هذه الأسرة للديانة النصرانية، وهم ورقة، وعثمان، وهذا الاتجاه والسلوك لا يأتي من فراغ بل هناك توجه ديني وواعز خلقى فى العائلة أثر على هؤلاء وجعلهم يسلكون طريق الأنبياء. هذا بالإضافة إلى بعض الشواهد التاريخية التى وردت بحق خويلد بن أسد وهى تؤكد تدينه والتزامه بطريق الأنبياء وخط التوحيد. منها ما ذكره ابن أبى الحديد: عن عبد الله ابن عثمان بن سليمان قال: سمعت أبى يقول: لما حفرت زمزم، وأدرك منها عبد المطلب ما أدرك، وجدت قریش فى أنفسها مما أعطى عبد المطلب، فلقية خويلد ابن أسد بن عبد العزى فقال: يا بن سلمى، لقد سقيت ماءً رغداً، وثلت عادية حسداً، فقال: يا بن أسد، أما إنك تشرك فى فضلها، والله لا يساعدنى أحد عليها ببر، ولا يقوم معى بارزاً إلا بذلت له خير الصهر، فقال خويلد بن أسد:

أقول وما قولى عليهم بسبة إليك ابن سلمى أنت حافر زمزم

حفيرة إبراهيم يوم ابن هاجر وركضه جبريل على عهد آدم

فقال عبد المطلب: ما وجدت أحداً ورث العلم الأقدم غير خويلد بن أسد(1). وقد أسلفنا أنّ خويلد كان مع بنى هاشم وحليفهم وأفكارهم متقاربة لاسيما فى الأمور المعنوية، وهذا أيضا يمكن أن يكون من الشواهد الذى يؤكد تدينه.

ص: 170



من الأديان السائدة في الجزيرة العربية حينذاك وخاصة في مكة عبادة الأوثان ويقال لعبدتها المشركون، ويليهم في الكثرة الأحناف الذين بقوا على دين أبيهم إبراهيم الخليل ويدرنون الله سبحانه وتعالى به، ويليهم النصارى، واليهود، والصابئة، وقليل منهم يدنون بالركوسية: وهي خليط من عقائد الصابئة والنصرانية، كما كانت تدين بها قبيلة طى، هذا ما كان من الأديان السائدة حينذاك، ومن الذين يدنون الله بملء إبراهيم من قريش هم بنو هاشم بن عبد مناف إلا ما شذ منهم مثل (أبي لهب) عبد العزى بن عبد المطلب، حيث صاهر بنى أمية ودان بدينهم. وكثير من بنى زهرة، وبنى أسد، كانوا من الأحناف يدنون الله بدين إبراهيم الخليل، ومنهم السيدة خديجة بنت خويلد كانت تدين الله بالحنيفية، وكذلك ابن عمها ورقة بن نوفل الذى دان بالنصرانية بعد أن كان حنيفياً، وكذلك السيدة أمّنة بنت وهب وأهلها من بنى زهرة والدة النبى الأقدس صلى الله عليه وآله، والسيدة فاطمة بنت أسد الهاشمية وأهلها والدة الإمام على أمير المؤمنين عليه السلام (1).

### الصفات الكمالية للسيدة خديجة

إضافة إلى الروايات التى تكشف عن بعد إيمان خديجة وتكامل صفاتها، شهادة التاريخ لها وأنها تتمتع بصفات ومؤهلات تمتاز بها عن غيرها من النساء، فقد كانت خديجة عليها السلام من خيرة نساء قريش شرفاً، وأكثرهن مالاً، وأحسنهن جمالاً. وكانت تدعى فى الجاهلية بـ (الطاهرة) ويقال لها: (سيدة قريش). وكل

ص: 171

أفراد قومها كانوا حريصين على الاقتران بها لو يقدر عليه وقد خطبها عظماء قريش، وبذلوا لها الأموال، وممن خطبها عقبه بن أبي معيط، والصلت بن أبي يهاب، وأبو جهل، وأبو سفيان فرفضتهم جميعاً، واختارت النبي صلى الله عليه وآله، لما عرفته فيه من كرم الأخلاق، وشرف النفس، والسجايا الكريمة العالية. ونكاد نقطع (بسبب تضافر النصوص) بأنها هي التي قد أبدت أولاً رغبتها في الاقتران به صلى الله عليه وآله (1). وإنما تفعل الحرة العاقلة اللببية ذلك، فلا تغرها زبارج الدنيا وبها رجها، ولا تبحث عن اللذة لأجل اللذة، وعن المال للشهرة، إنما تبحث عن يخدم هدفها الأسمى في الحياة، وعن الأخلاق الفاضلة والسجايا الحميدة، والواقعية في التعامل والسمو في الهدف، لأن كل ذلك هو الذي يسخر المال والجاه والقوة وكل شىء لخدمة الإنسان والإنسانية، وتكاملها في الدرجات العليا، لم يحفظ التاريخ في أوراقه أن امرأة من فضليات النساء في دنيا النساء قد فاحت سيرتها بالعطاء كما كانت أم المؤمنين خديجة الطاهرة، لقد تناول التاريخ سيرة نساء كثيرات، اشتهرن بجانب أو أكثر من العبقريات ولكنه لم يحدثنا كما حدثنا عن السيدة خديجة من بلوغ قمم المكارم في كل الفضائل، ولم يستطع أن يحصر تلك الفضائل بين دفتيه.

أصبحت خديجة سيدة نساء قريش قبل أن تبلغ الخامسة والعشرين من عمرها، وكانت امرأة عالية الهمة، جياشة العواطف واسعة الأفق، مفطورة على التدين والنقاء والطهر، حتى عرفت بين أترابها وبين نساء قريش بالطاهرة وناهيك

ص:172

---

1- (1) الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، السيد جعفر مرتضى العامل، ج 2 ص 107.

بهذه الصفة التي حلقت بها فجعلتها في سماء السبق إلى ساحة المعالي, وجدير بنا أن نذكر بعض صفاتها.

### من صفاتها السخاء

لقد كانت عليها السلام من أهل الجود والكرم وكانت معروفة بهذا الوصف, ولذا قال أبو طالب عليه السلام في خطبته حين خطب خديجة للنبي صلى الله عليه وآله (خاطب كريمتمكم الموصوفة بالسخاء والعفة)(1).

ويدل على هذا أيضا ما رواه ابن الأثير: قدمت عليه حليلة فشكت إليه جذب البلاد فكلم لها خديجة فأعطتها أربعين شاة وبعيراً موقعاً للظعينة(2).

وعن البيهقي: عن رسول الله صلى الله عليه وآله ما رأيت من صاحبة أجيد خيراً من خديجة ما كنا نرجع أنا وصاحبي إلا وجدنا عندها تحفة من طعام تخبوه لنا(3).

ويكفيها شاهداً أنها وهبت كل ما تملك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وجعلته تحت تصرفه, حتى قال صلى الله عليه وآله: ما نفعني مال قط مثل ما نفعني مال خديجة عليها السلام, وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يفك من مالها الغارم والعانى ويحمل الكل, ويعطى في النائبة, ويرفد فقراء أصحابه إذ كان بمكة, ويحمل من أراد منهم الهجرة(4).

ص: 173

1- (1) راجع: بحار الأنوار, المجلسي, ج 6 ص 70.

2- (2) النهاية في غريب الحديث: ج 5 ص 215. الطبقات الكبرى: ج 1 ص 113. الموقع: الذي يظهره آثار الدبر لكثرة ما حمل عليه وركب فهو ذلول مجرب. والظعينة: الهودج.

3- (3) دلائل النبوة: ج 1 ص 90.

4- (4) الأمالى, الشيخ الطوسى, ص 468.

لم تؤثر على خديجة الأجواء السائدة آنذاك (حيث كانت تحكم الجزيرة العربية البداوة والتخلف والانحطاط وإشاعة الأمية) فقد كانت تحوى كثيراً من العلوم, ومن تلك العلوم التي كانت تحويها خديجة عليها السلام هي علومها ومعرفتها بالأديان والرسالات, وذلك أنّ عمها وعلى قول آخر ابن عمها ورقة بن نوفل على ما في بعض الروايات كان من القسيسين, وكان قد قرأ الكتب كلها, وكان عنده كتاب من عهد عيسى عليه السلام فيه طلاس وعزائم وأنّ خديجة عليها السلام قد تعلمت منه هذه العلوم. ومضافاً إلى هذا كله فهي قرينة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وأول الناس قرناً منه.

وبعبارة واضحة هي قريبة من معدن العلم ومخزنه وفي بيتها يهبط الوحي والملائكة, فأول ما يصدر الحكم تكون هي عليها السلام على اطلاع به وتأخذه من المصطفى صلى الله عليه وآله.

قال ابن المغازلي: أنزل الله على رسوله القرآن والهدى وعنده خديجة(1).

ومن علومها عليها السلام أنها كانت عالمة بتعبير الأحلام وهذا العلم من العلوم الصعبة جداً والخفية بحيث لا يتمكن الإنسان العادي أن يصل إلى مطالبه العالية إلا بفضل من الله ورحمته. ولذا نرى بالوجدان أن أهل هذا العلم بالدرجة الأولى هم الأنبياء والأوصياء عليهم السلام ومن بعدهم التالين من بعدهم في العلم والعمل(2).

هذا بالإضافة إلى علمها بالتجارة ومستلزماتها, والتي لا تقل أهمية عن

ص:174

1- (1) الأنوار الساطعة, الشيخ غالب السيلاوي, ص 324.

2- (2) المصدر نفسه.

غيرها من العلوم, بل تحتاج إلى حنكة وخبرة وتدبير وإتقان, وخديجة كانت المشرف العام على الصفقات التجارية وما يلازمها.

## رؤيا نورانية صادقة

فى ليلة غارت نجومها، واحلولك ظلامها، جلست خديجة فى بيتها، بعد أن طافت مراراً حول الكعبة، كعادتها كل ليلة، وما أن أسلمت جنبها للرقاد حتى استسلمت للنوم وراحت فى سبات عميق، ورأت فيما يرى النائم شمساً عظيمة تهبط من سماء مكة لتستقر فى دارها، وتملاً- جوانب الدار نوراً وبهاءً، ويفيض من دارها ليغمر كل ما حولها بضياء يبهر النفوس، قبل أن يبهر الأبصار، هبت خديجة من نومها، وراحت تدير عينها فيما حولها بدهشة فإذا بالليل ما يزال يسربل الدنيا بالسواد عندما غادر الليل الدنيا، غادرت خديجة فراشها، مع إشراقة الشمس وتسربت جليباها وغادرت البيت فى طريقها إلى دار ابن عمها ورقة بن نوفل، لعلها تجد عنده تفسيراً لحلمها، فألفته قد عكف على قراءة صحيفة من صحف السماء التى شغف بها، وما أن سمع صوتها حتى هب مرحباً، وقال متعجباً: خديجة الطاهرة؟ قالت: هى، هى، قال فى دهشة: ما جاء بك الساعة؟ جلست خديجة، وراحت تقص عليه ما رأت فى منامها حرفاً حرفاً، ومشهداً مشهداً. وكان ورقة يصغى إليها باهتمام، وما أن انتهت من كلامها، حتى تهلل وجهه بالبشر، وارتسمت على شفثيه ابتسامة الرضا، ثم قال لخديجة فى هدوء ووقار، أبشرى يا ابنة العم. وهذا يدل على أن خديجة عرفت مضمون رؤيتها ولكن جاءت للتأكيد

والاطمئنان(1). والرؤى الصادقة أمر ثبت فى القرآن والسنة بشكل لا يقبل التشكيك, كما سيأتى الكلام عنها.

## من صفاتها الرواية

ذكر الرجالى المعروف السيد الميرزا محمد الأستر آبادى رحمه الله: باب ذكر نساء لهن رواية خديجة بنت خويلد زوجة النبى صلى الله عليه وآله. وذكر الرجالى الخبير الشيخ محمد الحائرى رحمه الله: باب ذكر نساء لهن رواية أو صحبة خديجة بنت خويلد زوجة النبى صلى الله عليه وآله.

وذكر المرحوم الخبير الرجالى الأردبيلى فصل فى ذكر نساء لهن رواية: خديجة بنت خويلد زوجة النبى صلى الله عليه وآله. وذكر ابن حزم الأندلسى فى أصحاب الواحد خديجة أم المؤمنين.

وعن الحافظ محمد بن حبان أبى حاتم التميمى ممن روى عن النبى من النساء: خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى.

ذكر البيهقى أخبرنا أبو سعيد بن أبى عمرو حدثنا أبو عبد الله الصفار حدثنا أبو بكر بن أبى الدنيا حدثنا المثنى بن معاذ، حدثنا أبى عن المسعودى، حدثنى عبد الأعلى التيمى قال: قالت خديجة بنت خويلد: يا رسول الله ما أقول وأنا أطوف بالبيت، قال: قولى اللهم اغفر لى ذنوبى وخطاى وعمدى وإسرافى فى أمرى إنك إن لا تغفر لى تهلكنى(2).

ص: 176

1- (1) أم المؤمنين, خديجة الطاهرة, الحاج حسين الشاكرى, ص 133.

2- (2) راجع فى ذلك كتاب الأنوار الساطعة, الشيخ غالب السيلوى, ص 326.

يتضمن شعرها عليها السلام الحكمة والإيمان بالله والنبى صلى الله عليه وآله وأيضا كثير من أشعارها فى بحث زواجها من الرسول صلى الله عليه وآله ولا يخفى أن الشعر كان وسيلة للإعلام آنذاك.

فقد ذكرها المرحوم الأمينى رحمه الله فى موكب الشعراء حيث قال: أم المؤمنين خديجة بنت خويلد زوج النبى الطاهر صلى الله عليه وآله وكانت رقيقة الشعر جداً، ومن شعرها فى تمرىخ البعير وجهه على قدمى النبى صلى الله عليه وآله ونطقه بفضله كرامة له صلى الله عليه وآله قولها:

نطق البعير بفضل أحمد مخبرا هذا الذى شرفت به أم القرى

هذا محمد خير مبعوث أتى فهو الشفيح وخير من وطئ الثرى

يا حاسديه تمزقوا من غيظكم فهو الحبيب ولا سواه فى الورى(1)

ومن شعرها للنبى صلى الله عليه وآله:

فلو أننى أمسيت فى كل نعمة ودامت لى الدنيا وملك الأكاسرة

فما سويت عندى جناح بعوضة إذا لم تكن عيني لعينك ناظرة(2)

### إيمانها برسول الله قبل زواجها منه

عند مراجعة تاريخ السيدة خديجة قبل زواجها برسول الله صلى الله عليه وآله، إضافة إلى ما تحويه من كمال مادى ومعنوى، نرى أنها تتمتع ببعدها إيمانى إلهى، وقد أيقنت

ص: 177

1- (1) الغدير، الامينى: ج 2 ص 17.

2- (2) بحار الأنوار، المجلسى: ج 16 ص 52.

أنه ارتسم في ذات محمد صلى الله عليه وآله، فمن خلال قراءتها الفاحصة ونظرتها الدقيقة والأجواء الإيمانية التي تعيشها جعلتها أن تصل إلى معرفة منقذ البشرية وهاديها حتى آمنت به وبكل الآيات التي أجريت على يده، ومما يؤيد هذا ما ورد عنها إزاء الكرامات التي صدرت من النبي صلى الله عليه وآله، والتي منها: إنَّ العباس جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وقال: سر معي إلى دار خديجة بنت خويلد تكون أميناً على أموالها، تسير بها حيث شئت، قال: أريد الشام، قال: ذلك إليك، فسار النبي صلى الله عليه وآله والعباس إلى بيت خديجة، وكان من عادته صلى الله عليه وآله إذا أراد زيارة قوم سبقه النور إلى بيتهم، فسبقه النور إلى بيت خديجة، فقالت لعبدتها ميسرة: كيف غفلت عن الخيمة حتى عبرت الشمس إلى المجلس؟ قال: لست بغافل عنها، وخرج فلم يجد تغير وتد ولا طنب، ونظر إلى العباس فوجده قد أقبل هو والنبي صلى الله عليه وآله معه، فرجع وقال لها: يا مولاتي هذا الذي رأيته من أنوار محمد صلى الله عليه وآله، فجاءت خديجة لتتنظر إلى محمد، فلما دخل المجلس نهض أعمامه إجلالاً له، وأجلسوه في أوساطهم، فلما استقر بهم الجلوس قدمت لهم خديجة الطعام فأكلوا، ثم قالت خديجة: يا سيدي أنست بك الديار، وأضاءت بك الأقدار، وأشرقت من طلعتك الأنوار، أترضى أن تكون أميناً على أموالى تسير بها حيث شئت؟ قال: نعم رضيت، ثم قال: أريد الشام، قالت: ذلك إليك، وإنى قد جعلت لمن يسير على أموالى مائة وقية من الذهب الأحمر، ومائة وقية من الفضة البيضاء، وجملين وراحتين، فهل أنت راضٍ؟ فقال أبو طالب رضى الله عنه، رضى ورضينا، وأنت يا خديجة محتاجة إليه، لأنه من حين خلق ما وقف له العرب على صبوة، وأنه مكين أمين، قالت



خديجة: تحسن يا سيدى تشد على الجمل وترفع عليه الأحمال؟ قال: نعم، قالت: يا ميسرة: ايتنى ببعير حتى أنظر كيف يشد عليه محمد، فخرج ميسرة وأتى ببعير شديد المراس، قوى الباس، لم يجسر أحد من الرعاة أن يخرج من بين الإبل لشدة بأسه، فأدناه ليركبه فهدر وشقشق واحمرت عيناه، فقال له العباس: ما كان عندك أهون من هذا البعير؟ تريد أن تمتحن به ابن أخينا؟ فعند ذلك قال النبي صلى الله عليه وآله: دعه يا عم، فلما سمع البعير كلام البشير النذير برك على قدمى النبي صلى الله عليه وآله، وجعل يمرغ وجهه على قدمى النبي صلى الله عليه وآله ونطق بكلام فصيح وقال: من مثلى وقد لمس ظهري سيد المرسلين؟ فقلن النسوة اللاتي كن عند خديجة: ما هذا إلا سحر عظيم قد أحكمه هذا اليتيم، قالت لهم خديجة: ليس هذا سحراً، وإنما هو آيات بينات، وكرامات ظاهرات، ثم قالت: نطق البعير بفضل أحمد مخبراً... إلى آخر الأبيات التي تقدم ذكرها(1).

## زواجها من رسول الله

لم يكن اقتران خديجة بنت خويلد بالنبي الأكرم إلا شاهد على إيمانها وعظمة مكانتها وإنها جامعة للصفات التي تؤهلها لأن تكون شريكة حياة النبي صلى الله عليه وآله لاسيما في الأوقات الصعبة والحرجة والإسلام يكاد أن تنبت بذرته وتعم إرجاء قريش، فكانت خديجة تشاطر النبي صلى الله عليه وآله في هذا الشعور وتنظر إلى مستقبل الأزدهار والعدالة، فكانت شريكته قبل كل شيء بالهدف والطموح، حتى

ص: 179

بلغ خضوعها لرسول الله وحبها له، أنّها بعد أن تم عقد زواجها برسول الله صلى الله عليه وآله قالت له: إلى بيتك في بيتي بيتك وأنا جاريتهك(1). وذلك يعبر عن مدى معرفتها وإيمانها برسول الله صلى الله عليه وآله.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله أن يتزوج خديجة بنت خويلد أقبل أبو طالب في أهل بيته ومعه نفر من قريش حتى دخل على ورقة بن نوفل عم خديجة فابتدأ أبو طالب بالكلام فقال: الحمد لرب هذا البيت، الذي جعلنا من زرع إبراهيم، وذرية إسماعيل وأنزلنا حرماً آمناً، وجعلنا الحكام على الناس، وبارك لنا في بلدنا الذي نحن فيه، ثم إن ابن أخي هذا (يعني رسول الله صلى الله عليه وآله) ممن لا يوزن برجل من قريش إلا - رجح به ولا يقاس به رجل إلا عظم عنه ولا عدل له في الخلق وإن كان مقلداً في المال فإن المال رُفد جار(2) وظل زائل وله في خديجة رغبة ولها فيه رغبة، وقد جئناك لنخطبها إليك برضاها وأمرها والمهر عليّ في مالي الذي سألتموه عاجله وآجله وله ورب هذا البيت حظ عظيم ودين شائع ورأي كامل، ثم سكت أبو طالب وتكلم عمها وتلجلج(3)، وقصر عن جواب أبي طالب وأدركه القطع والبهر(4)، وكان رجلاً من القسيسين فقالت خديجة مبتدئة: يا عماء إنك وإن كنت أولى بنفسى منى في الشهود فلست أولى بي من نفسى، قد زوجتك يا محمد نفسى، والمهر عليّ في مالي فأمر عمك فلينحر

ص: 180

1- (1) أنظر: الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندى، ج 1 ص 141.

2- (2) رُفد جار: أى عطاء الله تعالى، أجره على عباده بقدر ضرورتهم واحتياجهم.

3- (3) التلجلج: التردد في الكلام.

4- (4) البهر (بالضم): النفس من الاعياء.

ناقفة فليولم بها وادخل على أهلك قال أبو طالب: أشهدوا عليها بقبولها محمداً وضمانها المهر في مالها، فقال بعض قريش يا عجباه المهر على النساء للرجال، فغضب أبو طالب غضباً شديداً وقام على قدميه وكان ممن يهابه الرجال ويكره غضبه، فقال: إذا كانوا مثل ابن أخي هذا طلبت الرجال بأغلا الأثمان وأعظم المهر وإذا كانوا أمثالكم لم يزوجوا إلا بالمهر الغالى، ونحر أبو طالب ناقفة ودخل رسول الله صلى الله عليه وآله بأهله. وقال رجل من قريش يقال له عبد الله بن غنم:

هنيئاً مريئاً يا خديجة قد جرت لك الطير فيما كان منك بأسعد

تزوجته خير البرية كلها ومن ذا الذى فى الناس مثل محمّد

وبشر به البر إن عيسى ابن مريم وموسى بن عمران فى اقرب موعد

أقرت به الكتاب قدماً بأنه رسول من البطحاء هاد ومهتد(1)

### أبو طالب خاطب خديجة للنبي صلى الله عليه وآله

اختلف المؤرخون فى الشخصية التى قامت فى إجراء مراسيم الخطبة من خديجة إلى النبي صلى الله عليه وآله, المشهور والذى هو الصحيح, أنّ أبا طالب قد ذهب لخطبة خديجة، وليس حمزة الذى اقتصر عليه ابن هشام فى سيرته(2)؛ لأن ذلك لا ينسجم مع ما كان لأبى طالب من المكانة والسؤدد فى قريش، من جهة؛ ومن جهة أخرى لأن حمزة كان يكبر النبي صلى الله عليه وآله بسنتين أو بأربع كما قيل.

ص: 181

1- (1) الكافى، الشيخ الكلينى، ج 5 ص 374.

2- (2) انظر: سيرة ابن هشام، ج 1 ص 201.

هذا بالإضافة إلى مخالفة ما يذكره عامة المؤرخين في المقام. وقد اعتذر البعض عن ذلك: بأن من الممكن أن يكون حمزة قد حضر مع أبي طالب، فنسب ذلك إليه وهو اعتذار واه، إذ لماذا لم ينسب ذلك إلى غير حمزة، ممن حضر مع أبي طالب من بنى هاشم وغيرهم من القرشيين. ويظهر: أن ثمة من يهتم بسلب هذه المكرمة عن أبي طالب عليه السلام، وإعطائها لأى كان من الناس سواه، حتى لحمزة، ولا ضير في ذلك عنده ما دام أنه قد استشهد في وقت مبكر. وعلى كل حال فقد خطبها أبو طالب له صلى الله عليه وآله قبل البعثة بخمس عشرة سنة، على المشهور(1).

### هل تزوجت خديجة قبل النبي صلى الله عليه وآله

اختلف المؤرخون في مسألة زواج السيدة خديجة قبل النبي صلى الله عليه وآله بين النفي والإثبات، قال القرطبي قد تزوجها (النبي صلى الله عليه وآله) قبل النبوة ثيباً بعد زوجين، بعد ابن هالة التميمي، وبعد عتيق المخزومي، ثم تزوجها النبي صلى الله عليه وآله، وهى بنت أربعين سنة وأقامت معه أربعاً وعشرين سنة، وتوفيت وهى بنت أربع وستين، سنة وستة أشهر وسن رسول الله صلى الله عليه وآله حين تزوجها إحدى وعشرون سنة، وقيل: خمس وعشرون سنة، وقيل ثلاث وثلاثون سنة(2).

وعن القاضى النعمان كانت خديجة قبل النبي عند عتيق بن عامر المخزومي، وولدت له حارثة، ومات عنها بمكة، وتزوجها بعده أبو هالة زرار بن

ص:182

1- (1) انظر: الإصابة، ابن حجر، ج 8 ص 99.

2- (2) انظر: تفسير القرطبي، ج 14 ص 164.

ساس الأسدي، ومات عنها بمكة وولدت له هند بنت أبي هالة(1).

والصحيح أنها (خديجة) لم تقترن بزواج قبله والدليل على ذلك:

أولاً: ذكر ابن شهر آشوب وروى أحمد البلاذري، وأبو القاسم الكوفي في كتابيهما، والمرتضى في الشافي، وأبو جعفر في التلخيص، أنّ النبي صلى الله عليه وآله تزوج بها، وكانت عذراء. وكما يؤكد ذلك ما ذكر في كتابي الأنوار والبدع: أنّ رقية وزينب كانتا ابنتي هالة أخت خديجة(2)، كما سيأتي بيانه.

وثانياً: قال أبو القاسم الكوفي: إن الإجماع من الخاص والعام، من أهل الآثار ونقلة الأخبار، على أنه لم يبق من أشرف قريش، ومن ساداتهم وذوي النجدة منهم، إلا من خطب خديجة، ورام تزويجها، فامتنعت على جميعهم من ذلك، فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله غضب عليها نساء قريش وهجرنها، وقلن لها خطبك أشرف قريش وأمرؤهم فلم تتزوجي أحداً منهم، وتزوجت محمداً يتيماً أبي طالب، فقيراً، لا مال له؟ فكيف يجوز في نظر أهل الفهم أن تكون خديجة، يتزوجها أعرابي من تميم، وتمتنع من سادات قريش، وأشرفها على ما وصفناه؟

وأما الرد على ذلك بأنه لا يمكن أن تبقى امرأة شريفة وجميلة هذه المدة الطويلة بلا زواج فليس على ما يرام؛ لأن ذلك لا يبرر رفضها لعظماء قريش وقبولها بأعرابي من بني تميم. وأما كيف يتركها أبوها أو وليها بلا تزويج؟ ذلك أنّ أباهما قد قتل في حرب الفجار، وأما وليها، فلم يكن له سلطة الأب ليجبرها على الزواج ممن

ص:183

1- (1) شرح الأخبار، القاضي النعمان المغربي، ج 3 ص 15.

2- (2) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج 1 ص 138.

أراد وبقاء المرأة الشريفة والجميلة مدة بلا زواج ليس بعزيز، إذا كانت تصبر إلى أن تجد الرجل الفاضل الكامل، الذي كان يعز وجوده في تلك الفترة(1).

وثالثاً: كيف لم يعيرها زعماء قريش الذين خطبوا فردتهم، بزواجها من أعرابي. فهكذا كانت السيدة خديجة حين زواجها من رسول الله صلى الله عليه وآله بكاراً غير ثيب وأجمل نسائه ولم يتزوج عليها إلى أن فارقت الحياة احتراماً لها وتعظيماً لشأنها.

### سبب زواجها من النبي صلى الله عليه وآله

ليست كل امرأة تنظر إلى مستقبل حياتها لاسيما في اختيارها الشريك الذي يشاطرها ويواكبها الحياة في طيلة ما تبقى من عمرها وبه تنتقل الحياة من مرحلة إلى أخرى فيها يحدد المصير في الدنيا بين السعادة والشقاء ربما تأخذها العواطف والأهواء وتقع في الفخ المؤلم، فخديجة هنا تعطي درساً للفتيات اللاتي يصلن مرحلة الزواج أن تتأن في اختيارها الزوج وأن تنظر به الصفات التي تضمن بها سعادتها وحسن المعاشرة معه، فكان اختيار خديجة للنبي صلى الله عليه وآله لم يكن متسرعاً وإنما بعد المتابعة والسؤال وما وجدت من صفات كمالية عالية يتمتع بها نبي الإنسانية، حيث كانت خديجة ذات مال كثير وعبيد ومضاربين لها يتجرون في مالها، ويسافرون به لها إلى الشام، فلما اتصل بها عن رسول الله صلى الله عليه وآله ما هو عليه من الأمانة والطهارة والصدق والعفاف أرسلت إليه، وسألته أن يخرج ببضاعة إلى

ص:184

---

1- (1) الاستغاثة، أبو القاسم الكوفي، ج 1 ص 17.

الشام، ففعل وأرسلت معه غلاماً يقال له: ميسرة فجاءها بفضل واسع لم يأتها غيره. وأخبرها غلامها بما شاهده من فضله وآيات رآها فيه. وكان لها ابن عم يقال له ورقة بن نوفل على دين النصرانية قد قرأ الكتب، وكان يذكر لها أن نبياً إن بعثه يبعث من قريش، فلما أخبرها غلامها بما شاهد منه مع ما اتصل بها من آياته وعلامات النبوة فيه ذكرت ذلك لابن عمها ورقة، فقال: والله ما أشك، إنه هو النبي المنتظر. وكان ورقة هذا قد خطب خديجة، وهمت بتزويجه لما تبين لها أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وأراد الله كرامتها ألهمها أن أرسلت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله تعرض بنفسها عليه، فتزوجها وبنى بها صلى الله عليه وآله وهو ابن خمس وعشرين سنة، ولم يتزوج عليها غيرها، ولا تزوج امرأة إلا بعد أن ماتت. وكانت من أفضل نسائه وأحبهن إليه، وكانت تنتظر نبوته، ويسألها ابن عمها عن ذلك، وعن دلائل تعرفها فيه، فتخبره بذلك، فيقول: هو والله النبي المنتظر، وله في ذلك أشعار كثير قالها، ومات قبل أن يبعث الله نبيه صلى الله عليه وآله. وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يعارض خديجة ويخبرها بما يأتيه من قبل أن ينأى به، وما يراه في منامه، وتخبره هي بقول ورقة، فلما أتاه الوحي من عند الله عز وجل بالرسالة أخبرها بذلك ودعاها إلى الإسلام، فأسلمت، فكانت أول من أسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وآله في ابتداء أمره إذا دعا قومه فكذبوه، ونالوا منه وهموا به، منعه منهم عمه أبو طالب. وكان سيداً مطاعاً فيهم، وكان يأتي خديجة مغموماً لما يناله منهم، فتهدئه، وتصبره، وتهون عليه، وبذلت مالها له، فكان ذلك مما يعز به (1).

ص: 185

1- (1) انظر: شرح الأخبار، القاضي النعمان المغربي، ج 3 ص 17.

ويلاحظ هنا مدى الاختلاف والتفاوت في عمر خديجة حين اقترانها بالرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وهي تتراوح ما بين ال - (25) سنة إلى ال (46) سنة وهي على النحو الآتي:

ألف - 25 سنة، وصححه البيهقي. ب - 28 سنة. هو ما رجحه كثيرون. ج - 30 سنة د - 35 سنة. ه - 40 سنة. و - 44 سنة. ز - 45 سنة. ح - 46 سنة.

ولا يخفى أنّ الكثيرين قد رجحوا القول الثاني، كما ذكره ابن العماد. أما البيهقي فقد صحح القول الأول، حيث قال: بلغت خديجة خمساً وستين سنة، ويقال: خمسين سنة، وهو أصح إذا كانت رحمها الله قد تزوجت برسول الله قبل البعثة بخمس عشرة سنة كما جزم به البيهقي نفسه فإن ذلك معناه: أن عمرها حين زواجها كان خمساً وعشرين سنة. ورجح هذا القول غير البيهقي أيضاً أما الحاكم، الذي روى لنا القول الثاني المتقدم عن ابن إسحاق، فإنه لم يوضح لنا حقيقة ما يذهب إليه، غير أنه حين روى عن هشام بن عروة قوله: إن خديجة قد توفيت وعمرها خمس وستون سنة. هذا قول شاذ، فإن الذي عندي: أنها لم تبلغ ستين سنة، فكلامه هذا يدل على أنه يعتبر القول بأنها قد تزوجت بالنبي وعمرها أربعون سنة، شاذ. ويرى أنّ عمرها كان أقل من خمس وثلاثين حينئذ، ولكنه لم يبين القول الذي يذهب إليه، هل هو ثلاثون؟ أو ثمان وعشرون؟ أو خمس وعشرون(1).

ص: 186

---

1- (1) راجع: الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، السيد جعفر مرتضى ج 2 - ص 117.



روى الدولابي في كتابه: (الذرية الطاهرة) بسنده عن عمار بن أبي عمار، عن ابن عباس... ثم قال: وبلغني أن رسول الله صلى الله عليه وآله تزوج خديجة على اثنتي عشرة أوقية ذهباً، وهي يومئذ ابنة ثمان وعشرين سنة(1).

وعن ابن عباس قال: كانت خديجة يوم تزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله ابنة ثمان وعشرين سنة ومهرها اثنتا عشرة أوقية(2).

### مقدار مهر السيدة خديجة

من الضروري أن يتعرف المسلمون على مهر زوجات النبي صلى الله عليه وآله ومهر ابنته فاطمة عليها السلام لتكون سنة يُقتدى بها، ويرتفع الحجر الذي وقع في طريق الشباب من التنافس في غلاء المهور وارتقاعه، فالنبي صلى الله عليه وآله بُعث لإسعاد البشرية وحل العقد التي يواجهونها بشتى المجالات لاسيما الاجتماعية، فينبغي أن تدرس سيرته المباركة بشكلها العملي وتقنن دستوراً ومنهجاً للمسلمين، من هنا جاءت الآيات والروايات تحث على الإتيان بالاقتران بأقوال وأفعال النبي صلى الله عليه وآله، كما في قوله تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) 3. وعليه هناك جملة من الروايات الواردة في تعيين مقدار مهر السيدة خديجة عليها السلام. فقد روى الصفار عن حماد بن عيسى قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: قال أبي: ما زوج رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً من بناته ولا تزوج شيئاً من نسائه على أكثر من اثنتي عشرة أوقية

ص: 187

1- (1) راجع: الذرية الطاهرة النبوية، محمد بن أحمد الدولابي، ص 52.

2- (2) راجع: الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، ج 8 ص 17.

ونش، يعني نصف أوقية(1).

وروى الخبر الكليني بسنده عنه قال: سمعته يقول: قال أبي: ما زوج رسول الله صلى الله عليه وآله ساير بناته ولا تزوج شيئاً من نسائه على أكثر من اثنتي عشرة أوقية ونش. والأوقية: أربعون درهماً، والنش: عشرون درهماً. ثم روى عن حماد عن إبراهيم بن أبي يحيى عن الصادق عليه السلام قال: وكانت الدراهم وزن ستة يومئذ(2).

وروى بسنده عن معاوية بن وهب قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ساق رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أزواجه اثنتي عشرة أوقية ونشاً، والأوقية: أربعون درهماً، والنش: نصف الأوقية: عشرون درهماً، فكان ذلك خمسمائة درهم. قلت: بوزننا؟ قال: نعم(3).

وروى بسنده عن أبي العباس قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الصداق هل له وقت (يعني الحد للمهر) قال: لا، ثم قال: كان صداق النبي صلى الله عليه وآله اثنتي عشرة أوقية ونشاً، والنش نصف الأوقية، والأوقية: أربعون درهماً، فذلك خمسمائة درهم(4).

أقول: لم يتضح من الروايات المتقدمة مقدار مهر خديجة بالذات فالروايات في هذا المورد عامة تشير إلى صداق أزواج النبي صلى الله عليه وآله بشكل عام ليس بما قدمه النبي صلى الله عليه وآله لخديجة عليها السلام، نعم خديجة واحدة من أزواجه فينطبق عليها العنوان.

ص: 188

1- (1) رسالة المهر، الشيخ المفيد، ص 36.

2- (2) الكافي، الكليني، ج 5 ص 376.

3- (3) الحدائق الناضرة، البحراني، ج 24 ص 432.

4- (4) الكافي، الكليني، ج 5 ص 376.

لا يخفى مما تقدم أنّ أبا طالب هو الذى قد ضمن المهر فى ماله، كما هو صريح خطبته، ولكن خديجة رضوان الله تعالى عليها عادت فضمنت المهر فى مالها من دون أن تعين مقداره، فقال البعض: يا عجبا؟ المهر على النساء للرجال؟ فغضب أبو طالب، وقال: إذا كانوا مثل ابن أخى هذا طلبت الرجال بأعلى الأثمان، وأعظم المهر، وإن كانوا أمثالكم لم يزوجوا إلا بالمهر الغالى.

اللهم إلا أن يكون المراد: أنه صلى الله عليه وآله قد أمهرها بواسطة أبى طالب. أوقيده بعدد معين ليكن أسوة وسنة، كما يبدو ذلك من الروايات أنّ النبى صلى الله عليه وآله عيّن مقدار مهرها إلا أنّ أبا طالب قد ضمن المهر فى ماله كما هو صريح خطبته، كما ذكر ذلك الحلبي فى سيرته: «... وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل وقد خطب إليكم رغبة فى كريمتكم خديجة وقد بذل لها من الصداق ما عاجله وآجله اثنتى عشرة أوقية ونشاً (أى وهو عشرون درهماً والأوقية أربعون درهماً أى وكانت الأوقى والنش من ذهب كما قال المحب الطبرى أى فيكون جملة الصداق خمسمائة درهم شرعى)»(1).

وقيل: كما عن ابن هشام: وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين بكرة(2). والبكرة: الأنتى من الإبل. ويؤيده: ما ذكره ابن عباس، والدولابى. أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله تزوج خديجة على اثنتى عشرة أوقية ذهباً، وهى يومئذ ابنة ثمان

1- (1) راجع: السيرة الحلبيّة، الحلبي ج 1 ص 226.

2- (2) راجع: السيرة النبوية، ابن هشام الحميرى، ج 1 ص 122.

وعن ابن عباس قال: كانت خديجة يوم تزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله ابنة ثمان وعشرين سنة ومهرها اثنتى عشرة أوقية(2).

ولما رأت خديجة ذلك سخت نفسها بضمائها المهر كله من مالها، وهذا يعبر عن مدى الخلق الذى تتمتع به السيدة خديجة وخضوعها وتواضعها لمراسم السنة الإلهية.

## أولادها

### إشارة

خديجة هي المرأة الوحيدة التى رزق منها النبى صلى الله عليه وآله الأولاد دون غيرها من نساءه اللاتى يتجاوز عددهن أربع عشرة امرأة ماعدا مارية القبطية فقد ولدت له إبراهيم. وقد اختلف أهل النقل فى عدد أولاد خديجة، فقالوا إنّها (خديجة) ولدت له أربع بنات وكلهن أدركن الإسلام وهاجرن: زينب وفاطمة ورقية وأم كلثوم، وأجمعوا أنها ولدت له ولدًا سماه القاسم وبه كان يكنى.

واختلفوا أيضا هل ولدت له ذكراً غيره فقيل: ولدت ثلاثة عبد الله والطيب والطاهر، والخلاف فى ذلك كثير ومات القاسم بمكة صغيراً قبل أن يمشى وقيل: إنه لم يعيش إلا أياماً يسيرة ولم يكن له صلى الله عليه وآله من غير خديجة ولد غير إبراهيم ولدت مارية القبطية بالمدينة وبها توفى وهو رضيع وتوفى جميع أولاده فى حياته

ص: 190

1- (1) راجع: الذرية الطاهرة النبوية، محمد بن أحمد الدولابى، ص 52.

2- (2) راجع: الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، ج 8 ص 17.

إلا فاطمة عليها السلام فإنها توفيت بعده(1).

وقول آخر: إنه ولد له من خديجة القاسم وبه كان يكنى، والطاهر والطيب وفاطمة وزينب ورقية وأم كلثوم، فأما القاسم والطيب فماتا بمكة صغيرين، ومات الطاهر كذلك صغيراً، وأما إبراهيم من مارية فولد بالمدينة بعد ثمان سنين من مقدمه صلى الله عليه وآله، وعاش سنة وعشرة أشهر وثمانية أيام، ومات بالمدينة(2).

### فاطمة البنت الوحيدة للنبي صلى الله عليه وآله

المتتبع للسيرة النبوية بما فيها أفعال النبي صلى الله عليه وآله وأقواله يدرك بوضوح أنه لم تكن في البين ابنة للنبي صلى الله عليه وآله غير الزهراء عليها السلام، وأما ما ذكر من أن رقية وزينب وأم كلثوم (قالوا أم كلثوم كنية لرقية) فهن بنات هالة بنت وهب أخت خديجة، كما روى مشايخنا من أهل العلم عن الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، وكما يقول أبو القاسم الكوفي المتوفى سنة 352 هـ -: أنه كان لخديجة بنت خويلد زوجة رسول الله الكبرى أخت لأمها يقال لها: هالة قد تزوجها رجل من بني مخزوم فولدت له بنتاً أسماها هالة ثم خلف عليها بعد أبي هالة رجل من تميم يقال له أبو هند فأولدها ابناً كان يسمى هنداً بن أبي هند وابنتين فكانتا هاتان الابنتان منسوبيتين إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وزينب ورقية ومات أبو هند وقد بلغ ابنه مبلغ الرجال والابنتان طفلتان، فكان ذلك في حدثان تزويج رسول الله بخديجة بنت خويلد، وكانت هالة أخت خديجة فقيرة وكانت خديجة من الأغنياء الموصوفين بكثرة المال.

ص: 191

- 1- (1) راجع: شرح أصول الكافي، محمد صالح المازندراني، ج 7 ص 144.
- 2- (2) شرح الأخبار، القاضي النعمان المغربي، ج 3 ص 15.

فأما هند بن أبي هند فإنه لحق بقومه وعشيرته بالبادية وبقيت الطفلتان عند أمهما هالة أخت خديجة فضمت خديجة أختها هالة مع الطفلتين إليها وكفلتهن جميعاً وكانت هالة أخت خديجة هي الرسول بين خديجة وبين رسول الله صلى الله عليه وآله في حال التزويج فلما تزوج رسول الله خديجة ماتت هالة بعد ذلك بمدة يسيرة وخلفت الطفلتين زينب ورقية في حجر رسول الله صلى الله عليه وآله وحجر خديجة فرياهما، وكان من سنة العرب في الجاهلية من يربي يتيماً ينسب ذلك اليتيم إليه ويدعى باسمه فلم يستحل لمن يربها تزوجها لأنها كانت عند العرب بزعمهم بنت المربي لها ولذلك كانوا يقولون زيد بن محمد صلى الله عليه وآله ويدعون يا زينب بنت محمد ويا رقية بنت محمد وهكذا نسبنا إليه صلى الله عليه وآله.

ولم تزل العرب على هذا الحال إلى أن جاء الإسلام وربي بعض الصحابة يتيمة بعد الهجرة وسأل رسول الله هل يجوز في الإسلام تزويج اليتيمة ممن رباها فأنزل الله تعالى قوله: (وَيَسِّرْ لَكُمْ فِي النِّسَاءِ قُلَّ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا) 1 .

وقوله تعالى: (وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِدُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ... الخ) (1)، وهكذا سقط عن المربي للأيتام

ص: 192

انتسابهم إليه شرعاً وبقي بعض العامة على بعض السنن إلى اليوم. وكذلك نسب هند أخوزينب ورقية إلى خديجة ولو لم يلتحق بعشيرته في البادية لنسب إلى رسول الله أيضاً. ومن هنا ظن العامة لما غلب اسم خديجة على اسم هالة أختها أن أبا هند كان متزوجاً بخديجة قبل رسول الله صلى الله عليه وآله، ومما يدل على توهم العامة: أن هنداً بن أبي هند عمّر حتى لحق أيام الحسين عليه السلام فقتل بين يديه وهو شيخ فقال الناس: قتل خال الحسين هند بن أبي هند التميمي، فجهلوا أمه وعرفوا أباه. قلت: لورباه رسول الله لجهلوا أمه وأباه. فكان رسول الله صلى الله عليه وآله في نسب ابنتي أبي هند على ما وصفناه من سنة العرب في الجاهلية فدرج نسبهما عند العامة كذلك، ثم نسب أخوهما أيضاً هند إلى خديجة إذ كان اسم خديجة ثابتاً معروفاً وكان اسم أختها هالة خاملاً مجهولاً فظنوا لما غلب اسم خديجة على اسم هالة أختها في نسب ابنها أن أبا هند كان متزوجاً بخديجة قبل رسول الله صلى الله عليه وآله فانتسبوا إليها لذلك وتحقق في ظنهم بجعلهم بأمهم أخت خديجة، أنّ هنداً كان قد عمّر حتى لحق أيام الحسين عليه السلام فقتل بين يديه وهو شيخ فقال الناس قتل خال الحسين عليه السلام هند ابن أبي هند التميمي وأنه كان هند ابن خالة فاطمة أم الحسين عليهما السلام على ما شرحناه فلم يميز العوام هذا القول وقدر السامع له أن هنداً كان ابن خديجة ولم يجعلوا أبا هند التميمي أنه والد هند لبلوغ هند قبل موت أبي هند وجهلوا اسم هالة أختها أم هند بن أبي هند التميمي (1)، هذا أولاً.

وثانياً: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله زوجهن في الجاهلية من رجال كافرين فزوج

ص: 193

1- (1) راجع: الاستغاثة، أبو القاسم الكوفي، ج 1 ص 69.

زينب من أبي العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن مناف بن قصى القرشى العبشمى، وزوج رقية من عتبة بن أبي لهب، وزوج أم كلثوم من عتيبة بن أبي لهب على القول به وبها. وعليه لم يخل الحال فى ذلك من أن يكون الرسول صلى الله عليه وآله فى زمن الجاهلية على دين الجاهلية أو كان مخالفاً لهم بالإيمان بالله فإن قال قائل: إنه كان على دين الجاهلية كفر بالله ورسوله لأن الله يقول فى كتابه الحكيم ما نصه فى شأن الإمامة من قصة إبراهيم عليه السلام: (قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) 1

ومن كان كافراً مشركاً كان أكبر الظالمين لقوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) 2. ومن كان كذلك كان عابداً للأصنام ومن كان عابداً للأصنام كان محالاً أن يتخذه الله عز ذكره نبياً أو رسولاً أو إماماً بحكم هذا الوجه. ولو جاز على الله أن يتخذ كافراً أو مشركاً نبياً أو رسولاً أو إماماً لجاز فى حكم النظر أن يرسل كفاراً مشركين، وكما أنه جاز أن ينقل الكافر إلى الإيمان والمؤمن إلى الكفر كذلك يجب فى حكم النظر أن يكون حال الأنبياء والأوصياء لو جاز على الله ذلك. فلما فسد ذلك فى حكمة الله جل اسمه كان محالاً على رسول الله أن يزوج بناته من كافرين مشركين من غير ضرورة دعت إلى ذلك، وهو مخالف لهم فى دينهم عارف بكفرهم وإلحادهم، مع ارتفاع المانع وتوفر الموجب حيث إن أرض الحجاز لم



تعدم القلة من أهل الفطرة استمراراً للبقية المتبقية من حنيفة إبراهيم الخليل ولما فسد هذا بطل أن يَكُنَّ بناته.

وأما قول الله تعالى: (يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً) 1, فالمقصود من بناته بنات المؤمنين بدليل أنه تعالى لم يذكر هنا بنات المؤمنين، وإلا فلو كان المقصود بناته حقيقة يكون المعنى أن الله أمر نساء النبي وبناته ونساء المؤمنين بالتستر وترك بناتهم، ولا قائل به من المسلمين(1).

وثالثاً: لم نجد من خلال سيرة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أى رابطة عملية أو لفظية مع زينب ورقية وأم كلثوم، بخلاف ما صدر بحق ابنته فاطمة عليها السلام فهناك مئات الروايات، ولم نسمع يوماً أنه صلى الله عليه وآله مرّ ببيت إحداهن، بخلاف ما كان يصنعه مع الزهراء عليها السلام، فقد ورد عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قدم من سفر قبل ابنته فاطمة(2).

ورابعاً: لم يحتج عثمان في حياته بأنه صهر النبي صلى الله عليه وآله أبداً، ولم يقل النبي صلى الله عليه وآله: عثمان صهرى؟ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلى عليه السلام: يا على أوتيت ثلاثاً لم يؤتتهن أحد ولا أنا، أوتيت صهراً مثلى ولم أوت أنا مثلى. وأوتيت صديقة مثل

ص: 195

---

1- (2) انظر: دفاع من وحى الشريعة ضمن دائرة السنة والشريعة، السيد حسين الرجا، ص 368.

2- (3) مجمع الزوائد، الهيثمي، ج 8 ص 42.

ابنتي، ولم أوت مثلها زوجة. وأوتيت الحسن والحسين من صلبك ولم أوت من صلبى مثلهما ولكنكم منى، وأنا منكم(1). وقال عمر لقد أوتى ابن أبى طالب ثلاث خصال لئن تكون لى واحدة منهن أحب إلى من حمر النعم: زوجة النبى صلى الله عليه وآله ابنته (وولدت له). وسد الأبواب إلا بابه (فى المسجد). وأعطاه الراية يوم خيبر. (أخرجه أحمد)(2). فهنا لم يقل الخليفة عمر: زوجة إحدى بناته بل قال زوجة ابنته.

وخامساً: عندما سئل عبد الله بن عمر... فما قولك فى على وعثمان قال أما عثمان فكان الله عفا عنه، وأما أنتم فكرهتم أن تعفوا عنه، وأما على فابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه، وأشار بيده فقال هذا بيته حيث ترون(3). اقتصر ابن عمر على وصف على عليه السلام بختن رسول الله صلى الله عليه وآله، ولو كان عثمان ختنه أيضاً لذكره. وأعتقد أن هذا يكفى فى إثبات أن الزهراء عليها السلام هى البنت الوحيدة للنبى صلى الله عليه وآله، مع أنه هناك شواهد وأدلة أخرى فى المقام.

## سبب تصدى السيدة خديجة للتجارة

### إشارة

الطابع العام الذى عرفت به السيدة خديجة الكبرى قبل زواجها بالنبى صلى الله عليه وآله هو عملها بالتجارة، حتى أصبحت هذه الميزة الشائعة فى سيرتها، ولم يكن نشاط السيدة خديجة بالتجارة بعيداً عن الطابع العام للحياة الاقتصادية والأعراف

ص:196

1- (1) الغدير، الأمينى، ج 2 ص 312.

2- (2) ينابيع المودة لذوى القربى، القندوزى، ج 2 ص 169.

3- (3) صحيح البخارى، البخارى، ج 5 ص 157.

الاجتماعية في مكة، حيث كانت التجارة تمثل العمود الفقري لمكة، ومنذ أن جمع قصى قريشاً أخذت تمارس مهنة التجارة وتستمد منها الحياة والعيش، ولذلك أجريت عدة معاهدات تجارية قام بها هاشم وإخوته تسمى الإيلاف، وذلك لتأمين الطرق التجارية الداخلية والخارجية، وأصبح لقريش صلات مع العراق والشام واليمن والحبشة. وهذا إضافة إلى الانتعاش الاقتصادي الذي حظيت به قريش فقد أعطاهما غطاءً واسعاً من التحضر والتعرف على الثقافات الأخرى، التي كانت تقف مع التجار الأجانب، فجعلتها تختلف عن مجتمعات الجزيرة العربية، وتبعاً لذلك تطورت مكانة المرأة نوعاً ما في هذا المجتمع في شتى المجالات فاشتركت النساء في كثير من النشاطات لاسيما الاقتصادية منها، ولم تبق حكرًا على الرجال، كما يؤكد ذلك ورود عدة روايات تذكر جملة من النساء كن يمارسن التجارة، من تلك النساء أسماء بنت مخزبه (أم أبي جهل) كانت تعمل ببيع العطور التي يجلبها لها ابنها عبدالله ابن ربيعة من اليمن(1). وأيضا كانت قبيلة (أم أنمار) تعمل بالتجارة. وهاله أخت خديجة. فهذا كان أمراً شائعاً في المجتمع المكي. وليس ممارسة السيدة خديجة للتجارة أمراً خارجاً عن الإطار العرفي والقانوني.

إما السبب الذي جعل السيدة خديجة تباشر هذا العمل بعد وفاة خويلد هو لم يبق احد يرثه سوى خديجة ونوفل ابن خويلد فلم يكن احد يقوم بإدارة هذه الأموال، لذلك قامت بنفسها في إدارة هذه الأموال وتنظيمها للتجارة، حيث كانت ترسل الأمناء الذين من ضمنهم ابن أخيها حكيم ابن حزام، وكان يعمل معها

ص:197

---

1- (1) أنظر: الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، ج 8 ص 301.

بشكل منظم ومستمر وأيضاً غلامها ميسرة.

وكيف كان فإن السيدة خديجة وجدت بين يديها ثروة ومالاً -بحاجة إلى عمل وتنمية وكانت ذات نضوج عقلي وقوة في شخصيتها الاجتماعية قد حفزها ودفعها لتحريك هذا المال في المجال الاقتصادي السائد آنذاك. ولكنها لم تباشر العمل بنفسها وإنما استعانت ببعض الأشخاص للعمل ومزاولة البيع والشراء والخروج مع القوافل، وهي بمثابة المشرف العام على رؤوس هذه الأموال.

### مصادر أموال السيدة خديجة

لم يبين لنا التاريخ الموارد الأولية التي من خلالها حصلت السيدة خديجة على رأس المال حتى أصبحت تضارب وتتاجر به وحازت كل هذه الثروة العظيمة التي تنافس كبار التجار من قريش، وعليه حاول بعض الباحثين أن يحدد مصدر أموال السيدة خديجة بافتراض بعيد عن الواقع ولا ينسجم مع المنطق العام، حيث قال حصلت على المال من أزواجها قبل الرسول صلى الله عليه وآله قال: «وقد مات عن خديجة زوجان وترك كل منهما ثروة»<sup>(1)</sup>. وهذا الكلام غير صحيح ولا يصمد أمام النقاش من عدة أمور نستعرضها على شكل نقاط:

أولاً: ثبت عندنا أنّ السيدة خديجة لم تكن متزوجة قبل النبي صلى الله عليه وآله، فالافتراض منتفٍ أصلاً، أو يكون بمثابة الموجبة بانتفاء الموضوع.

ثانياً: لو سلمنا جدلاً وقلنا لها زوج أو أزواج قبل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، فهم

ص: 198

---

1- (1) نقلاً عن كتاب حياة خديجة من المهد الى الحد، ص 118.

كانوا فقراء لا يملكون أموالاً ولا هم من التجار، ولم توجد رواية أو نص تاريخي يؤيد ذلك، بل هناك شواهد تدل على عكس ذلك وتثبت أنهم كانوا فقراء، كما جاء عن ابن إسحاق في أسراء بدر: (قال: وصيفى بن أبي رفاعة بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ترك فى أيدى أصحابه، فأخذوا عليه لبيعتهن لهم بفدائه فخلوا سبيله ولم يف لهم)<sup>(1)</sup>. فلو كان عتيق المخزومى تاجر وذا مال لكانت ابنته هند بنت عتيق أرسلت فداءً لزوجها عندما أسر فى معركة بدر بدلاً من بقائه فى الأسر لأنه لا يمتلك فدية.

ثالثاً: إنَّ القوانين الوراثة السائدة فى أغلب المجتمعات الجاهلية ما قبل الإسلام كانت لا تورث الزوجة حيث يأخذ أهل الزوج أو أقرباؤه كل المال الذى يتركه زوجها، بل كانوا لا يورثون النساء والأطفال، حتى نزلت آية الموارث لتعالج هذه المعضلة التى كان يعانىها المجتمع الجاهلى (لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً) 2، وهذه الآية نزلت فى أوس بن مالك الأنصارى، وذلك أن أوس بن مالك الأنصارى توفى وترك امرأته أم كحة الأنصارية، وترك ابنتين إحداهن صافية، وترك ابنى عمه عرفطة وسويد ابنى الحارث، فلم يعطياها ولا ولداها شيئاً من الميراث، وكان أهل الجاهلية لا يورثون النساء ولا الولدان الصغار شيئاً، ويجعلون الميراث لذوى الإنسان منهم، فانطلقت أم كحة وبناتها إلى

ص: 199

---

1- (1) أنظر: البداية والنهاية ابن كثير، ج 3 ص 380.

النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت: إنَّ أباهن توفى، وإنَّ سويد بن الحارث وعرفطة منعاهن حقهن من الميراث، فأنزل الله عز وجل في أم كحة وبناتها: قوله (لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ ...)(1). بل كان الحال أسوء من ذلك، وهو إذا كان للرجل زوجة ومات عنها فأولياؤه أحق بها، كما ورد عن ابن عباس قال كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته إن شاء بعضهم تزوجها وإن شاؤوا زوجها وإن شاؤوا لم يزوها فهم أحق بها من أهلها، حتى نزلت هذه الآية (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ) 2.

رابعاً: لو فرضنا أنَّها ورثتهم فإنَّ لأولادهم حصة في هذا المال، ولا يحق لها أن تستأثر بالأموال دونهم، مع أنَّه كيف نتصور أنَّ النبي صلى الله عليه وآله قبل هذه الأموال منها وعمل بها واستفاد منها في نشر الدعوة الإسلامية وهي في الواقع بحكم المغصوبة.

فتحصل من كل ذلك أنَّ السيدة خديجة لم ترث من أزواجها الذين لا يعرف عنهم شيء سوى أسمائهم.

والصحيح أو الذي هو أقرب للواقع أنَّ السيدة خديجة ورثت هذا المال من عائلتها حيث إنَّ أباهها خويلد واثنين من أخوتها قتلوا في حرب الفجار، فنالت جزءاً من هذه الأموال مع بقية الورثة، أو أهداها أبوها في حياته ثم عملت به فتمى، مع أنَّ أباهها كان من الشخصيات المرموقة والمعروفة ومرجع الناس إليه كما تقدم.

ص: 200

---

1- (1) أنظر: تفسير مقاتل بن سليمان، مقاتل بن سليمان، ج 1 ص 216.

لا يسمح المقام الذي يتمتع به النبي صلى الله عليه وآله ولا العائلة الهاشمية حينذاك أن يكون النبي صلى الله عليه وآله أجيراً بهذه الصفة لأحد كيف ما كان لاسيما وهو مؤهل لأن يكون منقذاً للبشرية، بالإضافة إلى العرف الجاهلي الذي يستهجن أن يكون أجيراً عند امرأة كيف ما كانت ولذلك لم نلاحظ من التاريخ أن أعداء الإسلام عابوا عليه بذلك. وعليه إنّه ما كان مما يقول الناس: إنها استأجرته بشيء، ولا كان أجيراً لأحد قط ولعل إضافة لما تقدم في عزة نفس النبي صلى الله عليه وآله وإبائها. وأيضاً في تسديد الله تعالى له. وأيضاً في شرف أبي طالب وسؤدده، ما يبعد كثيراً أن يكون قد صدر شيء مما نسب إلى أبي طالب منه وعلى هذا، فقد يكون سفره صلى الله عليه وآله إلى الشام، لا لكونه كان أجيراً لخديجة، وإنما لأنه كان يضارب بأموالها، أو شريكاً لها.

وأما ما جاء في رواية اليعقوبي عن عمار بن ياسر ما يفيد أن خبر سفر النبي بأموال خديجة إلى الشام وأن خديجة أحبتّه حيث حدثها غلامها ميسرة بأخباره، وأنها بعثت إلى النبي صلى الله عليه وآله فعرضت نفسها عليه... كان هذا قد شاع في الناس يوم ذاك فكانوا يقولون: إنها استأجرته بشيء من أموالها، وكان عمار بن ياسر يقول: «أنا أعلم الناس بتزويج رسول الله خديجة بنت خويلد... إنّه ما كان مما يقول الناس أنّها استأجرته بشيء، ولا كان أجيراً لأحد قط... بل كنا نمشي يوماً بين الصفا والمروة إذ بخديجة بنت خويلد وأختها هالة، فلما رأته رسول الله جاءته هالة وأختها فقالت: يا عمار ما لصاحبك حاجة في خديجة؟ قلت: والله ما أدري.

فرجعت فذكرت ذلك له، فقال: ارجع فواضعها وعدّها يوماً نأتيها فيه، ففعلت. فلما كان ذلك اليوم أرسلت إلى عمرو بن أسد (عمها) وطرحت عليه حبراً ودهنت لحيته بدهن أصفر... ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وآله في نفر من أعمامه، يتقدمهم أبو طالب، فخطب أبو طالب فقال: ثم روى الخطبة المذكورة ثم قال: فتزوجها وانصرف» (1).

بالإضافة إلى ما جاء في التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عن أبيه الهادي عليه السلام يصرح بذلك فيقول: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يسافر إلى الشام مضارباً لخديجة بنت خويلد» (2). وكذلك ابن إسحاق يقول: «كانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات مال وشرف، تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم منه... الخ» (3). وعلى هذا فقد يكون سفره صلى الله عليه وآله إلى الشام لا لكونه أجيراً لخديجة بل مضارباً بأموالها، أو شريكاً.

والعمل لا يتنافى مع العبقریات والنبوات، ولا يضع من شأن الإنسان مهما كان، بل هو من أفضل الطاعات إذا كان في سبيل العيال والأولاد وخير الناس، ولكن تأريخ النبي صلى الله عليه وآله منذ ولادته إلى أن بلغ سن الرجولة وأصبح زوجاً لخير امرأة عرفها تأريخ المرأة، ومواقف جده ثم عمه والمراحل التي عاش فيها معهما عزيزاً موفور الكرامة، لا يفارقهما في ليل أو نهار، يبذلان في سبيل راحته واطمئنانه الغالي ومن تتبع ذلك وأدرك أنهما منذ طفولته كانا يترقبان له مستقبلاً

ص: 202

1- (1) راجع: تاريخ اليعقوبي، ج 2 ص 20.

2- (2) راجع: تفسير الإمام العسكري، ص 155.

3- (3) راجع: سيرة ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار، ج 2 ص 59.



يهز العالم من أقصاه إلى أقصاه ويحدث تحولاً في تاريخ البشرية، وأنهما كانا يخافان عليه دعاة الأديان وطواغيت العرب.

## زيف القول

حاول أعداء الإسلام أو الحمقى والمغفلون تحريف مسار التاريخ واتهام نبي الإنسانية بما لا يعقل، فقد نقل الحلبي في سيرته أنّ النبي صلى الله عليه وآله دخل على خديجة قبل التزويج فأخذت يده فضمته إلى صدرها(1). وأيضاً من جملة ما نقله أنّ عمها كان يأنف من أنّ يزوجه من محمد يتيم أبي طالب فاحتالت عليه حتى سقته الخمر فزوجها في حال سكره فلما أفاق وجد نفسه أمام الأمر الواقع، فلم يجد بداً من القبول(2)؟.

## والجواب

لا ريب إنّ هذا الهراء والافتراء يتناقض مع أخلاق الرسول الكريم وخديجة أم المؤمنين فهو ليس إلا كذباً موضوعاً لم يقصد به سوى الحط والوضع من كرامة النبي صلى الله عليه وآله وتنقيصه. إضافة إلى قدح مكانة السيدة خديجة.

وكما أنّ كون خديجة هي التي عرضت نفسها على النبي صلى الله عليه وآله، وأنه لم يكن هو الذي تقدم بطلب يدها، لخير جواب لما جاء في كلمات بعض المستشرقين من اتهام باطل بأنه صلى الله عليه وآله إنّما تزوج خديجة طمعاً في مالها، مع أنّه لم

ص: 203

1- (1) انظر: السيرة الحلبية، الحلبي، ج 1 ص 140.

2- (2) انظر: المصدر السابق، ص 138.

يبقى هذا التقدير والحب من خديجة للنبي صلى الله عليه وآله من طرف واحد، بل قابله النبي صلى الله عليه وآله بالحب والتقدير لها في أيام حياتها وبعد مماتها، حتى لقد كان ذلك يثير حفيظة بعض أزواجه اللواتي ما رأين، ولا عشن مع خديجة، دليل واضح على بطلان هذا الزعم. بل إن حياة النبي صلى الله عليه وآله من بدايتها إلى نهايتها لخير شاهد على أنه ما كان يقيم للمال أى وزن وقد أنفقت خديجة أموالها برغبتها فى سبيل الله والدعوة إلى دينه وليس على النبي صلى الله عليه وآله وملذاته وهكذا تفعل الحرة العاقلة اللبيرة كما فعلت خديجة، فلا تغرها بهرجة الدنيا وزخرفها وزبرجها، ولا تبحث عن المال والشهرة، ولا عن اللذة والشهوة، وإنما يكون نظرها إلى الأخلاق الفاضلة والسجيا الكريمة، لأنها هى التى تسخر المال والجاه والقوة فى سبيل الإنسانية، والماديون الذين ينظرون إلى كل شىء من ناحية المال والمادة فإن حياة النبي صلى الله عليه وآله من بدايتها إلى نهايتها لخير شاهد على أنه صلى الله عليه وآله ما كان يقيم للمال وزناً.

### تصيد بالماء العكر

زعم بعض المغرضين أن خديجة بما أنها كانت ذات مال تتاجر به، كانت أحوج ما تكون إلى رجل أمين لإدارة أمور تجارتها، لذلك اندفعت للزواج بمحمد الصادق الأمين وكان النبي صلى الله عليه وآله يعلم بوضعها المالى وحياتها الكريمة قبل خطوبتها مع ما بينهما من تفاوت العمر.

إلا أن الذى نراه فى التاريخ هو أن دوافع خديجة للزواج بالصادق الأمين كانت دوافع معنوية لا مادية.

والشاهد لذلك ما رواه ابن إسحاق قال: وكانت خديجة قد ذكرت لورقة بن نوفل بن أسد (ابن عمها) ما ذكر لها غلامها ميسرة من قول الراهب، وما كان يرى منه إذ كان الملكان يظلاته.

وكان ورقة نصرانياً قد تتبع الكتب وعلم من علم الناس فقال لها: لئن كان هذا حقاً يا خديجة فان محمداً لنبى هذه الأمة، وقد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبى ينتظر وكانت أول امرأة آمنت به، لما يشهد في صفحات التأريخ بأن زواجها كان منبعثاً من إيمانها بطهارة الصادق الأمين، وان حياة خديجة وما ورد بشأنها من الروايات والأحاديث لما يوضح هذا الموضوع بما لا يدع فيه أى شبهة، على من أراد التفصيل فى ذلك أن يراجع الروايات الواردة فى فضلها وفضيلتها(1).

### منزلة خديجة عند الله

حظيت خديجة بنت خويلد بمكانة عالية ومقام رفيع عند الله، وهذا ما كشف عنه الوحي الإلهى الذى طالما يوصل لها التحية والسلام المباشر من قبل الله تعالى ويبشرها بما أعد لها من النعيم فى الآخرة. كما ورد بطرق مختلفة، أتى جبرائيل النبى صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله هذه خديجة قد أتتك ومعها إناء فيه أدام أو طعام أو شراب فإذا هى أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها، وبشرها ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب(2).

ص: 205

- 
- 1- (1) راجع: موسوعة التاريخ الإسلامى، محمد هادى اليوسفى، ج 1 ص 331
  - 2- (2) صحيح البخارى، ج 4 ص 231. والسيرة النبوية، ابن كثير، ج 2 ص 133.

وأيضاً ورد عن زرارة وحمران بن أعين ومحمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال:

حدث أبو سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنّ جبرئيل قال لى ليلة اسرى بى وحين رجعت فقلت: يا جبرئيل هل لك من حاجة؟ فقال: حاجتى أن تقرأ على خديجة من الله ومنى السلام, وحدثنا عند ذلك انها قالت حين لقيها نبي الله عليه وآله السلام فقال لها الذى قال جبرئيل، قالت: ان الله هو السلام، ومنه السلام، وإليه السلام، وعلى جبرئيل السلام(1).

وعن وكيع، بإسناده، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لخديجة:

يا خديجة، هذا جبرائيل يخبرنى أن الله عز وجل أرسله إليك بالسلام. فقالت خديجة: الله السلام ولله السلام وعلى جبرائيل السلام(2).

وعن ابن عباس قال: خط رسول الله صلى الله عليه وآله أربعة خطوط فى الأرض وقال: أتدرون ما هذا: قلنا الله ورسوله أعلم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

أفضل نساء [أهل] الجنة أربع: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون(3).

وغيرها من الروايات الكثيرة التى تشير إلى عظمة مكانة السيدة خديجة عند الله.

ص: 206

- 
- 1- (1) شرح الأخبار، القاضى النعمانى المغربى، ج 3 ص 21. ينابيع المودة، القندوزى، ج 2 ص 48.
  - 2- (2) تفسير العياشى، محمد بن مسعود العياشى، ج 2 ص 279.
  - 3- (3) الخصال، الشيخ الصدوق، ص 205.

انفردت خديجة عن غيرها من زوجات النبي صلى الله عليه وآله في حبه لها، فقد نالت حب النبي صلى الله عليه وآله ورضاه وشغفه بها وما كان يقدم عليها امرأة وبقيت هي زوجته الوحيدة وشريكة حياته إلى أن وافاها الأجل، وهذا الحب وهذه العلاقة لم تنقطع عند الموت وإثما ظلت في ذاكرته وهو اجسه صلى الله عليه وآله، وكان يؤنسه الحديث عنها حتى أنه كان يقصد صويحباتها يحدثه عنها وعن ذكرياتها، وكان يكثر ذكرها، ويحسن الشاء عليها، ويقول: ما نفعنى مال كمالها، ورزقه الله الولد منها، ولم يتزوج في حياتها إكراماً منه لها. ذات يوم اجتمعن عنده نساؤه، قالت أم سلمة: فلما ذكرنا خديجة بكى رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال: خديجة وأين مثل خديجة، صدقتنى حين كذبنى الناس وأزرتنى على دين الله وأعانتنى عليه بمالها، إن الله عز وجل أمرنى أن أبشر خديجة ببيت فى الجنة من قصب [الزمر] لا صخب فيه ولا نصب(1). ولكثرة ما كان يذكرها قالت له عائشة يوماً: تكثر من ذكر خديجة وقد أبدلك الله من هو خير منها؟ فقال صلى الله عليه وآله: كلا والله ما بدلت بها من هو خير منها، صدقتنى إذ كذبنى الناس، وأوتىنى إذ طردنى الناس، وأسعدتني بمالها، ورزقنى الله الولد منها، ولم ارزق من غيرها(2).

وعن عائشة قالت ما غرت على نساء النبي صلى الله عليه وسلم إلا على خديجة وإنى لم أدركها قالت وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذبح الشاة فيقول أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة قالت فأغضبتة يوماً فقلت خديجة فقال

ص: 207

1- (1) أنظر: شرح إحقاق الحق، السيد المرعشى، ج 4 ص 480. وبحار الأنوار، العلامة المجلسى، ج 43 ص 131.

2- (2) التعجب، أبو الفتح الكراجكى، ص 103.

رسول الله صلى الله عليه وسلم إني قد رزقت حبها(1).

وجاء عن أنس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتى بالشيء قال اذهبوا به إلى فلانة فإنها كانت صديقة لخديجة. وقالت عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذكر خديجة لم يكن يسأم من الثناء عليها والاستغفار لها فذكرها ذات يوم واحتملتنى الغيرة إلى أن قلت قد عوضك الله من كبيرة السن قالت فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم غضب غضباً سقط في جلدى فقلت فى نفسى اللهم إنك إن أذهبت عنى غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أذكرها بسوء ما بقيت فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى قد لقيت قال كيف قلت والله لقد آمنت بى إذ كفر بى الناس وصدقتنى إذ كذبنى الناس ورزقت منى الولد إذ حرمتيه منى فغدا بها على وراح شهراً(2).

وأيضا عن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا ذكر خديجة اثنى عليها فأحسن الثناء قالت فغرت يوما فقلت ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدق قد أبدلك الله عز وجل بها خيراً منها قال ما أبدلنى الله عز وجل خيراً منها قد آمنت بى إذ كفر بى الناس وصدقتنى إذ كذبنى الناس وواستنى بمالها إذ حرمنى الناس ورزقنى الله عز وجل ولدها إذ حرمنى أولاد النساء(3). وغير ذلك من الروايات المستفيضة عند الفريقين، ويكفيها أنه صلى الله عليه وآله بعد ما فارقت الحياة ومن ثم أبى طالب سمي ذلك العام عام الحزن؛ لأنه فقد عزيزين يصعب فراقهما.

ص: 208

1- (1) صحيح مسلم، مسلم النيسابورى، ج 7 ص 134.

2- (2) المعجم الكبير، الطبرانى، ج 23 ص 12.

3- (3) انظر: مسند أحمد، أحمد بن حنبل، ج 6 ص 117.

امتازت خديجة عن غيرها في جملة من المواقف النبيلة التي أعطتها صبغة مميزة أشخصتها عن أقرانها ومعاصريها من جملتها أنّها أول النساء اللاتي أسلمت وآمنت وضحت وقدمت الغالي والنفيس من أجل الدين والرسالة، وقد أظهرت ما كان يختلج صدرها من إيمانها بالنبى الأكرم وما رسمه من مستقبل زاهر في إحياء البشرية ومجابهة الطاغوت الغاشم، مع أنّ دخول خديجة عليها السلام فى الإسلام يختلف عن غيره بكثير إذ أكثر أهل الإسلام كان إسلامهم بطيئاً ومتأخراً وربما يكون خجولاً عند بعض الأشخاص، بل متزلزلاً عند البعض الآخر، لذا نلاحظ البعض يدخل دائرة الإسلام بعد المشاورة أو بعد التأمل، أو هناك ثمة ضغوط سياسية أو اجتماعية، وغير ذلك، وأمّا خديجة عليها السلام فقد كان إسلامها سريعاً وفورياً ومنشأ هذه السرعة والفورية فى إسلامها أمران:

الأمر الأول: علمها ومعرفتها بالأديان والكتب وعلامات الرسل، فقد تعلمتها من عمها ورقة بن نوفل كما سوف يأتى فى الكلام حول علمها فهى على اطلاع بأنّ محمداً صلى الله عليه وآله سوف يكون هو النبى لهذه الأمة، وكان هذا العلم يلازمه الإيمان بالله تعالى فإنها عليها السلام كانت على ملة إبراهيم الخليل عليه السلام كما تقدمت الإشارة إليه.

الأمر الثانى: هو علمها بأنّ محمداً صلى الله عليه وآله أهل لذلك وليس أحد فى أمته من هو أفضل منه، وعليه فقد ذكروا أنّ خديجة أول من أسلم حيث بُعث صلى الله عليه وآله يوم الاثنين فأسلمت هى فى ذلك اليوم، وكانت له عوناً على حاله كله تثبته على أمره

وتصبره على ما يلقي من أذى قوميه، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يحبها ويقول: رزقت حبها، ولم يتزوج عليها حتى ماتت قبل الهجرة بسبع سنين، وقيل بخمس، وقيل بأربع، وقيل بثلاث، وهو أصح وأشهر وتوفيت هي وأبو طالب في سنة واحدة. قيل: كان بينهما ثلاث أيام، وسيأتي الكلام عن تاريخ وفاتها إن شاء الله.

### النبى يعلم خديجة الوضوء والصلاة

بعد ما علم جبرائيل الوضوء والصلاة للنبي صلى الله عليه وآله من قبل الله، فجاء رسول الله إلى خديجة فتوضأ لها ليريهما كيفية الطهور للصلاة كما أراه جبرائيل فتوضأت كما توضأ لها رسول الله صلى الله عليه وآله ثم صلى بها رسول الله صلى الله عليه وآله كما صلى به جبرائيل فصلت بصلاته (1). وكانت هذه الصلاة في نفس يوم الوحي كما ورد. صلى النبي صلى الله عليه وآله يوم الاثنين وصلت خديجة آخر يوم الاثنين. وأيضاً ورد عن عفيف قال: جئت في الجاهلية حتى قدمت مكة لابتاع لأهلى من ثيابها وعطرها وآويت إلى العباس وكان رجلاً تاجراً فأنا جالس عنده وأنا أنظر إلى الكعبة وقد حلقت الشمس في السماء إذ أقبل فتى شاب حتى رمى ببصره إلى السماء فنظر ثم أقبل إلى الكعبة فدنا منها فلم يلبث إلا يسيراً حتى جاء شاب فصنع كما صنع ثم قام إلى جنبه فما مكث إلا يسيراً حتى جاءت امرأة فقامت خلفهما فأهوى الشاب فركع فركعاً فرفع فرفعا ثم أهوى إلى الأرض ساجداً (فسجداً) فقلت: يا عباس أمر والله عظيم؟ فقال: أمر والله عظيم؟ هل تدري من هذا؟ قلت: لا، قال: هذا محمد ابن عبد الله هذا ابن أخى، هل تدري من هذه المرأة؟ قلت: لا، قال: هذه خديجة

ص: 210

---

1- (1) السيرة النبوية، ابن هشام الحميرى، ج 1 ص 161.



بنت خويلد زوجة ابن أخى. هل تدرى من هذا (الفتى؟) هذا على بن أبى طالب ابن أخى، هذا الذى ترى ذكر أن ربه رب السماوات والأرض أمره بهذا الدين فهو عليه ولا والله (ما) أعلم على ظهر الأرض كلها أحداً على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة(1).

### خديجة وعاء لأم الأئمة

تقدم أن أم المعصوم لا بد وأن تحتوى على مؤهلات وصفات كمالية عالية بحيث تؤهلها لأن تكون وعاءاً للمعصوم وتنال هذا الوسام الرفيع، ولذلك دخل هذا الوعاء تحت الرعاية والتربية الإلهية وكان ذلك بمثابة الاصطفاء وأم المعصوم قد اصطفت من قبل الله عز وجل. والسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام لم تكن حجة ومعصومة فحسب وإنما بحسب الأحاديث الثابتة أنها حجة على الحجج الطاهرة والبراهين الزاهرة، كما أكده المعصوم عليه السلام بعبارة صريحة لا تقبل التأويل: نحن حجج الله على الخلق وفاطمة حجة الله علينا(2). من هنا أخذت فاطمة عليها السلام تعرف علياً عن نفسها وعن عظم مكانتها وذلك من باب إياك أعنى واسمعى يا جارة، وإلا أهل البيت عليهم السلام أعلم وأعرف ببعضهم البعض، فراحت مخاطبة علياً عليه السلام قائلة: أعلم يا أبا الحسن إن الله تعالى خلق نورى وكان يسبح الله جل جلاله ثم أودعه شجرة من شجر الجنة فأضاءت فلما دخل أبى صلى الله عليه وآله إلى الجنة أوحى الله تعالى إليه إلهاماً أن اقتطف الثمرة من تلك الشجرة وادزها فى لهواتك ففعل

ص: 211

1- (1) مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، محمد بن سليمان الكوفى، ج 1 ص 271

2- (2) انظر: الانتصار، العاملى، ج 7 ص 193.

فأودعني الله تعالى صلب أبي صلى الله عليه وآله ثم أودعني خديجة بنت خويلد عليها السلام فوضعتني وأنا من ذلك النور، اعلم ما كان وما يكون وما لم يكن، يا أبا الحسن المؤمن ينظر بنور الله تعالى (1).

وعن مجاهد، عن ابن عباس، قال: لما تزوجت خديجة بنت خويلد، رسول الله صلى الله عليه وآله هجرها نسوان مكة، وكن لا يكلمنها، ولا يدخلن عليها، فلما حملت بالزهراء عليها السلام كانت إذا خرج رسول الله صلى الله عليه وآله من منزلها تكلمها فاطمة الزهراء في بطنها من ظلمة الأحشاء، وتحدثها وتؤانسها، فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لها: يا خديجة من تكلمين؟ قالت: يا رسول الله، إن الجنين الذي أنا حامل به إذا خلوت به في منزلي كلمني، وحدثني من ظلمة الأحشاء، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال: يا خديجة، هذا أخي جبرائيل عليه السلام يخبرني أنها ابنتي، وأنها النسمة الطاهرة المطهرة، وأن الله تعالى أمرني أن أسميها (فاطمة) وسيجعل الله تعالى من ذريتها أئمة يهتدى بهم المؤمنون. فقرحت خديجة بذلك (2). ولم نسمع بمثل هذا من أبناء السيدة خديجة غير السيدة الزهراء عليها السلام أنه كلمها وحدثها وهو في بطنها فهذه الكرامة من اختصاص السيدة الزهراء عليها السلام بما لها من مكانة عند الله.

### نساء الجنة يحضرن خديجة في مخاضها

نالت خديجة مرة أخرى وسام الشرف والافتخار حيث حضرن خير نساء أهل الجنة لخدمتها والقيام بشأنها وهذا الأعجاز لا يتأتى لكل أحد إلا من خصه

ص: 212

- 
- 1- (1) عيون المعجزات، حسين بن عبد الوهاب، ص 47.
  - 2- (2) الثاقب في المناقب، ابن حمزة الطوسي، ص 285.

الله عز وجل بالفضل والاصطفاء. فلما أن حضر وقت ولادتها أرسلت إلى نسوان مكة أن يتفضلن ويحضرن ولادتي ليلين منى ما تلى النساء من النساء، فأرسلن إليها: يا خديجة، أنت عصيتنا ولم تقبلي منا قولنا، وتزوجت فقيراً لا مال له، فلسنا نجىء إليك، ولا نلى منك ما تلى النساء من النساء فاعتمت خديجة رضى الله عنها غماً (شديداً)، فبينما هى كذلك إذ دخل عليها أربع نسوة كأنهن من نسوة قريش، فقالت إحدهن: يا خديجة، لا تحزنى فأنا آسية بنت مزاحم، وهذه صفية بنت شعيب وفى رواية أخرى: كلثم بنت عمران أخت موسى عليه السلام وهذه سارة زوجة إبراهيم عليه السلام، وهذه مريم بنت عمران، وقد بعثنا الله تعالى إليك لنلى منك ما تلى النساء من النساء، وجلسن حولها، ووضعت الزهراء فاطمة عليها السلام طاهرة ومطهرة(1).

### خديجة مربية لأمر المؤمنين عليه السلام

ومن فضائلها والخصوصيات التى اختصت بها عليها السلام إنها ربت أمير المؤمنين عليه السلام وبكفيها هذا الفخر العظيم حيث احتضنت مولى الموحدين الإمام على بن أبى طالب عليه السلام.

وبعبارة أخرى، يحتاج أمير المؤمنين إلى حاضنة خاصة طاهرة ومطهرة من كل شائبة ولا يحمل هذا الظرف الطاهر ولا يحتضنه أى محضن مهما كانت خصوصياته، بل لا بد أن يكون قابلاً لهذا المعصوم أرواحنا فداه فكما أن لفاطمة بنت أسد سلام الله عليها الفخر والفضل حيث ربت الرسول صلى الله عليه وآله

ص: 213

فكذلك لخديجة عليها السلام هذا الفضل العظيم ويدل على هذا ما ذكره ابن شهر آشوب حيث قال: كان أبو طالب وفاطمة بنت أسد ربياً النبي صلى الله عليه وآله وخديجة لعلى صلوات الله عليه، ونقل تاريخ الطبري، والبلاذري، وتفسير الثعلبي، والواحدى، وشرف النبي، وأربعين الخوارزمي، ودرجات محفوظ البستي، ومغازي محمد بن إسحاق، ومعرفة أبي يوسف النسوي، أنه قال مجاهد: ... وأخذ رسول الله علياً وهو ابن ست سنين كسنة يوم أخذه أبو طالب فربته خديجة والمصطفى إلى أن جاء الإسلام، فكان مع النبي إلى أن مضى وبقي عليٌّ بعده (1).

وعن الباعوني الشافعي: أنّ أبا طالب قال لزوجته فاطمة بنت أسد أم علي رضي الله عنهم يا فاطمة ما لي لا أرى علياً يحضر طعامنا؟ فقالت: إن خديجة بنت خويلد قد تألفتها (2)، فقال أبو طالب: والله لا أحضر طعاماً لا يحضره علي، فأرسلت أمه جعفرأ أخاه وقالت: جئني به وحدثته بما قال أبوه. قال: فانطلق جعفر إلى خديجة فأعلمها وأخذ علياً... (3). هذا وغيره يدل على مدى حبها لأمر المؤمنين عليه السلام وإيمانها به.

وذكر ابن حجر العسقلاني قوله: وعلى نشأ في بيت خديجة وهو صغير، ثم تزوج بنتها بعدها فظهر رجوع أهل البيت النبوي إلى خديجة دون غيرها... (4).

ص: 214

1- (1) راجع: حلية الأبرار، السيد هاشم البحراني، ج 2 ص 28.

2- (2) وتألف فلان فلانا إذا داراه وأنسه وقاربه وواصله حتى يستميله إليه. تاج العروس، ج 6 ص 45.

3- (3) راجع: جواهر المطالب في مناقب علي بن أبي طالب عليهما السلام، ج 1 ص 39.

4- (4) فتح الباري بشرح البخاري، ج 7 ص 109.

ذكر بعض المؤرخين حال السيدة خديجة عند احتضارها: وقد بدأت وطأة المرض تشتد على أم المؤمنين خديجة عليها السلام ولكن لم يكن يشغلها ما تعانيه من مرض بل كان كل شغلها رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه والدعوة إلى الله تعالى وتصبر على آلامها فتبتسم له حين يدخل عليها وهموم الدعوة إلى الله ترسم آثارها على وجه الحبيب فتشد خديجة رضى الله عنها عليه بيدها الحانية وتمسح عنه بهذا التأييد كل آثار التعب أو النصب.

ولبت الرسول صلى الله عليه وآله إلى جوار زوجته المريضة يرعاها ويؤنس وحشتها ويقف إلى جوارها لحظة الاحتضار هذه السيدة التي كان لها قصب السبق في الإسلام وهي التي احتضنت الدعوة الوليدة بقلبها المؤمن المستيقن وهي التي واست النبي صلى الله عليه وآله والمسلمين بمالها وجاهها وفوق هذا كله صاحبة البشرية الواعدة بأن لها بيتاً في الجنة.

لقد أتى الخاصة من الأهل والأقارب يهرولون ليهونوا على أم المؤمنين مرضها بإحاطتها بالرعاية والود وإسباغ مشاعر المحبة عليها واقترب منها المصطفى صلى الله عليه وآله أكثر أنه يرى وداعها قد حان وأنها الآن أوشكت على الفراق، ثم أسلمت الروح لبارئها وهي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وقام رسول الله صلى الله عليه وآله وهو حزين يحاول مغالبة عبراته، وهو يقول لقد ماتت خديجة. ثم سرى الخبر في أرجاء مكة يحمل نبأ وفاة أعظم امرأة عرفها الناس في تلك الأرض الطاهرة ووقع الخبر على أهل مكة كالصاعقة لقد ماتت خديجة بنت خويلد الطاهرة سيدة نساء قريش.

وروى عن الصدوق قال: عندما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله على خديجة وهى لما بها. فقال لها بالرغم منا ما نرى بك يا خديجة فإذا قدمت على ضرائرك فأقرئين السلام. فقالت: من هن يا رسول الله؟ قال: مريم بنت عمران وكلثم أخت موسى وآسية امرأة فرعون. قالت: بالرفاء يا رسول الله(1).

وروى لما مرضت مرضها الذى توفيت دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لها: بالكره منى ما أرى منك يا خديجة وقد يجعل الله فى الكره خيراً كثيراً أما علمت أن الله قد زوجنى معك فى الجنة مريم بنت عمران وكلثم أخت موسى وآسية امرأة فرعون. قالت: وقد فعل الله ذلك يا رسول الله؟ قال: نعم. قالت: بالرفاء والبنين(2).

وذكر الطبرسى رحمه الله قريباً من رواية الصدوق والبحار إلا أنه قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله على خديجة وهى تجود بنفسها، فقال: أكره ما نزل بك يا خديجة... الخ(3).

وعن الخوارزمى: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله على خديجة بنت خويلد امرأته وهى بالموت فشكت إليه شدة كرب الموت فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله ودعا لها ثم قال: أقدمى خير مقدم يا خديجة أنت خير أمّهات المؤمنين وأفضلهن وسيدة نساء العالمين(4).

ص: 216

---

1- (1) من لا يحضره الفقيه، ج 1 ص 84.

2- (2) مجمع الزوائد، الهيثمى، ج 9 ص 218. وبحار الأنوار، ج 19 ص 20.

3- (3) مجمع البيان، ج 10 ص 806.

4- (4) مناقب على بن أبى طالب عليهما السلام، ص 334.

لما اشتد مرضها قالت يا رسول الله اسمع وصاياي، أولاً فأنى قاصرة فى حثك فأعفنى يا رسول الله. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: حاشا وكلا ما رأيت منك تقصيراً فقد بلغت جهدك وتعبت فى دارى غاية التعب وبذلت بذلك أموالك وصرفت فى سبيل الله جميع مالك قالت: يا رسول الله الوصية الثانية أوصيك بهذه وأشارت إلى فاطمة فإنها غريبة من بعدى فلا يؤذيها أحد من نساء قريش، ولا يلطمن خدها ولا يصحن فى وجهها ولا يرينها مكروهاً.

الوصية الثالثة: فى أقولها لابنتى فاطمة وهى تقول لك فىنى مستحبة منك يا رسول الله فقام النبى صلى الله عليه وآله وخرج من الحجرة فدعت بفاطمة وقالت يا حبيبتى وقررة عينى قولى لأبيك إن أمى تقول أنا خائفة من القبر أريد منك رداءك الذى تلبسه حين نزول الوحي تكفنى فيه فخرجت فاطمة وقالت لأبيها ما قالت أمها خديجة فقام النبى صلى الله عليه وآله وسلم الرداء إلى فاطمة وجاءت به إلى أمها فسرت به سروراً عظيماً(1).

### اهتمامها بفاطمة عليها السلام

كان يشغل خديجة أمران النبى صلى الله عليه وآله وما يعانىه من مصاعب وآلام، ومستقبل ابنتها فاطمة عليها السلام حتى وهى فى أحلك الظروف ومعاناتها سكرات الموت، فقد ورد عن أسماء بنت عميس قالت: لما حضرت وفاة خديجة عليها السلام

ص: 217

فبكت. فقلت: أتبكين وأنت سيدة نساء العالمين وأنت زوجة النبي صلى الله عليه وآله مبشرة على لسانه بالجنة، فقالت: ما لهذا بكيت ولكن المرأة ليلة زفافها لا بد لها من امرأة تقضى إليها بسرها وتستعين لها على حوائجها وفاطمة حديثة عهد بصبي وأخاف أن لا يكون لها من يتولى أمرها حينئذ.

فقلت: يا سيدتي لك على عهد الله إن بقيت إلى ذلك الوقت أن أقوم مقامك في هذا الأمر. فلما كانت تلك الليلة وجاء النبي صلى الله عليه وآله وأمر النساء فخرجن وبقيت فلما أراد الخروج رأى سوادى فقال: من أنت؟ فقلت: أسماء بنت عميس. فقال: ألم أمرك أن تخرجي؟ فقلت: بلى يا رسول الله فداك أبي وأمي وما قصدت خلافاً ولكني أعطيت خديجة عهداً وحدثته. فبكى فقال: بالله لهذا وقفت؟ فقلت: نعم والله. فدعا لي (1).

### النبي يجهزها

لما توفت خديجة أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله في تجهيزها وغسلها وحنطها، فلما أراد أن يكفنها هبط الأمين جبرئيل وقال يا رسول الله إن الله يقرئك السلام ويخصك بالتحية والإكرام ويقول لك يا محمد إن كفن خديجة من عندنا فإنها بذلت مالها في سبيلنا فجاء جبرئيل بكفن وقال يا رسول الله هذا كفن خديجة وهو من أكفان الجنة أهدي الله إليها فكفنها رسول الله بردائه الشريف أولاً وبما جاء به جبرئيل ثانياً فكان لها كفنان كفن من الله وكفن من رسول الله صلى الله عليه وآله.

ص: 218



اختلف المحدثون والمؤرخون في تحديد زمن وفاة خديجة عليها السلام وسنذكر جملة من أقوالهم في ذلك:

ذكر ابن آشوب وغيره: أن أبا طالب رضى الله عنه توفى في آخر السنة العاشرة من مبعث رسول الله صلى الله عليه وآله ثم توفيت خديجة رضى الله عنها بعد أبى طالب بثلاثة أيام فسمى رسول الله ذلك العام عام الحزن. فقال: ما زالت قريش قاعدة عنى حتى مات أبو طالب (1).

وذكروا عن ابن إسحاق قال: ثم إن خديجة بنت خويلد وأبا طالب ماتا في عام واحد فتتبع علي رسول الله المصائب بموتهما. وكانت خديجة وزيرة صدق على الإسلام كان يسكن إليها.

وذكر الواقدي أنهم خرجوا من الشعب قبل الهجرة بثلاث سنين وأنهما توفيا في ذلك العام وتوفيت خديجة قبل أبى طالب بخمسة وثلاثين يوماً (2).

وعن قطب الدين الراوندى رحمه الله قال: وخرج النبي صلى الله عليه وآله ورهطه من الشعب وخالطوا الناس ومات أبو طالب بعد ذلك بشهرين وكانت خديجة رضى الله عنها بعد ذلك وورد على رسول الله صلى الله عليه وآله أمران عظيمان وجزع جزعاً شديداً (3).

وعن ابن المغازلى حدثنا سعيد عن قتادة قال: توفيت خديجة قبل الهجرة

ص: 219

- 
- 1- (1) انظر: مناقب آل أبى طالب, ابن شهر آشوب, ج 1 ص 150.
  - 2- (2) أنظر: تاريخ الإسلام, الذهبى, ج 1 ص 236. والسيرة النبوية, ج 1 ص 268.
  - 3- (3) قصص الأنبياء, القطب الراوندى, ص 337.

وأما أبو عبيدة معمر بن المثنى فقال: ماتت خديجة بمكة قبل الهجرة بخمس سنين ويقال: بأربع سنين ماتت قبل تزويج النبي صلى الله عليه وآله عائشة.

وقال ابن سعيد يرفعه إلى حكيم بن حزام قال: توفيت خديجة في شهر رمضان سنة عشر من النبوة وهي ابنة خمس وستين فخرجنا بها من منزلها حتى دفنها بالحجون(1)، فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله في حفرتها ولم يكن يومئذ صلاة على الجنازة. قيل: ومتى ذلك يا أبا خالد. قال: قبل الهجرة بسنوات ثلاث أو نحوها(2).

وذكر الشيخ النمازي رحمه الله أنها توفيت في سنة عشر من النبوة في عشر من شهر رمضان بعد أبي طالب بثلاثة أيام.

وعن الفقيه الكبير العلامة المامقاني: أن أهل السير ذكروا أن خديجة توفت في شهر رمضان قبل الهجرة بخمس سنين وقيل بأربع وقيل بثلاث واستصوب في أسد الغابة الأخير، فقال: ودفنت بالحجون(3).

وعن المسعودي: وكان وفاتها في شوال بعد مبعثه بثلاث سنين. وعن أبي الفرج الأصفهاني: وتوفيت خديجة رضى الله عنها قبل الهجرة بثلاث سنين. ودفنت بالحجون. وعن اليعقوبي: وتوفيت خديجة بنت خويلد في شهر رمضان قبل الهجرة بثلاث سنين(4).

1- (1) الحجون: قيل جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها.

2- (2) أنظر: الأنوار الساطعة، الشيخ غالب السيلوي، ص 383.

3- (3) تنقيح المقال، ج 3 ص 77.

4- (4) تاريخ اليعقوبي، ج 2 ص 35.

يمكن أن يستدل على عظمة الإنسان ومدى مكانته عند الله بانشداد الناس إلى زيارة قبره وسمو مقام ضريحه، وتأكيد السماء على زيارة قبره والتبرك به فكان لخديجة جزء من هذه الحبة الإلهية. لذلك عدّه (ضريحها ومنزلها) بعضهم من المستحبات حيث قال: إتيان بعض المواضع المتبركة بمكة، كمولد رسول الله صلى الله عليه وآله، ومنزل خديجة، وزيارة قبر خديجة، والغار الذي بجبل حراء، الذي كان رسول الله صلى الله عليه وآله في ابتداء الوحي يتعبد به، والغار الذي بجبل ثور، استتر فيه رسول الله صلى الله عليه وآله عن المشركين(1).

### استحباب زيارة قبر خديجة الكبرى

ذكر صاحب الأنوار الساطعة في زيارة السيدة خديجة عليها السلام جملة من الأقوال(2).

قال: ذكر سيدنا الأستاذ فقيه أهل بيت العصمة والطهارة السيد التقى القمي دام ظلّه ما يلي: لا ريب ولا إشكال في أن الإتيان بهذه الزيارة من القريب أو البعيد رجاء لا- يكون فيه خلاف فإن باب الرجاء واسع ويمكن الاستدلال على رجحان زيارتها بأنها مقربة عند الله وعند الرسول وعند أمير المؤمنين وفاطمة الزهراء والأئمة عليهم السلام ولكن مقتضى الاحتياط التام أن لا يقصد بزيارتها الورود، بل يقصد الرجاء والله العالم بحقائق الأشياء.

ص: 221

1- (1) أنظر: مستند الشيعة، المحقق النراقي، ج 3 ص 95.

2- (2) الأنوار الساطعة، الشيخ غالب السيلوي، ص 404.

وعن فقيه أهل بيت العصمة والطهارة الشيخ أحمد آل كاشف الغطاء رحمه الله ويستحب زيارة خديجة بالحجون وعن الفقيه المقدس السيد عبد الأعلى السبزواري رحمه الله: ويستحب زيارة قبر خديجة عليها السلام المعروفة بالمعلی لأنها أم المسلمين ومن بر الأولاد بأهمهم زيارة قبرها بعد ارتحالها مع أنها بذلت نهاية جهدها في خدمة سيد المرسلين وما لها في نشر دعوة خاتم النبيين صلى الله عليه وآله إلى غير ذلك من مفاخرها التي ملأت كتب الفريقين فمن شك بعد ذلك في رجحان زيارتها فهو عاقق لأمه. وذكر الزيارة المرحوم السيد محسن الأمين رحمه الله: السلام عليك يا أم المؤمنين السلام عليك يا زوجة سيد المرسلين السلام عليك يا أم فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين السلام عليك يا أول المؤمنات السلام عليك يا من أنفقت مالها في نصرة سيد الأنبياء ونصرته ما استطاعت ودافعت عنه الأعداء السلام عليك يا من سلم عليها جبرئيل وبلغها السلام من الله الجليل فهنيئاً لك بما أولاك الله من فضل والسلام عليك ورحمة الله وبركاته. وذكرها في المنتخب الحسنى (1).

وذكر السيد البطحائي زيارة أخرى: السلام عليك يا زوجة رسول الله سيد المرسلين السلام عليك يا زوجة نبي الله خاتم النبيين السلام عليك يا أم فاطمة الزهراء السلام عليك يا أم الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة أجمعين السلام عليك يا أم الأئمة الطاهرين السلام عليك يا أم المؤمنين السلام عليك يا أم المؤمنات السلام عليك يا خالصة المخلصات السلام عليك يا سيدة الحرم وملكة البطحاء السلام عليك يا أول من صدقت برسول الله من النساء السلام عليك يا من وفيت بالعبودية حق الوفاء

ص: 222

وأسلمت نفسها وأنفقت مالها لسيد الأنبياء السلام عليك يا قرينة حبيب إله السماء المزوجة بخلاصة الأصفياء يابنة إبراهيم الخليل السلام عليك يا حافظة دين الله السلام عليك يا ناصرة رسول الله السلام عليك يا من تولى دفنها رسول الله واستودعها إلى رحمة الله أشهد أنك حبيبة الله وخيرة الله وأن الله جعلك في مستقر رحمته في قصر من الياقوت والعقيان في أعلى منازل الجنان صلى الله عليك ورحمة الله وبركاته(1).

### أزواج النبي صلى الله عليه وآله

تزوج رسول الله صلى الله عليه وآله بخمس عشرة امرأة، ودخل بثلاث عشرة منهن، وقبض عن تسع، فأما اللتان لم يدخل بهما فعمرة والسنى، وأما الثلاث عشرة اللاتي دخل بهن فأولهن خديجة بنت خويلد، ثم سورة بنت زمعة، ثم أم سلمة واسمها هند بنت أبي أمية، ثم أم عبد الله عائشة بنت أبي بكر، ثم حفصة بنت عمر، ثم زينب بنت خزيمة بن الحارث أم المساكين، ثم زينب بنت جحش، ثم أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان، ثم ميمونة بنت الحارث، ثم زينب بنت عميس، ثم جويرية بنت الحارث، ثم صفية بنت حيي بن أخطب. والتي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وآله خولة بنت حكيم السلمى، وكان له سريتان يقسم لهما مع أزواجه: مارية، وريحانة الخندفية والتسع اللاتي قبض عنهن: عائشة، وحفصة، وأم سلمة، وزينب بنت جحش، وميمونة بنت الحارث، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وصفية بنت حيي بن أخطب، وجويرية بنت الحارث، وسورة بنت زمعة(2).

ص: 223

1- (1) آداب الحرمين، ص 55.

2- (2) انظر: الخصال، الشيخ الصدوق، ص 419.



## الفصل الرابع: فاطمة بنت محمد أم الحسين عليهم السلام

إشارة

ص: 225





ولدت السيدة فاطمة بنت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب عليهم السلام بمكة يوم الجمعة, العشرين من جمادى الآخرة, بعد المبعث بستين, كما قاله الشيخ الطوسي في مصباح المتعجب. وفي رواية أخرى سنة خمس من المبعث. وقال الكليني وابن شهر آشوب: ولدت بعد المبعث بخمس سنين وهو المروى عن الباقر عليه السلام وهو المشهور بين أصحابنا(1).

وفي كشف الغمة عن ابن الخشاب في مواليد ووفيات أهل البيت عليهم السلام مرفوعاً عن الباقر عليه السلام أنّها ولدت بعد النبوة بخمس سنين وقريش تبني البيت, ولعله اشتباه من الراوى أو سهو من النساخ فبناء الكعبة كان قبل النبوة لا بعدها ويدل عليه ما في مقاتل الطالبين أنّها ولدت قبل النبوة وقريش تبني الكعبة(2).

وروى الحاكم في المستدرک وابن عبد البر في الاستيعاب أنّها ولدت سنة إحدى وأربعين من مولد النبي صلى الله عليه وآله. وفي الإصابة ولدت قبل البعثة بقليل(3).

ص: 227

---

1- (1) راجع: أعيان الشيعة, السيد محسن الأمين, ج 1 ص 347.

2- (2) راجع: موسوعة التاريخ الإسلامى, محمد هادى اليوسفى, ج 1 ص 347.

3- (3) راجع: المستدرک, ج 3 ص 162. الإصابة, ابن حجر, ج 8 ص 236.

وأكثر علماء أهل السنة تروى أنها ولدت قبل البعثة بخمس سنين(1). ولعله وقع اشتباه من الرواة بين كلمتى قبل وبعده، حيث إنّ الذى يستفاد من الأخبار والأحاديث التى وصلت إلينا من طريق أهل البيت عليهم السلام ولا يقبل الشك والتغيير أنّ فاطمة عليها السلام ولدت على فطرة الإسلام وبعده نزول الوحي على أبيها صلى الله عليه وآله خلافاً لما فى بعض كتب العامة، فإليك بعض النصوص فى ذلك:

قال على بن الحسين عليهما السلام فى حديث طويل: ولم يولد لرسول الله صلى الله عليه وآله من خديجة عليها السلام على فطرة الإسلام إلا فاطمة عليها السلام(2).

وعن حبيب السجستاني قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: ولدت فاطمة بنت محمد بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وآله بخمس سنين، وتوفيت ولها ثمانى عشرة سنة وخمسة وسبعون يوماً(3).

وعن أبى بصير، عن أبى عبد الله عليه السلام قال: ولدت فاطمة فى جمادى الآخرة اليوم العشرين منها سنة خمس وأربعين من مولد النبى صلى الله عليه وآله، فأقامت بمكة ثمان سنين، وبالمدينة عشر سنين وبعده وفاة أبيها خمسة وسبعين يوماً(4).

وبالجملة كان زمان ولادتها عليها السلام أيام حكومة يزيد جرد بن شهريار من ملوك العجم، الذى كان دار سلطنته قلعة الجولاء قرب بغداد دار السلام، وكان أمر سلطنته مستقراً فى تلك الأيام إلى أن انهزم فى عصر عمر من جيش الإسلام، ففر

ص: 228

1- (1) راجع: الإصابة، ابن حجر، ج 6 ص 12.

2- (2) مختصر بصائر الدرجات، الحسن بن سليمان الجلبى، ص 131.

3- (3) بحار الأنوار، المجلسى، ج 43 ص 9.

4- (4) دلائل الإمامة، ابن جرير الطبرى الشيعى، ص 79.

بعد أن انهزم إلى بلاد العجم، وقتل بقلعة هرات أو بنيشابور أو غير ذلك على اختلاف الأقوال والروايات، كما سيأتى، وكان آخر ملوك العجم.

وأما يوم ولادتها، فقد ولدت عليها السلام يوم الجمعة وقت الصبح أى فى آخر جزء من ليلة الجمعة، وهى الساعة الأخيرة التى هى أفضل الساعات ومحل استجابة الدعوات، ووجه اختصاص تولدها بتلك الساعة لعله أن تكون مستورة عن عيون الأجانب، وبها عليها السلام فسر قوله تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ \* فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) 1, أى إنا أنزلنا نور فاطمة عليها السلام فى ليلة الجمعة، أو أنزلنا نور الإمامة فى فاطمة الزهراء عليها السلام، وهى الليلة المباركة، فالضمير فى (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ) راجع إلى نور الإمامة، ولذا ورد استحباب قراءة سورة القدر عشر مرات فى تلك الساعة من كل ليلة خصوصاً ليلة الجمعة، وليلة القدر أيضاً هى تلك الليلة المباركة(1).

### كيفية ولادة فاطمة عليها السلام

هناك جملة من الإرهاصات والكرامات التى حصلت متزامنة فى حال ولادتها وحال حملها فى بطن أمها وهذا يعبر عن السر الإلهى الذى شاءت حكمته تعالى أن يخرجها إلى المعمورة ويزهر به المشرق والمغرب، فقد ورد عن المفضل ابن عمر، قال: قلت لأبى عبد الله الصادق عليه السلام: كيف كان ولادة فاطمة عليها السلام؟ فقال:

ص: 229

نعم، إن خديجة عليها السلام لما تزوج بها رسول الله صلى الله عليه وآله هجرتها نسوة مكة، فكن لا يدخلن عليها، ولا يسلمن عليها، ولا يتركن امرأة تدخل عليها، فاستوحشت خديجة عليها السلام لذلك، وكان جزعها وغمها حذراً عليه صلى الله عليه وآله، فلما حملت بفاطمة كانت عليها السلام تحدثها من بطنها وتصبرها، وكانت تكتم ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله، فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً فسمع خديجة تحدث فاطمة عليها السلام، فقال لها: يا خديجة، من تحدثين؟ قالت: الجنين الذى فى بطنى يحدثنى ويؤنسنى، قال: يا خديجة، هذا جبرئيل يخبرنى أنها أنثى، وأنها النسلة الطاهرة الميمونة، وأن الله تبارك وتعالى سيجعل نسلى منها، وسيجعل من نسلها أئمة، ويجعلهم خلفاءه فى أرضه بعد انقضاء وحيه فلم تزل خديجة عليها السلام على ذلك إلى أن حضرت ولادتها، فوجهت إلى نساء قريش وبنى هاشم: أن تعالين لتلين منى ما تلى النساء من النساء، فأرسلن إليها أنت عصيتنا، ولم تقبلى قولنا، وتزوجت محمداً يتيماً أبى طالب فقيراً لا مال له، فلسنا نجئ ولا نلى من أمرك شيئاً فأغتمت خديجة عليها السلام لذلك، فبينا هى كذلك، إذ دخل عليها أربع نسوة سمر طوال، كأنهن من نساء بنى هاشم، ففرغت منهن لما رأتهن، فقالت إحداهن: لا تحزنى يا خديجة فإننا رسل ربك إليك، ونحن أخواتك، أنا سارة، وهذه آسية بنت مزاحم، وهى رفيقتك فى الجنة، وهذه مريم بنت عمران، وهذه كلثوم أخت موسى بن عمران، بعثنا الله إليك لنلى منك ما تلى النساء من النساء، فجلست واحدة عن يمينها، وأخرى عن يسارها، والثالثة بين يديها، والرابعة من خلفها، فوضعت فاطمة عليها السلام طاهرة مطهرة، فلما سقطت إلى الأرض أشرق منها النور حتى دخل بيوتات مكة، ولم يبق فى شرق الأرض ولا

غربها موضع إلا أشرق فيه ذلك النور ودخل عشر من الحور العين كل واحدة منهن معها طست من الجنة، وإبريق من الجنة، وفي الإبريق ماء من الكوثر، فتناولتها المرأة التي كانت بين يديها، فغسلتها بماء الكوثر، وأخرجت خرقتين بيضاوين أشد بياضاً من اللبن وأطيب ريحاً من المسك والعنبر، فلقتها بواحدة، وقنعتها بالثانية، ثم استنطقتها فنطقت فاطمة عليها السلام بالشهادتين، وقالت: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن أبى رسول الله سيد الأنبياء، وأن بعلى سيد الأوصياء، وولدى سادة الأسباط، ثم سلمت عليهن، وسمت كل واحدة منهن باسمها، وأقبلن يضحكن إليها، وتباشرت الحور العين، وبشر أهل السماء بعضهم بعضاً بولادة فاطمة عليها السلام، وحدث فى السماء نور زاهر لم تره الملائكة قبل ذلك، وقالت النسوة: خذيها يا خديجة طاهرة مطهرة زكية ميمونة، بورك فيها وفى نسلها، فتناولتها فرحة مستبشرة، وألقتها ثديها، فدر عليها، فكانت فاطمة عليها السلام تنمى فى اليوم كما ينمى الصبى فى الشهر، وتنمى فى الشهر كما ينمى الصبى فى السنة (1).

### انعقاد نطفة فاطمة من ثمار الجنة

من جملة الكرامات التى امتازت بها فاطمة الزهراء عليها السلام، أنها حظيت برعاية إلهية فى بدء تكوينها المادى (إضافة إلى ما حظيت به من كرامات عالية روحية)، وهذا ما لم يحدث عند أحد لا من الأنبياء ولا من الأولياء والصالحين فلم نسمع رعاية إلهية بهذا المستوى مطلقاً إلا فى بدء تكوين نطفة الزهراء عليها السلام، حيث اهتمت بها يد الغيب اهتماماً لا نظير له فى الوجود، وإليك ملخص ما روى فى

ص: 231

---

1- (1) الأمالى، الشيخ الصدوق، ص 690. الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندى، ج 2 ص 525.

ذلك من الفريقين: منها ما ورد، أنّ الله تعالى أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أن يعتزل أربعين صباحاً يصوم النهار ويقوم الليل، وبعث إلى خديجة بعمار بن ياسر قال: قل لها: يا خديجة لا تظني أن انقطاعي عنك هجرة ولا قلى، ولكن ربي أمرني بذلك، فلا تظني إلا خيراً، وإني في منزل فاطمة بنت أسد. فلما تم ميقات ربه الأربعين هبط الأمين جبرئيل وقال: العلى الأعلى يقرئك السلام وهو يأمرك أن تتأهب لتحيته وتحفته، فهبط ميكائيل ومعه طبق مغطى بمنديل من سندس الجنة، فأكل النبي صلى الله عليه وآله منه شبعاً، وشرب من الماء، ومد يده للغسل، فأفاض الماء عليه جبرئيل وغسل يده ميكائيل وتمنّده إسرافيل، ثم قام النبي صلى الله عليه وآله ليصلى فأقبل عليه جبرئيل وقال: الصلاة محرمة عليك في وقتك، حتى تأتي خديجة فتواقعها، فإن الله عز وجل آلا على نفسه أن يخلق من صلبك في هذه الليلة ذرية طيبة، فوثب رسول الله إلى منزل خديجة وواقعها. قالت خديجة: والذي سمك السماء وأنبع الماء، ما تباعد عنى النبي صلى الله عليه وآله حتى حسست بثقل فاطمة في بطني(1).

وفي رواية عن ابن عباس قال: كان النبي صلى الله عليه وآله يكثّر القبل لفاطمة، فقالت له عائشة: إنك تكثّر تقبيل فاطمة؟ فقال صلى الله عليه وآله: إنّ جبرئيل ليلة أسرى بي أدخلني الجنة فاطعمني من جميع ثمارها فصار ماء في صلبى فحملت خديجة بفاطمة، فإذا اشتقت لتلك الثمار قبلت فاطمة فأصبت من رائحتها جميع تلك الثمار التي أكلتها(2).

وأخرج الطبراني، والهيثمي عن عائشة قالت كنت أرى رسول الله صلى الله

ص:232

1- (1) مستدرک سفینه البحار، الشیخ علی النمازی الشاهرودی، ج 8 ص 241.

2- (2) ذخائر العقبی، أحمد بن عبد الله الطبری، ص 36.

عليه وسلم يقبل فاطمة فقلت يا رسول الله إني أراك تفعل شيئاً ما كنت أراك تفعله من قبل, فقال لي: يا حميراء أنه لما كان ليلة أسرى بي إلى السماء أدخلت الجنة فوقفت على شجرة من شجر الجنة لم أزر في الجنة شجرة هي أحسن منها حسناً ولا أبيض منها ورقة ولا أطيب منها ثمرة, فتناولت ثمرة من ثمرتها فأكلتها فصارت نطفة في صلبى فلما هبطت الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة, فإذا أنا اشتقت إلى رائحة الجنة شممت ريح فاطمة, يا حميراء إن فاطمة ليست كنساء الأدميين ولا تعتل كما يعتلون(1).

وروى الحاكم في المستدرک بسنده عن سعد بن مالك قال: قال صلى الله عليه وآله: أتاني جبرائيل عليه السلام بسفرجلة من الجنة فأكلتها ليلة أسرى بي فعلقت خديجة بفاطمة فكنت إذا اشتقت إلى رائحة الجنة شممت رقبة فاطمة(2).

### من الأدلة على عصمة فاطمة عليها السلام

هناك جملة من الآيات والروايات الدالة وبصراحة على عصمة فاطمة الزهراء عليها السلام, ولا نريد أن نسهب في الموضوع هنا, فقد تفردت لذلك كثير من الكتب المختصة, (فقد وجدت في مكتبة واحدة ما يقارب 360 كتاباً تتحدث عن حياة وخصائص السيدة الزهراء عليها السلام) على الرغم من أن عصمتها واضحة من خلال الآيات والروايات إلى كل ملتفت ونقى السريرة, قد نذكر بعض الأدلة على عصمتها وعلى نحو الإجمال, فنقول:

ص: 233

1- (1) المعجم الكبير, الطبراني, ج 22 ص 401. مجمع الزوائد, الهيثمي, ج 9 ص 202.

2- (2) المستدرک, النيسابوري, ج 3 ص 156

قوله تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) 1, تشمل هذه الآية المباركة فيمن تشمل السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بل هي محور الآية وأساسها؛ لأنها نزلت في أهل بيت النبوة، فإن المتأمل في كلمات الآية يتوصل إلى أن المخاطبين بهذه الآية مطهرون معصومون من كل رجس، وفاطمة أحدهم. كما جاء عن ابن عساكر في إسناده إلى عمرة بنت أفعى، قالت: سمعت أم سلمة تقول: نزلت هذه الآية في بيتي: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً). وفي البيت سبعة: جبريل وميكائيل ورسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى وفاطمة والحسن والحسين، قالت: وأنا على باب البيت، فقلت: يا رسول الله أأنت من أهل البيت؟ قال: إنك على خير، إنك من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، وما قال: إنك من أهل البيت (1). وغيرها من الروايات الكثيرة عند الفريقين والتي تعين شأن النزول بأهل البيت عليهم السلام المعصومين دون غيرهم.

### تقريب الاستدلال بالآية

أولاً: تصدير الآية بأقوى أدوات الحصر على الإطلاق (إنما) مما يعنى أن هذا الأمر خاص بجماعة معينة محددة لا يتعداهم إلى غيرهم.

ص: 234



وثانياً: يأتي البحث عن الإرادة الإلهية التي ذكرت في الآية (إنما يريد الله) وهي إرادة المولى عز وجل: (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) 1, فلا يمكن بحال تخلف إرادته تعالى.

وثالثاً: إنَّ الرجس في اللغة معناه كل ما يلوث الإنسان سواء كان لوثاً ظاهرياً أو باطنياً والذي يعبر عنه بالإثم, والرجس في هذه الآية هو اللوث والنجاسة الباطنية لأن الابتعاد والطهارة من النجاسة الظاهرية وظيفة دينية عامة لجميع المسلمين وذلك لشمول التكليف للجميع ولا- خصوص لأهل البيت حتى ترد هذه الآية بحصرها وتوكيدها لنفى الرجس الظاهري عن أهل البيت, إنما جاءت لبيان فضيلة لهم خصهم بها الله سبحانه وتعالى وأخبر عنها في كتابه العزيز.

رابعاً: يأتي التأكيد (وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيراً) وعليه أن الآية تجعلنا لا نشك لحظة واحدة في عصمة أهل البيت الذين ذكروا فيها ومنهم فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله فهي معصومة مطهرة من كل رجس ظاهرٍ وباطنٍ.

### أما السنة

نذكر بعضاً مما قاله المصطفى في ابنته ربيبة الوحي فاطمة الزهراء عليها السلام, مع أنّ النبي صلى الله عليه وآله حينما يتحدث عن فاطمة فإنه لا ينطلق من عاطفة الأبوة وهو القائل فيه البارئ عز وجل: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ) 2,

وهو صلى الله عليه وآله في عموم حديثه عن الأشخاص لا يعطى أحداً أكثر مما يستحقه تبعاً لعاطفته وحتى لو كان ذلك الإنسان ابنته، لأننا لو قلنا بذلك لطعننا في نبوته وكلماته القدسية التي تؤمن جميعاً بأنها حجة لا زيف فيها ولا هوى. قال عبد الله بن عمرو بن العاص: كنت أكتب كل شيء أسمع من رسول الله صلى الله عليه وآله فنهتني قريش وقالوا تكتب كل شيء سمعته من رسول الله وهو بشر يتكلم في الغضب والرضا؟ فأمسكت عن الكتابة فذكرت ذلك لرسول الله فأوماً بأصبعه إلى فيه وقال: أكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حق (1). إن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله لا ينطق إلا صدقاً وعدلاً فلنضع كلماته عن الزهراء نصب أعيننا ونحن نقرأ عن موقفها بعد وفاته ولا تترك للشيطان سبيلاً يتسلل منه؛ لأن فهمنا لهذه النقطة يمهد لنا السبيل لفهم موقف فاطمة عليها السلام.

أولاً: قول الرسول صلى الله عليه وآله لها، كما أخرجه الحاكم في مستدركه، والطبراني، والهيثمي وغيرهم:

«إن الله يغضب لغضبك ويغضب لرضاك» (2)، وهذا القول الصادر من الرسول صلى الله عليه وآله بحق فاطمة عليها السلام تلازمه العصمة؛ لأنه من المستحيل أن يناط غضب الزهراء بغضب الله سبحانه وهي غير معصومة؛ لأن القول بعدم عصمتها يعني إمكانية وقوعها في الزلل والخطأ وربما تغضب لغير الحق، والرسول صلى الله عليه وآله في كلامه إطلاق بلا تقييد يعني أن الزهراء عليها السلام لن تغضب إلا لشيء يغضب الله بسببه، ومن كان غضبه يعني غضب الله فهو لن يفعل إلا الحق

ص: 236

1- (1) مسند أحمد، الإمام أحمد بن حنبل، ج 2 ص 192. سنن الدارمي، ج 1 ص 125.

2- (2) المستدرک، الحاكم النيسابوري، ج 3 ص 203. مجمع الزوائد، الهيثمي، ج 9 ص 203.

ولن يخطئ أو يميل إلى الباطل طرفة عين، وبالتالي يمثل غضبه الحق، وفي الواقع إن هذا الحديث يدل أن للزهراء مكانة عظيمة لا تدرك بالعقول ولبيان هذه العظمة التي من تجلياتها عصمتها عليها السلام.

ثانياً: قول النبي صلى الله عليه وآله، (كما هو مسلم عند الفريقين من دون خلاف):

(فاطمة بضعة مني يربيني ما رابها ويؤذيني ما آذاها)(1)، إن أذى الرسول يعنى أذى الرسالة، أذى القيم والمبادئ؛ لأنه صلى الله عليه وآله هو محور الحق بل هو الحق الذى يجب أن نقتبس منه، إن الرسول صلى الله عليه وآله يمثل الإرادة الإلهية وهو قطب الرحى الذى به يعرف الموحد من المشرك والكافر إذ أن الله تعالى غيب لا ندركه بعقولنا وأوهامنا والارتباط به تعالى يكون عبر رسله وأنبيائه؛ لذلك كان مبعث الأنبياء وتولية الأوصياء، ولذلك لا يكون الرسول إلا معصوماً حتى لا يفترق عن الحق لحظة واحدة وبالتالي تكون كل تصرفاته حق وأذيته تعنى التحدى للرسالة والإرادة الإلهية وبيان هذه الحقيقة يقول القرآن الكريم: (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً)2، وقد تقدم أن الرسول صلى الله عليه وآله عندما يتحدث عن شخص أو يدلى بأى حديث فمن منطلق مسؤوليته تجاه الرسالة وبالتالي يستبعد أى مجاملات أو تقييد بلا حق، والمتفق عليه أن قول الرسول صلى الله عليه وآله وفعله وتقريره حجة، يعنى شرع نتعبد به قربة إلى الله تعالى. وقد قال صلى الله عليه وآله: فاطمة بضعة مني يعنى هى جزء لا يتجزأ من كيانه وروحه

ص: 237

---

1- (1) صحيح البخارى، ج 6 ص 158. صحيح مسلم، ج 7 ص 141. وغيرهم.

وهو كما قلنا محور الحق والشرع وبالتالي تكون الزهراء عليها السلام أيضا كذلك، لذلك جعل الرسول أذاها وكل شىء يريها يريه، وهو المعصوم الذى لا تميل به الأهواء ومن يكون جزءاً منه يؤذيه ما يؤذيه فهو أيضاً مؤهل أن يكون معصوماً. وبهذا التقريب نرى عصمة الزهراء عليها السلام جلية وواضحة فقط تحتاج إلى وجدان صاف سليم وعقل مستتير.

## مكانة الزهراء عليها السلام

لم ترق امرأة إلى ما وصلت إليه فاطمة الزهراء عليها السلام ونالت السيادة المطلقة على النساء من لسان الوحي وتوسمت بهذا الشرف العظيم الذى يكشف عن الأبعاد والمؤهلات التى تتمتع بها فاطمة عليها السلام، فلقب سيدة نساء العالمين ليس نابغاً عن عفوية وإنما هو يحكى عن واقع فعلى تعيشه الزهراء عليها السلام، حيث طوت مراحل من الكمال يعجز لغيرها الوصول إليها. فقد أورد الترمذى فى سننه كتاب المناقب عن حذيفة قال: أتيت النبى صلى الله عليه وآله فصليت معه المغرب فصلى حتى صلى العشاء ثم انفتل فتبعته فسمع صوتى فقال: من هذا حذيفة؟ قلت: نعم قال: ما حاجتك غفر الله لك ولأمك؟ ثم قال: إن هذا ملك لم ينزل الأرض قط قبل هذه الليلة استأذن ربه أن يسلم علىّ ويبشرنى بأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة وأن الحسن والحسين سيديا شباب أهل الجنة (1).

وعن عائشة أنها كانت إذا ذكرت فاطمة بنت النبى صلى الله عليه وآله قالت: ما رأيت أحداً كان أصدق لهجة منها إلا أن يكون الذى ولدها. وقالت: وكانت إذا دخلت

ص: 238

1- (1) سنن الترمذى، ج 5 ص 326.

على النبي قام إليها وقبلها وأجلسها في مجلسه وكان النبي صلى الله عليه وآله إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبلته وأجلسته في مجلسها(1).

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا سافر جعل آخر عهده فاطمة وأول من يدخل عليه إذا قدم فاطمة. وقد جاء في مسند أحمد بن حنبل أنه قال: نظر رسول الله صلى الله عليه وآله لعلى وفاطمة والحسن والحسين فقال: أنا سلم لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم(2).

وأيضا عن النبي صلى الله عليه وآله قال: إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش: يا أهل الجمع نكسوا رؤوسكم وغضوا أبصاركم حتى تمر فاطمة بنت محمد على الصراط فتمر مع سبعين ألف جارية من الحور العين كمر البرق(3).

لا يخفى أن هذا غيظ من فيض مع كثرة أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله حول بيان عظمة فاطمة عليها السلام مقارنة بما ورد في حقها، ولكن هذا القدر يكفي للعاقل حتى يتعرف على الزهراء عليها السلام التي أحاطتها العناية الإلهية من قبل ميلادها وكانت في جنة الخلد هنالك كان المبدأ، كما في رواية الإسراء والجنة هي النهاية كما علمت وما بين الانطلاقة الأولى من الجنة والمنتهى، لذلك أوصى الرسول بفاطمة كثيراً وحذر الناس من غضبها الذي يعنى غضبه، بل وغضب الله عز وجل كما مرّ، وشهدت لها عائشة بأنها أصدق الناس لهجة فهي الصديقة، كما أن العناية الإلهية

ص: 239

1- (1) راجع: السنن الكبرى، النسائي، ج 5 ص 96.

2- (2) مسند أحمد، ج 2 ص 442.

3- (3) المستدرک، الحاكم النيسابورى ج 3 ص 153

كان لها الدور المباشر في صياغة شخصية الزهراء فصار أذى الرسول الذي يعنى أذى الرسالة، ونزل الوحي يجلجل بالتطهير كما جاء في آية التطهير، ورعاية الرسول صلى الله عليه وآله الخاصة بفاطمة حتى أنه عند قدومها يقبلها ويجلسها في مجلسه، وكذا العكس، ولا يخرج صلى الله عليه وآله في سفر إلا أن يكون آخر من يودعه ابنته وأول من يسلم عليه عندما يعود هي سيدة نساء العالمين وسيدة نساء أهل الجنة، إذاً كل فعل تفعله هو فعل أهل الجنة وكل موقف تقفه هو موقف أهل الجنة ولو نظرت في الجنة لرأيت نعيماً وملكاً كبيراً ويأتي المنادى غصوا أبصاركم حتى تجوز فاطمة وتستقر في مقام محمود منه انطلقت وإليه تعود هذه المسيرة المقدسة، وهذه العظمة ألا تدفعنا للوقوف إجلالاً وإعظاماً لشخصية قدستها السماء وبارك مسيرتها أبوها صاحب رسالة السماء؟ لقد جسدت الزهراء تعاليم الوحي وسارت وفق هداه فكانت من الجنة إلى الجنة.

### أكابر قريش تخطب فاطمة عليها السلام

لما كانت فاطمة عليها السلام ذات الشرف والمجد الرفيع والصفات الباهرة وهي تعيش في كنف أبيها صلى الله عليه وآله، فقد اتجهت الأنظار إليها، وكل يحدث نفسه بأن يحظى بالاقتران بها، لينال شرف الانتساب إلى أشرف خلق الله ويحظى بأفضل امرأة على مر التاريخ، فهي أعظم امرأة في شرفها ودينها وكمالها ومكانتها عند بارئها. لذلك تقدم لخطبتها مجموعة من أكابر قريش ومن جملتهم الخليفة الأول والثاني كما روى الهيثمي في الحديث المسند، عن أنس بن مالك قال: جاء أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وآله فقعده بين يديه فقال: يا رسول الله، قد علمت مناصحتي،

وقدمى فى الإسلام، وأنى، وأنى... قال: (وما ذاك؟). قال: تزوجنى فاطمة. قال فسكت عنه. فرجع أبو بكر إلى عمر فقال له: هلكت وأهلكت. فقال: وما ذاك؟ قال: خطبت فاطمة إلى النبى صلى الله عليه وآله فأعرض عنى، فقال: مكانك حتى أتى النبى صلى الله عليه وآله فأطلب مثل الذى طلبت، فأتى عمر النبى صلى الله عليه وآله فقعد بين يديه فقال: يا رسول الله قد علمت مناصحتى وقد مى فى الإسلام وأنى، وأنى... قال: (وما ذاك؟). قال: تزوجنى فاطمة. فسكت عنه.

فرجع عمر إلى أبى بكر فقال: إنه ينتظر أمر الله فيها. قم بنا إلى على حتى نأمره يطلب مثل الذى طلبنا. قال على: فأتيانى وأنا أعالج فسيلاً لى، فقالا: إنا جنناك من عند ابن عمك بخطبة، قال: فنبهانى لأمر، فقمت أجز رداى حتى أتيت النبى صلى الله عليه وآله فقعدت بين يديه، فقلت: يا رسول الله، قد علمت قدمى فى الإسلام ومناصحتى، وأنى، وأنى... قال: (وما ذاك؟). قال: تزوجنى فاطمة. قال: (وعندك شىء؟). قلت: فرسى وبدنى. قال: (أما فرسك فلا بد لك منه، وأما بدنك فبعها) قال: فبعتها بأربع مئة وثمانين، فجننت بها حتى وضعتها فى حجره، فقبض منها قبضة، فقال: (أى بلال، ابعث ابتع بها طيباً). وأمرهم أن يجهزوها(1).

وذكر اليعقوبى فى تاريخه، تقدم جماعة من المهاجرين لخطبتها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما زوّجها عليها قالوا فى ذلك، فقال رسول الله: ما أنا زوّجته ولكن الله زوّجه(2).

ص: 241

1- (1) أنظر: موارد الظمان، الهيثمى، ج 7 ص 170.

2- (2) أنظر: تاريخ اليعقوبى، ج 2 ص 41.

كما أنّ لفاطمة عليها السلام النصيب الأوفر من الرعاية الإلهية قبل مجيئها الى عالم الدنيا حسب ما أخبر عنه لسان الغيب مراراً وتكراراً، كذلك عاشت عليها السلام في الدنيا برعاية الله وأمره ولم يترك موقف من مواقفها إلا وكللته القدره بالقدسية والإحسان، ومن جملة ذلك زواجها الميمون من علي بن أبي طالب عليه السلام، حيث تم أولاً بأمر من الله وقد أقيم لها حفل زفاف في السماء قبل الأرض، كما تشير إلى ذلك عدة روايات، منها: عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أتاني ملك فقال يا محمد إنّ الله تعالى يقرأ عليك السلام ويقول لك إنّني قد زوجت فاطمة ابنتك من علي بن أبي طالب في الملاء الأعلى فزوجها منه في الأرض(1).

وعن أنس رضي الله عنه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وآله في المسجد إذ قال لعليّ هذا جبريل يخبرني أن الله زوجك فاطمة وأشهد علي تزويجها أربعين ألف ملك وأوحى إلى شجرة طوبى أن انثري عليهم الدر والياقوت فنثرت عليهم الدر والياقوت فابتدرت إليه الحور العين يلتقطن في أطباق الدر والياقوت فهم يتهادونه بينهم إلى يوم القيامة(2).

وأيضاً عن عمر بن الخطاب، أنه ذكر علياً، فقال صهر رسول الله صلى الله عليه وآله نزل جبرائيل على النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا محمد، إن الله يأمرك أن تزوج فاطمة من علي(3).

ص: 242

1- (1) ذخائر العقبى، أحمد بن عبد الله الطبري، ص 31.

2- (2) ذخائر العقبى، أحمد بن عبد الله الطبري، ص 31.

3- (3) شرح الأخبار، القاضي النعمان المغربي، ج 3 - ص 28.



وقد ذكر اليعقوبي، في ذكر زواج فاطمة عليها السلام، قال: زوجها رسول الله من عليّ بعد قدومه بشهرين، وقد كان جماعة من المهاجرين خطبوا إلى رسول الله، فلما زوجها علياً قالوا في ذلك، فقال رسول الله: ما أنا زوجته ولكن الله زوجه(1).

وما جاء عن الخوارزمي: أنبأني أبو العلا الحافظ الهمداني، ثم عننه إلى الحسين بن علي عليهما السلام، قال بينا رسول الله صلى الله عليه وآله في بيت أم سلمة إذ هبط عليه ملك له عشرون رأساً، في كل رأس ألف لسان، يسبح الله ويقده بلغة لا تشبه الأخرى، وراحته أوسع من سبع سماوات وسبع أرضين، فحسب النبي صلى الله عليه وآله أنه جبرائيل، فقال يا جبرئيل؟ لم تأتي في مثل هذه الصورة قط قال: ما أنا جبرئيل، أنا صرصائيل، بعثنى الله إليك لتزوج النور من النور فقال النبي صلى الله عليه وآله من ممن؟ قال: ابنتك فاطمة من علي بن أبي طالب، فزوج النبي صلى الله عليه وآله فاطمة من علي بشهادة جبرائيل وميكائيل وصرصائيل، قال: فنظر النبي صلى الله عليه وآله فإذا بين كتفي صرصائيل: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي بن أبي طالب مقيم الحجة، فقال النبي صلى الله عليه وآله: يا صرصائيل منذ كم هذا كتب بين كتفيك؟ قال: من قبل أن يخلق الله الدنيا باثني عشر ألف سنة(2). فهذه الروايات وغيرها لا يفهم منها إلا اعتناء السماء والغيب بهذه الشخصية العظيمة التي لا مثيل لها من النساء على وجه البسيطة، وأنها سر من أسرار الله تعالى.

ص: 243

1- (1) تاريخ اليعقوبي، ج 2 ص 41.

2- (2) أنظر: المناقب، الموفق الخوارزمي، ص 340. وأيضاً: الخصال، الشيخ الصدوق، ص 64، وغيرهم.

هذا الموقف النبوي المرتبط بالمشيئة الإلهية والوحي يلفت أنظارنا، ويلقى على أسماعنا هذه الأسئلة المهمة لماذا لم يرخص لفاطمة عليها السلام بتزويج نفسها؟ ولم لم يرخص لرسول الله صلى الله عليه وآله (وهو أبوها ونبيها) بتزويجها، والنبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ ولماذا خص زواج فاطمة عليها السلام بهذه الميزة؟ فلا بد وأن يكون هناك سر وحكمة إلهية، ترتبط بهذا الزواج. إن هذا السر والاعداد لم يكن غامضاً، وهذه العناية لم تكن مجرد علاقة رحم وقربة، فالأمر ذو علاقة بحياة هذه الأمة، والعلاقة ترتبط بامتداد فرع النبوة والإمامة، فشاء الله أن يزوج خيرة نساء هذه الأمة بخيرة رجالها.

فقد روى عن ابن عمير التميمي قال: دخلت مع عمي علي عائشة فسئلت أى الناس كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قالت: فاطمة، قيل من الرجال؟ قالت: زوجها(1).

وروى عن أبي الحمراء أنه قال: رابطت في المدينة سبعة أشهر، فكان النبي صلى الله عليه وآله يأتي علياً وفاطمة كل غداة، فيقول: الصلاة، الصلاة، (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) 2 .

وروى عن ابن عباس قال: كنت أنا والعباس جالسين عند رسول الله صلى الله عليه وآله، إذ دخل علي بن أبي طالب فسلم، فرد عليه رسول الله السلام، وقام إليه وعانقه

وقبل بين عينيه وأجلسه عن يمينه، فقال العباس: يا رسول الله أتحب هذا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله يا عم والله، لله أشد حباً له مني، إن الله جعل ذرية كل نبي في صلبه، وجعل ذريتي في صلب هذا(1). وعلى عليه السلام هو الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي(2). وفاطمة عليها السلام هي التي قال لها النبي صلى الله عليه وآله: أما ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين وسيدة نساء المؤمنين وسيدة نساء هذه الأمة(3). هذه الرويات وغيرها تشير إلى أن هناك تكافؤاً بين علي وفاطمة عليهما السلام له أبعاد غيبية رسمت فيها المشيئة، وألقيت الحجة.

### مقدار مهر فاطمة

لم نجد هناك اختلافاً في أن مهر فاطمة عليها السلام هو غير درع علي عليه السلام، وإنما وقع الخلاف في أنه هل باعه واتي بثمنه، أو رهنه ثم فكه من حصته من الغنائم، أو أرجعه له النبي صلى الله عليه وآله بعد ذلك. كما يشهد للأول، هو عندما جاء علي عليه السلام خاطباً فاطمة سأله النبي صلى الله عليه وآله قائلاً: فهل عندك شيء تستحلها به؟ فقلت: لا. فقال: ما فعلت بالدرع التي سلحتكها؟ فقلت: عندي، ولكنها - والذي نفسى بيده - لحطمية ما ثمنها إلا أربعمائة درهم. قال: قد زوجتكها (بها) فابعث بها. فكان ذلك صداق فاطمة(4).

ص: 245

- 1- (1) أنظر: ذخائر العقبى، أحمد بن عبد الله الطبري، ص 67.
- 2- (2) أنظر: مسند أحمد، أحمد بن حنبل، ج 1 ص 170.
- 3- (3) أنظر: كنز العمال، المتقى الهندي، ج 12 ص 110.
- 4- (4) أنظر: كنز العمال، المتقى الهندي، ج 13 ص 683.

وقيل: باع درعه إلى عثمان بن عفان بأربع مئة وثمانين درهماً، فصحبها بين يدي النبي صلى الله عليه وآله.

ويشهد للثاني ما رواه الدولابي بسنده عن الحارث (الهمداني) عن علي عليه السلام قال: خطب أبو بكر وعمر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأبى رسول الله عليهما. فقال عمر: أنت لها يا علي. فقلت: ما لي من شيء إلا درعى أرهنها. ولعله عليه السلام أرهنها وثيقة لاستدانتها مبلغ المهر وأدى دينه بعد بدر من سهمه من غنائمها(1).

ويشهد للثالث، هو بعدما سأله النبي صلى الله عليه وآله عن المهر فقال: ما عندي يا رسول الله شيء إلا درعى فزوجه رسول الله صلى الله عليه وآله علي عشرة أوقية ونش ودفع إليه درعه، فقال له رسول الله: هيئ منزلاً حتى تحول فاطمة إليه(2).

وكيف كان بعد أن قرت عين الزهراء بهذه الخطبة السعيدة، وزوج الله فاطمة علياً، أراد رسول الله، أن يعلن لعامة المسلمين هذا النبأ العظيم، فأمر أنس بن مالك أن يجمع فئة من الصحابة ليعلن عليهم نبأ تزويج فاطمة لعلي عليه السلام، قال أنس: فدعوتهم، فلما اجتمعوا عنده كلهم، وأخذوا مجالسهم، ثم قال صلى الله عليه وآله: إن الله قد أمرني أن أزوج فاطمة على أربعمئة مثقال فضة إن رضيت بذاك، فقال عليه السلام: قد رضيت بذلك يا رسول الله قال أنس بن مالك: فقال النبي صلى الله عليه وآله: جمع الله شملكم، وأسعد جدكم، وبارك عليكم وأخرج منكم كثيراً طيباً، قال أنس: فوالله لقد أخرج الله منهما الكثير الطيب(3).

ص: 246

- 
- 1- (1) راجع: موسوعة التاريخ الإسلامي، محمد هادي اليوسفي، ج 2 ص 100.
  - 2- (2) راجع: إعلام الوري بأعلام الهدى، الشيخ الطبرسي، ج 1 ص 160.
  - 3- (3) أنظر: مكارم الأخلاق، الشيخ الطبرسي، ص 207.

ذكر المؤرخون أن الزهراء عقدت لعلی علیهما السلام ليلتين بقيتا من شهر صفر بعد الهجرة، وبعضهم قال: بعد سنة من الهجرة، وبعضهم قال: فى شهر صفر من السنة الثانية للهجرة وهو يقصد البدء بالسنة الثانية من المحرم، وجاء فى الكافى عن سعيد بن المسيّب قال: فقلت لعلی بن الحسين علیهما السلام فمتى زوج رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة من على علیهما السلام فقال: بالمدينة بعد الهجرة بسنة وكان لها يومئذ تسع سنين(1).

وأما بناء على عليه السلام بها أى الزفاف: فقد نقل الطبرى عن الواقدى بسنده عن الباقر عليه السلام قال: إن على بن أبى طالب بنى بفاطمة علیها السلام فى ذى الحجة على رأس اثنين وعشرين شهراً. كما رواه الدولابى فى الذرية الطاهرة عن الصادق عليه السلام أما عن اليوم فقد عينه المفيد فى مسار الشيعة والطوسى فى المصباح باليوم الأول منه(2).

### الملائكة تحضر زفاف فاطمة عليها السلام

إنّ زفاف فاطمة علیها السلام يختلف عن غيره، حيث حفته جملة من الكرامات وقد شارك فيه النبى صلى الله عليه وآله مع أفواج من الملائكة المقربين وغيرهم، فقد ورد عن أسماء بنت عميس(3)، أنها قالت: كنت فىمن زفت فاطمة إلى على عليه السلام، فلما

ص: 247

1- (1) الكافى، الشيخ الكلينى، ج 8 ص 340.

2- (2) راجع: موسوعة التاريخ الإسلامى، محمد هادى اليوسفى، ج 2 ص 211.

3- (3) ربما المراد هنا سلمى بنت عميس ليس أختها أسماء، لأنها كانت مهاجرة بأرض الحبشة مع زوجها جعفر بن أبى طالب علیهما السلام، ولم تعد هى ولا زوجها إلا يوم فتح خيبر وذلك فى سنة ست من الهجرة،

دخلت بيتها اقبل رسول صلى الله عليه وآله حتى دخل عليها، فدعا بماء، فذكر اسم الله عليه، ثم شرب منه، ومج من الماء فيما بين درع فاطمة وبدنها، ثم مج منه أيضاً فيما بين سربال على وبدنه ثم قال: اللهم أحفظ أهل البيت، وبارك فيهم وبارك عليهم، واجعلهم مباركين أين كانوا(1).

وعن الفضل بن دكين، باسناده، عن عبد الله بن عباس، أنه قال لما زفت فاطمة إلى على عليهما السلام كان رسول الله صلى الله عليه وآله قدامها، وجبرائيل عن يمينها، وميكائيل عن شمالها، وسبعون ألف ملك من خلفها يسبحون الله ويقدمونه حتى طلع الفجر(2).

### فاطمة المصداق الأكمل للزوجة وللأم الصالحة

لم تكن السيدة الزهراء عليها السلام كغيرها من النساء من أنها امرأة عرفها التاريخ بأدبها وأدبها وبطولاتها وعاشت حياتها ثم اندرست شخصيتها وكل معالمها، ولا يقال عنها شيء في صفحات التاريخ إلا أنها بنت رسول الله وحليمة أمير المؤمنين عليه السلام، بل تبقى السيدة الزهراء عليها السلام قدوة ومنهاجاً للنساء في شتى المجالات، فهي قدوة للبنات الرشيدة اللبية المطيعة لوالديها وأوليائها فعليها أن

ص: 248

1- (1) أنظر: شرح الأخبار، القاضي النعمان المغربي، ج 3 ص 28.

2- (2) أنظر: إقبال الأعمال، السيد ابن طاووس، ج 3 ص 92. وتاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ج 5 ص 211.

تنتهج من حياة الزهراء عليها السلام والتي ارتقت فيها كى تكون أمّاً لأبيها على لسان الوحي, كما تكون قدوة للمرأة الواعية المثقفة المؤمنة وقدوة للأم الكاملة وللزوجة الصالحة, فعلى المرأة الواعية أن تقرأ حياة الزهراء العلمية والسياسية والمعنوية كى تتخذ منها منهاجاً ترسم به مستقبلها ومستقبل الأمة, وعلى الأم أن تقرأ حياة الزهراء عليها السلام مع أولادها وكيف كانت تتعامل معهم كى تصبح أمّاً كاملة قد قدمت للأجيال من يُسعدّها, وعلى الزوجة أيضاً أن تقرأ حياة السيدة فاطمة عليها السلام مع زوجها وكيف كانت غاية فى حسن التبعل والاحترام المتبادل والمحبة الدائمة لاسيما فى تلك الظروف البسيطة والأليمة حيث ذكروا عندما انتقلت فاطمة عليها السلام إلى بيت على عليه السلام ذاك البيت البسيط لم يكن فيه شىء حتى من ضروريات ومستلزمات الحياة فأخذت تعتنى بشؤون منزلها وتدير حوائجها بالاعتماد على جهودها فلم يكن لديها خدم ولا عبيد ولا غير ذلك فكل حياتها كدح وجهاد, فقد كانت تطحن الشعير وتدير الرحى بيدها وتصنع أقراص الخبز بنفسها وتكنس البيت وتدير مستلزمات الأسرة وكان النبی صلی الله عليه وآله وعلى عليه السلام يشاهدان كل ذلك منها ويشاركانها العناء, بل كانا يساعدانها فى أعمال المنزل, فقد ذكر التاريخ صوراً ولو أنّها قليلة من الحياة العائلية الفريدة التى كانت تعيشها فاطمة مع زوجها وأولادها, كما ورد عن جابر بن عبد الله قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على فاطمة وهى تطحن بالرحى وعليها كساء من حملة الإبل فلما نظر إليها (بكى) وقال يا فاطمة تعجلى فتجرعى مرارة الدنيا لنعيم الآخرة غداً, فأنزل الله (وَلَسَوْفَ

وأيضاً دخل النبي صلى الله عليه وآله على فاطمة وهي تطحن مع علي عليه السلام، فقال النبي صلى الله عليه وآله: لايكما أعقب؟ فقال علي عليه السلام: لفاطمة؛ فإنها قد أعتيت، فقامت فاطمة، فطحن النبي صلى الله عليه وآله مع علي لفاطمة(1).

وأيضاً يذكر لنا التاريخ صورة أخرى للزهراء عليها السلام في معاناتها وعملها في بيتها البسيط، فقد روى المجلسي رحمه الله بينما النبي صلى الله عليه وآله والناس في المسجد ينتظرون بلالاً- أن يأتي فيؤذن إذ أتى بعد زمان فقال له النبي صلى الله عليه وآله: ما حبسك يا بلال؟ فقال: إني اجتزت بفاطمة عليها السلام وهي تطحن واضعة ابنها الحسن عند الرحي وهي تبكي، فقلت لها: أيما أحب إليك إن شئت كفيتك ابنك، وإن شئت كفيتك الرحي، فقالت: أنا أرفق بابني، فأخذت الرحي فطحنت فذاك الذي حبسني، فقال النبي صلى الله عليه وآله: رحمته رحمتها رحمة الله(2).

وغيرها من الروايات التي ترينا حياة الزهراء عليها السلام الاجتماعية مع زوجها وأولادها وجيرانها، ونحن لا نريد أن نأخذ ألفاظاً جامدة أو روايات فارغة وإنما نقف عندها مقتبسين ومستلهمين الدروس والعبر، فعلى البنت والزوجة والأم أن تجعل الزهراء عليها السلام وسيرتها قدوة ومنهجاً في حياتها الزوجية والاجتماعية وغيرها كي تحظى بالسعادة الأبدية.

ص: 250

- 
- 1- (2) أنظر: موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ، محمد الريشهري، ج 9 ص 372.  
2- (3) أنظر: مسند أحمد بن حنبل، ج 3 ص 151. وذخائر العقبى، أحمد بن عبدالله الطبري، ص 51.



بعد ما ثبتت أذية وغضب فاطمة عليها السلام فى الكتب المعتمدة والصحيحة عند القوم, بما فيها صحيح البخارى, حيث قال: عندما جاءت فاطمة تطالب بإرثها قال لها أبو بكر إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة, فغضبت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فهجرت أبا بكر فلم تزل مهاجرته حتى توفيت(1). ولا ريب أن هذا يلزم منه غضب وأذية الرسول صلى الله عليه وآله ومن ثم أذية الله وغضبه؛ لأنه ثبت أيضاً فى الصحاح وغيرها, من آذى فاطمة فقد آذى النبى صلى الله عليه وآله, ومن أغضبها فقد أغضب النبى صلى الله عليه وآله كما جاء عنه فى هذا المجال كثير من الروايات من جملتها: فاطمة بضعة منى من أغضبها فقد أغضبني, (وفى صحيح مسلم يؤذيني ما آذاها)(2), وأذية النبى صلى الله عليه وآله وغضبه يلزم منها أذية الله وانتقامه بصريح الآية فى قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً)3. فمن هذا وغيره لم يجدوا مفرأ ومهربأ إلا افتعال وسيلة للهجوم كى يلتجئوا خلفها ويتحصنوا بها, حيث قالوا إن على بن أبى طالب عليه السلام خطب بنت أبى جهل فى حياة فاطمة عليها السلام وحينما وصل الخبر لفاطمة غضبت وتأذت, وهذا يعنى أن علياً قد أغضب وآذى فاطمة, ومن ثم يشمل الحديث فى أنه قد آذى فاطمة, وكان علياً أصبح حكراً للشيعه حتى

ص:251

1- (1) أنظر: صحيح البخارى, البخارى, ج 4 ص 42.

2- (2) أنظر: صحيح البخارى, ج 4 ص 210. وصحيح مسلم, ج 7 ص 141.

ينقضوا به، ولم يكن خليفة وقدوة للمسلمين، ومن حسن الحظ أنّ هذه الرواية التي افتعلوها لا تنسجم مع الضوابط العامة سواء في سندها أم دلالتها، حتى أن الصحابة ومن جملتهم ابن عباس أنكروها وقال في محضر الخليفة الثاني هذه من الخواطر، بل حتى المنافقين والأعداء لم يتخذوها ذريعة للتشنيع والتهويل، بالإضافة إلى أنّ بطل هذه الأسطورة والراوي لها المسور بن مخرمة لم يتجاوز عمره الست سنوات حتى أخذوا يبررون هذا النقص الفني الذي اتضح فيما بعد بأنّه وإن لم يكن محتملاً ولكنه عاقل، فتجاوزوا الخطوط الحمراء عندهم في علم الرواية كي يمرروا هذه الأكذوبة على الأذهان والتاريخ ولو بالتخلي عن مبادئهم وضوابطهم، مع كل ذلك أنّ الروايات الواردة في هذا الشأن مختلفة ومتناقضة. ولو سلمنا أن لها حظاً من الوجود ولو جداولاً فلماذا يتأذى النبي وكذا الزهراء من أمر قد شرعه الله وجعله من المستحبات، مع عدم دخول الولاية هنا حيث إنّ صلى الله عليه وآله يقول لست أحرم حلالاً ولا أحل حراماً، فكيف ينهى على بالزواج بالثانية، ويأمر بطلاق فاطمة من على وعصمتها بيد زوجها لا غير، ولماذا اختار الله علياً زوجاً لفاطمة ولولاه لما كان لها كفء فكيف يختار لها من يؤذيها وهو يعلم أنّه يؤذيها؟ وكيف يقدم على أذية فاطمة وهو يعلم ما قال فيها الله ورسوله، بل كيف يقدم على معصية الله وهو يعلم أنّ الله حرّم عليه النساء في حياة فاطمة عليها السلام كما سيأتي، وقد نص القرآن والسنة والعقل على عصمته، وما كان في هذه المرأة بنت أبي جهل من خصوصيات وهي بنت الطلقاء حتى يقدم عليها على، كي يجعل النبي صلى الله عليه وآله يصعد المنبر وينشر الخبر على الناس من دون أن يواجه الإمام

علياً عليه السلام، وغيرها من الأسئلة التي لا تنتهي، لكن أريد أن اختتم الكلام هنا، من أنّ النبي صلى الله عليه وآله الذي لا ينطق إلا عن الوحي قال بعلي عليه السلام ما لم يقله بغيره وكشف الله عنه أنّه نفس النبي صلى الله عليه وآله وطاعته طاعة النبي ومعصيته معصية النبي وطاعة ومعصية النبي صلى الله عليه وآله طاعة ومعصية الله، وقال الحق مع علي وعلى مع الحق، وغيرها من الروايات الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله بحق علي عليه السلام وقد يصعب عدّها، وهي تؤكد أنّ علياً عليه السلام لا يعتريه الخطأ والزلل وكل فعله حق وعين ما أراد الله ورسوله، فلو سلمنا بهذه الأسطورة ألا يلزم من ذلك إما التوهين بالنبي صلى الله عليه وآله وأنه أخطأ في تقييمه للإمام علي عليه السلام وهو مستحيل بعد ما ثبت أنّه لا ينطق إلا عن الله، وإما أنّ نكذب ونطرح كل هذه الروايات التي تكشف عن أبعاد علي عليه السلام بل حتى الآيات التي كللت الإمام علي عليه السلام بالعصمة فتكون المصيبة أعظم، فلا سبيل الى تمرير هذه الأسطورة لا من بعيد ولا من قريب. ونحن قد اختصرنا الرد هنا؛ لأن المسألة لا تستحق أكثر من ذلك من حيث جلاء كذبها وضعف متنها.

## حرمة الزواج على علي في حياة الزهراء عليها السلام

### إشارة

إنّ للسيدة الزهراء عليها السلام خصوصيات كثيرة سواء كانت في المجال التكويني من قبيل أنها لم ترَ دم حيض أو نفاس وغير ذلك، أم في المجال التشريعي من قبيل حرمة الزواج عليها في حياتها، كما أشار لذلك بعض الأعلام بقوله: الظاهر أنه لا خلاف بين المسلمين في اختصاص هذا الحكم بفاطمة عليها السلام دون غيرها من أخواتها (أو ربائنه كما ثبت عندنا) وسائر النساء، ولم يفت أحد من أهل العلم فيما أعلم بعدم جواز النكاح على سائر بنات رسول الله صلى الله عليه وآله، وليس هذا إلا لما

حازته عليها السلام من الفضلية والكرامة والدرجة الرفيعة عند الله تعالى، واختصاصها بفضائلها المشهورة، دون غيرها من النساء. ولو كان علة حرمة نكاح امرأة أخرى عليها، اجتماع بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وبنت عدو الله مكاناً واحداً، لاشتريت معها في هذا الحكم أخواتها زينب ورقية وأم كلثوم، ولما يجوز نكاحهن من أبي العاص بن ربيع، وعتبة، وعتيبة ابني أبي لهب في حال كفرهم، بل لما يجوز نكاحهن بمن كان قبل الإسلام مشركاً كافراً(1).

والدليل على اختصاص الزهراء عليها السلام بهذا الحكم، أولاً: ما ورد عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

حرم الله النساء على علي عليه السلام ما دامت فاطمة عليها السلام حية قال: قلت كيف؟ قال:

لأنها طاهرة لا تحيض(2).

وقال المجلسي رحمه الله أن هذا التعليل يحتمل وجهين: الأول أن يكون المراد أنها لما كانت لا تحيض حتى يكون له عليه السلام عذر في مباشرة غيرها، فلذا حرم الله عليه غيرها رعاية لحرمتها. الثاني أن يكون المعنى أن جلالتها منعت من ذلك وعبر عن ذلك ببعض ما يلزمه من الصفات التي اختصت بها(3).

وثانياً: يمكن أن تكون الحرمة هنا من باب عدم وجود الكفء للسيدة الزهراء عليها السلام بما أنّها معصومة ليس لها عدل من النساء إطلاقاً، حيث لو رجعنا إلى فلسفة حرمة الزواج الدائم بالكافرة هو عدم كفئها للمسلمة فلا تستحق أن تكون

ص: 254

1- (1) أنظر: لمحات، الشيخ لطف الله الصافي، ص 264.

2- (2) تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي، ج 7 ص 475.

3- (3) أنظر: بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج 43 ص 153.

عدلاً لها كى توزع بينهما الحقوق والأيام وغير ذلك، فكذلك لا تكون للزهراء عليها السلام عدل ولو كانت مسلمة وهى سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين.

وهذا بحد ذاته يكون ردّاً قاطعاً على أسطورة بنت أبى جهل المتقدم ذكرها فتكون سالبةً بانتفاء الموضوع، من حيث إنّ الزواج محرم على على عليه السلام كحرمة غيره من المحرمات فكيف يجوز أن يقدم على أمر قد شرع الله حرمة على فرض وصول الحكم إليه، وإن لم يكن قد وصل إليه فلا يؤخذ بشيء من ذلك لا من جهة النبى صلى الله عليه وآله ولا من جهة الزهراء عليها السلام. وكيف كان قد تنزلنا وتجارينا مع القوم إلى أدنى المستويات التى لا- ينبغى أن تقال وإلا على بن أبى طالب عليه السلام أجلُّ من كل ما يقال عنه وقد وصفه المولى تعالى أنه نفس النبى صلى الله عليه وآله ووصفه النبى أنه لا يعرفه إلا الله ورسوله.

## إشكال وجواب

ذُكر عن محمد بن أبى القاسم أنه قال: هذا (الخبر) من جملة خبر الأحاد، وقد قال الله تعالى: (فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَ ثَلَاثَ وَرُبَاعَ) 1 ولا يجوز تحريم ذلك فى حق أحد إلا بسنة قاطعة أو آية محكمة (1). وذلك لأنّ القرآن قطعى الصدور، وهو يصرح بجواز الزواج من الثانية وحتى الرابعة لكل المسلمين بما فيهم على بن أبى طالب عليه السلام، وهذا الخبر الواحد، الذى يحرم

ص: 255

الزواج من على عليه السلام في حياة الزهراء عليها السلام هو في حد ذاته ظن ولكن الشارع جعله حجة في المسائل الشرعية أو العقائد الثانوية، فعندما تقارن بينه وبين الآية تكون مقارنة في الحقيقة بين ظن و يقين، ولا ريب أنّ المسألة اليقينية تبقى ثابتة ولا تخصص أو تسخ إلا بيقين آخر وليس بظن كما هو في المقام.

## والجواب

قد جاء عن بعض الأساطين أنّه لا يوجد خلاف بين أصحابنا في جواز تخصيص الكتاب بخبر الواحد، نعم هناك خلاف في المسألة عند أبناء العامة منهم من ذهب إلى عدم جواز التخصيص والآخر إلى جواز تخصيص الكتاب بخبر الواحد، ومنهم من توقف في المسألة كالباقلاني(1).

وأما الدليل على جواز التخصيص، هو أنّ التخصيص للكتاب إنّما هو في الدلالة لا في الصدور وهي ظنية أيضاً، فيكون رفع ظني بظني ليس رفع يقين بظني كما توهم المستشكل. وإن شئت قلت: إنّ رفع يد عن قطعي بقطعي، بتقريب أنّ خبر الواحد بعد فرض حجتيه وشمولها للمقام يكون قطعي الحجية فقد رفعنا اليد عما هو قطعي الحجية وهو الكتاب بما هو قطعي الحجية وهو خبر الواحد.

بعبارة أوضح: أنّ العموم في نفسه وإن كان شموله للمورد ظنياً من قبيل قوله تعالى: (وَ حَرَّمَ الرِّبَا) شمول للربا بين الوالد وولده ظني إلا أنّ أصالة العموم جعلت شموله لكل فرد من أفراد حجة قطعية معذرة لولا المخصص الذي جعل

ص: 256

---

1- (1) أنظر: غاية المأمول من علم الأصول، تقارير بحوث السيد الخوئي، للشيخ محمد تقى الجواهرى، ج 2 ص 670. ومحاضرات فى أصول الفقه، تقارير بحث السيد الخوئي، للفياض، ج 5 ص 309.

الشارع له الحجة كخبر الواحد, من قبيل قول أمير المؤمنين عليه السلام:

ليس بين الرجل وولده ربا وليس بين السيد وعبد ربا(1). فهو حجة قطعية, فيكون المقام هنا وكذا في مسألتنا من قبيل العام والخاص القطعيين, فإنّ الخاص قرينة على عدم العموم فهو مقدم عليه تقدم القرينة على ذبيها. فعندما حصل عموم أفرادى فى الآية فى جواز أو استحباب لكل الأفراد من الزواج بالثانية وحتى الثالثة الى الرابعة مع توفر الشروط اللازمة فى محلها حُص هذا العموم بحق على عليه السلام فى حال حياة الزهراء عليها السلام لوجود خصوصية خاصة فيها, وربما أشارت الرواية الى هذه الخصوصية وهى أنّها طاهرة أى معصومة ولا تحيض لا تعترىها النجاسات كما هو الحال فى النساء, فهى متكاملة من الناحية المعنوية والمادية.

### مصحف فاطمة عليها السلام

من تراث فاطمة عليها السلام هو المصحف الخاص بها المعبر عنه فى لسان الروايات بمصحف فاطمة, وذلك بما أملتة عليها الملائكة بإذن الله, كما فى المعتمدة فى الكافى: «أنّ ملكاً من الملائكة كان ينزل على الزهراء عليها السلام بعد وفاة أبيها, ويسليها ويحدثها بما يكون من الأمور, وكان على عليه السلام يكتب ذلك الحديث, فسمى ما كتب, مصحف فاطمة عليها السلام, فهو ليس قرآناً كما توهم, ولا كتاباً مشتملاً على الأحكام, فإن هذا التوهم مخالف للنصوص. ولا غرابة فى حديث الملائكة مع الزهراء عليها السلام فقد ذكر القرآن أن الملائكة حدثت مريم ابنة عمران, كما فى قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ

ص: 257

عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ<sup>1</sup> , ومن المعلوم أفضلية الزهراء على مريم ابنة عمران، كما ورد في النصوص المعتمدة، من أن مريم سيدة نساء عالمها، وأن فاطمة سيدة نساء العالمين.

عن حماد بن عثمان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: تظهر الزنادقة في سنة ثمان وعشرين ومائة، وذلك أني نظرت في مصحف فاطمة عليها السلام، قال: قلت: وما مصحف فاطمة؟ قال: إن الله تعالى لما قبض نبيه صلى الله عليه وآله دخل على فاطمة عليها السلام من وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلا الله عز وجل فأرسل الله إليها ملكاً يسلى غمها ويحدثها، فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: إذا أحسست بذلك وسمعت الصوت قولى لى فأعلمته بذلك فجعل أمير المؤمنين عليه السلام يكتب كلما سمع حتى أثبت من ذلك مصحفاً، ثم قال أما إنه ليس فيه شيء من الحلال والحرام ولكن فيه علم ما يكون<sup>(1)</sup>.

وعن أبي عبيدة قال: سأل أبا عبد الله عليه السلام بعض أصحابنا عن الجفر فقال: هو جلد ثور مملوء علماً، قال: له فالجامعة؟ قال: تلك صحيفة طولها سبعون ذراعاً فى عرض الأديم مثل فخذ الفالج، فيها كل ما يحتاج الناس إليه، وليس من قضية إلا وهى فيها، حتى أرش الخدش قال: فمصحف فاطمة عليها السلام؟ قال، فسكت طويلاً ثم قال: إنكم لتبحثون عما تريدون وعما لا تريدون إن فاطمة مكثت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله خمسة وسبعين يوماً وكان دخلها حزن شديد على أبيها وكان جبرئيل عليه السلام يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها، ويطيب نفسها، ويخبرها عن أبيها

ص: 258



ومكانه، ويخبرها بما يكون بعدها في ذريتها، وكان على عليه السلام يكتب ذلك، فهذا مصحف فاطمة عليها السلام(1).

ولفظ المصحف ليس اسماً مختصاً بالقرآن، حتى تختص بنت المصطفى بقرآن خاص، وإنما كان كتاباً فيه الملاحم والأخبار. والمصحف: من أصف، بمعنى ما جعل فيه الصحف، كما جاء في لسان العرب، المصحف: الجامع للصحف المكتوبة بين الدفتين كأنه أصف، والكسر والفتح فيه لغة، قال أبو عبيد: تميم تكسرهما وقيس تضمها، ولم يذكر من يفتحها ولا أنها تفتح إنما ذلك عن اللحياني عن الكسائي، قال الأزهرى: وإنما سمي المصحف مصحفاً لأنه أصف أى جعل جامعاً للصحف المكتوبة بين الدفتين، قال الفراء: يقال مصحف ومُصحف كما يقال مطرف ومُطرف، قال: وقوله مصحف من أصف أى جمعت فيه الصحف وأطرف جعل في طرفيه العلمان(2).

وعليه إنما سمي المصحف مصحفاً، لأنه جعل جامعاً للصحف المكتوبة بين الدفتين، ولم يكن ذلك اللفظ علماً للقرآن في عصر نزوله، وإنما صار علماً له بعد رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله. قال السيوطى: روى ابن أشته في كتاب المصاحف أنه لما جمعوا القرآن فكتبوه في الورق قال أبو بكر: التمسوا له اسماً، فقال بعضهم: السفر، وقال بعضهم: المصحف، فإن الحبشة يسمونه المصحف، قال: وكان أبو بكر أول من جمع كتاب الله وسماه المصحف(3).

ص: 259

---

1- (1) الكافى، الشيخ الكلينى ج 1 ص 241.

2- (2) أنظر: لسان العرب، ابن منظور، ج 9 ص 186.

3- (3) أنظر: الإتيان فى علوم القرآن، السيوطى، ج 1 ص 146.

## إشارة

إن للسيدة الزهراء عليها السلام أسماء نزلت من السماء، وتحت كل اسم أسرار كما نطقت بها الأخبار، ولكل منها جهة تسمية بل جهات سميت بها بذلك الاعتبار، ونحن نذكر قسماً منها، مع جملة من الأخبار الواردة فيها، ومرادنا من الأسماء هنا أعم من الاسم واللقب والكنية على نحو ما ورد في الأخبار المروية.

## سبب تسميتها بفاطمة

قد ورد في سبب تسميتها بذلك أخبار كثيرة من طرق الخاصة والعامة، في أنها سميت بذلك؛ لأن الله تعالى قد فطم من أحبها من النار، وغيرها من الأسرار الكامنة تحت هذا الاسم المبارك.

كما عن الشعبي، عن ابن عباس، قال: لما ولدت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله سماها المنصورة، فنزل جبرائيل، فقال: يا محمد، الله يقرئك السلام، ويقرئ مولودك السلام، وهو يقول: ما ولد مولود أحب إلى منها، وأنها قد لقبها باسم خير مما سميتها، سماها فاطمة، لأنها تقطم شيعتها من النار (1).

وعن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنه قال: سميت فاطمة، فاطمة؛ لأن الله تبارك وتعالى علم ما كان قبل كونه، فعلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله يتزوج في الأحياء، وأنهم يطعمون في وراثته هذا الأمر من قبله، فلما ولدت فاطمة سماها الله تعالى فاطمة لما أخرج منها من ولدها، فجعل الوراثة في أولادها، فقطع غير أولادها عما طمعوا،

ص: 260

فبهذا سميت فاطمة أى فطمت طمعهم وقطعت(1).

وروى يزيد بن عبد الملك عن الباقر عليه السلام قال: لما ولدت فاطمة عليها السلام أوحى الله عز وجل إلى ملك، فأنطق به لسان محمد صلى الله عليه وآله فسماها فاطمة، وقال: إني قد فطمتك بالعلم، وفطمتك عن الطمث، ثم قال أبو جعفر عليه السلام: والله لقد فطمها الله تعالى بالعلم وعن الطمث فى الميثاق(2).

وفى رواية: أنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا فاطمة أتدرين لم سميت فاطمة؟ فقال على عليه السلام: يا رسول الله لم سميت فاطمة؟ قال: لأنها فطمت هى وشيعتها من النار(3).

### سبب تسميتها بالزهراء

هناك عدة روايات تكشف لنا سبب تسميتها بهذا الاسم، وأنه مقتبس من واقعٍ تتمتع وتتصف به الزهراء عليها السلام، كما ورد عن محمد بن عمارة، عن أبيه، قال: سألت الصادق عليه السلام عن فاطمة عليها السلام لم سميت زهراء؟ فقال عليه السلام: لأنها كانت إذا قامت فى محرابها زهر نورها لأهل السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض(4).

وعن العسكرى عليه السلام: سميت فاطمة زهراء لأنه كان نور وجهها يزهر لأمير

ص: 261

- 1- (1) أنظر: علل الشرائع، الشيخ الصدوق، ج 1 ص 178.
- 2- (2) أنظر: الكافي، الشيخ الكليني، ج 1 ص 460.
- 3- (3) أنظر: علل الشرائع، الشيخ الصدوق، ج 1 ص 179.
- 4- (4) معانى الأخبار، الشيخ الصدوق، ص 64.

المؤمنين عليه السلام من أول النهار كالشمس الضاحية، وعند الزوال كالقمر المنير، وعند غروب الشمس كالكوكب الدرى (1). وفي خبر آخر أنه حدث عند ولادتها في السماء نور ظاهر لم تره الملائكة قبل ذلك (2).

وروى عن النبي صلى الله عليه وآله أنني رأيت ليلة الإسراء امرأة في الجنة في غاية البهاء والجلالة قد بهر نورها جميع الموجودات، وهي جالسة على سرير من أسرة الجنة، وعلى رأسها تاج مكلل، وفي أذنيها قرطان يزهران لأهل الأرض والسماء، أحدهما من الزمردة الخضراء والآخر من الياقوتة الحمراء، فسألت جبرئيل عنها فقال: هذه بنتك فاطمة الزهراء، والتاج على رأسها هو على بن أبي طالب عليه السلام زوجها، والقرطان في أذنيها الحسن والحسين عليهما السلام ولداهما (3).

وروى جابر عن الصادق عليه السلام قال: قلت له: لم سميت الزهراء زهراء؟ فقال: لأن الله تعالى خلقها من نور عظمتته، فلما أشرقت أضاءت السماوات والأرضين، وغشيت أبصار الملائكة، وخرت الملائكة لله تعالى ساجدين، وقالوا: إلهنا وسيدنا ما هذا النور؟ فأوحى الله إليهم: هذا نور من نوري، أسكنته في سمائي، خلقتة من عظمتي، أخرجته من صلب نبي من أنبيائي، أفضله على جميع الأنبياء، وأخرج من ذلك النور أئمة يقومون بأمرى، ويهدون إلى حقى، وأجعلهم خلفائي في أرضي بعد انقضاء وصي نبيي (4).

ص: 262

- 
- 1- (1) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج 3 ص 110.
  - 2- (2) الأمالي، الشيخ الصدوق، ص 692.
  - 3- (3) اللمعة البيضاء، التبريزي الأنصاري، ص 105.
  - 4- (4) علل الشرائع، الشيخ الصدوق، ج 1 ص 18.

هذا الاسم معروف على لسان أهل البيت عليهم السلام وقد سماها به الله تبارك وتعالى إجلالاً وإكراماً لمقامها السامى ولما وصلت إليه من التصديق بكل ما آتاه الله ورسوله صلى الله عليه وآله. والصديقة صيغة مبالغة فى الصدق والتصديق أى أنها سلام الله عليها كثيرة الصدق، ولقد ورد فى كتب اللغة معنى التصديق والصدق حيث قيل: إن الصديق أبلغ من الصدوق، وقيل: إنه الكامل فى الصدق الذى يصدق قوله بالعمل، البار، الدائم التصديق، وقيل: إنه من لم يكذب قط، وقيل: من صدق بقوله واعتقاده، وحقق صدقه بفعله (1).

وأياً كان منها معنى الصديق فإن فاطمة الزهراء عليها السلام تنطبق عليها جميع الأقوال فهى سلام الله عليها كانت المداومة على التصديق بما يوجهه الحق جل وعلا- حيث كانت المصدقة بكل ما أمر الله به وبأنبيائه ولا يدخلها فى أى شىء من ذلك أى شك كان وكانت المصداق الأفضل مع أوليائه المعصومين، لقوله تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) 2 . وقوله تعالى: (مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ) 3 ، حيث فسرت كلمة صديقة فى هذا الآية المباركة بأنها تصدق بآيات ربها، ومنزلة والدها وتصدقه فيما أخبرها به، بدلالة قوله تعالى: (وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا

ص: 263

وَ كُتِبَ وَ كَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ<sup>(1)</sup> ، وقيل: لكثرة صدقها وعظم منزلتها فيما تصدق به من أمرها وعلى كل حال فإن فاطمة الزهراء عليها السلام كانت الصديقة الطيبة التي صدقت بالله ورسوله وبما جاء به من عند الله تعالى وكانت المؤمنة بكل عقائدها الربانية والتي كانت تعمل على ضوء تلك العقائد والمعتقدات، ولقد جاءت الروايات الكثيرة لكي تؤكد على هذه الحقيقة الواضحة للزهراء عليها السلام فلقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله في حديث طويل: يا علي، إنى قد أوصيت فاطمة ابنتى بأشياء وأمرتها أن تلقيها إليك، فأنفذها، فهى الصديقة الصدوقة، ثم ضمها إليه وقبل رأسها، وقال: فداك أبوك يا فاطمة<sup>(1)</sup>.

وعن مفضل بن عمر قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: من غسل فاطمة عليها السلام؟ قال: ذاك أمير المؤمنين عليه السلام، فكأنما استضقت (استفظعت) ذلك من قوله، فقال لى: كأنك ضقت مما أخبرتك به، فقلت: قد كان ذلك جعلت فداك، فقال: لا تضيقن فإنها صديقة لم يكن يغسلها إلا صديق، أما علمت أن مريم لم يغسلها إلا عيسى؟<sup>(2)</sup>. وكذلك قول رسول الله صلى الله عليه وآله إنه قال لعلى عليه السلام: أوتيت ثلاثاً لم يؤتيهن أحد ولا أنا أوتيت، صهراً مثلى ولم أوت أنا مثلك، وأوتيت زوجة صديقة مثل ابنتى ولم أوت مثلها زوجة، وأوتيت الحسن والحسين من صلبك ولم أوت من صلبى مثلهما، ولكنكم منى<sup>(3)</sup>.

ص: 264

1- (2) أنظر: الصراط المستقيم، على بن يونس العاملى، ج 2 ص 93. وبحار الأنوار، المجلسى، ج 22 ص 491.

2- (3) انظر: الكافى، الكلينى، ج 1 ص 460. ووسائل الشيعة، الحر العاملى، ج 2 ص 714.

3- (4) انظر: الغدير، المينى، ج 2 ص 312.

وعن أبي الحسن عليه السلام قال: إن فاطمة عليها السلام صديقة شهيدة (1). وقال الصادق عليه السلام: وهي الصديقة الكبرى، وعلى معرفتها دارت القرون الأولى (2). وغيرها من الروايات التي تبين الأبعاد المعنوية لهذه الصفة التي تتمتع بها الزهراء عليها السلام.

### سبب تسميتها بالمباركة

وهو من الأسماء التي وردت أيضاً عن لسان المعصوم عليه السلام لفاطمة الزهراء عليها السلام عند الباري عز وجل، والظاهر من خلال سيرتها عليها السلام وما تركت من ذرية طيبة من بعدها أن مسألة البركة واضحة البرهان في حياتها الواقعية، حيث نجد أن ذرية كل رسول من ولده وخصوصاً الذكور إلا نبينا محمد صلى الله عليه وآله حيث كانت ذريته من ابنته المباركة فاطمة عليها السلام، وهذا ما نجده من خلال المآثور الروائي في حياة الرسول وأهل بيته عليهم السلام. وعندما نراجع كتب اللغة لنرى مدى انطباق معنى المباركة أو البركة على حياتها الشخصية وما تركته في هذه الدنيا، فلقد ورد في معنى كلمة البركة هي النماء والزيادة، وعن الزجاج: المبارك ما يأتي من قبله الخير الكثير. وقيل: إن البركة: هي النماء والسعادة والزيادة وقال الراغب: ولما كان الخير الإلهي يصدر من حيث لا يحبس، وعلى وجه لا يحصى ولا يحصر، قيل: لكل ما يشاهد منه زيادة محسوسة هو مبارك فيه وفيه بركة (3).

ص: 265

1- (1) انظر: الكافي، الشيخ الكليني، ج 1 ص 458.

2- (2) انظر: الامالي، الشيخ الصدوق، ص 668.

3- (3) انظر: تاج العروس، الزبيدي، ج 13 ص 515.

ولا شك ولا ريب ومن خلال استقراء حياة فاطمة عليها السلام قبل وبعد وفاتها أنها هي الخير الكثير الذى ورد فيه قوله تعالى: (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ)، ولقد انطبقت عليها هذه المعانى لكثرة بركتها على رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى أهل بيته وعلى شيعة أمير المؤمنين، فأى بركة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله مثل فاطمة والتي على معرفتها دارت القرون الأولى، وأى بركة أكبر وأفضل من بركة فاطمة عليها السلام على الشيعة وخاصة فى هذه الحياة الدنيا حيث كانت الوعاء الأكبر للإمامة التى مثلت أفضل مصاديق الولاية الكبرى وأى بركة أفضل منها عندما تأتى يوم القيامة وتخلص شيعتها ومحبيها من عذاب النار ولقد طفحت كتب السيرة والتاريخ دلالة على كثرة بركة فاطمة الزهراء عليها السلام وكذلك الكتب الروائية والكلامية والتفسيرية حيث أظهرت من خلال طيات صفحاتها هذه الصفة الواردة فيها، وتصديقاً لهذا الكلام ترى فى العالم اليوم ذرية فاطمة الزهراء عليها السلام الذين هم ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله منتشرين فى بقاع العالم، ففي العراق حوالى مليون، وفى إيران حوالى ثلاثة ملايين، وفى مصر خمسة ملايين، وفى المغرب الأقصى خمسة ملايين، وفى الجزائر وتونس وليبيا عدد كثير، وكذلك فى الأردن وسوريا ولبنان والسودان وبلاد الخليج والسعودية ملايين، وفى اليمن والهند وباكستان والأفغان وجزر اندونيسيا حوالى عشرين مليوناً، وقل أن تجد فى البلاد الإسلامية بلدة ليس فيها أحد من نسل السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، ويقدر مجموعهم بخمسة وثلاثين مليوناً، ولو أجريت إحصائيات دقيقة وصحيحة فلعل العدد يتجاوز هذا المقدار(1).

ص: 266

---

1- (1) انظر: الأسرار الفاطمية، الشيخ محمد فاضل المسعودى، ص 401.



من الأسماء الجميلة والتي تدل على معنى يصبو إليه كل مؤمن، هو الطهارة الباطنية والظاهرية، حيث سميت به فاطمة عليها السلام، وقد دلت عدة روايات في هذا الباب على مدى طهارتها عليها السلام، هذا بالإضافة إلى الشواهد الأخرى التي أيدت هذه المعنى، وأفضل دليل على طهارتها هو آية التطهير، (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)<sup>1</sup>، فهي عليها السلام مطهرة نقية مبرأة من كل الأرجاس الظاهرية والباطنية، وإليك بعض الأحاديث والشواهد التي تدل على أنها طاهرة سواء الطهارة الظاهرية أو الباطنية، فقد ورد عن أبي جعفر، عن آبائه عليهم السلام قال: إنما سميت فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله الطاهرة لطهارتها من كل دنس، وطهارتها من كل رفث، وما رأت قط يوماً حمرة ولا نفاساً<sup>(1)</sup>.

وعن الصادق عليه السلام قال:

إن الله حرم النساء على علي ما دامت فاطمة حية، لأنها طاهرة لا تحيض<sup>(2)</sup>.

وقوله صلى الله عليه وآله: ألا إن مسجدي حرام على كل حائض من النساء وكل جنب من الرجال إلا على محمد وأهل بيته عليهم السلام على وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام<sup>(3)</sup>.

وما جاء في غسلها ووصيتها عليها السلام قبل الوفاة، وهو أدل دليل وأقوى حجة على

ص: 267

1- (2) أنظر: مستدرک سفینه البحار، الشيخ على النمازی الشاهرودی، ج 6 ص 608. وبحار الأنوار، المجلسی، ج 43 ص 19.

2- (3) تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسی، ج 7 ص 175.

3- (4) انظر: السنن الكبرى، البيهقي، ج 7 ص 65.

أنها كانت طاهرة ميمونة في حياتها وبعد مماتها، ولم يحدث الموت فيها رجاسة ولا دناسة، مع أنك تعلم أنه مما لا خلاف فيه تنجس البدن بعد الموت وبعد خروج النفس عنه، ولأجل ذلك لا بد أن يغسل الميت حتى يطهر بدنه وينظف جسمه، إلا أن سيدة النساء عليها السلام أوصت أن لا يكشفها أحد، وأن تدفن بغسلها قبل الوفاة.

روى أحمد بن حنبل في مسنده عن أم سلمى (زوجة أبي رافع) قالت: اشتكت فاطمة شكاها التي قبضت فيها، فكنت أمرضها، فأصبحت يوماً كأمثل ما رأيتها في شكاها تلك، قالت: وخرج على لبعض حاجته، فقالت: يا أمة اسكبي لى غسلاً، فسكبت لها غسلاً، فاغتسلت كأحسن ما رأيتها تغسل، ثم قالت: يا أمة أعطينى ثيابي الجدد، فأعطيتها، فلبستها، ثم قالت: يا أمة قدى لى فراشى وسط البيت، ففعلت، واضطجعت واستقبلت القبلة وجعلت يدها تحت خدها، ثم قالت: يا أمة إني مقبوضة الآن وقد تطهرت، فلا يكشفنى أحد، فقبضت مكانها. قالت: فجاء على فأخبرته(1).

وقال الأربلى: واتفاقهما من طرق الشيعة والسنة على نقله مع كون الحكم على خلافه عجيب، فإن الفقهاء من الطرفين لا يجيزون الدفن إلا بعد الغسل إلا فى موضع ليس هذا منه، ولعل هذا أمر يخصها عليها السلام(2). نعم إنها عليها السلام كأبيها فى طهارتها كما تقدم عن الصادق عليه السلام إنه لما سئل: هل اغتسل على حين غسل رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: النبى طاهر مطهر ولكن اغتسل على عليه السلام وجرت به السنة(3).

ص: 268

1- (1) انظر: مسند أحمد، الأمام أحمد بن حنبل، ج 6 ص 461.

2- (2) انظر: كشف الغمة، ابن أبى الفتح الأربلى، ج 2 ص 125.

3- (3) الحدائق الناضرة، المحقق البحرانى، ج 3 ص 231.

من الأمور المهمة والتي تكون ذا أهمية كبيرة فى معرفة درجة أيمان الفرد المسلم مسألة الرضا عن الله تعالى، فمقام الرضا يحتاج إلى معرفة ويقين حتى يصل إليه الإنسان ويكون من الراضين بما قسم الله تعالى حتى يصل فى النهاية إلى مرحلة إيمانية عالية جداً، وكما ورد فى دعاء كميل: (وتجعلنى بقسمك راضياً قانعاً) أى أن الإنسان المؤمن يطلب من الله تعالى أن يوصله إلى مقام الرضا منه جل وعلا فى كل ما يقسمه له سواء من خير أو بلاء أو غير ذلك، وعلى غرار هذا وردت عدة أحاديث مروية عن أهل بيت العصمة عليهم السلام: من جملتها ما جاء فى الحديث الشريف عن على بن الحسين عليها السلام أنه قال:

الصبر والرضا عن الله رأس طاعة الله، ومن صبر ورضى عن الله فيما قضى عليه فيما أحب أو كره، لم يقض الله عز وجل له فيما أحب أو كره إلا- ما هو خير له(1). لأنّ الله سبحانه لا يختار لعبده إلا ما فيه خيره ومصالحته، وإن خفيت تلك المصلحة على العبد لمحدوديته وقصوره عن الإحاطة بمصالحه ومفاسده.

وجاء فى حديث آخر عن أبى عبد الله عليه السلام قال:

إنّ أعلم الناس بالله أرضاهم بقضاء الله عز وجل(2). من هنا يظهر مقام الزهراء عليها السلام العالى، حيث إنها كانت راضية عن الله تعالى بكل ما قدر لها من خير وبلاء، وبما قدر لها من مرارة الدنيا ومشقاتها ومصائبها وبلاياها، وهذا يظهر من خلال أبسط تأمل لحياتها وما

ص: 269

1- (1) الكافي، الشيخ الكليني، ج 2 ص 60.

2- (2) المصدر نفسه.

جرى عليها من الظلم والأذى، فمن خلال استقراء حياتها وسيرتها الذاتية نجد أنها كانت راضية بكل ما قدر الله لها، فهي كانت راضية بقضاء الله تعالى وصابرة على ما جرى عليها من الظلم والهوان، وكانت شاكرة لله تعالى فالشكر يدل على الرضا، وهذا ينم عن الحالة الإيمانية عند فاطمة عليها السلام.

### تسميتها بالمرضية

وأيضاً لفاطمة عليها السلام اسم آخر يقاربه وهو (المرضية) والذي يظهر من خلال التأمل والتدبر في السيرة الذاتية لها، أنه هناك احتمالان في معنى كونها مرضية، أحدهما هو كون جميع أعمالها وأفعالها وأقوالها وما صدر منها خلال مسيرة حياتها مرضية عند الله تبارك وتعالى فهي رضى الله عنها ورضت عنه، فهي راضية مرضية راضية عن البارى عز وجل ومرضية بما وعد الله تبارك وتعالى عباده بالرضوان الأكبر. والاحتمال الآخر أنها عليها السلام كانت مرضية من جهة ما أعطها الله تبارك وتعالى من المقامات النورانية التي بها فضلها على غيرها وكذلك، ومن خلال ما أعطها تبارك وتعالى من الذرية الكثيرة حيث جعل منها الأئمة الهادين عليهم السلام، وكذلك هي مرضية عليها السلام من جهة أن لها مقام الشفاعة الكبرى، وأياً كان تفسير معنى المرضية سواء كان الاحتمال الأول أو الثاني، فإن فاطمة عليها السلام قد حازت وفازت بهذه المنزلة الرفيعة والدرجة الراقية فهي راضية مرضية أعمالها عند الله عز وجل: (يا أَيَّتْهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ. ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً. فَادْخُلِي فِي عِبَادِي. وَادْخُلِي جَنَّاتِي) 1 .

ونقف هنا مع اسم آخر لفاطمة عليها السلام والذي نستفيده من خلال مراجعة جملة من الروايات، إن هذا الاسم ومن دون تحريك حرف الدال نحتمل فيه احتمالان: إما أن تكون الدال المشددة مكسورة، وأما أن تكون الدال المشددة فيه مفتوحة، وعلى الاحتمال الأول يكون معنى هذا الاسم أنها عليها السلام كانت تحدث أمها خديجة عليها السلام وهي فى بطنها، وأيضاً الملائكة، وهذا ما يظهر من خلال مراجعة بعض الروايات، كما ورد عندما سأل رسول الله زوجته خديجة أثناء دخوله عليها قائلاً لها مع من تتحدثين قالت: الجنين الذى فى بطنى يؤنسنى ويحدثنى(1). وعلى الاحتمال الثانى يكون معنى المحذثة هو أنها عليها السلام كانت تحدثها الملائكة وتؤنسها وخصوصاً بعد فقد أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد ورد عن زيد بن على قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

«إنما سميت فاطمة مُحذثة؛ لأن الملائكة كانت تهبط من السماء فتناديها كما تنادى مريم بنت عمران فتقول: يا فاطمة، إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين. يا فاطمة، اقتنى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين. فتحدثهم ويحدثونها، فقالت لهم ذات ليلة: أليست المفضلة على نساء العالمين مريم بنت عمران؟ فقالوا: إن مريم كانت سيدة نساء عالمها، وإن الله جعلك سيدة نساء عالمك وعالمها وسيدة نساء الأولين والآخرين»(2).

ص: 271

1- (1) روضة الواعظين، القتال النيسابورى، ص 143.

2- (2) الأمالى، الشيخ الصدوق، ص 691.

وهنا سؤال يطرح نفسه فى المقام وينقدح فى الأذهان, وهو هل من الممكن أن تكون الملائكة تحدث بعض الناس لاسيما بعد رحيل النبى الأكرم صلى الله عليه وآله حيث إنّ الوحي انقطع بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله, وفى حالة كون تحديث الملائكة وإمكان وقوعه ولو على غير نحو الوحي هل يقع هذا مع فاطمة عليها السلام؟

وللإجابة: أنّ أدنى مراجعة للقرآن الكريم تقيدنا الجواب على هذه المسألة من إمكان وقوعها فى الأمم السابقة, باعتبار أن القرآن الكريم المصدر الأول للمسلمين فى عرض الأشياء عليه, فنجد من خلال عدة آيات قرآنية ثبتت هذه الحقيقة, وهى أن الملائكة يمكن أن تتحدث مع البشر, وإليك بعض هذه الآيات القرآنية التى تثبت هذه المسألة: منها: قوله تعالى: (وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحَّكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ) 1 .

ومنها قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ) 2 . فهذا صريح القرآن يثبت هذه الحقيقة الواضحة التى لا يبقى معها شك, فمن هذا المنطلق يكون من باب أولى ثبوته بحق سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين, إضافة إلى الروايات الخاصة بهذا المضمون.

وهذا هو الاسم الآخر الذي يحكى عن الخصوصيات التي تحظى بها فاطمة عليها السلام وتشخصها عن غيرها سواء في المجالات المادية أو المعنوية، كما بينته كثير من الروايات الواردة في هذا الشأن، فقد سئل رسول الله صلى الله عليه وآله: لم قيل لها: البتول؟ فقال: لانقطاعها عن نساء أهل زمانها ونساء الأمة عفافاً وفضلاً ودينياً وحسباً. وقيل: لانقطاعها عن الدنيا إلى الله عز وجل (1). وقيل بتبيل خلقها انفراد كل شيء عنها بحسنه لا يتكل بعضه على بعض. قال ابن الأعرابي: المبتلة من النساء: الحسننة الخلق، لا يقصر شيء عن شيء، لا تكون حسنة العين سمجة الأنف، ولا حسنة الأنف سمجة العين، ولكن تكون تامة (2).

وعن ابن الأثير: وامرأة بتول: منقطعة عن الرجال لا شهوة لها فيهم، وبها سميت مريم أم المسيح عليها السلام. وسميت فاطمة (البتول) لانقطاعها عن نساء زمانها فضلاً ودينياً وحسباً. وقيل: لانقطاعها عن الدنيا إلى الله تعالى (3).

وورد عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: سميت فاطمة بتولاً لأنها تبنت وتقطعت عما هو معتاد العورات في كل شهر، ولأنها ترجع كل ليلة بكراً. وسميت مريم بتولا لأنها ولدت عيسى بكراً (4).

ص: 273

1- (1) راجع: شرح أصول الكافي، محمد صالح المازندراني، ج 11 ص 342، والبحار، المجلسي، ج 14، ص 300.

2- (2) راجع: لسان العرب، ابن منظور، ج 11 ص 43.

3- (3) راجع: النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، ج 1 ص 94.

4- (4) راجع: شرح احقاق الحق، السيد المرعشي، ج 5 ص 7.

وعن علي عليه السلام قال: إن النبي صلى الله عليه وآله سئل: ما البتول؟ فإنا سمعناك يا رسول الله تقول: إن مريم بتول، وفاطمة بتول؟ فقال: البتول التي لم تر حمرة قط، أى لم تحض، فإن الحيض مكروه فى بنات الأنبياء(1).

وعن عائشة قال: إذا أقبلت فاطمة كانت مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وآله، وكانت لا تحيض قط، لأنها خلقت من تقاحة الجنة، ولقد وضعت الحسن بعد العصر، وطهرت من نفاسها، فاغتسلت وصلت المغرب وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن ابنتى فاطمة حوراء، إذ لم تحض ولم تطمئ(2).

وروى عن أسماء بنت عميس قالت: قبلت: (أى ولدت) فاطمة بالحسن فلم أر لها دمأ فى حيض ولا نفاس، فقال النبي صلى الله عليه وآله: أما علمت أن ابنتى طاهرة، لا يرى لها دم فى طمئ ولا ولادة(3).

### دم الحيض والنفاس نقص أم كمال؟

بعدهما وردت الروايات الصحيحة والصريحة فى تنزيه فاطمة عليها السلام من دمء الحيض والنفاس وأنها تختلف عن نساء عصرها فقد طهرها الله من كل النجاسات المادية والمعنوية فى كل الأحوال، فعلى ذلك ينبغى أن نسلط الضوء على مسألة جدية بالاهتمام وهى أن دم النفاس أو دم الحيض التى تراه المرأة فى كل شهر من حين بلوغها إلى الخمسين من عمرها أو أكثر والذى يسمى بالعادة الشهرية

ص:274

1- (1) علل الشرائع، الصدوق، ج 1 ص 181.

2- (2) راجع: شرح إحقاق الحق، السيد المرعشى، ج 10 ص 244.

3- (3) راجع: كشف الغمة، ابن أبى الفتح الأربلى، ج 2 ص 91.



هل هو نقص وعارض يعترى المرأة أو هو كمال بالنسبة للمرأة بحسب تركيبتها الفسيولوجية، وقبل الجواب يلزم أن نعرف حقيقة هذه الدماء (دماء الحيض) والحكمة من ورائها، فهي دماء فاسدة قد تخزن في الأوعية والأجهزة التي جعلها الله في جسم المرأة ليكون ذلك الدم غذاءً للجنين فإذا لم يكن جنين في رحم المرأة سال الدم إلى الخارج وربما انقلب إلى اللبن إذا كانت المرأة مرضعة. وأما طبيعة هذه الظاهرة فهي مؤذية ونقص بالنسبة للمرأة وقد صرح بذلك القرآن الكريم بقوله: (وَيسئلونك عن المَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي المَحِيضِ وَ لا- تُقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ) 1, لذلك ثبت أن دم الحيض مادة ضارة مؤذية في جسم المرأة فلا بد من خروجها لتنجو المرأة من أمراض وأعراض، وفي فترة العادة تعرض حوادث جسمية وروحية للمرأة تغير ملامحها ولون وجهها بل وأخلاقها ونفسياتها وأيضاً تشعر بالانفعال والخجل والانكسار وإن كان هذا الأمر خارجاً عن إرادتها واختيارها ولكنها تتألم بهذا الحادث الذي لا يحسن التصريح به لكل أحد وخاصة للرجال، وغير ذلك من السلبيات التي تلحق بالمرأة جراء الحيض والنفاس، ولهذا سقط عنها حكم الصلاة والصيام خلال فترة العادة وحرم عليها المكث بالمسجد والدخول إليه وغيرها من الأحكام.

ولكن الله تعالى كره لسيدة نساء العالمين أن تتلوث بهذه القذارات حيث أذهب عنها الرجس وطهرها تطهيراً، نعم إن الله قد جعل في مخلوقاته قوانين وسنناً وجعل تلك المخلوقات خاضعة لتلك القوانين والسنن ولكن جعل أولياءه

فوق تلك القوانين والسنن في ظروف خاصة لحكمة بالغة. من قبيل التناسل لا يمكن إلا بالتلقيح وانتقال نطفة الرجل إلى رحم المرأة وتطور النطفة إلى علقة ثم مضغة ثم عظام ثم خلق آخر إلى أن يكمل الجنين خلال ستة أشهر على أقل تقدير وتسعة أشهر كما هو الغالب, هذه سنة الله في قانون التناسل, لكن هذه السنة والقانون ما كان خاضعاً بالنسبة لمريم عليها السلام عندما حملت بنى الله عيسى عليه السلام فلم يمسهها بشر وحملت بولدها إلى أن جاءها المخاض فوضعت بعيسى عليه السلام وكل ذلك كان خلال تسع ساعات أو ست ساعات فقط (1), وأيضاً ما جرى في تعطيل هذا القانون بولادة زوجة نبي الله إبراهيم عليه السلام (سارة) حيث ولدت على الكبر وكان هذا ما لا تسمح به العادة وأنه فوق القوانين والسنن الإلهية (قالت يا وَيْلَتِي أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَ هَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ. قَالُوا أَتَعْجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتُ اللَّهِ وَ بَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ) 2. وعلى غرار هذا تصدر المعجزات للأنبيا والأولياء عن طريق خرق العادة, فلا غرابة أن خرق الله العادة لسيدة النساء وجنبها هذا الأذى والنقص التي تحرم فيه من العبادة وغيرها.

### كيفية شهادتها

إضافة إلى كل الكرامات والفضائل التي حازت عليها فاطمة عليها السلام فقد نالت الشهادة في خاتمة مطافها من حياتها وهذه المنقبة ليس من السهل الوصول

ص: 276

---

1- (1) راجع: الكافي, الكليني, ج 8 ص 332. مجمع البيان, الطبرسي, ج 6 ص 417.

والارتقاء إليها ولا يتسنى لكل أحد أن يتلبس بها إلا من حظا بالتوفيق والتسديد الإلهي، فقد روى عن الإمام الصادق عليه السلام في سبب وفاتها عليها السلام قال: إنَّ قنْذاً مولى عمر لكزها بنعل السيف بأمره فأسقطت محسناً، ومرضت من ذلك مرضاً شديداً، وكان على عليه السلام يمرضها بنفسه، وتعينه على ذلك أسماء بنت عميس (1).

وذكر الجوهري المتوفى سنة (323 هـ -) بإسناده عن الحسن عليه السلام قال: في يوم دخلت نسوة من المهاجرين والأنصار على فاطمة بنت رسول الله يعدنها فقلن السلام عليك يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله كيف أصبحت؟ فقالت: أصبحت والله عائفة لديناكن قالية لرجالكم، لفظتهم بعد أن عجمتهم وشنتهم بعد أن سبرتهم فقبحاً لفلول الحد وخور القناة، وخطل الرأي، وبسما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون لا جرم قد قلدتهم ربقتهم، وشنت عليهم غارتها، فجدهاً وعقراً، وسحقاً للقوم الظالمين، ويحهم أني زحزحوها عن رواسي الرسالة، وقواعد النبوة، ومهبط الروح الأمين، والطين بأمر الدنيا والدين، ألا ذلك هو الخسران المبين، وما الذي تقموا من أبي الحسن، تقموا والله نكير سيفه، وشدة وطأته، ونكال وقعته، وتمره في ذات الله... الخ (2).

وعن سليم بن قيس الهلالي قال: عندما حالت فاطمة عليها السلام بين القوم وبين على عليه السلام عند باب البيت، فضربها قنْذ بالسوط فماتت حين ماتت، وإن في عضدها كمثل الدمليج من ضربته (3).

ص: 277

- 
- 1- (1) راجع: دلائل الإمامة، محمد بن جرير الطبري، ص 134. وبحار الأنوار، المجلسي، ج 43 ص 170.
  - 2- (2) راجع: السقيفة وفدك، الجوهري، ص 120. ومعاني الأخبار، الشيخ الصدوق، ص 354.
  - 3- (3) راجع: كتاب سليم بن قيس، تحقيق محمد باقر الأنصاري، ص 151.

وفى خبر آخر عندما حالت بينهم وبينه فاطمة عند باب البيت ضربها قنفذ بالسوط فماتت حين ماتت وأن فى عضدها كمثل الدمليج من ضربته فألجأها إلى عضادة بيتها ودفعها فكسر ضلعها وألقت جنينها من بطنها فلم تزل صاحبة فراش حتى ماتت عليها السلام من ذلك شهيدة(1).

وقد ذكر الزرندي الحنفى, عن عمران بن دينار أن فاطمة لم تضحك بعد النبى صلى الله عليه وآله حتى قبضت لما لحقها من شدة الحزن على أبيها صلى الله عليه وآله. (إلى أن يقول) وعن على (رض) أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله جاءت إلى قبر النبى صلى الله عليه وآله فوقعت عليه ثم أخذت قبضة من تراب القبر فوضعتها على عينيها وبكت وأنشأت تقول:

ماذا على من شم تربة أحمد أن لا يشم مدى الزمان غواليا

صبت على مصائب لو أنها صبت على الأيام صرن لياليا(2)

وغيرها من الروايات التى تذكر وتؤكد الحالة المفجعة التى مرّت بها الزهراء عليها السلام فى حال شهادتها وما جرى عليها, والحكم يبقى للقارئ الكريم ولكل إنسان منصف, ونحن نقتصر بهذا القدر فى ذكر شهادتها خوفاً من الإطالة.

### فاطمة فى حالة الاحتضار

تشرف الملائكة المقربون فى زيارة فاطمة عليها السلام عند نزع الروح وسكرات الموت وينقلون لها التحية والسلام من الرفيق الأعلى, وهذا قلما يحدث إلا عند

ص: 278

1- (1) راجع: مجمع النورين, الشيخ أبو الحسن المرندى, ص 82.

2- (2) راجع: نظم درر السمطين, الزرندي الحنفى, ص 181. والشرح الكبير, عبد الرحمن بن قدامة, ج 2 ص 430.

النوادر من الأنبياء والأولياء، فقد روى أنه لما ثقل عليها المرض، والإمام لا يفارقها، وأسماء تمرضها، والحسن والحسين وزينب عندها، وهي تفيق مرة ويغشى عليها أخرى من شدة المرض، وتجيل بصرها في أولادها.

يقول الإمام على عليه السلام: إنها لما حضرته الوفاة فتحت عينيها وقالت: السلام عليك يا جبريل، السلام عليك يا رسول الله، اللهم احشرنى مع رسولك، اللهم اسكنى جنتك وفي جوارك ثم قالت: هؤلاء ملائكة ربي، جبريل ورسول الله حاضران عندي، وأبى يقول: القديوم إلينا، يقول على عليه السلام: فلما كانت الليلة التي أراد الله أن يكرمها ويقبضها إليه أخذت تقول: وعليكم السلام، يا بن عم، هذا جبريل أتاني مسلماً، وقال: السلام يقرئك السلام يا حبيبة حبيب الله وثمره فؤاده، اليوم تلحقين بالرفيق الأعلى وجنة المأوى ثم انصرف عني ثم أخذت تقول: وعليكم السلام، وتقول: يا بن عم، هذا ميكائيل يقول كقول صاحبه، ثم أخذت ثالثاً تقول: وعليك السلام، ثم فتحت عينيها شديداً وقالت: يا بن عم هذا والله الحق، عزرائيل نشر جناحه في المشرق والمغرب، وقد وصفه لى أبى وهذه صفته ثم قالت: يا قابض الأرواح عجل بى ولا تعذبى، ثم قالت: إليك ربي لا إلى النار، ثم غمضت عينيها، ومدت يديها ورجليها، وكأنها لم تكن حية قط (1).

### فاطمة تفارق الحياة

الموت كما هو واضح يفاجئ الإنسان من دون أن يعرف زمانه ومكانه، إلا أولئك الذين خصهم الله بالمعرفة والعصمة فقد كانوا يعرفون مجارى الأمور ما

ص: 279

---

1- (1) دلائل الإمامة، محمد بن جرير الطبرى (الشيعة)، ص 133. و بحار الأنوار، المجلسى، ج 43 ص 209.

ظهر منها وما خفي، ومن جملة ذلك معرفتهم للأجال، حيث إنَّ فاطمة عليها السلام كانت عالمة بدنو أجلها ومفارقة أحبائها فقامت وتهيأت للقاء ربها وأبيها، حيث روى عن أسماء أنَّ فاطمة عليها السلام لما حضرتها الوفاة قالت لأسماء: إن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وآله (لما حضرته الوفاة) بكافور من الجنة فقسمه أثلاثاً، ثلثاً لنفسه، وثلثاً لعلی، وثلثاً لى، وكان أربعين درهماً، فقالت يا أسماء آتيني ببقية حنوط والدى من موضع كذا وكذا وضعه عند رأسى، فوضعت، ثم قالت لأسماء حين توضأت وضوءها للصلاة، هاتى طيبى الذى أتطيب به، وهاتى ثيابى التى أصلى فيها، فتوضأت ثم تسجت بثوبها، ثم قالت: انتظرينى هنيئة وادعيني، فإن أجبتك وإلا فاعلمى أنى قدمت على أبى فأرسلنى إلى على. فانتظرت هنيئة ثم نادتها، فلم تجبها، فكشفت الثوب عن وجهها فإذا بها قد فارقت الدنيا، فوقع عليها تقبلها، فبينما هى كذلك إذ دخل الحسن والحسين فقالا لها: يا أسماء ما ينيم أمنا فى هذه الساعة، قالت: يا ابنى رسول الله ليست أمكما نائمة، قد فارقت الدنيا، فوقع عليها الحسن يقبلها مرة ويقول: يا أماه كلمينى قبل أن تفارق روحى بدنى، وأقبل الحسين يقبل رجلها ويقول: أنا ابنك الحسين كلمينى قبل أن يتصدع قلبى فأموت. قالت لهما أسماء: يا ابنى رسول الله، انطلقا إلى أبيكما على فأخبراه بموت أمكما، فخرجا حتى إذا كانا قرب المسجد رفعا أصواتهما بالبكاء فقالا: قد ماتت أمنا فاطمة عليها السلام فوقع على عليه السلام على وجهه يقول: بمن العزاء يا بنت محمد، كنت بك أتعزى فبمن العزاء من بعدك؟ وأنشأ يقول:

لكل اجتماع من خليلين فرقة وكل الذى دون الممات قليل

وإن افتقادی فاطم بعد أحمد دلیل علی أن لا یدوم خلیل(1)

وروی أيضا أنه علیه السلام أنشأ قائلاً:

نفسی علی زفراتها محبوسة یا لیتها خرجت مع الزفرات

لا خیر بعدک فی الحیاة وإنما أبکی مخافة أن تطول حیاتی(2)

### تشيعها وإعفاء قبرها

من الأدلة القاطعة على مظلومية الزهراء عليها السلام هو تشييعها في الليل سراً وإعفاء قبرها، كى يبقى هذا الدليل خالداً الى ظهور العدل على يد المصلح العالمى الموعود من قبل السماء ولو كان غير ذلك لجاز لأحد الأئمة عليهم السلام أن يهدى الناس الى قبرها ويرشدهم لزيارته والتبرك به ولكن شاءت الحكمة الإلهية أن يكون خافياً كى يكون دليلاً على مدى مظلومية السيدة فاطمة عليها السلام للأجيال المتعاقبة من جهة، ومن جهة أخرى عدم اقتدار يد التحريف الى الإيهام والتعتيم على ظلامة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وعليه ذكره المؤرخون وأصحاب السير فى ذكر فاطمة حال وفاتها حيث قالوا: ارتفعت أصوات البكاء من بيت على عليه السلام فصاح أهل المدينة صيحة واحدة، واجتمعت نساء بنى هاشم فى دارها، فصرخن صرخة واحدة كادت المدينة تتزعزع لها، وأقبل الناس مثل عرف الفرس إلى على عليه السلام، وهو جالس، والحسن والحسين بين يديه يبكيان، وخرجت أم كلثوم، وهى تقول: يا أبتاه يا رسول الله، الآن فقدناك حقاً لا لقاء بعده أبداً. واجتمع الناس فجلسوا وهم

ص: 281

1- (1) بيت الأحران، الشيخ عباس القمى، ص 179.

2- (2) أنظر: مستدرک سفينة البحار، الشيخ على النمازى الشاهرودى، ج 4 ص 73.

يضعون، وينتظرون خروج الجنازة ليصلوا عليها، وخرج أبو ذر، وقال: انصرفوا فإن ابنة رسول الله قد أخرج إخراجها في العشية. وأقبل أبو بكر وعمر يعزيان علياً عليه السلام، ويقولان له: يا أبا الحسن لا تسبقنا بالصلاة على ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله، ولكن علياً غسلها وكفنها هو وأسماء في تلك الليلة ثم نادى: يا أم كلثوم، يا زينب، يا حسن، يا حسين، هلموا تزودوا من أمكم فهذا الفراق واللقاء في الجنة، وبعد قليل نجاهم أمير المؤمنين عليه السلام عنها. ثم صلى على عليه السلام على الجنازة، وشيعها والحسن والحسين وعقيل وسلمان وأبو ذر والمقداد وعمار وبريدة والعباس وابنة الفضل. فلما هدأت الأصوات ونامت العيون ومضى شطر من الليل أخرجها أمير المؤمنين عليه السلام ودفنها سرّاً وأهل عليها التراب، والمشيعون من حوله يترقبون لئلا يعرف القوم، فدفنوها وعفوا تراب قبرها(1).

وروى الحاكم في المستدرک عن عائشة أنها قالت: دفنت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ليلاً ودفنها على ولم يشعر بها أبو بكر رضی الله عنه حتى دفنت وصلى عليها على بن أبي طالب رضی الله عنه(2).

ولها عليها السلام وصية في ذلك جاء فيها: بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصت به فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله: أوصت وهي تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الجنة حق، والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من فى القبور، يا على: أنا فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله، زوجنى الله منك لأكون لك فى الدنيا

ص: 282

1- (1) الأنوار البهية، الشيخ عباس القمى، ص 62.

2- (2) المستدرک، الحاكم النيسابورى، ج 3 ص 162.



والآخرة، أنت أولى بي من غيري، حنظلي وغسلني وكفني بالليل وصل على وادفني بالليل ولا تعلم أحداً، وأستودعك الله وأقرأ على ولدي السلام إلى يوم القيامة(1).

## الوداع الأخير

بعدها انتهت مراسم الدفن بسرعة خوفاً من انكشاف أمرهم، ونفض الإمام يده من تراب القبر هاج به الحزن لفقد بضعة الرسول التي تذكر به، وزوجته الودود التي عاشت معه الصفا والطهارة والتضحية، وتحملت من أجله الأهوال والصعاب، فأرسل دموعه على خديه، وحول وجهه إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك من ابنتك وحبيبتك وقرّة عينك وزائرتك، والبانة في الثرى ببقعتك، المختار الله لها سرعة اللحاق بك، قلّ يا رسول الله عن صفيتك صبري وضعف عن سيدة النساء تجلدي، إلا أن في التأسي لي بسنتك، والحزن الذي حل بي لفراقك، موضع التعزي، ولقد وسدتك في ملحودة قبرك، بعد أن فاضت نفسك على صدرى، وغمضتكم بيدي وتوليت أمرك بنفسى. نعم، وفي كتاب الله أنعم القبول، إنا لله وإنا إليه راجعون، قد استرجعت الوديعه، وأخذت الرهينة، واختلست الزهراء، فما أقبح الخضراء والغبراء، يا رسول الله. أما حزني فسرمد، وأما ليلي فمسهد، لا يبرح الحزن من قلبي أو يختار الله لي دارك التي أنت مقيم، كمد مقيح، وهم مهيج، سرعان ما فرق الله (بيننا)، وإلى الله أشكو، وستنبك ابنتك بتظافر أمتك على، وعلى هضمها حقها، فأحفظها السؤال واستخبرها الحال، فكم من عليل معتلج بصدرها، لم تجد إلى بثه سيلاً، وستقول، ويحكم الله وهو خير الحاكمين. سلام عليك يا رسول الله، سلام

ص:283

مودع لا- سئم ولا- قال، فإن أنصرف فلا- عن ملالة وإن أقم فلا- عن سوء ظني بما وعد الله الصابرين، الصبر أيمن وأجمل. ولولا غلبة المستولين علينا، لجعلت المقام عند قبرك لزاماً، وللبثت عنده معكوفاً، ولأعولت إعوالم الثكلى على جليل الرزية، فبعين الله تدفن ابنتك سراً، ويهتضم حقها قهراً، ويمنع إرثها جهراً، ولم يطل العهد، ولم يخلق منك الذكر، فإلى الله - يا رسول الله - المشتكى وفيك أجمل العزاء، فصلوات الله عليها ورحمة الله وبركاته(1).

## تاريخ وفاتها

لا شك أنّ وفاتها عليها السلام كانت في السنة الحادية عشرة من الهجرة؛ لأن النبي صلى الله عليه وآله حج حجة الوداع في السنة العاشرة وتوفي في أوائل السنة الحادية عشرة. واتفق المؤرخون على أن فاطمة عاشت بعد أبيها أقل من سنة، إلا أنهم اختلفوا في يوم وشهر وفاتها اختلافاً شديداً، فروى عن أبي بصير، عن الصادق عليه السلام قبضت في جمادى الآخرة، يوم الثلاثاء لثلاث خلون منه، سنة إحدى عشرة من الهجرة. وهو المختار. وبه قال الطوسي والطبرسيان والسيد بن طاووس والكفعمي. ويؤيده ما ورد أنها بقيت بعد أبيها خمسة وتسعين يوماً، وقريب منه ما روى أنها قبضت بعد ثلاثة أشهر من وفاة النبي صلى الله عليه وآله، أو مائة يوم، على التسامح في زيادة خمسة أيام أو نقصها(2).

وروى أحمد ومسلم وابن سعد وغيرهم من الجمهور: عن عائشة أنها عاشت

ص: 284

1- (1) نهج البلاغة، ج 2 ص 182، الكافي، الشيخ الكليني، ج 1 ص 459.

2- (2) راجع: موسوعة شهادة المعصومين عليهم السلام، لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، ج 1 ص 150.

بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ستة أشهر (1). قال ابن سعد: عن عروة أن فاطمة توفيت بعده صلى الله عليه وآله بستة أشهر. قال محمد بن عمر: وهو الثبت عندنا: وتوفيت ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من شهر رمضان إحدى عشرة وهي ابنة تسع وعشرين سنة أو نحوها (2). وأما الساعة التي توفيت فيها عليها السلام هي ما بين المغرب والعشاء، وقيل في جوف الليل (3).

## محل دفنها

تقدم أنها عليها السلام دفنت ليلاً وسراً وقد أعفى قبرها فليس من السهل أن يُشخص قبرها ويتضح للعيان، فلذلك اختلف علماؤنا في مكان دفنها ومحل قبرها، كما ذكره الشيخ الطوسي رحمه الله قال: إنك تأتي الروضة فتزور فاطمة عليها السلام لأنها مقبورة هناك، وقد اختلف أصحابنا في موضع قبرها، فقال بعضهم: إنها دفنت بالبقيع، وقال بعضهم: انها دفنت بالروضة، وقال بعضهم: إنها دفنت في بيتها، فلما زاد بنو أمية في المسجد صارت من جملة المسجد، وهاتان الروايتان كالمتقاربتين، والأفضل عندي (عند الشيخ المفيد) أن يزور الإنسان من الموضوعين جميعاً فإنه لا يضره ذلك، ويحوز به أجراً عظيماً، وأما من قال إنها دفنت بالبقيع فبعيد من الصواب (4).

ص: 285

- 
- 1- (1) راجع: مسند أحمد، ج 1 ص 6. وصحيح مسلم، ج 2 ص 144. والطبقات الكبرى، ج 8 ص 23.
  - 2- (2) راجع: الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، ج 8 ص 28.
  - 3- (3) راجع: موسوعة التاريخ الإسلامي، اليوسفي الغروي، ج 4 ص 152.
  - 4- (4) تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي، ج 6 ص 9.

وهذا بخلاف ما ذهب اليه الشيخ المفيد رحمه الله حيث قال: قبرها فى البقيع، وهو القبر الذى فيه ولدها الحسن عليه السلام(1).

## استحباب زيارة فاطمة عليها السلام

### إشارة

لا ريب أنّ للزهراء عليها السلام مكانة عظيمة عند الله ومحبة فى قلوب المؤمنين، ولو شاءت الحكمة أن يظهر قبرها لكان مزاراً أوسع مما يتصور ولا يقل شأنًا عن غيره من المعصومين عليهم السلام، ومع أخفاء قبرها لا يسقط استحباب زيارتها كما كشفت عنه الروايات، وروى فى فضل زيارتها أكثر من أن يحصى.

فقد روى ابن يزيد بن عبد الملك، عن أبيه، عن جده قال: دخلت على فاطمة عليها السلام فابتدأتنى بالسلام، ثم قالت: ما غدا بك؟ قلت: طلب البركة. فقالت: أخبرنى أبى وهو ذا، هو أنه من سلم على ثلاثة أيام أو جب [الله] له الجنة. قال: فقلت لها: فى حياته وحياتك؟ قالت: نعم، وبعد موتنا(2).

أما زيارتها عليها السلام تقف على قبرها أو على أحد المواضع المحتملة وتقول: السلام عليك يا ممتحنة، امتحنك الذى خلقك قبل أن يخلقك، فوجدك لما امتحنك به صابرة، ونحن لك أولياء ومصدقون، ولكل ما أتى به أبوك صلى الله عليه وآله، وأتى به وصيه عليه السلام مسلمون. ونحن نسألك اللهم إذ كنا مصدقين لهم أن تلحقنا بتصدقنا لهم بالدرج العليا لنبشر أنفسنا بأننا قد طهرنا بولايتهم عليهم السلام(3).

ص: 286

1- (1) المزار، الشيخ المفيد، ص 177.

2- (2) تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسى، ج 6 ص 10.

3- (3) المزار، الشيخ المفيد، ص 177.

هو أن تقف وتقول: السلام عليك يا بنت رسول الله، السلام عليك يا بنت نبي الله، السلام عليك يا بنت حبيب الله، السلام عليك يا بنت خليل الله، السلام عليك يا بنت صفى الله السلام عليك يا بنت امين الله، السلام عليك يا بنت خير خلق الله، السلام عليك يا بنت أفضل أنبياء الله ورسله وملائكته، السلام عليك يا بنت خير البرية، السلام عليك يا سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، السلام عليك يا زوجة ولى الله وخير الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، السلام عليك يا أم الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة، السلام عليك أيتها الصديقة الشهيدة، السلام عليك أيتها الرضية المرضية، السلام عليك أيتها الفاضلة الزكية، السلام عليك أيتها الحوراء الإنسانية، السلام عليك أيتها النقية النقية، السلام عليك أيتها المحدثة العليمة، السلام عليك أيتها المظلومة المغصوبة، السلام عليك أيتها المضطهدة المقهورة، السلام عليك يا فاطمة بنت رسول الله ورحمة الله وبركاته، صلى الله عليك وعلى روحك وبدنك، اشهد انك مضيت على بينة من ربك، وان من سررك فقد سر رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن جفاك فقد جفا رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن اذاك فقد آذى رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن وصلك فقد وصل رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن قطعك فقد قطع رسول الله صلى الله عليه وآله، لأنك بضعة منه وروحه التي بين جنبيه كما قال صلى الله عليه وآله، اشهدُ الله ورسله وملائكته أنى راضٍ عمن رضيت عنه وساخط على من سخطت عليه ومتبرئ ممن تبرأت منه، موالٍ لمن واليت معادٍ لمن عاديت، مبغض لمن أبغضت محب لمن أحببت وكفى بالله شهيداً وحسيباً وجازياً ومثيباً. ثم تصلى على النبي والأئمة عليهم السلام إن شاء الله (1).

ص: 287

إشارة

هي السيدة خولة بنت جعفر بن قيس بن سلمة بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدول بن حنيفة بن اللحم. وأمها أسماء بنت عمرو بن أرقم بن عبيد بن ثعلبة من بني حنيفة(1). اختلف في أمرها أنها سببت أيام رسول الله صلى الله عليه وآله أم بعد وفاة النبي، فقد ذهب جمع من الأعلام (أمثال القطب الراوندى، والنووى، وابن عساكر وغيرهم) أنها كانت من سبى بني حنيفة حين قتلهم خالد بن الوليد وقتل رئيسهم مالك بن نويرة وتزوج بامراته من ليلته(2). وذلك بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله في زمن خلافة أبي بكر. حتى أنه لما قدم خالد، قال له عمر بن الخطاب: يا عدو الله قتلت امرأً مسلماً ثم نزوت على امرأته لأرجمنك، وفيه أن أبا قتادة شهد أنهم أذنوا وصلوا(3).

وقد أكثر أخوه متمم بن نويرة من بكائه وراثته حتى ضربت بهما الأمثال، وقال متمم يخاطب ضرار بن الأزور قاتل أخيه بأمر خالد:

نعم القتيل إذا الرماح تناوحت بين البيوت قتلت يابن الأزور

ثم قال يخاطب خالدًا:

أدعوته بالله ثم غدرت له لو هو دعاك بدمعة لم يغدر(4)

ص: 288

1- (1) مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، محمد بن سليمان الكوفى، ج 2 ص 48.

2- (2) سير أعلام النبلاء، الذهبى، ج 1 ص 378. وشرح مسلم، النووى، ج 1 ص 204.

3- (3) تاريخ الإسلام، الذهبى، ج 3 ص 36. أسد الغابة، ابن الأثير، ج 4 ص 296.

4- (4) مجمع الزوائد، الهيثمى، ج 6 ص 221.

وقيل: كان مُجاعة بن مرارة الأسدي قد خطبها منهم فمنعوه منها، فحقد عليهم، فلما توفى النبي صلى الله عليه وآله واضطربت الأمور خرج مجاعة في سرية يطلب ثأره منهم، حتى اختلجها منهم ورجعوا من بلاد بني عامر وقد استخرجوا معهم خولة ابنة جعفر(1). وقيل: أنّها سببت في أيام رسول الله صلى الله عليه وآله، قالوا: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله علياً إلى اليمن، فأصاب خولة في بني زيد، وقد ارتدوا مع عمرو بن معدى كرب، وكانت زيد سببتها من بني حنيفة في غارة لهم عليهم، فصارت في سهم على عليه السلام، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: إن ولدت منك غلاماً فسمه باسمي، وكنه بكنيتي، فولدت له بعد موت فاطمة عليها السلام محمداً، فكانه أبا القاسم(2).

وفي الإصابة: خولة بنت اياس بن جعفر الحافية والدة محمد بن علي بن أبي طالب، رآها النبي صلى الله عليه وآله في منزله فضحك ثم قال يا علي أما انك تتزوجها من بعدى فتلد لك غلاماً فسمه باسمي وكنه بكنيتي وانحله(3).

### من مآسى التاريخ

عندما ادخلوا السبايا في المسجد وفيهن خولة أم محمد ابن الحنفية فجاءت إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله والتجأت به وبكت وقالت يا رسول الله أشكو إليك أفعال هؤلاء القوم سبونا من غير ذنب ونحن مسلمون، ثم قالت أيها الناس لم سببتمونا ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فقالوا منعتم الزكاة، فقالت الأمر ليس على ما زعمت والأمر إنما كان كذا وكذا، وهب الرجال منعوكم فما

ص: 289

1- (1) أنظر: موسوعة التاريخ الإسلامي، اليوسفي الغروي، ج 4 ص 137.

2- (2) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج 1 ص 244.

3- (3) الإصابة، ابن حجر، ج 8 ص 113.

بالنساء المسلمات يسبين. ثم فقالت: ما بالكم يا معاشر العرب، تصونون حلائلكم وتهتكون حلائل غيركم؟ فقيل لها: لأنكم قلت: لا نصلي (ولا نصوم) ولا نزكي فقالت: ليس الأمر على ما زعمتم، والله ما قالها أحد من بني حنيفة وإنا نضرب صبياننا على الصلاة من التسع وعلى الصيام من السبع، وإنا لنخرج الزكاة من حيث يبقى في جمادى الآخرة عشرة أيام ويوصى مريضنا بها لوصية، والله يا قوم ما نكثنا ولا غيرنا ولا بدلنا حتى تقتلوا رجالنا وتسبوا حريمنا إنما قلنا: إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يبعث كل سنة رجلاً يأخذ منا صدقاتنا من الأغنياء من جملتنا، يفرقها على فقرائنا فافعل أنت كذلك (1).

### زواجها من أمير المؤمنين

اختار كل رجل منهم واحدة من السبايا، وجاء طلحة، وخالد بن عنان، ورميا بثوبين إلى خولة فأراد كل واحد منهما أن يأخذها من السبي، قالت: لا يكون هذا أبداً ولا يملكني إلا من يخبرني الكلام الذي قلته ساعة ولدت، قال أبو بكر: قد فزعت من القوم فكانت لم تر ذلك قبله فتكلم بما لا تحصيل له، فقالت والله إني صادقة، إذ جاء علي بن أبي طالب عليه السلام فوقف ونظر إليهم وإليها وقال عليه السلام: اصبروا حتى أسألها عن حالها ثم نادها يا خولة اسمعي الكلام، ثم قال عليه السلام: لما كانت أمك حاملة بك وضربها الطلق واشتد بها الأمر نادى اللهم سلمني من هذا المولود فسبقت تلك بالنجاة، فلما وضعتك ناديت من تحتها لا إله إلا الله محمد رسول الله، عما قليل سيملكني سيد سيكون له ولد مني، فكتبت أمك

ص: 290

1- (1) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج 2 ص 111.



ذلك الكلام فى لوح نحاس فدفنته فى الموضوع الذى سقطت فيه، فلما كانت فى الليلة التى قبضت أمك فيها أوصت إليك بذلك، فلما كان فى وقت سبيكم لم يكن لك همٌ إلا أخذ ذلك اللوح فأخذته وشددته على عضدك الأيمن، هات اللوح فأنا صاحب ذلك اللوح وأنا أمير المؤمنين وأنا أبو ذلك الغلام الميمون واسمه محمد، قال: فرأيناها وقد استقبلت القبلة وقالت إلهى أنت المتفضل المنان أوزعنى أن اشكر نعمتك التى أنعمت بها إلى ولم تعطها لأحد إلا أتممتها عليه، اللهم بصاحب من بيده التربة الناطق المنبئ بما هو كأس إلا أتممت فضلك على، ثم أخرجت اللوح ورمته به إليه فأخذه أبو بكر وقرأه عثمان فإنه كان أجود القوم قراءة وما ازداد ما فى اللوح على ما قال على عليه السلام ولا نقص، فقال أبو بكر: خذها يا أبا الحسن، ثم قالت: يا معاشر الناس، اشهدوا أنى قد جعلت نفسى له عبدة. فقال عليه السلام: لا بل قولى زوجة. فقالت: اشهدوا أنى قد زوجته نفسى كما أمرنى أهلى. فقال عليه السلام: قد قبلتك زوجة، فماج الناس. فبعث بها على عليه السلام إلى بيت أسماء بنت عميس فزينتها وتزوج بها وعلقت بمحمد وولدتها(1).

وعن أبى سعيد الخدرى، قال: دخلت خولة المسجد وشرحت ما شرحت، ولم يكن على عليه السلام حاضراً، وقد عرض عليها جماعة الصحابة، وكانت تسأل الرجل (عن) اسمه (حتى) (أتاها) رجل اسمه على، فقالت له: من أنت؟ فقال: على بن عبد الله الغرانى. فقالت: لو كنت ابن أبى طالب فإنى لا اسلم نفسى إلا إليه، بذلك أمرنى والدى، فعند ذلك اعلم أمير المؤمنين عليه السلام فجاء(2).

ص: 291

1- (1) الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندى، ج 2 ص 565. والأنوار العلوية، الشيخ جعفر النقدى، ص 437.

2- (2) مدينة المعاجز، البحرانى، ج 2 ص 219.

إشارة

هى السيدة فاطمة بنت حزام بن خالد بن ربيعة بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. أمها ثمامة بنت سهيل بن عامر ابن مالك بن جعفر بن كلاب(1).

والشاعر لبيد: هو أبو عقيل لبيد بن ربيعة العامرى، عم حزام بن خالد بن ربيعة، الذى قال عنه النبى صلى الله عليه وآله: أصدق كلمة قالتها العرب، كلمة لبيد:

ألا كل شىء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل(2)

أما كيفية زواجها من أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال لأخيه عقيل وكان نسابة عالماً بأخبار العرب وأنسابهم ابغ امرأة قد ولدتها الفحولة من العرب لأتزوجها فتلد لى غلاماً فارساً، فقال له أين أنت عن فاطمة بنت حزام بن خالد الكلابية، فإنه ليس فى العرب أشجع من آبائها ولا أفرس، فتزوجها أمير المؤمنين عليه السلام فولدت له العباس، وعثمان، وجعفر الأكبر، وعبد الله، قتلوا مع الحسين عليه السلام ولا بقية لهم إلا للعباس(3).

وكانت هذه السيدة الجليلة من الشخصيات المتألقة فى التاريخ الإسلامى، وتتنسب إلى أسرة لا نظير لها فى الشجاعة والشهامة والقتال. وقد ذكر أن آباءها من أشجع العرب وأثبتهم وأشدهم قتالاً وكانت أم البنين شاعرة مفوهة جليلة.

ص: 292

1- (1) العباس، المقدم، ص 125.

2- (2) مستدرک سفينة البحار، الشيخ على النمازى الشاهرودى، ج 9 ص 217.

3- (3) أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، ج 7 ص 429. مقاتل الطالبين، أبو الفرج الأصفهاني، ص 7 ص 53.

## أم البنين ترثى أولادها

ذكر المؤرخون أنّها كانت تخرج إلى البقيع في كل يوم ترثيهم وتحمل ولد العباس عبيد الله فيجتمع لسماع رثائها أهل المدينة وفيهم مروان بن الحكم فيكون لشجى الندبة، من قولها رضى الله عنها، من جملة رثائها وشعرها هو:

يا من رأى العباس كر على جماهير النقد

ووراه من أبناء حيدر كل ليث ذى لبد

أنبت أن ابني أصيب برأسه مقطوع يد

ويلى على شبلى أما ل برأسه ضرب العمد

لو كان سيفك فى يد يه لما دنا منه أحد

وقولها عليها السلام:

لا تدعونى ويك أم البنين تذكرينى بليوث العرين

كانت بنون لى أذى بهم واليوم أصبحت ولا من بنين

أربعة مثل نسور الربى قد واصلوا الموت بقطع الوتين

تنازع الخرصان أشلاءهم فكلهم أمسى صريعاً طعين

يا ليت شعرى أكما أخبروا بأن عباساً قطع اليمين(1)

## موقف من إيمانها

لما دخل بشير بن حذلم المدينة المنورة لينعى الحسين عليه السلام التقى بأم البنين

ص: 293

---

1- (1) أبصار العين فى أنصار الحسين عليه السلام، الشيخ محمد السماوى، ص 64.

(وهى أم العباس) فقال لها عظم الله لك الأجر بولدك عبد الله قالت له: أسألك عن سيدي ومولاي الحسين. قال لها: عظم الله الأجر بولدك جعفر قالت له: أسألك عن سيدي ومولاي الحسين. قال لها: عظم الله لك الأجر بولدك عثمان قالت له: أسألك عن سيدي ومولاي الحسين قال لها: عظم الله لك الأجر بولدك العباس قالت له: أسألك عن سيدي ومولاي الحسين. فقال:

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها قتل الحسين فأدمعي مدارار

الجسم منه بكر بلاء مضر ج والرأس منه على القناة يدار

فصاحت ولطمت خدها، وشقت جيبيها ونادت: وا حسيناه و سيداه، ثم أنشدت:

لا تدعوني ويك أم البنين تذكريني بليوث العرين(1)

لقد كانت السيدة أم البنين تكن في نفسها من المودة والحب للحسن والحسين عليهما السلام ما لا تكنه لأولادها الذين كانوا ملء العين في كمالهم وآدابهم، لقد قدمت أم البنين أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله، على أبنائها في الخدمة والرعاية، ولم يعرف التاريخ أن ضرة تخلص لأبناء ضررتها وتقدمهم على أبنائها سوى هذه السيدة الزكية، والسيدة فاطمة بنت أسد الهاشمية لرسول الله صلى الله عليه وآله، فقد كانت ترى ذلك واجبا دينيا؛ لأن الله أمر بمودتهما في كتابه الكريم، وهما وديعة رسول الله صلى الله عليه وآله وريحانته، وقد عرفت أم البنين ذلك فوفت بحقهما وقامت بخدمتهما خير قيام.

ص: 294

اختلف المؤرخون في تعيين زمان وفاة أم البنين عليها السلام, فذهب بعضهم إلى أنها توفيت في الثالث من جمادى الآخرة سنة 61 للهجرة, بعد مقتل الحسين عليه السلام. ويفهم منه أنّ أم البنين توفيت بعد مقتل الحسين عليه السلام بلا فصل.

وذهب البعض الآخر إلى أنها توفيت في الثالث عشر من جمادى الآخرة سنة 64 للهجرة, وهناك رواية تؤيد هذا الرأي بخصوص توقيت اليوم والشهر دون السنة, فقد ورد عن الأعمش قال دخلت على الإمام زين العابدين في الثالث عشر من جمادى الآخرة وكان يوم الجمعة, فدخل الفضل بن العباس وهو باك حزين وهو يقول لقد ماتت جدتي أم البنين(1).

يقول السالكي يظهر أنّ المخبر الباكي هو الفضل, مع أنّ الفضل مات صغيراً, وإنّ أهل السير يقولون إن إرث العباس صار إلى عبيد الله بن العباس, وإنّ نسله منه فقط, فالصحيح أنّه عبيدالله, إلا أن يقال الفضل مات بعد هذا الخبر, ثم انتقل الإرث إلى عبيدالله وهم ينظرون إلى النتيجة, هي أنّ إرث العباس وصل إلى أمه والى أبنائه, وارث أخوة العباس وصل إلى أمه وورثها أبناء العباس, ثم لم يبق من الأبناء إلاّ عبيدالله وورث هو كل المال فهو الوارث بعدهم.

وكان عبيدالله بن العباس من العلماء ويوصف بالكمال والمروءة والجمال ومات وله خمس وخمسون سنة(2).

ص: 295

---

1- (1) راجع: كتاب أم البنين, محمد على السالكي, ص 201.

2- (2) المصدر نفسه, ص 205.

وقبر أم البنين عليها السلام بالبقيع؛ لأنها لم تخرج إلى بلد آخر بعد مقتل الحسين عليه السلام فمدفنها في المدينة وهو المشهور الآن(1).

### 3 - ليلي النهشلية

هي ليلي بنت مسعود بن جابر بن مالك بن ربيعي بن سلم بن جندل بن نهشل ابن دارم بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم.

ولدت للإمام أمير المؤمنين عليه السلام محمداً الأصغر المكنى أبا بكر وعبيدالله، الشهيدان مع أخيهما الحسين عليه السلام بالطف(2).  
وقيل: قتل عبيد الله مع مصعب يوم المختار(3).

### 4 - أسماء بنت عميس الخثعمية

أسماء بنت عميس الخثعمية رضى الله عنها، هي أخت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وآله، وأخت لبابة زوج العباس بن عبد المطلب، وأخت سلمى بنت عميس زوج حمزة، هاجرت مع زوجها جعفر بن أبي طالب عليه السلام إلى الحبشة، وأعقبت أسماء من جعفر بن أبي طالب الطيار ثمانية بنين، وهم عبد الله، وعون، ومحمد الأكبر، ومحمد الأصغر، وعبد الله الأكبر، وعبد الله الأصغر، وحميد، وحسين، أما محمد الأكبر فقتل مع عمه أمير المؤمنين عليه السلام بصفين. وأما عون ومحمد الأصغر فقتلا مع ابن عمهما الحسين عليه السلام يوم الطف، وأما عبد الله الأكبر فهو أحد أجواد

ص: 296

1- (1) راجع: كتاب أعمال الحرمين، بن الشيخ منصور المرهون، ص 191.

2- (2) الإرشاد، الشيخ المفيد، ج 1 ص 354.

3- (3) مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، محمد بن سليمان الكوفي، ج 2 ص 49.

بنى هاشم الأربعة وهم: الحسن والحسين وعبد الله بن العباس وهو الرابع عليهم السلام. ولم يبايع رسول الله صلى الله عليه وآله طفلاً غير هؤلاء الأربعة، ولد بأرض الحبشة، وله في الجود أخبار كثيرة حتى لقب بقطب السخاء، حضر مع عمه صفين، وعقد له يوم الجمل على عشرة آلاف، وليس لجعفر عقب إلا- منه. فلما قتل جعفر بن أبي طالب عليه السلام تزوجها أبو بكر فأولدت له محمداً حبيب علي عليه السلام وريب حجره وواليه علي مصر، قتله معاوية بن أبي سفيان، وللإمام عليه السلام عند قتل محمد بن أبي بكر خطبة موجودة في النهج ولما مات أبو بكر، تزوجها أمير المؤمنين عليه السلام فأولدت له يحيى بإجماع، واختلف في عون بن علي بن أبي طالب فقيل إنه منها(1). وقيل: ولدت للإمام يحيى وعون. وقيل ومحمداً الأصغر(2).

وأسماء لها مقام عظيم عند الله وأهل البيت، وكانت من أوليات النساء اللاتي آمننَّ بالنبى صلى الله عليه وآله، وقد حظيت بمدح علي لسان النبى صلى الله عليه وآله وأهل البيت حتى كانت من المبشرات بالجنة، كما روى عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: رحم الله الأخوات من أهل الجنة، فسماهن أسماء بنت عميس الخثعمية، وكانت تحت جعفر بن أبي طالب، وسلمى بنت عميس الخثعمية وكانت تحت حمزة، وخمس من بنى هلال(3).

وذكر ابن الأثير: أن عمر قال لها نعم القوم لولا أننا سبقناكم إلى الهجرة، فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وآله فقال: بل لكم هجرتان: إلى أرض الحبشة وإلى

ص: 297

- 
- 1- (1) الاحتجاج، الشيخ الطبرسى، ج 1 ص 125.
  - 2- (2) شرح إحقاق الحق، السيد المرعشى، ج 32 ص 675.
  - 3- (3) الخصال، الشيخ الصدوق، ص 363.

المدينة(1). وكانت رفيقة الزهراء عليها السلام وصاحبتها وهي التي اقترحت عليها أن يضع جثمانها الطاهر فى التابوت وأعانت الإمام عليه السلام على غسلها, وكانت من رواة الحديث(2).

## 5 - أمامه بنت أبى العاص

وهى أمامه بنت أبى العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد مناف القرشية العبشمية, وأمها زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله, وكانت زينب قد تزوجت أبا العاص قبل الإسلام, وهو (أبو العاص) ابن أخت خديجة عليها السلام, وزينب أنجبت ولدين هما: على الذى مات صغيراً, وأمامه التى كان يحبها النبى صلى الله عليه وآله ويلطفها, وتزوجها الإمام على عليه السلام بوصية الزهراء عليها السلام إذ وصته أن يتزوجها, وقالت: إنها تكون لولدى مثلى(3).

وزوجها منه الزبير بن العوام؛ لأن أباهما قد أوصاه (أوصى الزبير) بها, فلما جرح على عليه السلام خاف أن يتزوجها معاوية فأمر المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب أن يتزوجها بعده, فلما توفى على عليه السلام وقضت العدة تزوجها المغيرة, فولدت له يحيى وبه كان يكنى, فهلك عند المغيرة وبقيت عنده حدود الخمسين للهجرة(4).

ص: 298

1- (1) اسد الغابة, ابن الأثير, ج 5 ص 296.

2- (2) أنظر: موسوعة الإمام على, رى شهرى, ج 1 ص 111.

3- (3) أنظر: كتاب سليم بن قيس, ج 2 ص 870. وأسد الغابة, ابن الأثير, ج 5, ص 400.

4- (4) أنظر: أسد الغابة, ابن الأثير, ج 5, ص 400. وأعيان الشيعة, السيد محسن الأمين, ج 3 ص 473.



وقد ذكر بعض المؤرخين أنّ علياً لما حضرته الوفاة قال لأمامه بنت أبي العاص إني لا آمن أن يخطبك هذا الطاغية بعد موتي (يعنى معاوية) فإن كان لك في الرجال حاجة فقد رضيت لك المغيرة بن نوفل عشيراً، فلما انقضت عدتها كتب معاوية إلى مروان يأمره أن يخطبها عليه ويبدل لها مائة ألف دينار، فلما خطبها أرسلت إلى المغيرة بن نوفل إنّ هذا قد أرسل يخطبني، فإن كان لك بنا حاجة فأقبل، فأقبل وخطبها من الحسن بن علي عليهما السلام فزوجها(1).

ص: 299

---

1- (1) أنظر: الاستيعاب، ابن عبد البر، ج 4 ص 1789.







أختلف المؤرخون وأصحاب السير في تشخيص اسمها عليها السلام، وأيضا في نسبها، فالمشهور قالوا: هي شاه زنان، أو شهر بانو، كما مرّ ذكره في صحيفة الزهراء عليها السلام... (إلى قوله) أبو محمد على بن الحسين العدل أمه شهر بانو بنت يزيدجرد، بالإضافة إلى الشواهد التاريخية التي يأتي ذكرها. ومعنى شاه زنان أى ملكة النساء، وشهر بانويه أى ملكة المدينة. وقيل: سلامة، وقيل: غزالة، وقيل: خولة على اختلاف الروايات، وقد ذكر المجلسى عن المبرد قال: كان اسم أم على بن الحسين عليهما السلام سلافة من ولد يزيدجرد، معروفة النسب من خيرات النساء(1). وربما يعود اختلاف الروايات في تسميتها إلى ما قيل: من أنّ أمير المؤمنين عليه السلام سألها يوماً عن اسمها، فقالت: شاه زنان، فقال عليه السلام: أنت شهر بانو. وأظن هذا التغير الذى صدر من الإمام لأجل اختصاص الزهراء عليها السلام بذلك، كما سيأتى بيانه إن شاء الله.

أمّا أبوها: هو يزيدجرد بن شهريار بن شيرويه بن كسرى أبرويز بن هرمز بن انوش، روان الملك العادل، وكان يزيدجرد آخر ملوك الفرس(2).

ص: 303

1- (1) بحار الأنوار، المجلسى، ج 46 ص 16.

2- (2) شرح أصول الكافى، مولى محمد صالح المازندراني، ج 7 ص 236.

وقيل: هو يزدجرد بن شهريار ابن كسرى بن قباد بن فيروز بن يزدجرد بن بهرام حور بن يزدجرد بن بهرام بن سابور ذى الأكتاف وهؤلاء كلهم ملوك(1). وقيل: شاه زنان بنت شيرويه بن كسرى أبرويز... (2).

### اكاذيب واهية فى نسب أم السجاد عليه السلام

ذكر ابن عنبه فى ذيل كلامه قولاً فى اختلاف نسب السيدة شهريانو، فقال قد منع البعض من انتساب أم الإمام السجاد عليه السلام إلى يزدجرد الذى هو أحد ملوك الفرس، حيث قالوا: إن كثيراً من النسابين والمؤرخين قالوا إن بنتى يزدجرد كانتا معه حين ذهب إلى خراسان. وقيل إن أم زين العابدين عليه السلام من غير ولده. وقد أغنى الله تعالى على بن الحسين عليهما السلام بما حصل له من ولادة رسول الله صلى الله عليه وآله عن ولادة يزدجرد بن شهريار المجوسى المولود من غير عقد على ما جاءت به التواريخ، والعرب لا تعد للعجم فضيلة وإن كانوا ملوكاً ولو اعتدوا بالملك فضيلة لوجب أن يفضلوا العجم على العرب ويفضلوا قحطان على عدنان، ولكن ليس ذلك عندهم شيئاً يعتد به. وقد لهج بعض العوام وكثير من بنى الحسين عليه السلام بذكر هذه النسبة وقالوا: جمع على بن الحسين عليهما السلام بين النبوة والملك وليس ذلك بشيء(3).

وقد تمسك شردمة من أصحاب الضغائن والأحقاد من الشعوبيين والليبراليين فى ما ذكره ابن عنبه وقاموا بتوسعة الاشكال وتغيير حقائق التاريخ،

ص: 304

1- (1) المجموع، محيى الدين النووى، ج 10 ص 391.

2- (2) مناقب آل أبى طالب، ابن شهر آشوب، ج 3 ص 311.

3- (3) أنظر: عمدة الطالب، ابن عنبه ص 193.

فقد حاولوا أن يجعلوا الحق كذباً والكذب حقاً، حيث قالوا إنّ أمّ الإمام السجّاد عليه السلام ليست أمة، بل جعلوها بدلاً من ذلك عدنانية قرشية تيمية، فقالوا إنّها الفاضلة أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله التيمي. وعمدة ما استندوا إليه هو ما ذكره صاحب عمدة الطالب (ابن عنبه) من أنّ الأمّ السجّاد عليه السلام وأخته فاطمة بنت الحسين أم فاطمة بنت الحسين هي أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله هما أشقاء من نفس الأم، وعليه تكون هي أيضاً أمّ الأمّ السجّاد عليه السلام، وغير ذلك كما تقدم من كلام ابن عنبه(1).

## والصحيح

إنّ ابن عنبه في أول كلامه بشكل صريح أثبت رأى المشهور أنّها شاه زنان بنت يزدجرد، حيث قال بنص عبارته: وقد اختلف في أمه فالمشهور أنّها شاه زنان بنت كسرى يزدجرد بن شهريار بن أبرويزد، وقيل إن اسمها شهربانو، قيل نهبت في فتح المدائن فنفلها عمر بن الخطاب من الحسين عليه السلام وقيل بعث حريث بن جابر الجعفي إلى أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام بينتي يزدجرد بن شهريار فأخذهما وأعطى واحدة لابنه الحسين عليه السلام فأولدها على بن الحسين عليه السلام وأعطى الأخرى لمحمد بن أبي بكر فأولدها القاسم الفقيه ابن محمد بن أبي بكر فهما ابنا خالة، وقال ابن جرير الطبري: اسمها غزالة وهي من بنات كسرى. وقال المبرد: هي سلامة من ولد يزدجرد(2)، هذا أولاً.

ص: 305

1- (1) انظر: كتاب كذبة فارسية يفضحها الحق العربي، عبد الحميد العلوجي.

2- (2) عمدة الطالب، ابن عنبه، ص 192.

وثانياً: أنه (ابن عنبه) كان يتناول الموضوع من حيث الفخر بالأنساب ليس لغرض إثبات حقيقة تاريخية، فقال: إنه إذا كان للحسينيين فخر بولادة جدهم على زين العابدين عليه السلام من إحدى بنات كسرى فالفخر متحقق أيضاً للحسينيين لأن فاطمة بنت الحسين قد تزوجت من الحسن المثنى بن الإمام الحسن الزكى عليه السلام وولدت له أولاده الحسن المثلث وعبد الله المحض وإبراهيم وهى فيما يقال من أم على زين العابدين عليه السلام، وأنت ترى أنه لم يجزم بهذه الصلة الجديدة للحسينيين بل أستخدم عبارة (فيما يقال)، ولم ينقل هذه الصلة أحد من المؤرخين قبل ابن عنبه فى عمدة الطالب ولا بعده، ولو كانت هذه الصلة معروفة لشاعت ونقلها العديد من المؤرخين ولكن ذلك لم يحدث.

وثالثاً: أنّ المستشكل نفسه قد ذكر فى قائمة مصادر كتيبه (26) مصدراً لم يحتوئاً منها على تصريح أو تلميح أو إشارة أو افتراض إلى أنّ أم السجاد عليه السلام عربية، بل الكتب التاريخية والتراثية متأرجحة بين كون أمّه أمة أو أمة من بنات كسرى.

رابعاً: أنّ الإمام الحسن بن أمير المؤمنين عليهما السلام قد تزوج من أم إسحاق بنت طلحة فولدت له طلحة والحسين وفاطمة، ثم خلف على أم إسحاق بعد الحسن عليه السلام أخيه الحسين عليه السلام، وكلمة (خلف) تحتل معنيين الأول أنّ الحسين عليه السلام تزوج أم إسحاق بعد وفاة أخيه الحسن عليه السلام والثانى أنّه عليه السلام تزوجها بعد طلاق أخيه عليه السلام لها، والمعنى الأول هو الأكثر شيوعاً واستعمالاً عند العرب لكلمة (خلف) إضافة الى ما أثبتته المؤرخون، وكيف كان فإنّ الإمام الحسن عليه السلام



قد استشهد سنة (50) هـ - وزواج الإمام الحسين عليه السلام من أم إسحاق كان بعد هذا التاريخ فيما نجد أن ولادة الإمام علي زين العابدين عليه السلام كانت عام (37) هـ - وعليه فإن أم إسحاق لا يمكن أن تكون أمّاً له لأنها حين ولادته كانت حليلاً للأمام الحسن عليه السلام.

خامساً: أن الإمام محمداً الباقر عليه السلام هو أول من جمع ولادة الحسن والحسين عليهما السلام؛ لأن أباه الإمام علياً زين العابدين عليه السلام قد تزوج من ابنة عمه أم عبدالله فاطمة بنت الإمام الحسن عليه السلام وأمها أم إسحاق بنت طلحة فولدت له ابنه الإمام الباقر عليه السلام، (كما سيأتي في محله مفصلاً) فلو كانت أم إسحاق هي التي ولدت الإمام علياً زين العابدين عليه السلام بحسب مزاعم المستشكل لما جاز له أن يتزوج من فاطمة بنت الإمام الحسن عليه السلام لأنها حينئذٍ ستكون أخته من جهة الأم.

سادساً: أن هناك وثيقة تاريخية في النصف الأول للقرن الثاني الهجري تشير إلى أن أم الإمام علي زين العابدين عليه السلام هي أمة وليست عربية كما زعم، وهذه الوثيقة إضافة إلى أنها قريبة من عصر الإمام علي زين العابدين عليه السلام فقد وردت بلسان شخص بعيد عن شبهة التأثير الشعوبي والدس الفارسي، وهي رسالة كتبها الخليفة العباسي الثاني أبو جعفر الملقب بالمنصور، إلى محمد الملقب بالنفس الزكية بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الإمام الحسن عليه السلام لما ثار الأخير عليه، وقد ذكرها ابن خلدون في تأريخه، جاء فيها: وما ولد قبلكم مولود بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله أفضل من علي بن الحسين وهو لأم ولد (يقصد أمّه) ولقد كان خيراً من جدك حسن بن حسن ثم ابنه محمد خير من أبيك وجدته أم

ولد ثم ابنه جعفر وهو خير منك(1).

وهناك عشرات الكتب تاريخية وحديثية لدى الفريقين تذكر أنها أمة فارسية بنت يزدجرد، ولكنّ العداء يعمى الأبصار والبصائر، حتى جعل شريعتي هو الآخر يطعن برواية تذكر مقام وفضل السيدة شهربانو ويتخذها سبباً لنفى زواج شهربانوية بنت يزدجرد بالإمام الحسين عليه السلام، أو أنها أم للإمام السجاد عليه السلام، ويحول الموضوع إلى مساجلات واهية واستنتاجات باطلة لا تستند إلى أى دليل ولا تعبر إلا عن مجموعة أوهام أراد من إظهارها التنفيس وإثارة النعرات الطائفية والقومية(2)، فقد تناسى ما عليه الجمهور وغيرهم من ثبوت هذه الحقيقة فى تواريخهم وأحاديثهم، ولماذا لا تكون هذه الحملات الشعواء والاستنتاجات الفاسدة على أمّهات الأئمة الباقين الذين كانت أمّهاتهم جواري أيضاً وغير عربيات، فهناك سبعة أمّهاتهم جواري وغير عربيات، أمثال أم الإمام الكاظم عليه السلام (حميدة البربرية) فلمّ لم يقال أنّهم (الشيعة) احيوا البربر كما احيوا الدولة الساسانية، أو لهم ميول للبرابرة، وغيرها من التهاترات التى لا تستحق الإطالة والوقوف عندها.

وهكذا تتكشف الحقائق ويتضح الخطأ الذى وقع فيه البعض بادعائهم النسب العربى لأمّ السجاد عليه السلام، وأسأل الله أنّ يبعد الأمة الإسلامية من هذه الأمراض الخطيرة التى تجرّ الويل للإسلام والمسلمين.

ص: 308

1- (1) تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ج 4 ص 6.

2- (2) انظر: كتاب التشيع العلوى والتشيع الصفوى، الدكتور على شريعتي، تحت عنوان: عروس المدائن فى المدينة، ص 124.

وأما ما ذكر من أنّ أباهما كان مولوداً من غير عقد؛ وهذا ينافي ما عليه اعتقاد الأمامية في طهارة آباء المعصومين عليهم السلام. فنقول باختصار: ثبت أن لكل قوم نكاحاً، كما جاء في الحدائق عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: نهى رسول الله صلى الله عليه وآله أن يقال للإمام يا بنت كذا وكذا، وقال: لكل قوم نكاح. أقول: فيه دلالة على عدم جواز قذف أصحاب الممل والأديان والظعن في أنسابهم بما خالف مقتضى شريعتنا إذا كان سائغاً في شرايعهم، وعليه تدل جملة من الأخبار(1).

ومنها، ما رواه في التهذيب عن عبد الله بن سنان في الحسن قال: قذف رجل رجلاً مجوسياً عند أبي عبد الله عليه السلام فقال: مه، فقال الرجل: إنه ينكح أمه وأمه، فقال: ذاك عندهم نكاح في دينهم(2).

وعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كل قوم يعرفون النكاح من السفاح فنكاحهم جائز(3). إلى غير ذلك من الأخبار. مع أنّ دعواهم بعيدة عن الواقع ولم تكن ثابتة ومسلمة، وإنما مجرد استيحاء وتوهم.

إضافة إلى ذلك يمكن أن يقال إنّها كانت في أسرة محتشمة مراعية لآداب العفة ولو بحسب أعرافهم، كما يظهر ذلك من النصوص التاريخية، منها: حين إدخالها على الخليفة الثاني فقد غطت وجهها وتأوتت...، كما سيأتي. وذلك

ص: 309

1- (1) الحدائق الناضرة، المحقق البحراني، ج 24 ص 330.

2- (2) تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي، ج 7 ص 487. والكافي، الشيخ الكليني، ج 5 ص 574

3- (3) . تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي، ج 7 ص 475.

يعكس لنا أنّها عاشت في ظروف اسرية واجتماعية مراعية قد أثرت بها وسلوكها. ومنها أيضاً ما كشف عنه الإمام على عليه السلام حين سألها قائلاً: ما حفظت عن أبيك بعد وقعة الفيل؟ قالت: حفظنا عنه أنه كان يقول: إذا غلب الله على أمر ذلت المطامع دونه، وإذا انقضت المدة كان الحتف في الحيلة. فقال عليه السلام: ما أحسن ما قال أبوك تذل الأمور للمقادير حتى يكون الحتف في التدبير(1). فيظهر من سؤال الإمام عليه السلام وتأييده واستحسانه لقول أبيها أنّ أباهما من الشخصيات ذات العلم والمكانة. وأيضاً الرؤيا التي رآتها في المنام من دخول النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام دارهم لغرض خطبتها، كما سيأتي.

## مقتل والدها يزيد

### إشارة

ذكر ابن الأثير في أحداث سنة إحدى وثلاثين مقتل يزيد بن شهر يار، حيث قال: قد اختلف الناس في سبب قتله، فقيل إنه هرب من كerman في جماعة يسيرة إلى مرو ومعه خرزاد أخورستم فرجع عنه إلى العراق ووصى به ماهويه مرزبان مرو فسأله يزيد مجرد مالا فممنعه فخافه أهل مرو على أنفسهم فأرسلوا إلى الترك يستنصروهم عليه فأتوه فيبيته فقتلوا أصحابه فهرب يزيد مجرد ماشياً إلى شط المرغاب فأوى إلى بيت رجل ينقر الأرحاء فلما نام قتله، وقيل: بل بيته أهل مرو ولم يستنصروا بالترك فقتلوا أصحابه وهرب منهم فقتله النصارى وتبعوا أثره إلى بيت الذي ينقر الأرحاء فأخذوه وضربوه فأقر بقتله فقتلوه وأهله. وأخرج يزيد مجرد من النهر وجعل في تابوت وحمل إلى إصطخر فوضع في ناووس هناك. وقيل إن

ص:310

يزدجرد هرب بعد وقعة نهاوند إلى أرض أصبهان وبها رجل يقال له مطيار كان قد أصاب من العرب شيئاً يسيراً فصار له بها محل كبير فأتى مطيار يزدجرد ذات يوم زائراً فحجبه بوابه ليستأذن له فضربه وشج أنفه وحمية لحجبه إياه فدخل البواب على يزدجرد مدمى فلما نظر إليه أفضعه ذلك فرحل عن أصبهان من ساعته فأتى الري فخرج إليه صاحب طبرستان وعرض عليه بلاده وأخبره بحصانتها وقال له إن أنت لم تجبني يومك هذا ثم أتيتني بعد ذلك فلم أقبلك ولم أرك فلم يجبه. وقيل مضى من فوره ذلك إلى سجستان ثم سار إلى مرو في ألف فارس، وقيل: بل قصد فارس فأقام بها أربع سنين ثم أتى كرمان فأقام بها سنتين أو ثلاثاً فطلب إليه دهقانه شيئاً فلم يجبه فجره برجله وطرده عن بلاده فسار إلى سجستان فأقام بها نحواً من خمس سنين ثم عزم على قصد خراسان ليجمع الجموع ويسير بهم إلى العرب فسار إلى مرو ومعه الرهن من أولاد الدهاقين ومعه في رؤسائهم فرخزاد فلما قدم مرو كاتب ملوك الصين وملك فرغانة وملك كابل وملك الخرز يستمدهم وكان الدهقان يومئذ بمرو ماهوية أبو براز فوكل ماهويه بمرو ابنه براز ليحفظها ويمنع عنها يزدجرد خوفاً من مكره فركب يزدجرد يوماً وطاف بالمدينة وأراد دخولها من بعض أبوابها فمنعه براز فصاح به أبوه ليفتح الباب فلم يفعل وأوماً إليه أبوه أن لا يفعل ففطن له رجل من أصحاب يزدجرد فأعلمه بذلك واستأذنه في قتله وقال إن فعلت صفت لك الأمور بهذه الناحية فلم يأذن له. وقيل: أراد يزدجرد صرف الدهقنة عن ماهوية إلى صنجان ابن أخيه فبلغ ذلك ماهويه فعمل في هلاك يزدجرد فكتب إلى نيزك طرخان يخبره أن يزدجرد وقع إليه

مفلولاً يدعوه إلى القدوم عليه ليتفقا على قتله ومصالحة العرب عليه وضمن له إن فعل أن يعطيه كل يوم ألف درهم فكتب نيزك إلى يزيدجرد يعده المساعدة على العرب وأنه يقدم عليه بنفسه إن أبعده عسكره وفرخزاد عنه فاستشار يزيدجرد أصحابه فقال له سنجان لست أرى أن تبعد عنك أصحابك وفرخزاد وقال أبو براز أرى أن تتألف نيزك وتجيبه إلى ما سألت فقبل رأيه وفرق عنه جنده وأمر فرخزاد أن يأتي أجمعة سرخس فصاح فرخزاد وشق جيبه وتناول عموداً بين يديه يريد ضرب أبي براز به وقال يا قتلة الملوك قتلتم ملكين وقال أظنكم قاتلي هذا. ولم يبرح فرخزاد حتى كتب له يزيدجرد بخط يده أنه آمن وأنه قد أسلم يزيدجرد وأهله وما معه إلى ماهويه وأشهد بذلك. وأقبل نيزك فلقية يزيدجرد بالمزامير والملاهي أشار عليه بذلك أبو براز فلما لقيه تأخر عنه أبو براز فاستقبله نيزك ماشياً، فأمر له يزيدجرد بجنيبة من جنائبه، فلما توسط عسكره توافقا فقال له نيزك فيما يقول زوجني إحدى بناتك حتى أناصحك في قتال عدوك. فسبه يزيدجرد فضربه نيزك بمقرعته وصاح يزيدجرد غدر الغادر وركض منهزماً وقتل أصحاب نيزك أصحاب يزيدجرد وانتهى يزيدجرد من هزيمته إلى مكان من نواحي مرو فنزل عن فرسه ودخل إلى بيت طحان فمكث فيه ثلاثة أيام لم يأكل طعاماً فقال له الطحان أيها الشقي كل طعاماً فقد جعت. فقال لست أصل إلى ذلك إلا بزمزمة. وكان عند الطحان رجل يزمزم فكلمه الطحان في ذلك ففعل وزمزم له فأكل فلما رجع المزمزم سمع بذكر يزيدجرد فسأل عن حلبيته فوصفوه له فأخبرهم به وبحليته فأرسل إليه أبو براز رجلاً من الأساورة وأمره بخنقه وإلقائه في النهر وأتى الطحان

فضربه ليدله عليه فلم يفعل وجحده فلما أراد الانصراف عنه قال له بعض أصحابه إنى لأجد ريح مسك ونظر إلى طرف ثوبه من ديباج في الماء فجذبه فإذا هو يزدجرد فسأله أن لا يقتله ولا يدل عليه وجعل له خاتمه ومنطقته وسواره فقال له أعطني أربعة دراهم وأخلى عنك فلم يكن معه وقال إن خاتمي لا يحصى ثمنه فخذ فأبى عليه فقال له يزدجرد قد كنت أخبر أني سأحتاج إلى أربعة دراهم واضطر إلى أن يكون أكلى أكل الهر فقد رأيت ذلك ثم نزع أحد قرطيه فأعطاه الطحان ليستر عليه وأرادوا قتله فقال ويحكم إنا نجد في كتبنا أنه من قتل الملوک عاقبه الله بالحريق في الدنيا فلا تقتلوني واحملوني إلى الدهقان أو إلى العرب فإنهم يستبقون مثلي. فأخذوا ما عليه من الحلی وخنقوه بوتر القوس وألقوه في الماء فجری به الماء حتى انتهى إلى فوهة الرزيق فتعلق بعود فأخذه أسقف مرو وجعله في تابوت ودفنه. وقيل: بل سار يزدجرد من کرمان قبل ورود العرب إليها نحو مرو على الطبسین وقهستان في أربعة آلاف فلما قارب مرو لقيه قائدان يقال لأحدهما براز ولآخر سنجان وكانا متباغضين، فسعى براز بسنجان حتى هم يزدجرد بقتله وأفشى ذلك إلى امرأة من نساءه ففشا الحديث فجمع سنجان أصحابه وقصد قصر يزدجرد فهرب براز وخاف يزدجرد فهرب أيضاً إلى رحي على فرسخين من مرو فدخل بيت نقار الرحي فأطعمه الطحان فطلب منه شيئاً فأعطاه منطقته فقال إنما يكفيني أربعة دراهم فلم يكن معه ثم نام يزدجرد فقتله الطحان بفأس كان معه وأخذ ما عليه وألقى جيفته في الماء وشق بطنه وثقله. وسمع بقتله مطران كان بمرو فجمع النصاري وقال قتل ابن شهريار وإنما شهريار

بن شيرين المؤمنة التي قد عرفتم حقها وإحسانها إلى أهل ملتنا مع ما نال النصارى في ملك جده أنوشروان من الشرف فينبغي أن نحزن لقتله ونبنى له ناووساً فأجابوه إلى ذلك وبنوا له ناووساً وأخرجوا جثته وكفنوها ودفنوها في الناووس. وكان ملكه عشرين سنة منها أربع سنين في دعة وست عشرة سنة في تعب من محاربة العرب إياه وغلظتهم عليه وكان آخر من ملك من آل أردشير بن بابك وصفا الملك بعده للعرب(1).

### ما قاله البلاذري في مقتل يزيدجرد

ذكر البلاذري أن يزيدجرد هرب من المدائن إلى حلوان، ثم إلى إصبهان. فلما فرغ المسلمون من أمر نهاوند هرب من إصبهان إلى إصطخر. فتوجه عبد الله ابن بديل بن ورقاء بعد فتح إصبهان لاتباعه فلم يقدر عليه. ووافى أبو موسى الأشعري إصطخر فرام فتحها فلم يمكنه ذلك، وعانها عثمان بن أبي العاصي الثقفي فلم يقدر عليها. وقدم عبد الله بن عامر بن كريز البصرة سنة تسع وعشرين، وقد افتتحت فارس كلها إلا إصطخر وجور، فهمم يزيدجرد بأن يأتي طبرستان. وذلك أن مرزبانها عرض عليه وهو بإصبهان أن يأتيها وأخبره بحصانتها، ثم بدا له فهرب إلى كرمان، واتبعه ابن عامر مجاشع بن مسعود السلمى وهرم بن حيان العبدى، فمضى مجاشع فنزل بيمنذ من كرمان، فأصاب الناس الدمق، وهلك جيشه فلم ينج إلا القليل، فسمى القصر قصر مجاشع. وانصرف مجاشع إلى ابن عامر. وكان يزيدجرد جلس ذات يوم بكرمان، فدخل عليه مرزبانها فلم يكلمه تبيهاً، فأمر

ص:314



بجر رجله وقال: ما أنت بأهل لولاية قرية فضلاً عن الملك، ولو علم الله فيك خيراً ما صيرك إلى هذه الحال. فمضى إلى سجستان، فأكرمه ملكها وأعظمه، فلما مضت عليه أيام سأله عن الخراج فتتكر له. فلما رأى يزيدجرد ذلك سار إلى خراسان، فلما صار إلى حد مرو تلقاه ماهويه مرزبانها معظماً مبعجلاً، وقدم عليه نيزك طرخان فحملة وخلع عليه وأكرمه، فأقام نيزك عنده شهراً، ثم شخص وكتب إليه يخطب ابنته، فأحفظ ذلك يزيدجرد وقال: اكتبوا إليه إنما أنت عبد من عبيدي، فما جرأك على أن تخطب إليّ؟ وأمر بمحاسبة ماهويه مرزبان مرو، وسأله عن الأموال. فكتب ماهويه إليّ نيزك يحرضه عليه ويقول: هذا الذي قدم مفلولاً طريداً فمنتت عليه ليرد عليه ملكه، فكتب إليه بما كتب. ثم تضافرا على قتله. وأقبل نيزك في الأتراك حتى نزل الجنابذ، فحاربوه، فتكافأ الترك ثم عادت الدائرة عليه، فقتل أصحابه ونهب عسكره. فأتى مدينة مرو فلم يفتح له، فنزل عن دابته ومشى حتى دخل بيت طحان على المرغاب، ويقال إن ماهويه بعث إليه رسله حين بلغه خبره فقتلوه في بيت الطحان. ويقال إنه دس إلى الطحان فأمره بقتله فقتله، ثم قال: ما ينبغي لقاتل ملك أن يعيش. فأمر بالطحان فقتل. ويقال إن الطحان قدم له طعاماً فأكل، وأتاه بشراب يشرب فسكر، فلما كان المساء أخرج تاجه فوضعه على رأسه، فبصر به الطحان فطمع فيه، فعمد إلى رحا فألقاها عليه، فلما قتله أخذ تاجه وثيابه وألقاه في الماء. ثم عرف ماهويه خبره فقتل الطحان وأهل بيته وأخذ التاج والثياب. ويقال إن يزيدجرد نذر برسل ماهويه فهرب ونزل الماء. فطلب من الطحان فقال: قد خرج من بيتي. فوجدوه في الماء. فقال: خلوا عني

أعطكم منطقتي وخاتمي وتاجي. فتغيبوا عنه. وسألهم شيئاً يأكل به خبزاً فأعطاه بعضهم أربعة دراهم. فضحك وقال: لقد قيل لى إنك ستحتاج إلى أربعة دراهم. ثم إنه هجم عليه بعد ذلك قوم وجههم ماهويه لطلبه. فقال: لا تقتلونى واحملونى إلى ملك العرب لأصالحه عنى وعنكم. فأبوا ذلك وخنقوه بوتر، ثم أخذوا ثيابه فجعلت فى جراب، وألقوا جثته فى الماء(1).

### تكمال صفاتها

إن اقترانها بالإمام الحسين عليه السلام، وتأهلها لأن تكون وعاءاً للمعصوم دون غيرها، يكشف لنا بوضوح عن مدى كمالها وبعد إيمانها، بالإضافة الى الروايات التى تتحدث عن اهتمام يد الغيب فى تربيتها واصطفائها، فقد ورد عن جابر، عن أبى جعفر عليه السلام قال: لما اقدمت بنت يزيد جرد على عمر أشرف لها عذارى المدينة وأشرق المسجد بضوئها لما دخلته، فلما نظر إليها الخليفة الثانى غطت وجهها وقالت: اف بيروج بادا هرمز... الخ(2). والكلام الذى نطقت به فارسى، مشتمل على تأفيف ودعاء على أبيها هرمز، تعنى لا كان لهرمز يوم فإن ابنته أسرت بصغر ونظر إليها الرجال.

وقيل: إن أمير المؤمنين عليه السلام قد سماها مريم، وهذا ما يعطيها نفس المكانة. ويقال: سماها فاطمة، وكانت تدعى سيدة النساء(3).

ص:316

1- (1) فتوح البلدان، البلاذرى، ج 2 ص 387. وانظر: أيضا البداية والنهاية، ابن كثير، ج 7 ص 178.

2- (2) راجع: الكافى، الكلينى، ج 1 ص 467.

3- (3) بحار الأنوار، المجلسى، ج 46 ص 13.

ومن كلامه عليه السلام وقد سأل شاه زنان بنت كسرى حين أسرت: ما حفظت عن أبيك بعد وقعة الفيل؟ قالت: حفظنا عنه أنه كان يقول: إذا غلب الله على أمر ذلت المطاعم دونه، وإذا انقضت المدة كان الحتف في الحيلة.

فقال عليه السلام: ما أحسن ما قال أبوك تذل الأمور للمقادير حتى يكون الحتف في التدبير(1).

وأجاد الحر العاملي في أرجوزته حين وصفها قائلاً:

أو أمه ذات العلي والمجد شاه زنان بنت يزدجرد

وهو ابن شهريار بن كسرى ذو سؤدد ليس يخاف كسرى(2).

### على يغير اسمها

اهتم الأمام أمير المؤمنين عليه السلام في أم السجادة عليها السلام كثير الاهتمام، وقد أمر في عتقها مع جميع من معها من السبايا، ومن ثم وصى بها وقام بتغيير اسمها حيث قال عليه السلام لها: ما اسمك؟ فقالت: جهان شاه، فقال لها بل شهر بانويه(3).

فقوله عليه السلام: بل شهر بانويه كأنه عليه السلام غير اسمها للسنة، أو لأنه من أسماء الله تعالى، لما ورد في الخبر في النهي عن اللعب بالشطرنج إنه يقول مات شاهه وقتل شاهه والله شاهه ما مات وما قتل(4).

ص: 317

1- (1) الإرشاد، الشيخ المفيد، ج 1 - ص 302.

2- (2) نقلاً عن: الأنوار البهية، الشيخ عباس القمي، ص 107.

3- (3) بصائر الدرجات، محمد بن حسن الصفار، ص 355.

4- (4) بحار الأنوار، المجلسي، ج 46 ص 10.

وجاء فى مجمع البحرين، أن بعض الشارحين قال: لا يخفى ما فى هذا الحديث من الإغماض، والذى يخطر فى البال: أن الشاه المذكور هنا عبارة عن شىء يتقاربه فيه يسمى بهذا الاسم يضاف إلى المتقارمين، فحين يقع النزاع بينهما ويريد الآخر إثبات ما يدعيه باليمين يقول هذا القول وهو فى الحقيقة لا ينبغى أن يستعمل إلا فىمن له السلطنة والغلبة، وهو الله تعالى. فعلى هذا ينبغى رفع شاهه فى قوله: (والله تعالى ذكره شاهه ما مات ولا قتل) على أنه خبر مبتدأ محذوف أى هو شاهه لا غير، فكيف ينسب إليه الموت والقتل (1).

ويذهب بعض المؤرخين إلى أن أمير المؤمنين عليه السلام أبدل اسم شاه زنان ب - (شهر بانويه) لئلا تشارك الزهراء عليها السلام لقبها، فإن شاه زنان تعنى فى العربية: سيدة النساء، وقد خصت فاطمة الزهراء عليها السلام بلقب سيدة نساء العالمين.

كما يؤيده ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: ما اسمك؟ قالت: شاه زنان قال: نه شاه زنان نيست، مگر دختر محمد صلى الله عليه وآله وهى سيدة النساء، أنت شهربانو وأختك مرواريد بنت كسرى قالت: آريه (2) (يعنى نعم).

والمراد من المعنى هنا أنّ الإمام عليه السلام حينما سألها عن إسمها قالت اسمى شاه زنان أى سيدة النساء، قال عليه السلام لا لست سيدة النساء بل بنت محمد صلى الله عليه وآله سيدة النساء، أنت شهربانو أى سيدة المدينة. وهذا لا يقال فى العرف الفارسى إلا للمرأة ذات الشأن العظيم والمنزلة الرفيعة.

ص: 318

1- (1) أنظر: مجمع البحرين، الشيخ الطريحي، ج 2 ص 474.

2- (2) دلائل الإمامة، محمد بن جرير الطبرى (الشيعى)، ص 196.

حظيت أم الإمام السجاد عليها السلام بتربية إلهية ومراعاة غيبية وهذا يعكس عن صفاتها وطهارتها وما أعدها الله للمستقبل المنير، فقد كشفت الروايات جملة من الكرامات التي تلبست بها هذه السيدة الجليلة منها، اقترانها بالإمام الحسين عليه السلام حيث قالوا: إنما اختارت الحسين عليه السلام لأنها رأت فاطمة عليها السلام وأسلمت قبل أن يأخذها عسكر المسلمين، ولها قصة، وهي أنها قالت رأيت في النوم قبل ورود عسكر المسلمين كأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله دخل دارنا وقعد مع الحسين عليه السلام وخطبني له وزوجني منه، فلما أصبحت كان ذلك يؤثر في قلبي وما كان لي خاطر غير هذا، فلما كان في الليلة الثانية رأيت فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله قد أتتني وعرضت على الإسلام فأسلمت ثم قالت: إن الغلبة تكون للمسلمين، وإنك تصلين عن قريب إلى ابني الحسين سالمة لا يصيبك بسوء أحد قالت: وكان من الحال أني خرجت إلى المدينة ما مس يدي إنسان(1).

### الرؤيا في القرآن والسنة

من الظواهر التي يلاحظها الإنسان بكل أطيافه وباستمرار على مر التاريخ هي ظاهرة الرؤيا، وقد اهتمت بها أغلب الأمم، وإذا رجعنا إلى الشريعة الإسلامية نرى أنها تقسم الرؤيا على ثلاثة أقسام بحسب ما ورد من النصوص الشريفة، كما عن النبي صلى الله عليه وآله قال: الرؤيا ثلاثة: رؤيا بشرى من الله، ورؤيا تحزين من الشيطان،

ص: 319

---

1- (1) أنظر: موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام، الشيخ هادي النجفي، ج 8 ص 385. وبحار الأنوار، المجلسي، ج 46 ص 11.

ورؤيا يحدث بها الإنسان نفسه فيراها في النوم(1). وأيضاً ما ورد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الرؤيا على ثلاثة وجوه: بشارة من الله للمؤمن وتحذير من الشيطان وأضغاث أحلام(2).

وجدير بنا أن نلقى نظرة مختصرة ومقتضبة في بيان حقيقة الرؤيا، فقد ذكرنا أن العوالم الثلاثة:

الأول: عالم الطبيعة وهو العالم الدنيوي الذي نعيش فيه، والأشياء الموجودة فيه صور مادية تجرى على نظام الحركة والسكون والتغير والتبدل، فالأشياء في عالم الدنيا تحتوى على صور ومواد.

الثاني: عالم المثال، وهو فوق عالم الطبيعة وجوداً وفيه صور الأشياء بلا مادة، منها تنزل هذه الحوادث الطبيعية وإليها تعود وله مقام العلية ونسبة السببية لحوادث عالم الطبيعة.

الثالث: عالم العقل وهو فوق عالم المثال وجوداً وفيه حقائق الأشياء وكمياتها من غير مادة طبيعية ولا صورة وله نسبة السببية لما في عالم المثال.

والنفس الإنسانية لتجردها لها مسانحة مع العالمين عالم المثال وعالم العقل، فإذا نام الإنسان وتعطلت الحواس انقطعت النفس طبعاً عن الأمور الطبيعية الخارجية ورجعت إلى عالمها المسانح لها وشاهدت بعض ما فيها من الحقائق بحسب ما لها من الاستعداد والإمكان.

ص:320

---

1- (1) عوالى اللنالى، ابن أبى جمهور الأحسانى، ج 1 ص 79.

2- (2) الكافى، الشيخ الكلينى، ج 8 ص 90.

فان كانت النفس كاملة متمكنة من ادراك المجردات العقلية أدركتها واستحضرت أسباب الكائنات على ما هي عليها من الكلية والنورية وإلا حكتها حكاية خيالية بما تأنس بها من الصور والأشكال الجزئية الكونية, كما نحكى نحن مفهوم السرعة الكلية بتصور جسم سريع الحركة ونحكى مفهوم العظمة بالجبل ومفهوم الرفعة والعلو بالسماء وما فيها من الاجرام السماوية والشجاع بالأسد إلى غير ذلك.

وان لم تكن متمكنة من إدراك المجردات على ما هي عليها والارتقاء إلى عالمها توقفت في عالم المثل مرتقية من عالم الطبيعة فربما شاهدت الحوادث بمشاهدة عللها وأسبابها من غير أن تتصرف فيها بشيء من التغيير ويتفق ذلك غالباً في النفوس السليمة المتخلفة بالصدق والصفاء وهذه هي المنامات الصريحة, وربما حكى ما شاهدته منها بما عندها من الأمثلة المأنوس بها, ومن أمثلة هذا النوع من المنامات ما نقل أن رجلاً رأى في المنام ان بيده خاتماً يختم به أفواه الناس وفروجهم فسأل ابن سيرين عن تأويله فقال إنك ستصير مؤذناً في شهر رمضان فيصوم الناس بأذانك.

وقد تبين أن المنامات الحقة تنقسم انقساماً أولياً إلى منامات صريحة لم تتصرف فيها نفس النائم فتنتطبق على ما لها من التأويل من غير مؤنة, ومنامات غير صريحة تصرف فيها النفس من جهة الحكايا لأمثال والانتقال من معنى إلى ما يناسبه أو يضاده وهذه هي التي تحتاج إلى التعبير بردها إلى الأصل الذي هو المشهود الأولى للنفس.

ثم هذا القسم الثانى ينقسم إلى قسمين أحدهما ما تتصرف فيه النفس بالحكاية فتنتقل من الشىء إلى ما يناسبه أو يضاده ووقفت فى المرة والمرتين مثلاً بحيث لا يعسر رده إلى أصله، وثانيهما ما تتصرف فيه النفس من غير أن تقف على حدٍ كأن تنتقل مثلاً من الشىء إلى ضده ومن الضد إلى مثله ومن مثل الضد إلى ضد المثل وهكذا بحيث يتعذر أو يتعسر للمعبر أن يرده إلى الأصل المشهود، وهذا النوع من المنامات هى المسماة بأضغاث الأحلام ولا تعبير لها لتعسره أو تعذره(1).

والحاصل: إنَّ المنامات ثلاثة أقسام كلية: وهى المنامات الصريحة ولا تعبير لها لعدم الحاجة إليه، وأضغاث الأحلام ولا تعبير فيها لتعذره أو تعسره، والمنامات التى تصرف فيها النفس بالحكاية والتمثيل وهى التى تقبل التعبير.

## الرؤيا الصادقة

الرؤيا الصادقة حقيقة ثابتة كما دلت عليها شواهد كثيرة من القرآن والسنة، وقد ذكر ذلك بشكل صريح فى القرآن الكريم فى منامات عديدة من الأنبياء وغيرهم، كما فى سورة الصافات (رؤيا النبى إبراهيم عليه السلام)، وفى سورة يوسف أربعة منامات، أحدها ليوسف عليه السلام، واثنان للشابين الذين دخلا معه السجن، ورؤيا للملك يوم ذاك، وكانت هذه الأحلام والمنامات صادقة وقد تحقق تأويلها وتعبيرها فى الخارج.

ص: 322

---

1- (1) راجع: تفسير الميزان، السيد الطباطبائى، ج 11 ص 271.



وقد جاء في سيرة النبي صلى الله عليه وآله أنه رأى منامات وفسرها وكانت كما أخبر بها. والسيدة فاطمة عليها السلام رأت أباهما في المنام في يوم وفاتها، فقال لها النبي صلى الله عليه وآله أنت الليلة عندي، فتوفيت عليها السلام في ذلك اليوم. وكذلك أمير المؤمنين عليه السلام قبيل وفاته، وباقي الأئمة عليهم السلام.

ويمكن أن تقسم الرؤيا الصادقة على عدة أقسام: منها، ما تكون تذكير أو ناهية وزاجرة عن فعل القبيح الذي ربما غفل عنه الإنسان فيريه رؤية تزجره عن فعل تلك المعصية، كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: إذا كان العبد على معصية الله عز وجل وأراد الله به خيراً أراه في منامه رؤيا تروعه فينزجر بها عن تلك المعصية، وإن الرؤيا الصادقة جزءٌ من سبعين جزءاً من النبوة(1).

وفي هذا الصدد ينقل أن رجلاً قال لعلي بن الحسين عليهما السلام: رأيت كأنى أبول في يدي. قال: تحتك محرم. فنظروا فإذا بينه وبين امرأته رضاع(2).

ومنها: ما تحكى عن المستقبل، وتكون لها دلالات مستقبلية وتذكر أموراً لم تتحقق بعد، كما هو مذكور في القرآن الكريم في عدة مواضع، والتي منها، سجود الكواكب والشمس والقمر ليوسف عليه السلام، حيث فيه دلالة إلى نبوة يوسف عليه السلام في المستقبل، ورؤيا عزيز مصر بأن سبع بقرات عجاف تأكل سبع بقرات سمان وقد فسرها نبي الله يوسف عليه السلام بما يجرى في المستقبل.

ومنها: ما يكون ضرباً من الإيحاء وهذا ما يخص الأنبياء والأولياء كما ورد

ص: 323

---

1- (1) راجع: الاختصاص، الشيخ المفيد، ص 241.

2- (2) راجع: الطفل بين الوراثة والتربية، الشيخ محمد تقي فلسفي، ج 1 ص 316.

فى القرآن الكرىم عن لسان إبراهىم علىه السلام (قال يا بنىَّ ائنى أرى فى المنام ائنى أذبُحك فأنظُرُ ما ذا ترى قال يا أبتِ أفعلُ ما تُؤمُرُ ستجدنى إن شاء الله من الصابرين) 1, وعلى ذلك فالرؤىا التى يترتب عليها حكمٌ شرعىٌّ أو أصل عقائدىٌّ وتكون حجة مستقلة هى للأنبياء خاصة؛ لأنه نوع من أنواع الوحى.

نعم ربما يكون إىحاء لبعض الأولياء ولو عن طريق المكاشفة أو مكالمة من عالم ما وراء الطىبعة, كما ورد عن أم نبى الله موسى علىه السلام فى قوله تعالى: (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَاِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا زَادُوهُ إِيَّاكَ وَجَاعَلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) 2, حيث ورد فى الروايات أنه كان رؤىا (1).

### نطىبق الرؤىا فى المقام

ونقول من هذا وذاك إنَّ أم المعصوم عليها السلام لا- تقبل شأنًا عن أم موسى عليها السلام وغيرها, بأن يحبوها الله عز وجل بالإىحاء والمكاشفة والبشارة, لأن تكون وعاءً وحجرًا لحجة الله على خلقه وغير ذلك, وعلى كانت رؤىا السىدة شهر بانويه عليها السلام (أم السجاد علىه السلام) أو رؤىا السىدة نرجس عليها السلام (أم الإمام المهدى علىه السلام) رؤىا صادقة, بل تعتبر نوعاً من المكاشفة والمعانىة, فقد خطبها رسول الله صلى الله عليه وآله فى عالم الرؤىا, ولقنتها الزهراء عليها السلام الشهادتين حتى أسلمت, وبشرتها بزواجها من الحسين علىه السلام.

ص: 324

وهكذا الحال فى نرجس عليها السلام، فلا ينبغى الشك فى مطلق الرؤى والأحلام من حيث إنّه لا ينسجم مع العصر والنهضة العلمية، كما روح له الكثير من الذين حصروا أنفسهم فى بوتقة التجربة وعالم المادة ولم يكن لهم نصيب فى التعرف على ما وراء الطبيعة وعالم الغيب، مع أنّ الرؤيا شاهد قاطع على ذلك، فأتم المعصوم عليه السلام لها الحظ الأوفر فى احتكاكها بالغيب وإطلاعها على مجرى الأمور، وذلك بما تحويه من مؤهلات ومواهب وفضائل وغيرها.

### موقف من عفافها وإيمانها

صحيح أنّها عاشت فى بيئة مترفة بعيدة عن التعاليم والقيم الإسلامية لكن لا يلزم منه انحرافها الخلقى وانحطاطها النفسى وما إليه؛ لأنّها كانت تحت الرعاية والتخطيط الإلهى، وكل المؤشرات تؤكد إيمانها وتوحيدها ولو على طريق الكتم والإخفاء، كما هو الحال فى أغلب الأسرة الهاشمية فى الجاهلية، أو زوجة فرعون حيث تحدث الله عنها بقوله: (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِى الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) 1، وغير ذلك كثير، لذلك نلاحظ الإمام علياً عليه السلام اهتم بها كثيراً وعندما أنحلها ابنه الحسين عليه السلام أو هى اختارته سارع فى الإشارة والتلميح إلى الأمر الذى خطت له السماء بقوله: احتفظ بها وأحسن إليها، فستلد لك خير أهل الأرض فى زمانه بعدك، وهى أم الأوصياء الذرية الطيبة. مع الحفاظ

والتشدد الذى كانت تعيشه داخل الأسرة، لذلك ورد عن أبي الحسن على بن حماد العبدى بالبصرة سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة عن رجاله أنه قال: لما فتحت المدائن وجمعت فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله بالمدينة الغنائم، وأحضر عمر جميع المسلمين ليقسموها على ما أوجبه الله، وعرضت السبايا عليهم وهن متابعات بينهم، أبرزت شهربان بنت يزيد جد وهى مختمرة وعليها من ثياب الملوک شملة، فقال عمر: احبسوا عنها الخمار فلا حرمة إلا للإسلام. فقال له على عليه السلام يجب لبنات الملوک أن تتميزن عن غيرهن. فقال له عمر: أفيخرجن من السبى ويزول عنهن الرق؟ قال: [لا] ولكن لا يهتك خمرهن ويجعل الاختيار إليهن فيمن يملكهن. فأجاز عمر ذلك وطيف بها عليهم (وهم جلوس مجتمعون) ليقع اختيارها على من تملكها من المسلمين، فلم تزل تتفحصهم، ثم أشارت إلى الحسين عليه السلام من بينهم، فحصلت فى سهمه على ما أوجب من الفرض له، فولدت على بن الحسين زين العابدين عليه السلام. ثم حدث أبو نصر مهيار بن أدبار (وكان من رؤساء المتصرفين وعلماء المجوس المتأدين) عن رجاله ومن أسند من رواة الطائفة إليه: إن شهربان حين طيف بها عند اقتسام الغنائم على كافة المسلمين فى المسجد لتختار من تكون من سهمه منهم، وتسير إلى من يحصل فى ملكه من جملتهم، ووقع اختيارها على الحسين، وصارت فى قسمه، وتقدم لحملها إلى داره، قال لها عمر: أخبرينى عنك: قد عرض عليك كافة المسلمين، وفيهم أنا وأنا أميرهم، وما يتعذر وجود الكهول والصباح والشبان والأوصاح فيهم، وكيف اخترت هذا الفتى من بينهم؟ فقالت: الصدق أنجى وأرجى، كنت حين طيف بى

على الجماعة (فأنا ألاحظهم ليقع اختياري على من يملكنى منهم) لا أرى أحداً إلا يرمقني بطرف حديد ونظر شديد غير هذا الكهل وابنيه (وأشارت إلى علي عليه السلام) فإنهم ما لحظوني ولا التفتوا إليّ، فرأيت النزاهة وشرف الهمة هناك، فبينت إليهم الاختيار، وعلمت أن المروءة ملك لا يزول إذا زالت الممالك بنوائب الدهر. فقال لها: أفلا اخترت أباه فهو أفضل منه، أو أخاه فهو كبيره؟ فقالت: نزعت نفسي إلى [...] سنا لحدثته، ورغبت مع الشرف والعفاف فيما يرغب فيه أمثالي، فأعجبه ذلك منها وأثنى هو والجماعة الخير عليها(1).

## زمان سببها

اختلف المؤرخون في زمان سبب السيدة شهريانو وفي أي عهد من الخلفاء كان، ولكنّ المشهور كما عليه كثير من المؤرخين هو في زمن خلافة عمر بن الخطاب كما جاء في وفيات الأعيان وغيره، حيث قالوا: إنّ الصحابة رضی الله عنهم لما أتوا المدينة بسبب فارس في خلافة عمر بن الخطاب رضی الله عنه كان فيهم ثلاث بنات ليزدجرد فباعوا السبايا وأمر عمر ببيع بنات يزدجرد أيضاً، فقال له علي بن أبي طالب رضی الله عنه إن بنات الملوك لا يعاملن معاملة غيرهم من بنات السوق، فقال كيف الطريق إلى العمل معهن، قال يقومنَ ومهما بلغ ثمنهن قام به من يختارهن، فقومنَ وأخذهنّ علي رضی الله عنه فدفع واحدة لعبد الله بن عمر وأخرى لولده الحسين وأخرى لمحمد بن أبي بكر وكان ربيبه(2). وهناك

ص: 327

1- (1) أنظر: العقد النضيد والدر الفريد، محمد بن الحسن القمي، ص 145.

2- (2) راجع: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، ج 3 ص 267.

روايات تفيد أنه ترك لهن الخيار من بين الحاضرين فاخترت السيدة شهربانو الإمام الحسين عليه السلام.

ولكن جاء في العيون عن الرضا عليه السلام أن عبد الله بن عامر لما افتتح خراسان أصاب ابنتين ل - (يزدجرد بن شهريار) ملك الأعاجم، فبعث بهما إلى عثمان فوهب إحداهما للحسن عليه السلام والأخرى للحسين عليه السلام فماتتا عندهما نفساوين، وكانت صاحبة الحسين عليه السلام نفست بعلی بن الحسين عليهما السلام فكفله بعض أمّهات أولاد أبيه (1).

وقيل: جاءوا بها مع أختها كيهان بانو من حدود فارس في خلافة عثمان بن عفان فأراد أن يبيعهما، قال له على عليه السلام لا يعامل في بنى الملوك معاملة سائرهم. فتزوج الحسين شهربانو، فولدت له علياً الأصغر، وتزوج محمد بن أبي بكر كيهان بانو، فولدت له القاسم. حتى قالوا: انظر إلى بركة العدل حيث جعل الله - تبارك وتعالى - الأئمة المهديين من نسل الحسين عليه السلام من بنت يزدجرد المنتسب إلى كسرى أنوش (روان الملك العادل) دون سائر زوجاته (2).

وهناك قول ثالث كما جاء في الإرشاد إنها سبيت في عصر خلافة الإمام على عليه السلام حيث قال: ولي أمير المؤمنين عليه السلام حريث بن جابر الحنفي جانباً من المشرق، فبعث إليه ابنتي يزدجرد بن شهريار بن كسرى فنحل ابنه الحسين عليه السلام (3).

ويمكن أن يرجح أنّ سبيها في عهد خلافة عثمان، أو زمن خلافة أمير

ص: 328

1- (1) راجع: عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق، ج 1 ص 136.

2- (2) راجع: ينابيع المودة لذوى القربى، القندوزى، ج 3 ص 152.

3- (3) راجع: الإرشاد، الشيخ المفيد، ج 2 ص 137.

المؤمنين عليه السلام إذ أن أسر أولاد يزدجرد الظاهر أنه كان بعد قتله أو استئصاله، وذلك كان في زمن عثمان، وإن أمكن أن يكون بعد فتح القادسية أو نهاوند أخذ بعض أولاده هناك قبل مقتله وكانت من جملتهم شهربانو. وأيضاً يلاحظ على المشهور من أن ولادة الإمام السجاد عليه السلام كانت سنة (38 هـ -) فإذا فرضنا أنها سببت في خلافة عمر بن الخطاب كما عليه المشهور فيلزم منه أنها بقيت بدون حمل إلى ما يقارب عشرين سنة وهو عادة بعيد، فالأرجح أن نقول إنها سببت في خلافة عثمان أو على عليه السلام.

ولكن هذا أيضاً ليس دليلاً قطعياً، حيث يمكن أن تتأخر المرأة عن الحمل سنين متعددة كما ثبت ذلك في القرآن الكريم من أن زوجة إبراهيم عليه السلام سارة تأخرت إلى ما بعد اليأس، وأيضاً كانت الفاصلة بين أولاد فاطمة بنت أسد عشر سنين، وربما الجميع اطلع على أن بعض النساء تأخر بهن الحمل إلى فترة طويلة في مثل هذه الأيام التي اتسمت بالتطور العلمي لاسيما في المجال الصحي والتناسلي وما إليه.

### على ينظر إلى المستقبل

من المسلمات عند كل المسلمين أن الإسلام لا يختص بقومية واحدة أو فئة خاصة وإنما هو يعم كل البشر كما عبّر عن ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى

وَ الْفَرَّقَانِ)1 فهو نداء عام للناس جميعاً في كل زمان ومكان لإخراجهم من الظلمات إلى النور في دار الدنيا والآخرة، فعليه أن تتخذ خطوات تسهل دخول الناس إلى هذا المرفأ الكريم، فالمرونة والعفو عن الغير من السجايا التي تطمع الغير في الإقرار والتسليم، فترك الإمام موقفاً لاسيما مع بنات ملوك الفرس ربما كان أحد العوامل في دخولهم الإسلام وإخلاصهم فيه، لذلك ذكر المؤرخون أنه لما ورد سبي الفرس إلى المدينة أراد عمر بن الخطاب (على القول إنها سببت في زمن خلافة عمر بن الخطاب) بيع النساء وأن يجعل الرجال عبيداً فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أكرموا كريم كل قوم، فقال عمر: قد سمعته يقول: إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه وإن خالفكم، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام هؤلاء قوم قد ألقوا إليكم السلم ورجبوا في الإسلام ولا بد أن يكون لى فيهم ذرية، وأنا اشهد الله وأشهدكم أنى قد أعتقت نصيبى منهم لوجه الله تعالى، فقال جميع بنى هاشم: قد وهبنا حقنا أيضاً لك، فقال: اللهم اشهد أنى قد أعتقت ما وهبوا لى لوجه الله، فقال المهاجرون والأنصار: وقد وهبنا حقنا لك يا أبا رسول الله، فقال: اللهم اشهد إنهم قد وهبوا لى حقهم وقبلته وأشهدك أنى قد أعتقتهم لوجهك، فقال عمر: لم نقضت على عزمى فى الأعاجم؟ وما الذى رغبك عن رأى فيهم، فأعاد عليه ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله فى إكرام الكرماء فقال عمر: قد وهبت لله ولك يا أبا الحسن ما يخصنى وسائر ما لم يوهب لك، فقال أمير المؤمنين عليه السلام اللهم اشهد على ما قالوه وعلى عتقى إياهم(1).

ص: 330

---

1- (2) مستدرک الوسائل، الميرزا النورى، ج 11 ص 132. و الغارات، إبراهيم بن محمد الثقفى، ج 2 ص 825.



لم يكن اختيارها للحسين عليه السلام في معزل عن التخطيط والإرادة الإلهية، بل هي اقترنت به في عالم الأرواح والغيب (كما تقدم) قبل حضورها واختيارها له في عالم المادة والأجساد وهذا يعبر عن ارتباط الغيب في زواجها للحسين عليه السلام، فقد ذكروا هناك رهط من قريش وغيرهم كانوا حاضرين وكانت لهم المكانة والإمرة وقد رغبوا في زواجها لكن اعترضهم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً: هن لا- يكرهن على ذلك ولكن يخيرن ما اخترنه عمل به، فأشار جماعة إلى شهر بانويه بنت كسرى فخيرت وخوطبت من وراء الحجاب والجمع حضور فقيل لها: من تختارين من خطابك؟ وهل أنت ممن تريدين بعلاً؟ فسكتت فقال أمير المؤمنين قد أرادت وبقي الاختيار، فقال عمر: وما علمك بإرادتها البعل؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان إذا أتته كريمة قوم لا ولي لها - وقد خطبت - يأمر أن يقال لها: أنت راضية بالبعل؟ فإن استحييت وسكتت جعل إذن صماتها وأمر بتزويجها، وإن قالت: لا لم يكرهها على ما تختاره، وإن شهر بانويه أريت الخطاب فأومأت بيدها واختارت الحسين بن علي عليهما السلام، فأعيد القول عليها في التخيير فأشارت بيدها، وقالت: هذا إن كنت مخيرة، وجعلت أمير المؤمنين عليه السلام وليها، وتكلم حذيفة بالخطبة، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ما اسمك؟ فقالت: شاه زنان بنت كسرى، قال أمير المؤمنين عليه السلام: أنت شهر بانويه وأختك مرواريد بنت كسرى قالت: آريه(1).

ص: 331

1- (1) الغارات، إبراهيم بن محمد الثقفي، ج 2 ص 825. جامع أحاديث الشيعة، السيد البروجردى، ج 20 ص 152.

## إشارة

حازت هذه السيدة الجليلة بهذه المفخرة العظيمة حتى أصبحت وعاءً وأماً للإمام المعصوم عليه السلام، وهذا مما لا يتسنى لكل امرأة إلا أن تُصطفى وتُعد من قبل السماء، حتى تكون الوعاء السالم والصالح المناسب لهذا المخلوق العظيم، وهذا الحكم من الاصطفاء والإعداد الإلهي لا يجب في مجرد الزوجة، حيث إنَّ الأم تختلف عن الزوجة بشكل جوهري ولذلك ذكر القرآن أنَّ هناك زوجات لبعض الأنبياء عليهم السلام كُنَّ خائنات في عدم تمسكهن بخط النبوة والهدى الإلهي، كما جاء في قوله تعالى: (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَ امْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ) 1، مع أنه لم نجد أى انحراف أو غيره لأُم من الأنبياء أو الأوصياء بل نجد العكس من أنها قد أعدت من الناحية الروحية والنفسية والجسدية كي تكون وعاءً صالحاً لأشرف مخلوقات أهل زمانه، وربما السبب في ذلك لأنَّ للأم أثراً تكوينياً على الجنين بخلاف مجرد الزوجة فإنها لا تؤثر تكوينياً على الزوج ولا- يلزم من انحرافها آثارٌ سلبية تكوينية على الزوج وإنما يرجع عليها فقط، أمَّا الأم الكافرة والملوثة أو حتى الضعيفة روحياً ومعنوياً ترجع بآثارها على جنينها وأسررتها، فشرط الطهارة والنقاء في أمهات الأنبياء والأئمة أمر ثابت ولا غبار عليه بخلاف زوجاتهم عليهم السلام، وعندما

نرجع الى أم الإمام السجاد عليها السلام نجد أنّها حظيت باهتمام ورعاية إلهية على الصعيد المادى والروحى, كما جاءت فى ذلك عدة روايات, منها ما روى عن جابر, عن أبي جعفر عليه السلام قال: لما قدمت ابنة يزيد جرد ابن شهر يار آخر ملوك الفرس وخاتمتهم على عمر, وأدخلت المدينة استشرفت لها عذارى المدينة, وأشرق المجلس بضوء وجهها, ورأت عمر فقالت: أه بيروز باد هر مز, فغضب عمر وقال: شتمتني هذه العليجة, وهمّ بها, فقال له على عليه السلام: ليس لك إنكار على ما لا تعلمه, فأمر أن ينادى عليها, فقال أمير المؤمنين عليه السلام: لا يجوز بيع بنات الملوك, ولكن أعرض عليها أن تختار رجلا من المسلمين حتى تتزوج منه, وتحسب صداقها عليه من عطائه من بيت المال يقوم مقام الثمن, فقال عمر: أفعل, وعرض عليها أن تختار فجالت فوضعت يدها على منكب الحسين عليه السلام, فقال أمير المؤمنين عليه السلام: چه نام دارى أى كنيذك, يعنى: ما اسمك يا صبية؟ قالت جهان شاه, فقال بل شهر بانويه, قالت: تلك أختى قال: راست گفتى, أى صدقت ثم التفت إلى الحسين فقال: احتفظ بها وأحسن إليها, فستلد لك خير أهل الأرض فى زمانه بعدك, وهى أم الأوصياء الذرية الطيبة, فولدت على بن الحسين زين العابدين عليهما السلام(1).

### سؤال وجواب

ربما يقال إنّ الإسلام نهى عن تزويج الأمة مع أنّنا نلاحظ أنّ أغلب امّهات الأئمة المعصومين من الإماماء؟ كما سيأتى أنّ ستة أئمة إضافة إلى أم الإمام

ص:333

السجادة عليه السلام أمهاتهم إماء، نعم إن الزواج بالإماء إنما يجوز لمن يعانى من ضغط شديد بسبب شدة غلبة الغريزة الجنسية عليه ولم يكن قادراً على التزوج بالحرائر من النساء، وعلى هذا الأساس لا يجوز الزواج بالإماء لغير هذه الطائفة.

فيمكن أن تكون فلسفة هذا الحكم فى أن الإماء خاصة فى تلك العهود لم يحظن بتربية جيدة، ولهذا كنّ يعانين من نواقص خلقية ونفسية وعاطفية، ومن الطبيعى أن يتخذ الأطفال المتولدون من هذا الزواج صفة الأمهات ويكتسبوا خصوصياتهن الخلقية، ولهذا السبب طرح الإسلام طريقة دقيقة لتحرير العبيد تدريجاً حتى لا يبتلوا بهذا المصير السيئ، وفى نفس الوقت فسح للأرقاء أنفسهم أن يتزوجوا فيما بينهم.

## والجواب

هذا الموضوع لا- يتنافى مع وضع بعض الإماء اللائى حظين بوضع استثنائى وخاص من الناحية الخلقية والتربوية وغيرهما، فالحكم المذكور أعلاه يرتبط بأغلبية الإماء، وكون بعض أمهات الأئمة من أهل البيت النبوى عليهم السلام من الإماء هو من هذه الجهة كما سيتضح.

وأما الظروف السياسية والاجتماعية التى أوجتتها الى هذا الحال من الأسر والرق لا- يقلل من شأنها ولا يؤثر فى ذاتها وكيانها بل تبقى بكمالها وبعدها المعنوى، وربما تكون هذه الظروف الأليمة التى واجهتها سبباً فى اعدادها وترقيها، إضافة إلى حفظها من أيدى الغاشمين.

إشارة

إن مما يدعو إلى الالتفات ويشير التساؤل هو أن أكثر أمّهات الأئمة عليهم السلام جوار من غير العرب، فأم كل من السجاد والكاظم والرضا والجواد والهادى والعسكرى والحجة عليهم السلام أمّهات أولاد، وقعن فى الأسر، واقترن بهنّ الأئمة عليهم السلام، مع أنّه لا يغيب عن بالنا ما يجرى فى سوق العبيد والجوارى، مضافاً إلى أن مسألة الإمامة ليست من المسائل العادية، فإنّها تستوجب الحيطة والحذر فى كل ما يرتبط بولادة الإمام المعصوم عليه السلام وتربيته ونشأته، وكما أنّ الأب ينبغى أن يكون فى أعلى درجات الكمال الممكن، فكذلك الأم وعلى ذلك قامت الأدلة. وهذا البحث جدير بالعناية والدراسة.

والسؤال الذى يواجهنا، هو ما هو السر فى اختيار الأئمة للجوارى من دون الحرائر العربيات من البيوتات الرفيعة ذات المنزلة الاجتماعية؟

ولماذا يقترن الأئمة عليهم السلام بالجوارى ليلدن لهم أفضل الأولاد والبنات؟

وللإجابة عن ذلك لابد أن نسلط الأضواء على بعض المفاهيم العامة والركائز الأساسية ذات الصلة بما نحن فيه لنخرج من خلالها بما يرفع الغموض والإبهام عن هذه المسألة.

والذى يظهر من خلال دراسة بعض المفاهيم العامة والقواعد الأساسية أن وراء اختيار الأئمة عليهم السلام الجوارى أسباباً أهمها ثلاثة.

إن مما لا شك فيه أن أئمة أهل البيت عليهم السلام - كما نعتقد وعليه قامت الأدلة - قد أوتوا العلم بحقائق الأمور والأشياء ومعرفة مداخلها ومخارجها، ومنها العلم بأحوال الناس وخصوصياتهم، وقد ورثوا ذلك عن رسول الله أو أطلعهم الله تعالى عليه لنفوذ بصائرهم، وصفاء نفوسهم وطهارة ذواتهم، ولما كان الأمر يتعلق بالإمامة ومنصب الولاية فلا بد من اختيار الوعاء الطاهر، والأصل الزاكي، والحجر العفيف الذى سيكون حاملاً وحاضناً لولى الله، وخليفته على العباد، والحجة على الخلق، ويعد ذلك من المسلمات البديهية فى عقيدة الشيعة الإمامية، وإنما وقع اختيار الأئمة عليهم السلام على هؤلاء الجوارى من دون سائر النساء لعلمهم عليهم السلام بأنهن قد جمعن شرائط الاقتران بالمعصوم وصلاحيتهن للأئمة التى ستتجلب الإمام المعصوم، إذ كما يشترط أن يكون الآباء طاهرين مطهرين فكذلك الحال بالنسبة للأُمَّهات. وقد تقدم مدى تأثير الأم على ولدها، فإن لعامل الوراثة مدخلاً كبيراً فى التكوين الخلقى المنعكس على الولد من قبل أبويه لاسيما الأم، لذلك نلاحظ أنّ الإمام عليه السلام قد يختار واحدة بعينها من دون سائر الجوارى اللاتى عرضن للبيع، وقد تكون غير صالحة - بحسب المعايير المادية - للبيع والشراء إلا أن الإمام عليه السلام لا يختار غيرها، بل تذكر المصادر كما سيأتى ذكرها أن هذه الجارية المعينة من قبل الله قد جعلت للإمام فقد تمتنع عن الاستسلام لأى مشترٍ يتقدم لشرائها حتى يكون الذى يشتريها هو الإمام عليه السلام، مع أنها فى ظروف لا تملك

من أمرها شيئاً، الأمر الذى يؤكد على أن هناك تخطيطاً إلهياً متقناً لأن تكون هذه المرأة قرينة للإمام عليه السلام وقد أعدها الله تعالى لتصبح أماً ووعاءً للمعصوم. ويدل على ذلك ما تقدم من تحرك السماء نحو إيصال أم الإمام السجاد عليه السلام للإمام الحسين عليه السلام ولم تتعدّ بالاختيار غيره.

ولورجعت القهقرى ولاحظت كيف جعل الله إسماعيل ابن إبراهيم عليهم السلام فى بطن هاجر التى هى من الجوارى كما قيل قبطية من مصر أهداها لسارة أحد ملوك مصر(1). والذى ينحدر منه عن طريق هاجر نسب النبى الأكرم صلى الله عليه وآله، فقد ذكر أن نبى الله إبراهيم عليه السلام بقى فترة طويلة بلا ذرية مع زوجته سارة، ثم أشار عليها أن تبيع له هاجر تلك الجارية لتي حظيت بتربية إلهية وأعدت لأن تكون وعاءً للمعصوم نبى الله إسماعيل عليه السلام، وقد ذكرها القرآن وعظّمها وجعلها سبباً لإيجاد بعض السنن الإلهية والتي منها السعى بين الصفا والمروة، وقد دفنها ابنها إسماعيل عليه السلام مقابل البيت العتيق، بإزاء الركنين العراقى والشامى، والذى يسمى اليوم بحجر إسماعيل عليه السلام، وقد حجّر عليها لئلا يطمأ الناس قبرها، تقديراً لها واحتراماً، ومن ثم هو دفن فيه وتبعه مجموعة من الأنبياء عليهم السلام، كما ورد ذلك عن أبى عبد الله عليه السلام قال: إن إسماعيل دفن أمه فى الحجر وحجر عليها لئلا- يوطأ قبر أم إسماعيل فى الحجر(2). وعنه أيضاً قال: الحجر بيت إسماعيل وفيه قبر هاجر وقبر إسماعيل(3).

ص: 337

1- (1) أنظر: موسوعة التاريخ الإسلامى، اليوسفى، ج 1 ص 85.

2- (2) الكافى، الشيخ الكلينى، ج 4 ص 210.

3- (3) المصدر نفسه.

ومن بعض الطرائف التي تذكر عن زيد بن علي الشهيد مع هشام بن عبد الملك حينما قال له، بلغني أنك تذكر الخلافة وتتمناها ولست هناك وأنت ابن أمة؟. فقال له زيد: إن الأمّهات لا يقعدن بالرجال عن الغايات، وقد كانت أم إسماعيل (هاجر) أمة لأم إسحق (سارة)، فلم يمنعه ذلك أن بعثه الله نبياً وجعله أباً للعرب وأخرج من صلبه خير الأنبياء محمداً صلى الله عليه وآله، وأخرج من إسحق القردة والخنازير وعبدة الطاغوت(1).

## الثاني: محاربة الطبقة والعرقية

إن من أعظم الركائز التي قام عليها الدين هو إلغاء الفوارق الطبقة بين أبنائه والمنتسبين إليه، وقد أكد القرآن الكريم في آياته، والرسول الكريم في سيرته على ذلك، وكانت النظرة إلى جميع الناس على أساس من التساوي ونبذ الفوارق العرقية والنسبية، وأن المعيار في التفاضل بين الناس هو مقدار ما يتحلى به الإنسان من الإيمان والتقوى ومكتسباته الشخصية كما أشار إليه سبحانه في قوله (يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُرُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)2 . ليس لأحد على أحد فضل إلا بالتقوى وليس للعنصر العربي فضل على سواه، وليس لسواه فضل عليه، وليس ثمة ما يميز أحدهما على الآخر إلا مقدار قربه من الله تعالى، أو بعده عنه، ولذا رفع الإسلام من شأن سلمان الفارسي الأصل حتى غدا ينسب إلى أهل بيت

ص:338

---

1- (1) أنظر: تاريخ الكوفة، السيد البراقى، ص 381. وأعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، ج 7 ص 115.



سلمان منا أهل البيت (1)، ووضع الإسلام أبا لهب العربي الأصل والقرشى النسب، وهو عم النبي حتى غدا من أشد الناس عداوة لله ولرسوله، ونزل فيه قرآن يتلى، قوله تعالى: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ \* مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ \* سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ) 2.

وقد اتخذ هذا المنهج القويم صوراً وأشكالاً مختلفة، لتثبيت هذه القاعدة، حتى تكون هي المنطلق والأساس في تقييم الأشخاص، وسعى سعياً حثيثاً بالقول تارة، وبالفعل أخرى، لبيان أن الإنسان لا يقعد به نسبه، ولا يعيقه عنصره، أو صنفه، عن تسنم أرفع الدرجات، إذا كانت على وفق ما يريد الله ورسوله، كما في قوله تعالى: (رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّمَّنْ ذَكَرْتُ أَوْ أَنُثِّي بَعْضَ كُمْ مِّنْ بَعْضٍ) 3. ولم يكن الأمر يقتصر على القضايا الرئيسية ذات الأهمية القصوى، بل كانت تشمل الشؤون الجانبية الأخرى، فما كان النبي يفاضل بين أحد من المسلمين في العطاء - مثلاً -، وكان يرى أن المال مال الله والناس عباد الله، وهكذا كان أمير المؤمنين عليه السلام الذي اتخذ هذه السيرة النبوية منهجاً له، يقتفى خطى النبي في تطبيقها على المسلمين معتبراً نفسه واحداً منهم، وأنهم جميعاً أخوة في الدين، حتى أصبح هذا المبدأ أحد الأسس التي مهدت السبيل أمام كثير من الناس للالتحاق بهذا الدين والسير في ركابه.

ص: 339

روى الكليني بسنده عن حنان، قال: سمعت أبي يروي عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان سلمان جالساً مع نفر من قريش في المسجد، فأقبلوا ينتسبون، ويرفعون في أنسابهم حتى بلغوا سلمان، فقال له عمر بن الخطاب: أخبرني من أنت؟ ومن أبوك؟ وما أصلك؟ فقال: أنا سلمان بن عبد الله، كنت ضالاًً فهداني الله عز وجل بمحمد، وكنت عائلاً فأغناني الله بمحمد، وكنت مملوكاً فأعتقني الله بمحمد، هذا نسبي، وهذا حسبي، قال: فخرج النبي وسلمان (رضي الله عنه) يكلمهم، فقال له سلمان: يا رسول الله ما لقيت من هؤلاء، جلست معهم فأخذوا ينتسبون، ويرفعون في أنسابهم حتى إذا بلغوا إلي قال عمر بن الخطاب: من أنت؟ وما أصلك؟ وما حسبك؟ فقال النبي: فما قلت له يا سلمان؟ قال: قلت له: أنا سلمان بن عبد الله، كنت ضالاًً فهداني الله عز ذكره بمحمد، وكنت عائلاً فأغناني الله عز ذكره بمحمد، وكنت مملوكاً فأعتقني الله عز ذكره بمحمد، هذا نسبي، وهذا حسبي، فقال رسول الله: يا معشر قريش إن حسب الرجل دينه، ومروءته خلقه، وأصله عقله، قال الله عز وجل: (إِنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) 1 ثم قال النبي صلى الله عليه وآله لسلمان: ليس لأحد من هؤلاء عليك فضل إلا بتقوى الله عز وجل، وإن كانت التقوى لك عليهم فانت أفضل (1).

ولو أن هذا المبدأ أخذ مجراه كما أراد الله تعالى ورسوله، وكما سعى أمير

ص: 340

1- (2) الكافي، الكليني، ج 8 ص 181.

المؤمنين عليه السلام وأبناؤه المعصومون عليهم السلام لتطبيقه، لما احتجنا إلى حروب الفتوحات التي يعتبرها البعض إحدى إنجازات الإسلام الكبرى. وما يدرينا فلعل ما يحيق بالمسلمين من خصومهم من الكيد والعدوان إنما هو عمل انتقامي واقتصاص مما جرى في سالف الزمان من حروب الفتوحات إذ تركت حقداً دفيناً تتوارثه الأجيال، حتى إذا أمكنتهم الفرصة للانتقام شنوا حرباً لا هوادة فيها على الدين والأخلاق وبأساليب مختلفة. وكانت هذه السياسة طامة كبرى حرفت مسار الإسلام عن طريقه المستقيم، وأصبح الذين يرون أنفسهم من سادة القوم أن الاقتران بالجوارى عارٌ لا يليق بالأشراف. ويدل على ذلك ما ورد من معاتبة عبد الملك بن مروان للإمام زين العابدين عليه السلام، واعتراضه عليه حين تزوج بإحدى الجوارى، فقد روى الكليني بسنده عن يزيد بن حاتم، قال: كان لعبد الملك بن مروان عين بالمدينة يكتب إليه بأخبار ما يحدث فيها، وإن على بن الحسين عليه السلام أعتق جارية ثم تزوجها، فكتب العين إلى عبد الملك، فكتب عبد الملك إلى على ابن الحسين عليه السلام: أما بعد، فقد بلغني تزويجك مولاتك، وقد علمت أنه كان في أكفائك من قريش من تمجد به في الصهر، وتستنجه في الولد، فلا لنفسك نظرت، ولا على ولدك أبقيت، والسلام. فكتب إليه على بن الحسين عليه السلام أما بعد، فقد بلغني كتابك تعنفني بتزويجي مولاتي، وتزعم أنه كان في نساء قريش من أتمجد به في الصهر، واستنجه في الولد، وأنه ليس فوق رسول الله مرتقى في مجد ولا - مستزاد في كرم، وإنما كانت ملك يميني خرجت متى أراد الله عز وجل مني بأمر التمس به ثوابه، ثم ارتجعتها على سنته، ومن كان زكياً في دين الله فليس

يخل به شيء من أمره، وقد رفع الله بالإسلام الخسيصة، وتمم به النقيصة، وأذهب به اللؤم فلا لؤم على امرء مسلم، وإنما اللؤم لؤم الجاهلية، والسلام. فلما قرأ الكتاب رمى به إلى ابنه سليمان، فقرأه فقال: يا أمير المؤمنين لشد ما فخر عليك على بن الحسين عليه السلام، فقال: يا بني لا- تقل ذلك، فإنه ألسن بنى هاشم التي تفلق الصخر، وتغرف من بحر، إن على بن الحسين عليه السلام يا بني يرتفع من حيث يتضع الناس(1). وفي رواية أخرى عندما أعتق الإمام السجاد عليه السلام جارية له وتزوجها، كتب إليه عبد الملك بن مروان يعيره بذلك، فكتب إليه الإمام عليه السلام قد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة قد أعتق رسول الله صلى الله عليه وآله صفيية بنت حبي وتزوجها وأعتق زيد بن حارثة وزوجه ابنة عمته زينب بنت جحش(2). وعرض بعض المحققين صوراً من هذه السياسة الهوجاء التي اتبعها الحكام في احتقار كل من هو غير عربي فقال: لقد أمر الحجاج أن لا يؤم في الكوفة إلا عربي، وقال لرجل من أهل الكوفة: لا يصلح للقضاء إلا عربي. كما طرد غير العرب من البصرة والبلاد المجاورة لها، واجتمعوا يندبون: وا محمداً وأحمداً، ولا يعرفون أين يذهبون، ولا عجب أن ترى أهل البصرة يلحقون بهم ويشتركون معهم في نعي ما نزل بهم من حيف وظلم، بل لقد قالوا: لا يقطع الصلاة إلا حمار، أو كلب، أو مولى. وقد أراد معاوية أن يقتل شطراً من الموالى عندما رأهم كثروا، فنهاه الأحنف عن ذلك. وتزوج رجل من الموالى بنتاً من أعراب بنى سليم، فركب محمد بن بشير الخارجي إلى المدينة، وواليتها يومئذ إبراهيم بن هشام بن

ص: 342

1- (1) الكافي، الكليني، ج 5 ص 345.

2- (2) راجع: الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، ج 5 ص 214.

إسماعيل، فشكى إليه ذلك، فأرسل الوالى إلى المولى، ففرق بينه وبين زوجته، وضربه مائتى سوط، وحلق رأسه وحاجبه ولحيته، فقال محمد بن بشير فى جملة أبيات له:

قضيت بسنة وحكمت عدلا ولم ترث الخلافة من بعيد

ولم تفشل ثورة المختار إلا لأنه استعان فيها بغير العرب، ففرق العرب عنه لذلك. ويقول أبو الفرج الأصفهاني: كان العرب إلى أن جاءت الدولة العباسية إذا جاء العربى من السوق ومعه شىء ورأى مولى دفعه إليه فلا يمتنع. بل كان لا يلى الخلافة أحد من أبناء المولدين الذين ولدوا من أمّهات أعجميات(1).

وذكر أحمد أمين فى كتابه ضحى الإسلام قوله: الحق أن الحكم الأموى لم يكن حكماً إسلامياً يسوى فيه بين الناس، ويكافئ المحسن عربياً كان أو مولى ويعاقب المجرم عربياً كان أو مولى، وإثما الحكم فيه عربى، والحكام خدمة للعرب، وكانت تسود العرب فيه النزعة الجاهلية لا النزعة الإسلامية(2). ولما كان أهل البيت عليهم السلام هم أئمة الدين، أرادوا إظهار فساد هذه السياسة بإجراء عملى، وبدأوا بأنفسهم، وهم وإن لم يعطوا الفرصة ليمارسوا دورهم فى تطبيق تعاليم الدين إلا أنهم لا يتخلون عن أداء وظيفتهم مهما أمكن، لذلك اختاروا أمّهات الأولاد الجوارى - مع ملاحظة سائر الشرائط - ليشبوا أن لا فرق بين أحد من الناس، وأن ما وضع من الامتيازات لبعض دون بعض لم تكن بحسب المقاييس

ص: 343

1- (1) راجع: حياة الإمام الرضا عليه السلام السيد جعفر المرتضى، ص 27.

2- (2) ضحى الإسلام، ج 1 ص 187.

الإلهية، وإذا كانت الظروف قد قهرت بعض أولئك النسوة فأصبحن يبعن فى أسواق الرقيق فلا- يعنى ذلك أنهن خاليات من الشرف والفضيلة، بل قد يكون العكس صحيحاً، فرب جارية أحاطتها العناية الإلهية لتكون قرينة للعصمة وأماً للمعصوم، وهذا ما حدث بالنسبة إلى أمّات بعض الأئمة عليهم السلام. ولا يقاس بعد ذلك فضل هذه الجوارى والإماء اللاتى أصبحن أوعية لحمل الإمامة بأى امرأة أخرى ممن لم تحظ بهذا الشرف العظيم، وإن كانت من أرقى البيوتات العربية بحسب الظاهر.

### الثالث: الإسلام لكل الناس

#### إشارة

إن مما لا شك فيه أنّ رسالة النبي المصطفى صلى الله عليه وآله هي الخاتمة الناسخة لجميع الرسالات السابقة وهي الشاملة لكافة البشر، فلا دين بعد دين الإسلام، (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) 1 - ولا- نبي بعد النبي محمد صلى الله عليه وآله، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وذلك من البديهيات المسلمة التي لا مجال للنزاع فيها، وأيدت ذلك الأدلة والبراهين.

وقد اقتضت الحكمة الإلهية أن يبقى هذا الدين محفوظاً وإن رحل النبي إلى الرفيق الأعلى، وقد أوكلت مهمة حفظ الدين إلى ذرية النبي صلى الله عليه وآله وعترته، وهم وراث علمه ومقامه الأئمة الإثنا عشر أولهم أمير المؤمنين عليه السلام، وآخرهم الحجة بن الحسن العسكري عليه السلام، وعلى ذلك قامت الأدلة والبراهين أيضاً.

ونتيجة ذلك أنه كما أن نبوة النبي عامة شاملة، فكذلك إمامة الأئمة عليهم السلام عامة وشاملة، ومعنى ذلك أن إمامة الأئمة عليهم السلام ليست مقتصرة على مجتمع معين أو عنصر معين، أو فئة من الناس معينة، فكما أن النبي بعث للأبيض والأسود على السواء، فكذلك إمامة الأئمة عليهم السلام لكافة الناس.

ومن هنا يتضح لنا وجه آخر في اقتران بعض الأئمة بنساء غير عربيات، بل من قوميات أخرى كالفارسية أو الرومية أو غيرها، كما أوردت الروايات الدالة على ذلك. فإن أم الإمام السجاد عليه السلام كانت من أصل فارسي، وكانت أم الإمام الكاظم عليه السلام من أشرف الأعاجم، وكانت أم الإمام الرضا عليه السلام من أهل المغرب، وكانت أم الإمام الجواد عليه السلام من أهل النوبة من قبيلة مارية القبطية أم إبراهيم ابن رسول الله، وكانت أفضل نساء زمانها، وأشار إليها رسول الله بقوله: بأبي ابن خير الإمام النوبية الطيبة، وكانت أم الإمام الهادي عليه السلام مغربية، ولم يكن لها مثل في الزهد والتقوى، وكانت أم الإمام الحسن العسكري في بلدها من الأشراف في مصاف الملوك، وكانت أم الإمام الحجة بنت قيصر ملك الروم، وأمها من ولد الحواريين، وتنسب إلى وصي المسيح شمعون كما سيأتي كل ذلك مفصلاً في محله.

والذي نود أن نشير إليه في هذا الوجه أن الإمامة لما كانت عامة وأن الإمام إمام لكل الناس على شتى اختلاف أعراقهم وأصولهم انحدر بعض الأئمة من جهة أمماتهم من أصول غير عربية ليكون ذلك علامة بارزة على عالمية إمامتهم، وشمولها لجميع أهل الأرض، وأن لكل من السلالات البشرية طرفاً يوصلها بهذا

الدين الإلهي العظيم، وتلك حكمة بالغة ولطف عام لكل البشر، وأما العروبة فليس لها خصوصية في حد ذاتها من حيث هي وإنما المدار في الأول والأخير التقوى.

### احتمال يفرض نفسه

ولعل هناك سرّاً آخر ينطوي تحت هذا الوجه قد تكشف عنه الأيام، نوره كاحتمال ليس إلا، إذ لا نملك دليلاً قاطعاً عليه، وإن كان في نفسه غير بعيد.

وحاصله: أنّ الإمام المهدي الموعود به على لسان النبي صلى الله عليه وآله، ونطق بذلك القرآن الكريم، وأكدت عليه الروايات المتواترة عن أهل البيت عليهم السلام سيكون له الشأن العظيم في إعلاء كلمة الله تعالى، وسيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وسيقوم بأداء مهمته في أغلب أحواله بشكل طبيعي، وإن كان يأتي بالمعجزة والكرامة تأييداً من الله تعالى، ولا شك أن تلك مهمة شاقة كما شرحتها الروايات والآيات.

وإذا كانت أم الإمام المهدي عليه السلام تنحدر من سلالة أحد أوصياء عيسى ابن مريم عليهما السلام فما يدرينا: لعل في ذلك تمهيداً وتسهيلاً لإنجاز مهمة الإمام عليه السلام في خضوع النصارى والكفار وتسليمهم له نظراً إلى أن أجداده لأمه منهم، فيحرك في نفوسهم الجانب العاطفي للرحم القائمة بينه وبينهم، الأمر الذي يختصر عليه كثيراً من الأمور وينجزها في سهولة ويسر. على أن ذلك أحد أسباب اللطف العام بأولئك النصارى حيث يكونون على مقربة من الهداية والنجاة.



يكشف الإمام السجاد عليه السلام عن أصالة نسبه من الطرفين كما روى عنه عليه السلام أنه كان يقول أنا ابن الخيرتين, يعنى جده محمداً صلى الله عليه وآله وعلياً عليه السلام وكسرى, فهو ابن خيرة العرب والعجم(1). ولم يقل ذلك للبدخ والفخر ولكن بياناً للواقع, وكأنه نظر إلى قول جده رسول الله صلى الله عليه وآله كما جاء فى المناقب وغيره:

إنّ لله من عباده خيرتين فخيرته من العرب قريش، ومن العجم فارس(2). ولقد أحسن أبو الأسود الدؤلى بقوله:

وإنّ وليداً بين كسرى وهاشم لأكرم من نيطت عليه التمام

وروى أن أمير المؤمنين عليه السلام قال للحسين عليه السلام: يا أبا عبد الله لتلدن لك منها خير أهل الأرض، فولدت على بن الحسين عليه السلام وكان يقال لعلى بن الحسين عليه السلام: ابن الخيرتين، فخيرة الله من العرب هاشم، ومن العجم فارس(3).

ولو لم تكن أمه عليه السلام بهذا المستوى من الفخر والسمو لكانت مندوحة ليزيد ابن معاوية فى توهين وذم الإمام السجاد عليه السلام لاسيما فى المساجلات التى دارت بينهم فى الشام، وعادة الأعداء يتربصون الثغرات كيف ما كانت للنيل من الطرف الآخر، وقد لاحظنا كيف كان توهين هشام بن عبد الملك لزيد بن على عليه السلام، حيث قال له إنك ابن أمة كيف تروم الى الخلافة، فلم يذكر لنا التاريخ أن عيّر الإمام

ص: 347

1- (1) راجع: المصدر نفسه.

2- (2) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج 3 ص 305.

3- (3) راجع: الكافى، الكلينى، ج 1 ص 467.

السجادة عليه السلام بسبب أمه لا من يزيد ولا من غيره فهذا يعبر بلا ريب من أن أمه عليه السلام من النساء العارفات الفاضلات ذات المكانة العالية في جميع الأصعدة، وقد كشف عن ذلك المعصوم الذي ينطق عن واقع لا يشوبه أدنى شك بقوله أنا ابن الخيرتين.

### من كلام المفرضين

ذكروا أن من أسباب دخول الفرس للشيعة إصهار الحسين عليه السلام إلى الفرس؛ لأنه تزوج ابنة يزدجرد وهو أحد الملوك الساسانيين واسمها شاه زنان فولدت له علي بن الحسين الذي اجتمعت فيه الخواص الوراثية للأكاسرة وخواص الإمامة من آبائه كما يقول صاحب تاريخ الإسلام: إن زواج الحسين بن علي بشهر بانواه إحدى بنات يزدجرد آخر ملوك الأسرة الساسانية، وإن الفرس كانوا يرون في أولاد الحسين وارثين لملوكهم الأقدمين، وهذا الشعور الوطني يفسر تعلق الفرس بعلي من جهة وظهور المذهب الشيعي من جهة أخرى (1).

وفي ذلك تقول سميرة الليثي معقبة على رأي أرنولد توينبي في انتشار الإسلام بين الفرس، الذي أدى إلى انتشار الإسلام هو زواج الحسين من شاه بانو إحدى بنات يزدجرد وقد رأى الفرس في أولاد شاه بانو والحسين وارثين لملوكهم الأقدمين (2).

فزواج الحسين على رأي هؤلاء أحد العوامل التي أدت إلى انتشار التشيع لأهل البيت عليهم السلام عند الفرس.

ص: 348

1- (1) تاريخ الإسلام، لحسن إبراهيم، ج 1 ص 222.

2- (2) الزندقة والشعبية، ص 56.

إنّ من القواعد المسلم بها أنّ حكم الأمثال فيما يجوز أو لا يجوز واحد، وبناء على هذا فإنّ العلة التي ذكرها هؤلاء في اعتناق التشيع من قبل الفرس وهي إصهار الحسين عليه السلام للفرس موجودة عند عبد الله بن عمر بن الخطاب، وعند محمد بن أبي بكر، فقد تقدم أنّ الصحابة لما جاؤوا بسبي فارس في خلافة الخليفة الثاني كان فيهم ثلاث بنات ليزدجرد فأخذهن على، فدفعت واحدة لعبد الله بن عمر، وأخرى لولده الحسين، وأخرى لمحمد بن أبي بكر، فأولد عبد الله بن عمر ولده سالمًا، وأولد الحسين زين العابدين، وأولد محمد ولده القاسم، فهؤلاء أولاد خالة وأمهاتهم بنات ليزدجرد(1).

وهنا نسأل إذا كانت العلة في دخول الفرس للتشيع هي مصاهرة الحسين عليه السلام للفرس فلماذا لا تطرد هذه العلة فيتسنن الفرس لاصهار عبد الله بن عمر لهم ومحمد بن أبي بكر كذلك؟ مع أن العلة هنا أقوى وأكد حيث يجتمع اثنان بالاصهار وليس واحداً كما هي في الحسين عليه السلام، وكل من محمد وعبد الله أبناء خليفة كما كان الحسين ابن خليفة. بالإضافة لذلك إن كلاً من يزيد بن الوليد ابن عبد الملك وأمه شاه فرند بنت فيروز بن يزدجرد ومروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية أم ولد من كرد إيران فلماذا لا تطرد العلة هنا أيضاً وبالعكس لماذا لا يميل العرب السنة لأهل البيت الذين أمهاتهم عربية في حين نجد قسماً من العرب يبغض أهل البيت كالنواصب مثلاً(2).

ص: 349

- 
- 1- (1) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، ج 3 ص 267. تاريخ المذاهب الإسلامية ج 1 ص 40.
  - 2- (2) انظر: هوية التشيع، الشيخ أحمد الوائلي، ص 76.

ذكر بعض المؤرخين أنّ السيدة شهر بانويه كانت حاضرة في معركة كربلاء مع زوجها الحسين عليه السلام وأهل بيته، فقد ورد في كلام طويل عن حال خروج الحسين عليه السلام وأهل بيته إلى كربلاء، إلى قوله... ثم خرج شاب آخر وهو يقول: تنحوا عنى يا بنى هاشم، تنحوا عن حرم أبى عبد الله عليه السلام، فتنحى عنه بنو هاشم، وإذا قد خرجت امرأة من الدار وعليها آثار الملوك، وهى تمشى على سكينه ووقار، وقد حفت بها إماؤها، فسألت عنها؟ فقيل لى: أما الشاب فهو زين العابدين ابن الإمام الحسين عليهما السلام، وأما المرأة فهى أمه شاه زنان بنت الملك كسرى، زوجة الإمام الحسين عليه السلام، فأتى بها وأركبها على المحمل، ثم اركبوا بقية الحرم والأطفال على المحامل(1).

وأيضاً التقطت لنا عدسة التاريخ ذكرها في كربلاء في حال براز بنى هاشم الى القتال حيث قال: وخرج غلام من خباء من أخبية الحسين عليه السلام وفي اذنيه درتان فاخذ يعود من عيدانه وهو مذعور فجعل يلتفت يميناً وشمالاً وقرطاه يتذبذبان فحمل عليه هانى بن ثبيت الحضرمى فضربه بالسيف فقتله، فصارت أمه شهر بانويه تنظر إليه ولا تتكلم كالمدهوشة(2).

كما وجاء في المناقب عن ابن آشوب قال: ثم تقدم على بن الحسين

ص: 350

1- (1) أنظر: موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام ص 362.

2- (2) أنظر: لواعج الأشجان، السيد محسن الأمين، ص 181.

الأكبر عليه السلام وهو ابن ثمان عشرة سنة، ويقال ابن خمس وعشرين، وكان يشبه رسول صلى الله عليه وآله خَلَقاً وَخُلُقاً وَنَطْقاً وجعل يرتجز... الى أن قال: فطعنه مرة بن منقذ العبدى على ظهره غدرأ فضربوه بالسيف، فقال الحسين: على الدنيا بعدك العفا، وضمه إلى صدره وأتى به إلى باب الفسطاط، فصارت أمه شهر بانويه وهى تنظر إليه ولا تتكلم، فبقى الحسين وحيداً وفي حجره على الأصغر فرمى إليه بسهم فأصاب حلقه، فجعل الحسين يأخذ الدم من نحره فيرميه إلى السماء فما يرجع منه شيء... الخ(1).

ومن هنا نلاحظ أنّ بعض المحققين المعاصرين اتخذ من هذا النص التاريخى شاهداً على جهاد الإمام السجاد عليه السلام فى كربلاء بين يدى والده عليه السلام، حيث قال: من المعلوم أنّ أم على الشهيد هى ليلى العامرية أوبرة بنت عروة الثقفى (كما يراه ابن شهر آشوب) والمعروف أن (شهر بانويه) هى أم على بن الحسين عليه السلام، فلا بد أن يكون قد سقط من عبارة مناقب شهر آشوب ذكر مبارزة على بن الحسين السجاد عليه السلام، وبهذا يكون شاهداً على ما نحن بصدده.

(قال) ومن المحتمل أن تكون العبارة مقدمة على موضعها فى مقتل على الأصغر الذى ذكره ابن شهر آشوب بعد هذا النص المنقول، لأن ابن شهر آشوب ذكر أن أم على السجاد هى أم على الأصغر شهر بانورضى الله عنها(2).

فعلى هذا أنّ السيدة شهر بانويه شاهدت المأسى والآلام سواء فى أحداث

ص: 351

- 
- 1- (1) أنظر: مناقب آل أبى طالب، ابن شهر آشوب، ج 3 ص 257.
  - 2- (2) أنظر: جهاد الإمام السجاد ع، السيد محمد رضا الجلالى، ص 43.

الطف من استشهاد زوجها الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه وما جرى عليها من ترويع وعطش وما إليه، أم في حال سببها مع ابنها السجاد عليه السلام من بلد إلى بلد وإدخالها في مجلس إلى مجلس ولا تُعرف عاقبة مصيرهم، مع رؤيتها ابنها في حال يرثى له وهو يُؤمر بقتله بين حين وآخر، وهذا مما لا يقل مأساة عن أحداث الطف وما جرى فيه.

## زمان وفاتها

لم نلاحظ اهتماماً في تتبع سيرتها ومزاياها من قبل المؤرخين وأصحاب السير إلا من القلائل لاسيما من بعض المحدثين، لذلك حصل اختلاف وخلط في تحديد زمان وفاتها عليها السلام، فمنهم ذكروا أنّها عليها السلام توفيت قبل واقعة الطف، بل في حال نفاسها بالإمام السجاد عليه السلام، كما جاء في العيون عن سهل بن القاسم النوشجاني، قال: قال لي الرضا عليه السلام بخراسان: إنّ بيننا وبينكم نسباً، قلت: وما هو أيها الأمير؟ قال: إن عبد الله بن عامر بن كريز لما افتتح خراسان أصاب ابنتين ليزدجر بن شهريار ملك الأعاجم فبعث بهما إلى عثمان بن عفان فوهب إحداهما للحسن عليه السلام والأخرى للحسين عليه السلام فماتتا عندهما نفساوين وكانت صاحبة الحسين عليه السلام نفسها بعلى بن الحسين عليهما السلام فكفل عليّ عليه السلام بعض أمّهات ولد أبيه فنشأ وهو لا يعرف أمّاً غيرها، ثم علم أنّها مولاته فكان الناس يسمونها أمه وزعموا أنّه زوج أمه ومعاذ الله إنما زوج هذه على ما ذكرناه وكان سبب ذلك أنه واقع بعض نسائه ثم خرج يغتسل فلقىته أمه هذه فقال: لها إن كان في نفسك من هذا الأمر شيء فاتقي وأعلميني فقالت: نعم فزوجها فقال الناس زوج علي بن

الحسين عليه السلام أمّه. وقال لى عون قال لى سهل بن القاسم: ما بقى طالبي عندنا إلا كتب عنى هذا الحديث عن الرضا عليه السلام(1).

وأما الروايات التى تدل على اهتمام الإمام السجاد عليه السلام فى برّ أمّه (كما سيأتى ذكرها) فالمراد من أمّه - هنا - أم ولد كانت تحضنه فكان يسميها أمّاً، وأمّا أمّه شهر بانويه فقد توفيت فى نفاسها به كما تقدم، فكفلته بعض أمّهات ولد أبيه، فنشأ لا يعرف أمّاً غيرها، ثم علم أنّها مولاته وكان الناس يسمونها أمّه.

وعليه يكون زمان وفاة السيدة شهر بانو معلوم على هذا القول من خلال ولادة الإمام السجاد عليه السلام، فقد ولد عليه السلام فى المدينة أو الكوفة فى الخامس من شعبان سنة ست أو سبع أو ثمان وثلاثين، فكما يكون هذا اليوم أو الأيام القريبة منه تاريخ لولادة الإمام السجاد عليه السلام فكذلك يكون تاريخ لرحيل أمّه السيدة شهر بانو.

ولكن منهم قال إنّها بقيت حية وشهدت أحداث عاشوراء، كما جاء فى الأخبار التى تقدم ذكرها فى حضورها كربلاء، بالإضافة إلى الروايات التى كانت تبين لنا حال احترام وبرّ الإمام السجاد عليه السلام لأمّه.

منها: ما روى أنه قيل له عليه السلام: إنك أبر الناس وأوصلهم إلى الرحم فكيف لا تؤاكل أمك؟ قال: إني أكره أن تسبق يدي إلى ما سبقت عينها إليه فأكون عاقا لها(2).

وفى رواية وكان ابنها شديد البر بها، كما ذكره أبو العباس الفاضل الحافظ

ص: 353

1- (1) عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق، ج 1 ص 135.

2- (2) الخصال، الشيخ الصدوق، ص 518.

يرفعه، قال: ما أكل على بن الحسين عليه السلام مع أمه فأكهة إلا وهي مغطاة خشية أن تمتد يده إلى ما مدت إليه عينها(1).

## محل قبرها

لم يذكر التاريخ لنا مكان قبرها، ولكن يمكن أن نثبت ذلك من خلال ولادتها للإمام زين العابدين على القول في أنها ماتت في نفاسها به عليه السلام فإذا كانت قد ولدت في المدينة كما هو المشهور فلا ريب من أن يكون قبرها بالمدينة في البقيع، أما لو قلنا ولدت في الكوفة وذلك لأنه ولد في أواخر حياة جده أمير المؤمنين وقد عاصره سنتين ومع أن الأمام كان في الكوفة بعدما تحولت العاصمة الإسلامية من المدينة إلى الكوفة وكان الخليفة آنذاك وقد كان الحسن والحسين عليهما السلام معه كما هو ثابت، ولم يوجد خبر أن الحسين عليه السلام ذهب إلى المدينة أو استقر هناك، فعليه يكون قبرها بالكوفة؛ لأن ولادة الإمام زين العابدين عليه السلام في الكوفة وهي ماتت في حال نفاسها به كما تقدم، وأما على القول الثاني من أنها ماتت بعد أحداث الطف، فأيضاً يكون أقرب الأقوال من أن قبرها في المدينة؛ لأنها بقيت مع ابنها السجاد عليه السلام وهو لم يفارق مدينة جده، بل استقر فيها إلى أن وافاه الأجل وقد دفن فيها.

ولكن هناك قول ثالث ضعيف تعارف عليه الناس إلى زماننا هذا من أن قبرها في طهران عاصمة الجمهورية الإسلامية الإيرانية ولها مزار يقصده الناس وتطلب حوائجها وهو إلى اليوم معلوم لقاطنيها، ولكن لم نعثر على دليل يثبت

ص: 354



ذلك لا من التاريخ ولا من غيره، إلا أنّ الناس يقولون هذا قبر أمّ الإمام زين العابدين عليه السلام والله العالم، نعم قد ذكر البعض أنّ جماعة تعتقد أنّ السيدة شهربانوبقيت على قيد الحياة إلى ما بعد أحداث كربلاء سنة (60) للهجرة ومن ثم جاءت نحو إيران وفيها توفيت ودفنت قريب من شهر رى(1).

## السجاد يزوج حاضنته

كان الإمام السجاد عليه السلام يدعو خدمه كل شهر ويقول: إني قد كبرت ولا أقدر على النساء فمن أراد منكن التزويج زوجتها، أو البيع بعثها، أو العتق أعتقتها، فإذا قالت إحداهن: لا، قال: اللهم اشهد حتى يقول ثلاثاً، وإن سككت واحدة منهن قال لنسائه: سلوها ما تريد، وعمل على مرادها(2). ومن جملة هذه النسوة حاضنته التي كان الناس يسمونها أمه حتى زعموا أنّه زوج أمه، أو التي كانت ترعاه وتخدمه بشكل مباشر حتى عرفت كأّمه، هذا مع غض النظر عن صحة وثبوت هذه القصة، وكان سبب تزويج حاضنته أنّه واقع بعض نسائه ثم خرج يغتسل فلقبته أمة (حاضنته) هذه فقال: لها إن كان في نفسك من هذا الأمر شيء فأتقني وأعلميني فقالت: نعم فزوجها فقال الناس زوج علي بن الحسين عليه السلام أمّه حتى أن بعض ملوك بني أمية (عبد الملك بن مروان) أرسل إليه يعاتبه في ذلك، ولم تكن أمّه إنما كانت حاضنته. ولم يكن أهل المدينة يرغبون في نكاح الجوارى حتى ولد علي بن الحسين فرغبوا فيهن.

ص: 355

1- (1) أنظر: ماداران جهارده معصوم عليهم السلام، أحمد أمير بور، ص 163.

2- (2) الأنوار البهية، الشيخ عباس القمي، ص 116.

إشارة

ليلى بنت عروة بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف. يكنى بأبي مرة. فعروة بن مسعود الثقفي زعيم من زعماء العرب وسيد ممن ساد قومه فأحسن السيادة، وهو رابع من أربعة من العرب سادوا قومهم، كما ورد ذلك عن النبي صلى الله عليه وآله في قوله: «أربعة سادة في الإسلام: بشر ابن هلال، وعدى بن حاتم، وسراقة المدلجي، وعروة بن مسعود الثقفي(1)». وهو أحد الرجلين العظيمين الذي قالت قريش فيهما، حيث بالغوا به وتطرفوا إذ عظّموه تعظيماً على حساب النبي صلى الله عليه وآله ليجعلوا منه شخصية تضاهي النبي الأعظم كما حكى القرآن عن ذلك بقوله: (وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْشِيِّينَ عَظِيمٍ) 2 , والقريتان هما مكة والطائف.

نعم كان شخصية مرموقة لكن أباي أن يكون انتهازياً كغيره من المرتزقة، بل كان شجاعاً وجريئاً وقد صمم على أن يدعو قومه للإسلام بعدما أسلم وأحسن على يد الرسول صلى الله عليه وآله عندما اتبع أثره من الطائف وأدركه قبل دخوله مكة فقد ذكروا: «لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الطائف اتبع أثره عروة بن مسعود بن معتب حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة فأسلم وسأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يرجع إلى قومه بالإسلام فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

ص:356

وسلم إن فعلت فإنهم قاتلوك فقال يا رسول الله أنا أحب إليهم من أبصارهم وكان فيهم محبباً مطاعاً فخرج يدعو قومه إلى الإسلام فآظهم دينه رجاء ألا يخالفوه لمنزلته فيهم فلما أشرف على قومه وقد دعاهم إلى دينه رموه بالنبل من كل وجه فأصابه سهم فقتله(1).

وفى لفظ آخر: أنه رضى الله تعالى عنه قدم الطائف عشاءً فجاءته ثقيف يسلمون عليه فدعاهم إلى الإسلام نصح لهم فعصوه وأسمعوه من الأذى ما لم يكن يغشاه منهم فخرجوا من عنده حتى إذا كان السحر وطلع الفجر قام على غرفة فى داره وتشهد فرماه رجل من ثقيف بسهم فقتله، فقيل له قبل أن يموت ما ترى فى دمك فقال كرامة أكرمنى الله بها وشهادة ساقها الله إلى فليس فى إلا ما فى الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يرتحل عنكم فادفنونى معهم فدفنوه معهم(2).

وقد قال فى حقه النبى صلى الله عليه وآله: إن مثله فى قومه كمثل صاحب يس فى قومه(3). حيث دعى قومه إلى الله فقتلوه، فهنا ذكر النبى صلى الله عليه وآله حسن عاقبته وخاتمة مطافه إلى الحق تعالى.

كما قد شبّهه صلى الله عليه وآله بالمسيح ابن مريم عليه السلام فى صورته حيث قال صلى الله عليه وآله: عرض على الأنبياء عليهم السلام فإذا موسى ضرب من الرجال كأنه من رجال شنوءة ورأيت عيسى ابن مريم فإذا أقرب من رأيت به شبهاً عروة بن مسعود ورأيت

ص: 357

1- (1) راجع: الاستيعاب، ابن عبد البر ج 3 ص 1066.

2- (2) راجع: السيرة الحلبية، الحلبي، ج 3 ص 241.

3- (3) راجع: السيرة النبوية، ابن كثير، ج 4 ص 54.

إبراهيم عليه السلام فإذا أقرب من رأيت به شبهاً صاحبكم يعنى نفسه صلى الله عليه وآله (1).

وأما أمها: فهي ميمونة بنت أبي سفيان صخر بن حرب ابن أمية، أى أنّ أبا سفيان يُعدّ جداً لليلى، ولكن شوائب أمية لم تمس من ليلى أو تؤثر فيها، فهي من سلالة الأمجاد والمكارم من آل مسعود، فقد ترك أبوها فى نفسها آثار الهدى والإيمان والاستقامة على الدين الحنيف إلى أن أصبحت عضواً مميزاً فى العائلة الهاشمية.

وقد ولدت ليلى للإمام الحسين عليه السلام علياً الأكبر أول شهيد من بنى هاشم يوم عاشوراء، ولقد استمد الشهيد (على الأكبر) أمجاده من جهة الأب سادة قريش وزعماء العرب، ومن جهة الأم من مفاخر العرب ثقيف.

### حضور ليلى فى كربلاء

هناك جملة من النصوص والقرائن تؤكد وجود ليلى (أم على الأ-كبر) فى كربلاء، وكلامنا هنا ليس من باب الادعاء حتى يلزمنا الإتيان بالبينة، بل هذا يلزم الطرف الآخر الذى يدعى عدم وجودها فى كربلاء؛ لأن من المسلم والثابت أنّ الحسين عليه السلام وأهل بيته ونساءه (شاء الله أنّ يراهن سبايا) (2) وصحبه حلّوا فى كربلاء وجرى ما جرى، فمن أنكر حضورها معهم يلزمه البينة؛ لأنه أصبح مدّعياً وحينئذٍ تلزمه البينة، ومع الأسف إنّ الذين أدعوا عدم وجودها وحضورها فى كربلاء لم يبرهنوا لا من بعيد ولا من قريب، نعم صادروا بقولهم: لم يذكر

ص: 358

1- (1) راجع: الاستيعاب، ابن عبد البر، ج 3 ص 1067.

2- (2) راجع: مختصر بصائر الدرجات، الحسن بن سليمان الحلبي، ص 132. وغيره كثير.

المؤرخون ليلي في كربلاء، وربما تنزل البعض وقال: ولم يذكر أحد في السير المعتمدة حياة ليلي أم الأ-كبر يوم الطف فضلاً عن شهودها(1). ولا أدري هل هذا يعتبر دليلاً يثبت فيه ما ذهبوا إليه؟ وحتى لو سلمنا أنهم استقرأوا واطلعوا على كل كتب التاريخ والسيرة والحديث والأنساب وغيرها من الأولين والآخرين فهو لا يكون دليلاً على إثبات المدعى الذي ذهبوا إليه؛ لأنّ عدم ذكر التاريخ لها لا يلزم منه بالضرورة عدم وجودها في كربلاء، حتى لو قلنا إنّ ذكر بعض نساء الحسين عليه السلام وبناته، لأنّ إثبات الشيء لا ينفي ما عداه، حيث لم نجد ملازمة إطلاقاً، مع أنّ التاريخ لم يعط اهتماماً إلى ذكر المرأة على مرّ التاريخ، لاسيما وأنّ نساء أهل البيت عليهم السلام يتمتعن بالعفة والحشمة ومهما أمكن يتعدن عن الأنظار وغيرها، وربما يتعذر على الحاضرين أن يميزوا بينهن أو يعرفوا أسماءهنّ إلا أن يستعينوا بأقرب الناس إليهن. ومع هذا كله فقد ذكر التاريخ حضورها في كربلاء ومشاركتها المآسى والآلام مع زوجها عليه السلام وأولادها وكانت جزءاً من الثورة الحسينية في المبادئ والأهداف والعواطف، ونذكر ذلك كي تقرّ به عين القارئ الكريم مراعين الاختصار والإيجاز؛ لأنّه ليس مورد بحثنا.

### من الأدلة على حضور ليلي في كربلاء

إضافة إلى ما تقدم فقد ذكروا عندما أراد الإمام الحسين عليه السلام الرحيل إلى كربلاء أمر بحمل نسائه معه فكانت كل امرأة يركبها ابنها أو المقرب لها المحمل

ص: 359

---

1- (1) راجع: نفس المهموم، الشيخ عباس القمي، ص 167. وقاموس الرجال، المحقق التستري، ج 7 ص 422. والملحمة الحسينية، العلامة الشهيد مطهري، ج 1 ص 18.

ومن جملة هذه النسوة ليلي حيث أركبها ابنها على الأكبر, كما قال الراوى... ثم خرج غلام آخر كأنه البدر الطالع، ومعه امرأة، وقد حفت بها إماؤها، فأركبها ذلك الغلام المحمل، فسألت عنها وعن الغلام، فقيل لى: أما الغلام فهو على الأكبر ابن الحسين عليه السلام، والامرأة أمه ليلي زوجة الحسين عليه السلام(1).

وأيضاً جاء ذكرها فى جملة النساء اللاتى وقفن وشاهدن أبناءهنّ فى كربلاء, حيث قال: على بن الحسين عليهما السلام فإن أمه ليلي واقفة تدعوه فى الفسطاط على ما روى فى بعض الأخبار، وتراه يقطع وتنظر إليه(2).

وأيضاً ورد عن حكيم بن داود, عن سلمة, قال حدثنى أيوب بن سليمان بن أيوب الفزارى, عن على بن الحزور, قال: سمعت ليلي وهى تقول: سمعت نوح الجن على الحسين بن على عليه السلام وهى تقول:

يا عين جودى بالدموع فإنما يبكى الحزين بحرقة وتفجع

يا عين ألهاك الرقاد بطيبه من ذكر آل محمد وتوجع

باتت ثلاثاً بالصعيد جسومهم بين الوحوش وكلهم فى مصرع(3)

ولا أقل نستفيد من هذا النص, أنّها باقية على قيد الحياة إلى ما بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام.

وهناك روايات وردت فى حال مصرع على الأكبر والعزاء له تحتوى قرائن

ص:360

1- (1) راجع: موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام, لجنة الحديث فى معهد باقر العلوم عليه السلام, ص 362.

2- (2) راجع: أبصار العين فى أنصار الحسين عليه السلام, الشيخ محمد السماوى, ص 224.

3- (3) كامل الزيارات, جعفر بن محمد بن قولويه, ص 192.

جلية من أنّ المراد من المرأة التي خرجت ونادت وبكت هي أمه ليلي، نذكر واحدة منها وهي ما جاء عن حميد بن مسلم والذي هو أحد الذين حضروا المعركة ونقلوا أخبارها ويعتبر في اللسان المعاصر صدّحفي أو مراسل أو شاهد عيان مع غض النظر عن طبيعة انتمائه، فقال حميد بن مسلم: فكأنني أنظر إلى امرأة خرجت مسرعة كأنها الشمس الطالعة تنادي بالويل والشبور، وتقول: يا حبيباه يا ثمرة فؤاده، يا نور عيناه؟ فسألت عنها فقيل: هي زينب بنت علي عليهما السلام وجاءت وانكبت عليه فجاء الحسين عليه السلام فأخذ بيدها فردها إلى الفسطاط وأقبل عليه السلام بفتياناه وقال: احملوا أحاكم، فحملوه من مصرعه فجأؤوا به حتى وضعوه عند الفسطاط الذي كانوا يقاتلون أمامه (1).

والملاحظ هنا أنّ التعبير ب - (يا ثمرة فؤاده) يشير إلى أنّها تندب ولدها وليس ابن أخيها؛ لأنّ ثمرة الفؤاد تدل على الولد، سواء في لسان الأحاديث أم في اللغة، كما ورد عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله على خديجة حين مات القاسم ابنها وهي تبكي فقال لها: ما يبكيك؟ فقالت: درت دريرة فبكيت، فقال: يا خديجة أما ترضين إذا كان يوم القيامة أن تجيئي إلى باب الجنة وهو قائم فيأخذ بيدك فيدخلك الجنة وينزلك أفضلها وذلك لكل مؤمن، إنّ الله عز وجل أحكم وأكرم أن يسلب المؤمن ثمرة فؤاده ثم يعذبه بعدها أبداً (2). وغيرها من الروايات التي تفسر ثمرة الفؤاد بالولد. وقد جاء في اللغة كما في تاج العروس أنّ الولد ثمرة القلب. وفي الحديث: إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته: قبضتم

ص: 361

1- (1) راجع: أبصار العين في أنصار الحسين، الشيخ محمد السماوي، ص 224.

2- (2) راجع: الكافي، الشيخ الكليني، ج 3 ص 218.

ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم. قيل للولد: ثمرة لأن الثمرة ما ينتجها الشجر، والولد ينتج الأب. وقال بعض المفسرين في قوله تعالى: (وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ) أى: الأولاد والأحفاد(1). وعليه نقول ربما اشتبه الأمر على الراوى فى تعيين اسم المرأة لاسيما فى ساحة الوغى حيث يصعب التأكيد على الجزئيات، بالإضافة إلى ما تقدم من عدم تمييز ومعرفة نساء أهل البيت عليهم السلام، مع أنهم محجوبون عن أنظار الناس حتى فى حال معركة الطف، فيصعب تشخيصها ومعرفة لا من الراوى ولا من غيره، ولعل إطلاق اسم السيدة زينب فى الجواب لكونه كان هو المعروف والمتداول لدى الجميع، فعلى هذا ليس من البعيد أن المراد بالمرأة هنا هى أمة ليلى. والمحصل من كل ما تقدم أن حضور السيدة ليلى فى كربلاء وبقائها على قيد الحياة الى ما بعد ذلك أمر ثابت ولا غبار عليه.

## 2 - الرباب (أم عبد الله الرضيع)

هى الرباب بنت امرء القيس بن عدى بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم ابن جناب بن كلب. وكان امرء القيس زوج ثلاث بناته فى المدينة من أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام، المحياة بنت امرء القيس للإمام على عليه السلام وسلمى بنت امرء القيس للإمام الحسن عليه السلام، والرباب بنت امرء القيس للإمام الحسين عليه السلام، فكانت الرباب عند الحسين عليه السلام وولدت له سكينه وعبد الله الرضيع الذى كان من جملة الشهداء فى الطف. وأمها، هند الهنود بنت الربيع بن مسعود ابن مصاد بن حصن بن كعب، كانت من خير النساء وأفضلهن.

ص:362



والرباب هي التي يقول فيها أبو عبد الله الحسين عليه السلام

لعمرك إنني لأحب دارا تحل لها سكينه والرباب

أحبهما وأبذل جل مالي وليس لعاتب عندي عتاب(1)

وقال ابن عساكر هي التي أقامت على قبر الحسين عليه السلام حولاً، ثم قالت:

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر

وسكينه اسمها آمنة أو أميمة وإنما سكينه لقب لقبتها أمها الرباب بنت امرئ القيس، ولما توفي الحسين خطبت الرباب وألح عليها فقالت ما كنت لأتخذ حمواً بعد ابن رسول الله عليه السلام فلم تتزوج وعاشت بعده سنة لم يظلمها سقف بيت حتى بليت وماتت كمدماً وكانت من أجمل النساء وأعقلهن(2).

وقال المسعودي والإصبهاني والطبري وغيرهم: إن الحسين لما آيس من نفسه ذهب إلى فسطاطه فطلب طفلاً له ليودعه، فجاءته به أخته زينب، فتناولته من يدها ووضعها في حجره، فبينما هو ينظر إليه إذ أتاه سهم فوقع في نحره فذبحه قالوا: فأخذ دمه الحسين عليه السلام بكفه ورمى به إلى السماء وقال: اللهم لا يكن أهون عليك من دم فصيل، اللهم إن حبست عنا النصر من السماء فاجعل ذلك لما هو خير لنا: وانتقم لنا من هؤلاء الظالمين، فلقد هون ما بي أنه بعينك يا أرحم الراحمين قالوا: فروى عن الباقر عليه السلام: أنه لم تقع من ذلك الدم قطرة إلى الأرض(3).

ص: 363

1- (1) راجع: مقاتل الطالبين، أبو فرج الاصفهاني، ص 59.

2- (2) راجع: تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج 69 ص 120.

3- (3) راجع: حاشية مقتل الحسين عليه السلام، أبو مخنف الأزدي، ص 172.

## محتويات الكتاب

الإهداء 4

مقدمة اللجنة العلمية 7

المقدمة 10

التمهيد 15

آثار الأم على الجنين 15

دور الأم 16

الصفات الوراثية 19

الصفات الوراثية السلبية 24

الآثار الوراثية لشرب الخمر 25

الأرحام الطاهرة 28

آثار الأرحام الملوثة 31

اختيار الزوجة 34

ص: 364

طهارة أمّهات الأئمة 36

من آثار الحمل بالمعصوم 40

أسماء المعصومين وأمّهاتهم فى صحيفة الزهراء عليها السلام 41

إهمال التاريخ لأمّهات الأئمة عليهم السلام 43

الفصل الأول 49

آمنة بنت وهب أم النبى الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم 49

النسب الطاهر 51

نبذة عن أبناء كلاب 53

تقرش قریش 56

الكمالات العالية للسيدة آمنة 57

طهارتها وإيمانها بالله 61

مكر اليهود فى إطفاء النور المحمدى 64

موقف من بسالة عبد الله 67

يمكرون ويمكر الله 68

زواج السيدة آمنة من عبد الله 70

وهب يرغب فى تزويج عبد الله 70

فاطمة زوجة عبد المطلب تصف آمنة 72

عقد القران بين عبد الله وآمنة 73

ص: 365

وفاة زوجها عبد الله ورثاؤها عليه 75

آمنة وعاء نور النبي الخاتم 76

شغف النساء بنور النبي صلى الله عليه وآله 79

الرواية الأولى 80

الرواية الثانية 80

الرواية الثالثة 81

الجمع بين الروايات 82

الصحيح 83

مشهد من إيمان عبد الله 84

عملية اغتيال فاشلة 85

إرهاصات في حملها وولادتها للنبي صلى الله عليه وآله 88

تاريخ ولادتها للنبي صلى الله عليه وآله 91

وفاتها ومحل قبرها 92

زيارة النبي لقبرها وإحيائها له 96

تحريف الحقائق 98

والصحيح 101

مرضعات النبي صلى الله عليه وآله 104

1 - حليلة السعدية 104

زوج حليلة السعدية 107

2 - ثوية 107

طهارة آباء النبي صلى الله عليه وآله 108



علماء السنة على ثلاثة آراء 108

الشيعة الإمامية 113

محاولة فاشلة 116

والجواب 116

خلاصة الأدلة على إيمان آباء النبي صلى الله عليه وآله 117

استغفار إبراهيم عليه السلام لأبيه 120

والجواب 120

إشكال وجواب 121

الجواب 122

الفصل الثاني 127

فاطمة بنت أسد أم الإمام علي عليهما السلام 127

النسب الطاهر 129

إيمانها بالله والرسول 130

مكاتها عند الله ورسوله 132

فاطمة بنت أسد أم النبي الثانية 134

مشهد من كرم بنى هاشم 137

زواجها من أبي طالب 138

مشهد من إيمان أبي طالب 140

أبو طالب رمز الإيمان 143

الأول: الروايات الواردة بحقه 143

الثاني: أشعاره في نصرة النبي وتأيدته 146



الثالث: موافقه من الرسول ودفاعه عنه 147

الرابع: وصية أبي طالب عند وفاته بالنبي صلى الله عليه وآله 151

الخامس: قول النبي بحقه 152

أولادها 153

إسلام طالب ابن أبي طالب 154

الأدلة على إيمان طالب بن أبي طالب 155

أشعاره ومواقفه تجاه النبي صلى الله عليه وآله 155

الروايات الدالة على إسلام طالب 158

استشهاد طالب بن أبي طالب 159

نبذة عن عقيل بن أبي طالب 160

عقيل ينتصر على معاوية 161

نبذة عن جعفر بن أبي طالب 164

أبو طالب يبشر زوجته بالوصي 165

فاطمة بنت أسد وعاء نور الوصي 166

الكعبة تستقبل فاطمة بنت أسد 169

فاطمة وبعليها يسألان الله في تسمية علي عليه السلام 173

وفاتها ومحل دفنها 174

النبي يصلي على فاطمة بنت أسد 176

النبي يدفن فاطمة بنت أسد 176

زيارة خاصة لفاطمة بنت أسد 179

الفصل الثالث 183





خديجة بنت خويلد أم السيدة فاطمة عليهما السلام 183

النسب الطاهر 185

الأسرة الكريمة 187

دور آباء خديجة 189

مميزات خويلد والد السيدة خديجة عليها السلام 191

خويلد على خط الأنبياء 195

دين السيدة خديجة قبل الإسلام 196

الصفات الكمالية للسيدة خديجة 197

من صفاتها السخاء 199

من صفاتها العلم 200

رؤيا نورانية صادقة 201

من صفاتها الرواية 202

من صفاتها الشعر 203

إيمانها برسول الله قبل زواجها منه 204

زواجها من رسول الله 206

أبو طالب خاطب خديجة للنبي صلى الله عليه وآله 208

هل تزوجت خديجة قبل النبي صلى الله عليه وآله 209

سبب زواجها من النبي صلى الله عليه وآله 212

ص: 369

عمر خديجة حين زواجها 214

مقدار مهر السيدة خديجة 215

من هو الذى عين مهر خديجة 217

أولادها 219

فاطمة البنت الوحيدة للنبي صلى الله عليه وآله 220

سبب تصدى السيدة خديجة للتجارة 226

مصادر أموال السيدة خديجة 228

هل كان النبي أجيراً عند خديجة 231

زيف القول 233

والجواب 234

تصيد بالماء العكر 235

منزلة خديجة عند الله 236

مكاتها عند النبي صلى الله عليه وآله 238

سبق إسلامها 240

النبي يعلم خديجة الوضوء والصلاة 242

خديجة وعاء لأم الأئمة 243

نساء الجنة يحضرن خديجة فى مخاضها 245

خديجة مربية لأمير المؤمنين عليه السلام 246

خديجة عند احتضارها 247

ص: 370

من وصايا خديجة للنبي صلى الله عليه وآله 249

اهتمامها بفاطمة عليها السلام 250

النبي يجهزها 251

وفاتها ومحل دفنها 252

التبرك بقبر خديجة ومنزلها 254

استحباب زيارة قبر خديجة الكبرى 254

أزواج النبي صلى الله عليه وآله 256

الفصل الرابع 259

فاطمة بنت محمد أم الحسين عليهم السلام 259

مولدها المبارك 261

كيفية ولادة فاطمة عليها السلام 264

انعقاد نطفة فاطمة من ثمار الجنة 266

من الأدلة على عصمة فاطمة عليها السلام 268

أما الكتاب 269

تقريب الاستدلال بالآية 270

أما السنة 271

مكانة الزهراء عليها السلام 274

أكابر قريش تخطب فاطمة عليها السلام 276

ص: 371

الله يأمر بتزويج فاطمة من على عليهما السلام 278

فلسفة زواج فاطمة من على عليهما السلام 280

مقدار مهر فاطمة 282

تاريخ زواج فاطمة عليها السلام 284

الملائكة تحضر زفاف فاطمة عليها السلام 284

فاطمة المصداق الأكمل للزوجة وللأم الصالحة 285

كذبة بيضاء 288

حرمة الزواج على على في حياة الزهراء عليها السلام 291

إشكال وجواب 294

والجواب 294

مصحف فاطمة عليها السلام 296

أسماء فاطمة عليها السلام 299

سبب تسميتها بفاطمة 299

سبب تسميتها بالزهراء 300

سبب تسميتها بالصديقة 302

سبب تسميتها بالمباركة 305

سبب تسميتها بالطاهرة 307

تسميتها بالراضية 309

تسميتها بالمرضية 310

تسميتها بالمحدثة 311

سؤال وجواب 313



سبب تسميتها بالبتول 314

دم الحيض والنفاس نقص أم كمال؟ 315

كيفية شهادتها 318

فاطمة في حالة الاحتضار 320

فاطمة تفارق الحياة 322

تشيعها وإعفاء قبرها 323

الوداع الأخير 326

تاريخ وفاتها 327

محل دفنها 328

استحباب زيارة فاطمة عليها السلام 329

وذكرت زيارة أخرى 330

من أزواج أمير المؤمنين 331

1 - خولة الحنفية 331

من مآسى التاريخ 333

زواجها من أمير المؤمنين 334

2 - أم البنين الكلابية 336

أم البنين ترثى أولادها 337

موقف من إيمانها 338

تاريخ وفاة أم البنين عليها السلام 340

3 - ليلى النهشلية 341

4 - أسماء بنت عميس الخثعمية 341





الفصل الخامس 345

شهربانو أم الإمام السجاد عليهما السلام 345

اسمها ونسبها 347

اكاذيب واهية في نسب أم السجاد عليه السلام 348

والصحيح 349

اشكال وجواب 354

مقتل والدها يزيدجرد 355

ماقاله البلاذرى في مقتل يزيدجرد 360

تكامل صفاتها 363

على يغير اسمها 364

رسول الله يخطبها للحسين عليه السلام 366

الرؤيا في القرآن والسنة 366

الرؤيا الصادقة 370

تطبيق الرؤيا في المقام 372

موقف من عفافها وإيمانها 373

زمان سببها 376

على ينظر إلى المستقبل 378

شهربانويه تختار الحسين عليه السلام زوجاً 380

شهربانو وعاء للمعصوم 381

ص: 374

سؤال وجواب 383

والجواب 384

فلسفة أكثر أمّهات الأئمة جوار 384

الأول: التربية الإلهية لأم المعصوم 386

الثاني: محاربة الطبقة والعرقية 388

الثالث: الإسلام لكل الناس 395

احتمال يفرض نفسه 398

أنا ابن الخيرتين 399

من كلام المغرضين 400

والجواب عليه 401

مأساتها في كربلاء 402

زمان وفاتها 405

محل قبرها 407

السجاد يزوج حاضنته 408

من أزواج الحسين عليه السلام 409

1 - ليلي (أم علي الأكبر) 409

حضور ليلي في كربلاء 412

من الأدلة على حضور ليلي في كربلاء 414

2 - الرباب (أم عبد الله الرضيع) 417

محتويات الكتاب 419

ص: 375

## امهات الأئمة المعصومين عليهم السلام: دراسة تاريخيه، تحليليه، علميه المجلد 2

### اشارة

سرشناسه: أمهات الأئمة المعصومين عليهم السلام: دراسة تاريخية تحليلية علمية / تأليف الدكتور السيد حسين الموسوي الصافي؛ تقديم اللجنة العلمية السيد محمد علي الحلو. الطبعة الأولى. - كربلاء: قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة، 1436

عنوان و نام پديدآور: امهات الائمه المعصومين / تاليف سيد حسين موسوي صافي

مشخصات نشر: العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية و الثقافية

محل نشر: كربلاى معلى - عراق

سال نشر : 1436

مشخصات ظاهري: 2ج.

يادداشت: عربي.

موضوع: چهارده معصوم -- مادران - تاريخ

موضوع: زنان مقدس مسلمان -- سرگذشتنامه

ص: 1

هوية الكتاب

الموسوى الصافى، حسين.

أمهات الأئمة المعصومين عليهم السلام: دراسة تاريخية تحليلية علمية / تأليف الدكتور السيد حسين الموسوى الصافى؛ تقديم اللجنة العلمية السيد محمد على الحلوى. الطبعة الأولى. - كربلاء: قسم الشؤون الفكرية والثقافية فى العتبة الحسينية المقدسة، 1436 ق. = 2015 م.

2 ج. (قسم الشؤون الفكرية والثقافية فى العتبة الحسينية المقدسة؛ 153)

المصادر.

1. النساء المقدسات فى الإسلام سيرة. 2. الأربعة عشر معصوم أمهات. 3. فاطمة الزهراء (س)، 8 ق. هـ -- 11 هـ - العصمة. 4. النساء المقدسات فى الإسلام دفع مطاعن. ألف. الحلوى، محمد على، 1957 - م، مقدم. ب. العنوان. ج. السلسلة.

BP 52 . M85 2015

تمت الفهرسة فى مكتبة العتبة الحسينية المقدسة قبل النشر

ص: 2





الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الأنام خاتم النبيين والمرسلين وسيّد الخلق أجمعين أبي القاسم محمد وعلى الولاة من بعده الهادين المهديين.

هناك عدّة عوامل وقفت عائقاً أمام الحديث عن ذكر خصوصيات أمهات الأئمة عليهم السلام بشكل مفصل، أو لا أقل بما يليق بشأنهنّ ومقامهنّ السامى - لاسيّما أمهات المعصومين بعد السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام - فهنّ يعشنّ فى بحر من الكرامات والمعاجز، وربما من تلك العوامل هى أن التاريخ عاش وترعرع فى أحضان أعداء أهل البيت عليهم السلام، ومن الواضح لا تسنح الظروف الراهنة آنذاك فى نشر فضائل أهل البيت عليهم السلام، سواء كان من جهة الآباء أو الأمهات، نعم هناك مواقف وكرامات فرضت نفسها على التاريخ واختزلت فى أذهان الناس وانتشرت فى ربوع المعمورة وغالباً ما يتأتى هذا من جهة الرجال دون النساء لما تحيطها من ظروف اجتماعية وغيرها.

كما أنّ هناك عوامل وقفت حائلاً دون ذلك، من قبيل تحجيم دور المرأة

فى المجتمع حينذاك؛ إذ لم تحظَ بمكانة بينهم فى جميع الأصعدة، ولا نبأغ حينما نقول عانت المرأة خلال العصور التاريخية المختلفة ألواناً من الظلم والاضطهاد والتعسف فى جميع مراحل التاريخ.

نعم مع ظهور الإسلام وانتشار تعاليمه السامية، دخلت حياة المرأة مرحلة جديدة بعيدة كل البعد عما سبقها، ففي هذه المرحلة أصبحت المرأة مستقلة ومتمتعبة بكل حقوقها الفردية والاجتماعية والإنسانية، لكن بقيت هذه الرواسب الجاهلية كامنة فى أذهان الكثير لاسيما المتغترسين والمتسلطين على رقاب الناس ما يمنع من نشر فضائل النساء اللاتي خصها الله بالكرامة والتقدير، والتي فيها مواقف مشرفة تبيض فيها وجه الإنسانية والتاريخ.

وكذلك من العوامل المهمة أيضاً التي حالت دون وصول تاريخ وفضائل أمهات الأئمة المعصومين عليهم السلام هي إحراق وإتلاف مكتبات وتراث الشيعة فى مرّ العصور لاسيما فى العصور القديمة والقريبة من عصر الأئمة عليهم السلام، كحرق مكتبة الشيخ الطوسى رحمه الله والتي تعد من أكبر المكتبات فى زمانها، وما حدث على يد التتار عند دخولهم بغداد من إحراق المكتبات وإلقاء الكتب فى نهر دجلة حتى أسود ماؤه. وما جرى فى إحراق المكتبات الشيعية فى مصر على أيدي الأيوبيين.

وعليه فتاريخ أمهات الأئمة المعصومين عليهم السلام قد يكون حافلاً بذكر فضائلهن التي دونها علماء التاريخ والسير وغيرهم، ولكن بسبب ما تعرضت إليه مكتبات الشيعة على مرّ التاريخ من الإحراق والاتلاف الذى أدى بدوره إلى تضييع هذه الفضائل؛ ولذا جاء هذا الجزء من الكتاب مكماً لما جاء فى الجزء الأول بما



يرتبط بسيرة أمهات المعصومين عليهم السلام، حيث قمنا ببذل قصارى جهودنا للبحث عن هذه السيرة فى متون الكتب ومطاوئرها، حتى تسنى لنا جمع أكبر قدر ممكن من هذه السيرة العطرة، ولا ندعى لهذه الدراسة الكمال، بل هى خطوة لسد هذا الفراغ فى عالم السيرة والتاريخ، وبإدارة خير للتحقيق حولها، سائلين المولى العلى التقدير أن يتقبل منا هذا النزر القليل، وأن يوفقنا لما فيه الخير والصلاح.

المؤلف

15 / شعبان / 1432 هـ -.

ص:7



## الفصل السادس: فاطمة بنت الحسن أم الإمام الباقر عليهم السلام

إشارة

ص:9



السيدة فاطمة بنت الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام (عبد مناف) بن عبد المطلب بن هاشم، إلى آخر السلسلة الهاشمية. وقيل اسمها زينب، ولكن المشهور هو فاطمة.

وأما أمها: أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله التيمي، وهي بعد استشهاد زوجها الإمام الحسن عليه السلام تزوجها الإمام الحسين عليه السلام بوصية منه، حيث قال له بعد وفاتي تزوج بأم إسحاق، وهذا يدل على مدى مكانة هذه المرأة عند أهل البيت عليهم السلام، وقد اهتم معاوية في تزويجها لابنه يزيد قبل زواجها من الإمام الحسن عليه السلام لكن سارع أهلها في تزويجها الحسن عليه السلام عند قدومه إلى المدينة(1)، وربما هذا أحد الأسباب التي جعلت الإمام الحسن عليه السلام يوصي أخاه الحسين عليه السلام في زواجها بعده.

وأما أمها (أى جدة فاطمة بنت الحسن من أمها) فهي الجرباء بنت قسامة بن رومان من طيء، وإنما سميت الجرباء بنت قسامة لحسنها، كانت لا تقف إلى

ص: 11

---

1- (1) راجع: تاريخ مدينة دمشق، ابن عساکر، ج 8 ص 229.

جانبيها امرأة إلا- استتبح منظرها لجمالها وكان النساء يتحامين أن يقفن إلى جانبيها فشبهت بالناقاة الجرباء التي تتوقاها الإبل مخافة أن تعديها(1).

وأما إخوانها (أى إخوان فاطمة بنت الحسن عليه السلام) فهم خمسة عشر ولداً بين ذكر وأنثى: أمّا زيد بن الحسن وأختاه أم الحسن وأم الحسين أمهم أم بشير بنت أبى مسعود عقبة بن عمرو بن ثعلبة الخزرجية. وأمّا الحسن بن الحسن أمه خولة بنت منظور الفزارية. وأمّا عمرو بن الحسن وأخوه القاسم وعبد الله ابنا الحسن أمهم أم ولد. وأيضاً عبد الرحمن بن الحسن أمه أم ولد. وأمّا الحسين بن الحسن الملقب بالأثرم وأخوه طلحة بن الحسن وأختهما فاطمة بنت الحسن (أم الإمام الباقر) أمهم أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله التيمي. وأم عبد الله وفاطمة وأم سلمة ورقية بنات الحسن عليه السلام لأمهات أولاد شتى(2). وقد تركنا ذكر نسبها من جهة الأب؛ لأنهم أجل وأعرف من التعريف.

## كنيتها وألقابها

### إشارة

من عادة العرب لاسيما فى العصور القديمة كانت تستخدم الكنية بدل الاسم, وذلك فيه نوع من التعظيم والاحترام للطرف المقابل سواء كان رجلاً أم امرأة, فكانوا يقولون للرجل ولو لم يتزوج أبو فلان وللمرأة كذلك أم فلان وعادة يكون باسم الابن الأكبر, وهذا مما أيده الشرع الحنيف وجعله من المستحبات, حيث ورد أنه يستحب تكنية أهل الفضل من الرجال والنساء, سواء كان له ولد,

ص:12

1- (1) راجع: مقاتل الطالبيين, أبو الفرج الأصفهاني, ص 122.

2- (2) راجع: الإرشاد, الشيخ المفيد, ج 2 ص 20.

أم لا، وسواء كنى بولده، أم بغيره. ولا بأس بكنية الصغيرة، وإذا كنى من له أولاد، فالسنة أن يكنى بأكبرهم(1). والمشهور في كنية السيدة فاطمة بنت الحسن عليه السلام أم عبد الله، وقيل أم الحسن وقيل أم عبده.

ومن ألقابها: الصديقة الآمنة التقية المحسنة، كما سيأتى بيان ذلك مع الروايات الواردة فيها.

### الدليل على كنيها أم عبد الله

اختلف المؤرخون في اسم وكنية السيدة فاطمة بنت الحسن المكناة أم عبد الله، والسبب في ذلك هو تعدد أسماء بنات الإمام الحسن عليه السلام، حيث يتراوح عدد بناته عليه السلام إلى سبع، كما عدهم الشيخ المفيد فيما تقدم، وأم الإمام الباقر عليه السلام تحتل المرتبة الرابعة، والشيخ عدها في المرتبة الثالثة، ولا يخفى أن ثلاثاً من بنات الإمام الحسن عليه السلام باسم فاطمة؛ وذلك لشدة حب الحسن عليه السلام بأمه فاطمة الزهراء عليها السلام، فأخذ يكثر في تسمية بناته باسم أمه.

وكيف كان فإنّ الدليل الذى يعين لنا أنها فاطمة المكناة بأم عبد لله هو ما ذكر بمصحف فاطمة عليها السلام بلسان جابر وتأييد الإمام الصادق عليهما السلام، كما تقدم ذكره كاملاً فى التمهيد فقد ورد أنّه لما احتضر أبو جعفر محمد بن على الباقر عليه السلام عند الوفاة دعا بابنه الصادق عليه السلام ليعهد إليه عهداً، (الى أن يقول) قال جابر: فقرأت فإذا: أبو القاسم محمد بن عبد الله المصطفى أمه آمنة، أبو الحسن على بن أبى طالب المرتضى أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، أبو محمد الحسن

ص: 13

---

1- (1) راجع: روضة الطالبين، محيى الدين النووى، ج 2 ص 504.

ابن علي البر، أبو عبد الله الحسين بن علي التقي، أمهما فاطمة بنت محمد، أبو محمد علي بن الحسين العدل أمه شهربانو بنت يزيدجرد، أبو جعفر محمد بن علي الباقر أمه أم عبد الله بنت الحسن بن علي بن أبي طالب،... الخ(1).

### من خصوصيات فاطمة بنت الحسن عليهما السلام

تمتاز السيدة فاطمة بنت الحسن عليه السلام عن غيرها في جملة من الخصوصيات بحسب التركيبة الاجتماعية والوراثية، إضافة إلى أبعادها الروحية والإيمانية وما شهد بحقها المعصوم عليه السلام، فهي غصن من الدوحة الهاشمية، والشجرة المحمدية، حيث تكون حفيدة الإمام علي عليه السلام، وحفيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، أضف إلى ذلك المجد الشامخ، أنها قرينة الإمام السجاد عليه السلام، وهي تكون بنت عمه عليه السلام (أى بنت عم زوجها الإمام زين العابدين عليه السلام)، ووالدة الإمام الباقر عليه السلام، فقد جمعت المجد من أطرافه والفخر من أعلى سنامه إلى أن تصل إلى هاشم بن عبد مناف بن قصي. فهي بنت إمام معصوم أحد أصحاب أهل الكساء، وحفيدة معصومين، وبنت عم معصوم، وهو الإمام الحسين عليه السلام وقد كانت تحت رعايته بعد استشهاد أبيها الحسن عليه السلام، وايضا زوجة معصوم وأم معصوم، ومن ابنتها انحدرت سلسلة العصمة المباركة إلى الإمام الثاني عشر عليه السلام، وأيضا لها من الخصوصيات أنها بنت شهيد وحفيدة شهيدين، وبنت عم سيد الشهداء في كربلاء وزوجة شهيد وأخت شهيد وأم شهيد، وهي أول من تلد علويًا من علويين، وفاطمياً من فاطميين، وأول من

ص:14

---

1- (1) راجع: عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق، ج 2 ص 47. وبحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج 36 ص 193.



اجتمعت بها ولادة من الحسن والحسين عليهما السلام. جدتها فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين, وخديجة الكبرى وفاطمة بنت أسد, إضافة إلى أمها أم إسحاق, تلك المرأة الطاهرة الجليلة التي اعترف بفضلها وطهارتها حتى الأعداء, وكانت تقرن مع سيدات النساء, كما جاء عن ابن إسحاق قال: سئل أبو جعفر لما حج عبد الله ابن الحسن عن ابنه؟ فقال: لا علم لي بهما حتى تغالظا فأمصه (أى شتمه) أبو جعفر فقال: يا أبا جعفر بأى أمهاتى تمصنى أفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله, أم فاطمة بنت الحسين أم خديجة بنت خويلد أم إسحاق بنت طلحة؟ قال: ولا بواحدة منهن ولكن بالجرباء بنت قسامة بن رومان, فوثب المسيب بن إبراهيم فقال: يا أمير المؤمنين دعنى اضرب عنق ابن الفاعلة. فقام زياد بن عبد الله فألقى عليه رداءه, فقال: يا أمير المؤمنين هبه لى فأنا استخرج لك ابنه فخلصه منه (1).

## مقامها السامى

هى العلوية الطاهرة، والصديقة المخدرة، ذات علم وفقه وكمال وفضل وشرف، وحياء وعفة، العابدة الزاهدة، فقد سجل التاريخ لها مناقب وكرامات كثيرة.

منها ما رواه الشيخ الكلينى فى الكافى، عن محمد بن يحيى... معنعناً إلى أن يصل إلى الإمام أبى جعفر الباقر عليه السلام، قال: كانت أمى قاعدة عند جدار فتصدع الجدار وسمعنا هده فقالت بلسانها وأومأت بيدها: لا وحق المصطفى ما أذن الله لك بالسقوط، فبقى معلقاً فى الجو حتى جازته، فتصدق أبى عنها بمائة دينار (2).

ص: 15

1- (1) مقاتل الطالبين, أبو الفرج الأصفهاني, ص 145.

2- (2) الكافى, الكلينى, ج 1 ص 469.

وأيضاً ذكر الرواة أن أم الإمام الباقر عليه السلام كانت على مرتبة عالية من الجلال والكمال.

يقول المحدث القمي: أمه (أى الإمام الباقر عليه السلام) الماجدة فاطمة بنت الإمام الحسن المجتبي فأصبح عليه السلام ابن الخيرتين، وعلوياً بين العلويين(1).

وذكرها الصادق عليه السلام يوماً فقال: كانت صديقة لم يدرك فى آل الحسن امرأة مثلها(2). وكانت من الرواة كما ورد عنها جملة من الروايات، كما سيأتى فى محله.

## الزواج الميمون

### إشارة

بعد نصف قرن تقريباً من الهجرة النبوية المباركة، تم زواج الإمام السجاد عليه السلام من ابنة عمه فاطمة (أم عبد الله) بنت الإمام الحسن عليه السلام، وعمره آنذاك يناهز السابعة عشرة، وكان هذا الزواج فى عهد خلافة الإمام الحسين عليه السلام، بعد استشهاد الإمام الحسن عليه السلام أصبحت عائلته تحت رعاية وإشراف الإمام الحسين عليه السلام وعندها تم زواج الإمام السجاد عليه السلام من ابنة عمه، وقد عمت الفرحة فى ربوع الأسرة الهاشمية والمحبين، وهم يعلمون أنها الوعاء الطاهر الذى أعده الله تعالى للمعصوم (أى الباقر عليه السلام)، ولهذا الزواج جملة من الخصوصيات، منها: أنّ الزوج إمام معصوم ابن إمام معصوم (الإمام الحسين عليه السلام) ابن جدين معصومين، ابن سيد الأوصياء، وابن سيدة النساء، والزوجة بنت معصوم ومن جدين معصومين

ص: 16

1- (1) منتهى الآمال ج 2 ص 131

2- (2) الكافي، الكليني، ج 1 ص 469.

أيضاً. ومن الخصوصيات أنّ من هذا الزواج الميمون استمرت الإمامة من نسل الحسين عليه السلام إلى الإمام صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف, فامتدت الإمامة من نسل الحسن والحسين عليهما السلام, لذلك عند زيارة السيدة المعصومة عليها السلام (فاطمة بنت الإمام موسى الكاظم عليه السلام) الواردة عن الإمام الرضا عليه السلام نقول: ... السلام عليك يا بنت الحسن والحسين... الخ(1).

أى أنّ فاطمة المعصومة أخت الإمام الرضا عليه السلام كما هي من نسل الحسين فكذلك هي من نسل الحسن عليه السلام.

### المهدى حسيني الأب حسنى الأم

من جملة المزايا التي حازت عليها السيدة فاطمة بنت الحسن عليه السلام إضافة إلى ما عندها من تاريخ حافل بالكرامات وغيرها, أنّها أصبحت حلقة وصل بين الحسنين, فكما أنّ الذرية الطاهرة تنتسب إلى الحسين عليه السلام من جهة الإمام السجاد عليه السلام فكذلك تنسب إلى الإمام الحسن عليه السلام من ناحية السيدة فاطمة بنت الحسن عليه السلام؛ وذلك لأنّها زوجة الإمام على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام, أم الإمام الباقر محمد بن على بن الحسين عليهم السلام وهي فاطمة بنت الإمام الحسن المجتبي عليه السلام كما تقدم, وعلى هذا يكون الإمام الباقر عليه السلام حسيني الأب حسنى الأم, وذريته التي منها الإمام صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف تكون من ذرية السبطين حقيقة, وهذا الجمع له ما يؤيده من القرآن الكريم حيث

ص:17

---

1- (1) انظر: صحيفة الرضا عليه السلام, جمع الشيخ جواد القيومى, ص 240. وبحار الأنوار, العلامة المجلسى, ج 99 ص 266.

قال تعالى: (وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ \* وَذَكَرْنَا وَيْحَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلًّا مِّن الصَّالِحِينَ)1 فعيسى عليه السلام ألحق بذرارى الأنبياء من جهة مريم عليها السلام، فلا مانع إذن فى أن تلحق ذرية الإمام الباقر بالإمام الحسن السبط من جهة الأم، كما ألحق السبطان برسول صلى الله عليه وآله من جهة فاطمة الزهراء عليها السلام. وهذا يكون أحد الوجوه التى تفسر الحديث الوارد فى السنن عن أبى إسحاق بعد فرض صحته، من أن الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف من صلب الإمام الحسن عليه السلام، حيث قال: قال على رضى الله عنه ونظر إلى ابنه الحسن فقال: إن ابني هذا سيد كما سماه النبي صلى الله عليه وسلم وسيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم يشبهه فى الخلق ولا يشبهه فى الخلق، ثم ذكر قصة: يملأ الأرض عدلاً(1).

## أولادها

### أشارة

اختلف المؤرخون فى تعيين عدد أولادها عليها السلام، منهم من قال: إنَّها ولدت للإمام زين العابدين عليه السلام، الإمام محمداً الباقر عليه السلام وعبد الله الباهر(2)، واختلف فى

ص: 18

1- (2) سنن أبى داود، ابن الأشعث السجستاني، ج 2 ص 311.

2- (3) عبد الله هو المعروف بالباهر، لقب بذلك لجماله، قالوا: ما جلس مجلساً إلا بهر جماله وحسنه من حضر، وكان يلى صدقات النبي صلى الله عليه وآله وصدقات أمير المؤمنين عليه السلام، وكان فاضلاً فقيهاً روى عن آبائه عن رسول الله أخباراً كثيرة وحدث الناس، وحملوا عنه الآثار، توفى وهو ابن سبع وخمسين سنة، لاحظ عمدة الطالب ص 252.

أنّ الحسين هي أمّه أم ولد رومية، والصحيح أنّها أمّه وهي فاطمة بنت الإمام الحسن عليه السلام، وكان الحسين عالماً فاضلاً أشبه ولد أبيه به، وإنما اشتهر بالأصغر لأنه كان له أخ أكبر منه، اسمه الحسين، توفي في حياة أبيه(1).

وقيل: عمر بن علي السجاد عليه السلام من أولادها. ولذلك يقال لعمر بن علي بن أبي طالب الأطراف وتلقب ذرية الأخير العمري: نسبة إلى جده عمر الأطراف، واشتهر بالأطراف حتى يتميز من عمر الأشرف ابن الإمام السجاد عليه السلام؛ لأن الأشرف انتسب إلى علي عليه السلام من طرف الأب والأم، إذ أبوه الإمام زين العابدين عليه السلام، وأمّه فاطمة بنت الإمام الحسن المجتبي، بخلاف عمر الأطراف الذي حاز الشرف من طرف واحد، فإنه منتسب إلى علي عليه السلام من طرف الأب فقط، وأمّا أمّه هي الصهباء التغلبية(2). وقد نص علي كونها (فاطمة بنت الحسن) أمّه (عمر بن علي السجاد) الشيخ أبو نصر البخاري في كتابه سر السلسلة العلوية(3).

وبعضهم قال إنّها أنجبت له من الذكورة السادة: زيد والحسن والحسين الأصغر وعبد الرحمن وسليمان وعلي ومحمد الباقر عليه السلام وعبد الله الباهر، ومن الإناث السيدات: خديجة وفاطمة وعليّة وأم كلثوم(4).

وعن ابن شهر آشوب قال: أبناؤه اثنا عشر من أمهات الأولاد إلا اثنين محمد الباقر، وعبد الله الباهر أمهما أم عبد الله بنت الحسن بن علي عليهم السلام، وأبو

ص:19

1- (1) راجع: شرح إحقاق الحق، السيد المرعشي، ج 1 ص 107.

2- (2) المجدي في أنساب الطالبين، علي بن محمد العلوي، ص 8.

3- (3) سر السلسلة العلوية، ص 96.

4- (4) شرح إحقاق الحق، السيد المرعشي، ج 28 - ص 200.

الحسين زيد الشهيد بالكوفة وعمر توأم، والحسين الأصغر، وعبد الرحمن وسليمان توأم، والحسن والحسين وعبيد الله توأم، ومحمد الأصغر فرد، وعلي وهو أصغر ولده، وخديجة فرد، ويقال: لم تكن له بنت، ويقال: ولدت له فاطمة، وعليه، وأم كلثوم(1).

### النبي يبعث سلاماً لابنها الباقر عليه السلام

طالما كان النبي صلى الله عليه وآله يوصى بإتباع ومودة أهل البيت عليهم السلام، وكان يعرفهم بصفاتهم وذواتهم إلى الإمام الثاني عشر عجل الله فرجه الشريف وذلك لأنهم ترجمان القرآن وعدله وبهم يستقيم الأمر وتستمر الرسالة والهدى الإلهي، وكان صلى الله عليه وآله يعلم أنّ أحد أصحابه الموالين وهو جابر بن عبد الله الأنصاري يُعمّر ويدرك ولده الباقر عليه السلام فقد ضمنه رسالة سلام معطرة من نور الوحي والنبوة، حيث ورد عن أبان بن تغلب عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن جابر بن عبد الله الأنصاري كان آخر من بقى من أصحاب رسول الله وكان رجلاً منقطعاً إلينا أهل البيت وكان يقعد في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وهو معتجر (متعمم) بعمامة سوداء وكان ينادى يا باقر العلم، يا باقر العلم، فكان أهل المدينة يقولون: جابر يهجر، فكان يقول: لا والله ما أهجر ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنك ستدرك رجلاً منى اسمه اسمي وشمائله شمائلي، يبقر العلم بقرًا، فذاك الذي دعاني إلى ما أقول، قال: فبينما جابر يتردد ذات يوم في بعض طرق المدينة إذ مرّ بطريق في ذاك الطريق كان فيه محمد بن علي فلما نظر إليه قال: يا غلام أقبل فأقبل ثم قال له: أدبر

ص:20

فأدبر ثم قال: شمائل رسول الله صلى الله عليه وآله والذي نفسى بيده، يا غلام ما اسمك؟ قال: اسمى محمد بن علي بن الحسين، فأقبل عليه يقبل رأسه ويقول: بأبى أنت وأمى أبوك رسول الله صلى الله عليه وآله يقرئك السلام ويقول ذلك، قال: فرجع محمد بن علي بن الحسين إلى أبيه وهو ذعر فأخبره الخبر، فقال له: يا بنى وقد فعلها جابر، قال نعم قال: الزم بيتك يا بنى، فكان جابر يأتيه طرفى النهار وكان أهل المدينة يقولون: وا عجباه لجابر يأتي هذا الغلام طرفى النهار وهو آخر من بقى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله (1).

### زيد الشهيد فى لسان المعصوم

زيد بن علي بن الحسين عليهم السلام هو أحد أباء الضيم، ومن مقدمى علماء أهل البيت، قد اكتتفته الفضائل من شتى جوانبه، موصول بشرف نبوى، ومجد علوى، وسؤدد فاطمى، وروح حسينى. والشيعه على بكره أبيها لا تقول فيه إلا بالقداسة، وقد دعا إلى الرضا من آل محمد، كما تشهد لذلك أحاديث أسندت إلى النبي صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار عليهم السلام إضافة إلى نصوص العلماء، ومدائح الشعراء وتأيينهم له، فمنها قول رسول الله صلى الله عليه وآله للحسين السبط: يخرج من صلبك رجل يقال له: زيد يتخطى هو وأصحابه رقاب الناس يدخلون الجنة بغير حساب (2). وأيضا قوله صلى الله عليه وآله: إنه يخرج ويقتل بالكوفة ويصلب بالكناسة،

ص: 21

1- (1) انظر: الكافي، الشيخ الكلينى، ج 1 ص 469.

2- (2) مقاتل الطالبين، أبو الفرج الأصفهاني، ص 88.

يخرج من قبره نبشاً، وتفتح لروحه أبواب السماء، وتتهجج به أهل السماوات والأرض (1). وقول أمير المؤمنين عليه السلام وقد وقف بالكوفة على الموضع الذي صلب فيه زيد فبكى حتى اخضلت لحيته وبكى أصحابه فقالوا له: يا أمير المؤمنين مم بكأوك؟ قال: إن رجلاً من ولدى يصلب في هذا الموضع، من رضى أن ينظر إلى عورته أكبه الله على وجهه في النار (2). وقول الإمام الباقر عليه السلام: اللهم اشدد أذى يزيد. ودخل عليه زيد فلما رآه عليه السلام تلا قوله تعالى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ). ثم قال: أنت والله يا زيد من أهل ذلك (3). وقول الصادق عليه السلام: إنّه كان مؤمناً، وكان عارفاً، وكان عالماً، وكان صدوقاً، أما إنه لو ظفر لوفى، أما إنه لو ملك لعرف كيف يصنعها (4). وقول الرضا عليهم السلام، إنّه كان من علماء آل محمد غضب لله فجاهد أعداءه حتى قتل (5). وغيرها من الأحاديث الكثيرة في هذا المجال.

## الفرق بين العلوي والفاطمي

العلويون: هم المنسوبون إلى أمير المؤمنين من غير طرف الحسينين يقال لهم العلويون، وهم عدة كثيرة في بلاد الهند، وفي أردكان من بلاد فارس، وبخارا

ص: 22

- 1- (1) انظر: عيون أخبار الرضا، الصدوق، ج 2 ص 227.
- 2- (2) الملاحم والفتن، ابن طاووس، ص 244.
- 3- (3) الغدير، الأميني، ج 2 ص 70.
- 4- (4) مستدرک الوسائل، الميرزا النوري، ج 10 ص 391.
- 5- (5) عيون أخبار الرضا، الصدوق، ج 2 ص 225.



وبلاد الأفغان وملتان والسند وغيرها(1). أمّا الفاطمي: هو الذي ينتسب إلى علي وفاطمة عن طريق الحسنين. فالذي ينتسب إلى فاطمة عليها السلام بالولادة فاطمي، والعلوي هو الذي ينتسب إلى علي عليه السلام. ومن الواضح أن كل فاطمي علوي وليس كل علوي فاطمي.

والفاطيون ينتسبون إلى جدهم الملقب بالمهدي، أول خلفائهم ببلاد المغرب، وهو عبيد الله بن محمد بن جعفر بن محمد بن إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق عليه السلام. وهم من فرقة الإسماعيلية، إحدى فرق الشيعة. والإسماعيلية يوافقون الإمامية الاثني عشرية في سوق الإمامة من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلى الإمام جعفر الصادق، ثم يعدلون بها عن الإمام موسى الكاظم إلى أخيه إسماعيل، ثم إلى ابنه محمد، ثم إلى ابنه جعفر، ثم إلى ابنه محمد الملقب بالحبيب، ثم إلى عبيد الله الملقب بالمهدي أول خلفاء الفاطميين، ثم إلى ابنه العزيز، ثم ابنه الظاهر، إلى ابنه المستنصر بالله أبي تميم خامس خلفائهم بمصر، وهنا يفترق الإسماعيلية إلى فرقتين: إحداهما تقول: إن الإمامة انتقلت من المستنصر إلى ابنه المستعلي، وأخرى تقول: إنها انتقلت إلى ابنه نزار(2).

وذكرهم الشهيد الأول بقوله: كان الفاطميون شيعةً إسماعيليةً، سعوا كثيراً لنشر التشيع في مصر وأفريقيا والأقطار الأخرى التي كانت تحت يدهم. وربما جاز لنا أن نقول: إن ظهور الفاطميين واستيلاءهم على الحكم وحرصهم على نشر

ص:23

---

1- (1) المجدي في أنساب الطالبين، علي بن محمد العلوي، ص 9.

2- (2) انظر: الشيعة في الميزان، محمد جواد مغنية، ص 149.

التشييع ومعارضة المذاهب الأخرى كان رد فعل طبيعي للعنف والضغط الذي كانت الشيعة تنوء به أيام الحكم العباسي (1). وقد نُقل عن المقرئى قال: إنّه لما كان الخلفاء الفاطميون بمصر كانت تتعطل الأسواق فى ذلك اليوم (عاشوراء) ويعمل فيه السماط العظيم المسمى سماط الحزن وينحرون الإبل، وظل الفاطميون يجرون على ذلك كل أيامهم فلما زالت الدولة الفاطمية اتخذ الملوك من بنى أيوب يوم عاشوراء يوم سرور يوسعون فيه على عيالهم، ويتسطنون فى المطاعم، ويتخذون الأواني الجديدة، ويكتحلون ويدخلون الحمام جرياً على عادة أهل الشام التى سنّها لهم الحجاج فى أيام عبد الملك بن مروان ليرغموا بذلك أنوف شيعة على بن أبى طالب كرم الله وجهه الذين يتخذون يوم عاشوراء يوم عزاء وحزن على الحسين بن على عليهما السلام لأنه قتل فيه (2).

### فاطمة بنت الحسن وعاء وحجر للمعصوم

إضافة إلى كل السجايا والكرامات والصفات العالية التى حازت عليها هذه العلوية الجليلة، فحسبها فخراً وسمواً أنّها بضعة من رسول الله صلى الله عليه وآله، وتكون وعاءاً للإمام الباقر عليه السلام ومربية له فى حجرها الطاهر، فقد ولد عليه السلام بالمدينة يوم الجمعة غرة رجب سنة سبع وخمسين من الهجرة، قبل استشهاد الحسين عليه السلام بثلاث سنين أو قريب الأربع سنوات. وفى رواية الثالث من شهر صفر سنة سبع وخمسين من الهجرة، فأقام مع جده ثلاث سنين، ومع أبيه الإمام على السجاد عليه السلام أربعاً وثلاثين

ص: 24

1- (1) انظر: الدروس، الشهيد الأول، ج 1 ص 50.

2- (2) انظر: صوم عاشوراء بين السنة النبوية والبدعة الأموية، نجم الدين الطبسى، ص 136.

سنة وعشرة أشهر. وعاش بعد أبيه أيام إمامته بقرية ملك الوليد، وملك سليمان بن عبد الملك، وملك عمر بن عبد العزيز، وملك يزيد بن عبد الملك، وملك هشام بن عبد الملك، وملك الوليد بن يزيد، وملك إبراهيم بن الوليد. وقبض في أول ملك إبراهيم بن الوليد، في شهر ربيع الآخر سنة مائة وأربع عشرة من الهجرة، فكانت أيام إمامته تسع عشرة سنة وشهرين، وصار إلى كرامة الله (عز وجل) وقد كمل عمره سبعاً وخمسين سنة.

وكان سبب وفاته أنّ إبراهيم بن الوليد سمه. ودفن بالبقيع مع أبيه على عليه السلام (1). وكان عليه السلام يشبه جده رسول الله صلى الله عليه وآله، لذا لقب بالشيبي.

### الملائكة تنادي فاطمة بنت الحسن عليها السلام

من الصفات التي امتازت بها السيدة فاطمة بنت الحسن عليها السلام أنّها من جملة المحدثات علاوة على ما حظيت به من خصائص ومزايا جمّة، وهذا مما لا يتسنى لكل أحد إلا من خصه الله بمزيد من الإيمان والمعرفة والارتقاء بحيث يصل إلى مرتبة التحدث مع الملائكة، فالسيدة أم الباقر عليه السلام بما فيها من مؤهلات وما تحمل من المعارف الإلهية، وتجسد في ذاتها الإخلاص والعمل والسير على نهج الأنبياء والأولياء عليهم السلام قد جعلها أن تصل إلى هذه المرتبة العالية وتشابه جدتها الزهراء عليها السلام بهذه الصفة وتكون محدثة من قبل الملائكة، وأيضاً شابها مريم بنت عمران (أم نبي الله عيسى عليه السلام) حيث كانت تخاطبها الملائكة وقد ذكر القرآن تلك الفضيلة لها بقوله: (وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ

ص: 25

1- (1) راجع: دلائل الامامة، محمد بن جرير الطبري (الشيبي)، ص 215.

عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ<sup>1</sup>, فكما طهر الله واصطفى أم نبي الله عيسى عليه السلام وباقي أمهات الأنبياء عليهم السلام فكذا الحال في أمهات الأئمة المعصومين عليهم السلام, فلا عجب عندما نسمع أو نقرأ أنّ الملائكة تحدث أم أحد الأئمة عليهم السلام, كما هو الحال في السيدة فاطمة بنت الحسن عليها السلام, فقد ورد عندما حملت السيدة فاطمة بالإمام الباقر عليه السلام أخذها الضعف والانهيار وأحياناً تصاب بغثيان وربما غشيان فترقد في فراشها, وفي بعض الأيام كانت نائمة فرأت في عالم الرؤيا أن جاءها شخص وبشرها بمولد الباقر عليه السلام, فعندما جلست من نومها فقد سمعت صوتاً من الجانب الأيمن من الدار من دون أن تراه وهو يقول: أنت حامل بأفضل أهل الأرض في زمانه وأخذ بالإمام الباقر عليه السلام. من ذلك الوقت لم تشعر السيدة فاطمة بنت الحسن عليه السلام بثقلٍ أو غيره في حملها إلى حين ولادته(1).

### من صفاتها الصّديقة

مرّ عليك أنّ لفظ الصّديقة من الأسماء التي عرفت بها السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام وذلك لشدة تصديقها بالله ورسوله ووصيه, والصّديق صيغة مبالغة في التصديق الكامل والتام, أي كثيرة الصدق, وهو كما في اللغة من صدق بقوله واعتقاده وحقق صدقه بفعله(2).

وكيف كان فالسيدة فاطمة بنت الحسن عليه السلام تشابه جدتها في هذه الصفة

ص: 26

1- (2) راجع: منتهى الآمال, ج 2 ص 174.

2- (3) راجع: تاج العروس, الزبيدي, ج 13 ص 36.

العظيمة وهي التصديق العلمى والعملى أو قل التصديق بالجوانح والجوارح, ومنه نعرف أن كل قولها صدق وكل فعلها صدق مطابق للواقع ولا تشوبه الأخطاء والانحرافات, وقد أشار القرآن الكريم إلى بيان هذه الصفة والمراحل التى يلزم طيها ثم الوصول إليها بقوله: (وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) 1, والسيدة فاطمة بنت الحسن عليه السلام من المصاديق الجليلة لهذه الآية المباركة حيث آمنت كل الإيمان حتى أصبحت من الدعاة إلى الحق ونشر كلمة العدل, وقد أحفاها الله بكرامات عديدة ذلك بما أحسنت وصدقت بالله الواحد ورسوله الخاتم, (وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا وَكَانَتْ مِنَ الْقَائِمِينَ) 2, وأيضا شابها فى هذه الصفة مريم بنت عمران أم نبي الله عيسى عليه السلام حيث كانت تلقب بالصديقة كما هو ثابت فى صريح القرآن الكريم بقوله: (مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ) 3, فالصديقة من الصفات العالية التى لا يتسنى لكل أحد أن يصل إليها إلا من خصه الله بالحفاوة والرعاية, ويبقى أن نعرف الدليل الذى يثبت أن فاطمة بنت الحسن من الصديقين وقد تجاوزت هذه الصفة العالية, وهو ما ثبت عن المعصوم الذى يتكلم عن الواقع وعن الله بدون أى مبالغة أو مجاملة أو بدافع العاطفة وإنما ينطق عن الله وهذا هو شأن العصمة, فقد ثبت فى الكتب

المعتبرة أنّ الإمام أبا عبد الله الصادق عليه السلام ذكر جدته يوماً (أى ذكر فاطمة بنت الحسن عليه السلام) فقال: كانت صديقة لم يدرك فى آل الحسن امرأة مثلها(1). بالإضافة إلى أنّ زوجها على بن الحسين عليهما السلام كان يسميها الصديقة(2). وعلى غرار هذا يلزم حتى فى تغسيلها لابد من صديقٍ معصومٍ يتولى غسلها كما هو واضح من تعليل الحديث الذى يذكر تغسيل على عليه السلام لفاطمة عليها السلام، حيث سئل الصادق عليه السلام عن فاطمة عليها السلام من غسلها؟ فقال: غسلها أمير المؤمنين عليه السلام لأنها كانت صديقة لم يكن ليغسلها إلا صديق(3).

### من صفاتها الرواية

من جملة الصفات التى حوتها السيدة فاطمة بنت الحسن عليهما السلام أنها كانت تروى الحديث عن النبى صلى الله عليه وآله وعن أئمة أهل البيت عليهم السلام، وقد روى عنها المحدثون من الفريقين، ومن تلك الروايات التى روتها عن النبى صلى الله عليه وآله كما جاء فى فلاح السائل: بإسناده عن فاطمة بنت الحسن عليهما السلام عن أبيها الحسن بن على عليهما السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يدهو بهذا الدعاء بين كل ركعتين من صلاة الزوال، الركعتان الأولتان: اللهم أنت أكرم مأتى، وأكرم مزور، وخير من طلب إليه الحاجات، وأجود من أعطى، وأرحم من استرحم، وأرأف من عفا، وأعز من اعتمد، اللهم بى إليك فاقة، ولى إليك حاجات، ولك عندى طلبات، من ذنوب أنا

ص: 28

1- (1) الكافى، الكلينى، ج 1 ص 469.

2- (2) انظر: الفصول المهمة فى معرفة الأئمة، ابن الصباغ، ج 2 ص 880.

3- (3) الكافى، الكلينى، ج 1 ص 469.

بها مرتهن قد أوقرت ظهري وأوبقتني، وألا ترحمني وتغفر لي أكن من الخاسرين... الخ(1).

وكذلك روى عنها ابن إسحاق حيث قال: عن فاطمة بنت الحسن بن علي رضي الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث زيد بن حارثة نحو مدين ومعه ضميرة مولى علي بن أبي طالب وأخ له، قالت: فأصاب سيباً من أهل ميناة وهي السواحل وفيها جماع من الناس فبيعوا ففرق بينهم(2).

وأيضاً روى عنها مسألة رد الشمس لعلي بن أبي طالب عليه السلام، فقد ورد عن فاطمة بنت الحسن، عن أسماء بنت عميس قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يوحى إليه ورأسه في حجر علي فلم يصل (علي) العصر حتى غربت الشمس، وقال أبو أمية: صليت يا علي. قال: لا. وقال أبو أمية: فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة نبيك، فاردد عليه الشمس. قالت: أسماء: فرأيتهما غربت ثم رأيتهما طلعت بعد ما غربت(3). وغيرها من الروايات التي جاءت عن طريقها.

### من أخبارها في آخر الزمان

جاء عن السيدة فاطمة بنت الحسن عليهم السلام أنها تتكلم عن أحوال آخر الزمان وحال الناس فيه من انشقاقهم وتكفير بعضهم البعض وغير ذلك، وهذا ينم عن مدى اطلاعها ونظرتها الثاقبة التي تجاوزت فيها المستقبل البعيد الذي يظهر فيه

ص: 29

- 
- 1- (1) سنن النبي صلى الله عليه وآله، السيد الطباطبائي، ص 376.
  - 2- (2) سبل الهدى والرشاد، الصالحى الشامى، ج 6 ص 96.
  - 3- (3) انظر: شرح إحقاق الحق، السيد المرعشى، ج 16 ص 316.

العدل والإصلاح على يد المصلح العالمى الذى يملأ الأرض عدلاً وقسطاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً. فقد ورد عن عميرة بنت نفيل قالت: سمعت بنت الحسن بن على عليهما السلام تقول: لا يكون هذا الأمر الذى تنتظرون حتى يبرأ بعضكم من بعض، ويلعن بعضكم بعضاً، ويتفل بعضكم فى وجه بعض، وحتى يشهد بعضكم بالكفر على بعض، قلت: ما فى ذلك خير قالت: الخير كله فى ذلك عند ذلك يقوم قائمنا فيرفع ذلك كله (1). ومثل هذه الرواية ذكرت عن الحسن عليه السلام تارة وعن الحسين عليه السلام كذلك، فلا يتعارض مع ما ذكرته عليها السلام فإن كل ما عندها من المزايا والعلم هو مكتسب من نور وفيض أهل البيت عليهم السلام، حيث عاشت وترعرعت تحت أكناف أهل العصمة ومعدن الرسالة.

### الأوضاع السياسية فى عصرها

عاشت السيدة فاطمة بنت الحسن عليهما السلام أوضاعاً سياسية أليمة فى كل مراحل حياتها إلى حين وفاتها، حيث يمكن لنا أن نقسم حياتها إلى ثلاث مراحل: المرحلة الأولى فى عصر أبيها الحسن عليه السلام وهى ما بين (40-50 هـ) وهذه المرحلة كانت من المراحل العصيبة التى مرت بها السيدة فاطمة بنت الحسن عليهما السلام، حيث كانت مليئة بالأحداث والأحزان وتأزم الأوضاع فى شتى الأمور، فهى الحقبة التى كان فيها معاوية يقاتل الحسن عليه السلام والمؤمنين، وقد شاهدت ما جرى على أبيها من إصابات وخيانة من البعيد والقريب واضطهاد واستبدادٍ لعموم المؤمنين، ومن ثم استقرت مع أبيها فى المدينة المنورة تحت الحصار والاضطهاد إلى أن جاءت

ص:30



جعدة بنت الأشعث زوجة الحسن عليه السلام وسمت أباهما عليه السلام, فقد أخذ هو الآخر مأخذه الكبير منها واشتد حزنها وألمها بعد فقدها أباهما مسموماً مظلوماً شهيداً. وأمّا المرحلة الثانية, فهي كانت في عصر عمها الحسين عليه السلام ما بين (50-61 هـ) حيث إنّها بعد استشهاد أبيها عليه السلام انتقلت إلى كفالة عمها الحسين عليه السلام إلى أن تزوجت بالإمام زين العابدين عليه السلام, وهذه المرحلة بدورها لا تقل عن الأولى من أحزانٍ وآلامٍ ومحنٍ, حيث كانت أيضاً مليئة بالأحداث والمصائب, فقد كانت المناهضات بين عمها الحسين عليه السلام ومعاوية إلى أن هلك وجاء دور ابنه يزيد وأول عمل أقدم عليه أن حارب عمها الحسين عليه السلام وقتله مع أهل بيته وأصحابه, وقد شاهدت السيدة فاطمة بنت الحسن عليهما السلام حال عمها وإخوتها وأهل بيتها مجزرين على رمضاء كربلاء بلا رؤوس وهي مسبية مع زوجها العليل وابنها الصغير وعمتها زينب عليها السلام وباقي أهلها من بلد إلى بلد, ورؤوس أهل بيتها نصب أعينها تلوح على رؤوس الرماح, مع شدة المعاملة القاسية التي واجهتها من قبل أعداء الإنسانية والدين. وأمّا المرحلة الثالثة, فمع زوجها الإمام زين العابدين عليه السلام وقد شاهدت ما فيه من المصائب والحزن وهو في حال يرثى له من شدة المرض, وتجاوز الأعداء عليه وغيره, حتى حاولوا قتله عدة مرات في كربلاء وفي الكوفة ولكن حالت يد الغيب بينهم وبين قتله لكي يبقى نسل آل محمد يعطى دوره الكامل في رسم النهج الإلهي الخالد, وبقيت هذه السيدة بعد عاشوراء وآلام السبي مع زوجها في تلك الظروف الحزينة الأليمة إلى أن وافاها الأجل.

حضرت السيدة فاطمة بنت الحسن عليهما السلام أرض كربلاء وشاهدت وقائع عاشوراء وعاشت في تلك اللحظة هذه السيدة الجليلة المحن والآلام بما مرّ بها وبأهل البيت عليهم السلام، فقد كانت مع زوجها الإمام السجاد وابنها الإمام الباقر عليهما السلام في واقعة الطف يوم عاشوراء، وبذلك تكون قد شاهدت الفجائع المروعة وما جرى على آل الرسول صلى الله عليه وآله في ذلك اليوم من مصائب ومحن، فقد شاهدت مصرع عمها الإمام الحسين عليه السلام وقتل أخيها القاسم ومصارع بقية الأبطال من آل البيت وأصحابهم الكرام، وشاهدت أيضاً زوجها العليل مكبلاً بالأغلال، وولدها الإمام الباقر عليه السلام البالغ من العمر أربع سنوات تقريباً، يشكون العطش ومرارة الأسر وذهله، محتسبة كل ذلك في سبيل الله.

### وفاتها ومحل دفنها

لم يظهر لنا من التاريخ وكتب السير وغيرها تحديد تاريخ ولادة السيدة فاطمة بنت الحسن عليهما السلام أو شهادتها وحتى مقام دفنها، وهذا يعبر عن مدى الظلمة التي عاشتها هذه السيدة الجليلة في اندثار تاريخها وإعفاء معالمها، ولكن يمكن أن نقول إنّ حياتها بعد واقعة الطف استقرت مع زوجها الإمام زين العابدين عليه السلام في المدينة، فلا يبعد أن تكون قد دفنت فيها مع زوجها وابنها وباقي أئمة البقيع وأولادهم، كما ذكر ذلك في بعض الكتب، حيث قال وإنّ مدفنها في المدينة المنورة وعمرها ما يقارب (57 سنة)<sup>(1)</sup>. ولكن مع ذلك قد ذكر أنّ قبرها في

ص: 32

فلسطين عند مسجد اليقين، حيث روى أن في موضع قُرى لوط مسجد بناه أبو بكر محمد بن إسماعيل الصاحي فيه مرقد إبراهيم عليه السلام قد غاص في الصخر بنحو ذراع، ويقال: إن إبراهيم عليه السلام لما رأى قُرى قوم لوط في الهواء، وقف (أورقد) ثم قال: أشهد أن هذا هو الحق اليقين؛ فلذلك سُمي مسجد اليقين.

وكان بناء هذا المسجد في شهر شعبان سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة، وبظهر المسجد مغارة بها قبر فاطمة بنت الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام وعند قبرها رخامة مكتوب عليها بالكوفي:

من البسيط أسكنت من كان بالأحشاء مسكنه بالرغم مني بين التراب والحجر

أفديك فاطمة ممّا رميت به بنت الأنمة بنت الأنجم الزهر (1)

ولكن ذكر ابن بطوطة في رحلته أن هذا القبر لفاطمة بنت الحسين عليهما السلام، فقد قال: وهنالك بحيرة لوط وهي أجاج يقال إنَّها موضع ديار قوم لوط وبمقربة من تربة لوط مسجد اليقين وهو على تل مرتفع له نور وإشراق ليس لسواه ولا يجاوره إلا دار واحدة يسكنها قيمه وفي المسجد بمقربة من بابه موضع منخفض في حجر صلد قد هيئ فيه صورة محراب لا يسع إلا مصلياً واحداً. ويقال إن إبراهيم سجد في ذلك الموضع شكراً لله تعالى عند هلاك قوم لوط فتحرك موضع سجوده وساخ في الأرض قليلاً، وبالقرب من هذا المسجد مغارة فيها قبر فاطمة بنت الحسين بن

ص: 33

على عليهما السلام وبأعلى القبر وأسفله لوحان من الرخام فى أحدهما مكتوب منقوش بخط بديع بسم الله الرحمن الرحيم له العزة والبقاء وله ما ذرا وبراً وعلى خلقه كتب الفناء ولكم فى رسول الله أسوة حسنة هذا قبر أم سلمة فاطمة بنت الحسين رضى الله عنه وفى اللوح الآخر منقوش صنعه محمد بن أبى سهل النقاش بمصر وتحت ذلك هذه الأبيات: أسكنت من كان بالأحشاء مسكنه... الخ(1).

### زيارة السيدة فاطمة بنت الحسن

لم نعثر على زيارة خاصة للسيدة فاطمة بنت الحسن عليه السلام وإنما هناك زيارات وردت لعموم أولاد المعصومين الصالحين، ولا ريب أنّ السيدة فاطمة بنت الحسن عليهما السلام (أم الإمام الباقر عليه السلام) من الأوائل المقصودين فى تلك الزيارات. ومن تلك الزيارات هذه:

السلام على جدك المصطفى، السلام على أبيك المرتضى الرضا، السلام على السيدين الحسن والحسين، السلام على خديجة سيدة نساء العالمين، السلام على فاطمة أم الأئمة الطاهرين، السلام على النفوس الفاخرة، بحور العلوم الزاخرة، شفعاى فى الآخرة، وأوليائى عند عود الروح إلى العظام الناخرة، أئمة الخلق وولادة الحق، السلام عليك أيها الشخص الشريف الطاهر الكريم أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ومصطفاه، وأن علياً وليه ومجتاباه وأن الإمامة فى ولده إلى يوم الدين، نعلم ذلك علم اليقين، ونحن لذلك معتقدون وفى نصرهم مجتهدون(2).

ص: 34

1- (1) رحلة ابن بطوطة، ص 74.

2- (2) بحار الأنوار، العلامة المجلسى، ج 99 ص 272.





السيدة فاطمة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر بن أبي قحافة التيمي، وقيل اسمها قريبة، وتكنى أم فروة. وقيل أم القاسم، وكان أبوها القاسم من ثقات أصحاب علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام كما سيأتي.

ووالد القاسم، محمد بن أبي بكر، ربيب الإمام علي عليه السلام والذي يعتبره بمثابة ابنه، وأيضا أمه (أم القاسم) أخت شهر بانوية بنت يزيد (أم الإمام السجاد عليه السلام)، كما تقدم الكلام عنه مفصلاً في سيرة السيدة شهر بانويه، حيث قالوا: وأخذهن علي رضي الله عنه فدفع واحدة لعبد الله بن عمر وأخرى لولده الحسين عليه السلام وأخرى لمحمد بن أبي بكر وكان ربيبه<sup>(1)</sup>. فيكون والدها (أي القاسم) ابن خالة الإمام السجاد عليه السلام.

وأما أمها، فهي أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر. فهي (فاطمة بنت القاسم) ترجع إلى أبي بكر من جهة الأب ومن جهة الأم؛ لأن أبها القاسم تزوج من ابنة عمه عبد الرحمن بن أبي بكر.

ص: 37

---

1- (1) راجع: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، ج 3 ص 267.

وأما أخوها، فهو عبد الرحمن بن القاسم، من فضلاء قریش ويكنى أبا محمد.

وقال عنه الأميني: عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر التيمي أبو محمد المدني المتوفى (126 هـ -)، وثقه أحمد وابن سعد وأبو حاتم، وأثنى عليه الخزرجي في خلاصته(1).

وأما أختها، فهي أم حكيم بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر، تزوجها إسحاق العريضي ابن عبد الله بن جعفر فولد له منها القاسم والد داود أبي هاشم الجعفري المشهور، فقد روى أن إسحاق بن عبد الله بن جعفر الطيار ويقال له إسحاق العريضي، هو الذي تزوج أم حكيم أخت أم فروة بنتي القاسم بن محمد بن أبي بكر، فولدت أم حكيم لإسحاق القاسم، وكان القاسم والصادق عليه السلام ابني خالة، وكان القاسم رجلاً جليلاً أميراً على اليمن، وهو والد داود بن القاسم المعروف بأبي هاشم الجعفري البغدادي، العالم الورع، الثقة الجليل، الذي أدرك الرضا وبقية الأئمة عليهم السلام، وكان من وكلاء الناحية المقدسة، ولم يكن في آل أبي طالب مثله في علو النسب فإنه ينتهي إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بأبوين، توفي في جمادى الأولى سنة مائتين وإحدى وستين، وكان قبره مشهوراً يزار على ما صرح به المسعودي. ولا بن عياش كتاب في أخبار أبي هاشم الجعفري، يروي عنه الطبرسي في إعلام الوري(2).

ص: 38

---

1- (1) انظر: الغدير، الشيخ الأميني، ج 1 ص 73.

2- (2) مستدركات علم رجال الحديث، الشيخ علي النمازي الشاهرودي، ج 1 ص 569. والأنوار البهية، الشيخ عباس القمي، ص 150.



نال القاسم بن محمد بن ابى بكر، والد السيدة أم فروة، درجة سامية وحظى بتأييد وتوثيق من المعصوم ومدح واطراء من العلماء وغيرهم، وقد شهد بفضله وعلمه وتقواه المؤرخون والمحدثون وغيرهم من العلماء، حيث ملأ صيته الخافقين حتى كان يعد عند المحدثين بفقيه المدينة وعالمها، فكان بُعيد كل صلاة تلف حولته الناس ويعطى دروساً فى الأحكام وغيرها، وكان أيضاً يتمتع بخلق عظيم وتدبير. لذلك جاءت بحقه روايات تدل على توثيقه وفضله وما إلى ذلك. منها ما روى عن إسحاق بن جرير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: كان سعيد بن المسيب وقاسم بن محمد بن أبى بكر وأبو خالد الكابلى من ثقات على بن الحسين عليه السلام(1).

وفى حاشية الخلاف قال: القاسم بن محمد بن أبى بكر بن أبى قحافة القرشى، التيمى، أبو محمد، ويقال: أبو عبد الرحمن روى عن أبيه، وعن العبادلة، (يقصد عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عباس) وغيرهم. عدّه الشيخ الطوسى فى أصحاب الإمامين السجاد والباقر عليهما السلام، وقال ابن سعد: كان ثقة، فقيهاً، إماماً، كثير الحديث، ورعاً، وقال ابن خلكان: كان من سادات التابعين وأفضل أهل الزمان، وأحد الفقهاء السبعة فى المدينة. مات سنة (101 هـ) (وقيل: (106 هـ -)، وقيل غير ذلك(2).

ص:39

1- (1) الكافى، الشيخ الكلينى، ج 1 ص 472.

2- (2) انظر: هامش الخلاف، الشيخ الطوسى، ج 1 ص 120.

وقال السيد الخوئي رحمه الله: عدّه الشيخ تارة في أصحاب السجاد عليه السلام، وأخرى في أصحاب الباقر عليه السلام، مقتصرًا على قوله: القاسم بن محمد. وكذلك ذكره البرقي في أصحاب الصادق عليه السلام، وهو جد الصادق عليه السلام لأمّ فروة، ذكره المفيد في الارشاد: باب ذكر الإمام القائم بعد أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام(1).

وقد ذكر عنه الإمام الصادق عليه السلام قال: أخبرني جدي القاسم بن محمد ابن أبي بكر قال: قالت عائشة: لأن تبتري يدي أحب إلي من أن أمسح علي الخفين(2).

وله مواقف مشرّفة مع أهل البيت عليهم السلام كأبيه محمد بن أبي بكر، منها ما جاء في مسألة دفن جثمان الإمام الحسن عليه السلام مع جده صلى الله عليه وآله ووقوف القوم حائلاً دون ذلك، فقد جاء في تاريخ اليعقوبي قال: عندما جاءوا بنعش الإمام الحسن عليه السلام إلى قبر جده صلى الله عليه وآله، ركب مروان بن الحكم وسعيد بن العاص، فمنعا من ذلك، وركبت عائشة بغلة شهباء، وقالت: بيتي ولا آذن فيه لأحد فأتاها القاسم بن محمد بن أبي بكر، فقال: يا عمّة ما غسلنا رؤوسنا من يوم الجمل الأحمر، أتريدن أن يقال: يوم البغلة الشهباء، فرجعت، واجتمع مع الحسين بن علي جماعة من الناس، فقالوا له: دعنا وآل مروان، فوالله ما هم عندنا إلا كأكلة رأس، فقال: إن أخي أوصاني ألا أريق فيه محجمة دم، فدفن الحسن في البقيع(3).

وكان يتمتع بسجايا إيمانية عالية تتم عن مدى إخلاصه وتمسكه بالقيم

ص: 40

---

1- (1) انظر: معجم رجال الحديث، السيد الخوئي، ج 15 ص 48.

2- (2) النوادر، فضل الله الراوندي، ص 218.

3- (3) انظر: تاريخ اليعقوبي، ج 2 ص 225.

الإلهية والهدى المحمدى ولا تأخذه فى ذلك لومة لائم لأنه رسم طريق الحق أمامه، فقد ذكره الشهيد الثانى فى كتابه الأخلاقى قال ورد عن القاسم بن محمد بن أبى بكر أحد فقهاء المدينة المتفق على علمه وفقهه بين المسلمين أنه سئل عن شىء فقال: لا أحسنه، فقال السائل: إني جئت إليك لا أعرف غيرك، فقال القاسم: لا تنظر إلى طول لحيتى وكثرة الناس حولى، والله ما أحسنه. فقال شيخ من قریش جالس إلى جنبه: يا بن أخى ألزمها فوالله ما رأيتك فى مجلس أنبل منك مثل اليوم. فقال القاسم: والله لان يقطع لسانى أحب إلى أن أتكلم بما لا علم لى به(1).

### نبذة عن جدها محمد بن أبى بكر

ولد محمد بن أبى بكر جدها من جهة الأب بالبيداء فى سنة حجة الوداع، وأمه أسماء بنت عميس كانت تحت جعفر بن أبى طالب، وهاجرت معه إلى الحبشة فولدت له هناك عبد الله بن جعفر الجواد ثم قتل عنها يوم مؤتة، فخلف عليها أبو بكر فأولدها محمداً، ثم مات عنها، فخلف عليها على بن أبى طالب عليه السلام وكان محمد ربيبه وخريجه وجارياً عنده مجرى أولاده، ورضيع الوداع والتشيع مذ من الصبا، فنشأ عليه، فلم يكن يعرف أباً غير على عليه السلام ولا يعتقد لأحد فضيلة غيره، حتى قال عليه السلام: محمد ابني من صلب أبى بكر، وكان يكنى أبا القاسم فى قول ابن قتيبة، وقال غيره: بل كان يكنى أبا عبد الرحمن، وكان من نساك قریش، وكان ممن أعان فى يوم الدار(2).

ص: 41

1- (1) انظر: منية المرید، الشهيد الثانى، ص 286.

2- (2) انظر: حاشية الاحتجاج، الطبرسى، ج 1 ص 296. وبحار الأنوار، العلامة المجلسى، ج 42 ص 162.

وروى أنّ أبا بكر خرج في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله في غزوة، فرأت أسماء بنت عميس (في عالم الرؤيا) وهي تحته كأنّ أبا بكر متخضب بالحناء رأسه ولحيته، وعليه ثياب بيض، فجاءت إلى عائشة فأخبرتها، فبكت عائشة وقالت: إن صدقت رؤياك فقد قتل أبو بكر إن خضابه الدم وأن ثيابه أكفانه، فدخل النبي صلى الله عليه وآله وهي كذلك فقال: ما أبكاها؟ فذكروا الرؤيا. فقال صلى الله عليه وآله: ليس كما عبرت عائشة ولكن يرجع أبو بكر، فتحمل منه أسماء بغلام تسميه محمداً يجعله الله تعالى غيظاً على الكافرين والمنافقين، فكان الغلام محمد بن أبي بكر (1).

وقال ابن أبي الحديد: ونشأ في حجر أمير المؤمنين عليه السلام وأنه لم يكن يعرف أباً غير عليّ عليه السلام، حتى قال أمير المؤمنين عليه السلام: محمد ابني من صلب أبي بكر، وكان يكنى (أبا القاسم) وكان من نساك قريش، وكان ممن أعان في يوم الدار، ومن ولده القاسم بن محمد فقيه أهل الحجاز وفاضلها، ومن ولد القاسم عبد الرحمن من فضلاء قريش ويكنى (أبا محمد) ومن ولد القاسم أيضاً أم فروة تزوجها الإمام الباقر أبو جعفر محمد بن علي عليه السلام، وكان من حوارى أمير المؤمنين عليه السلام، وخواصه وأحد المحامدة التي تأبى أن يعصى الله حتى شهد معه الجمل، وكان على الرجالة، وشهد معه صفين وولاه مصر (2).

وروى عن حمزة بن محمد الطيار قال: ذكرنا محمد بن أبي بكر عند أبي عبدالله عليه السلام فقال أبو عبد الله عليه السلام: رحمه الله وصلى عليه، قال لأمر المؤمنين عليه السلام

ص: 42

1- (1) الغارات، إبراهيم بن محمد الثقفي، ج 1 ص 288.

2- (2) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج 6 ص 53.

يوماً من الأيام: أبسط يدك أبايعك، فقال: أو ما فعلت؟ قال: بلى، فبسط يده فقال أشهد أنك إمام مفترض طاعتك(1).

وعن شعيب عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: ما من أهل بيت إلا ومنهم نجيب من أنفسهم، وانجب النجباء من أهل (بيت) محمد بن أبي بكر، وينسب إليه قوله:

يا بني الزهراء أنتم عدتي وبكم في الحشر ميزاني رَجَحَ

وإذا صحَّ ولائي فيكم لا أبالي أي كلبٍ قد نبِح(2)

وقتل بمصر، قتله معاوية بن خديج، وكان فيها والياً من قبل أمير المؤمنين عليه السلام ثم وضعه في جوف حمار ميت وأحرقه ولما بلغ أمير المؤمنين عليه السلام قتل محمد بن أبي بكر حزن لذلك حزناً شديداً حتى ظهر ذلك عليه وتبين في وجهه.

وقام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه إلى أن قال: ألا وإن محمد بن أبي بكر قد استشهد رحمة الله عليه وعند الله نحتسبه، وقيل له عليه السلام قد جزعت على محمدٍ جزعاً شديداً يا أمير المؤمنين فقال: وما يمنعني إنّه كان لي ريباً وكان لبني أخاً، وكنت له والداً، أعدده ولداً. ولما سمعت أمه أسماء بقتله كظمت غيظها حتى شخبت ثديها دماً وكان استشهاده سنة (37) للهجرة(3).

ص:43

1- (1) الاختصاص، الشيخ المفيد، ص 70.

2- (2) راجع: حاشية الاحتجاج، الشيخ الطبرسي، ج 1 ص 269.

3- (3) راجع: المصدر نفسه.

كان محمد بن أبي بكر يُعد من حوارى أمير المؤمنين عليه السلام ومن شيعته المقربين المخلصين ونال تأييداً ومدحاً كبيراً من قبل أهل البيت عليهم السلام وهذا يكشف عن إيمانه وإخلاصه، كما ورد عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة نادى مناد أين حوارى محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وآله الذين لم ينقضوا العهد ومضوا عليه، فيقوم سلمان والمقداد وأبو ذر، ثم ينادى أين حوارى على بن أبي طالب وصى محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وآله فيقوم عمرو بن الحمق الخزاعى ومحمد بن أبي بكر وميثم بن يحيى التمار مولى بنى أسد وأويس القرنى(1).

وقد جاء فى الاحتجاج بالإسناده عن أبي محمد العسكرى عليه السلام أنه قال: لما جعل المأمون إلى على بن موسى الرضا عليه السلام ولاية العهد، دخل عليه آذنه فقال: إنَّ قوماً بالباب يستأذنون عليك، يقولون: (نحن من شيعة على عليه السلام). فقال: أنا مشغول فاصرفهم، فصرفهم إلى أن جاءوا هكذا (وبقوا أياماً إلى أن أذن لهم ودخلوا عليه)... فقالوا: يا بن رسول الله ما هذا الجفاء العظيم، والاستخفاف بعد هذا الحجاب الصعب، أى باقية تبقى منا بعد هذا؟ فقال الرضا عليه السلام: اقرؤا: (وَ مَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ)2 والله ما اقتديت إلا بربى عز وجل وبرسوله وبأمر المؤمنين ومن بعده من آبائى الطاهرين عليهم السلام،

ص:44

عتبوا عليكم فاقتديت بهم، قالوا: لماذا يا بن رسول الله؟ قال: لدعواكم أنكم شيعة أمير المؤمنين ويحكم إن شيعته: الحسن والحسين وسلمان، وأبو ذر، والمقداد، وعمار، ومحمد بن أبي بكر الذين لم يخالفوا شيئاً من أوامره، وأنتم في أكثر أعمالكم له مخالفون، وتقصرون في كثير من الفرائض وتهاونون بعظيم حقوق إخوانكم في الله... (1).

وجاء عن سليم قال: فلما قتل محمد بن أبي بكر بمصر وعزيت به أمير المؤمنين عليه السلام وخلوت به وحدثته بما حدثني به محمد بن أبي بكر وبما حدثني به ابن غنم، قال عليه السلام: صدق محمد رحمه الله، أما أنه شهيد حيّ مرزوق (2).

وفي تاريخ الطبري أنه حزن أمير المؤمنين عليه السلام عند ما بلغه خبر استشهاد محمد بن أبي بكر، حتى رُئي ذلك فيه وتبين في وجهه وقام في الناس خطيباً: ألا وإن محمد بن أبي بكر قد استشهد رحمه الله فعند الله نحتسبه، أما والله لقد كان ما علمت ينتظر القضاء ويعمل للجزاء ويغض شكل الفاجر ويحب هين المؤمن (3).

وجاء في نهج البلاغة: وقال عليه السلام لما بلغه قتل محمد بن أبي بكر: إن حزننا عليه على قدر سرورهم به إلا أنهم نقصوا بغيضاً ونقصنا حبيباً (4).

وفي نهج البلاغة أيضاً: ومن كتاب له عليه السلام إلى عبد الله بن العباس بعد مقتل

ص: 45

---

1- (1) راجع: الاحتجاج، الشيخ الطبرسي، ج 2 ص 236.

2- (2) راجع: كتاب سليم بن قيس، تحقيق: محمد باقر الأنصاري، ص 352.

3- (3) تاريخ الطبري، الطبري، ج 4 ص 82.

4- (4) راجع: نهج البلاغة، ج 4 ص 77.

محمد بن أبي بكر بمصر: أما بعد فإنّ مصر قد افتتحت ومحمد بن أبي بكر رحمه الله قد استشهد فعند الله نحتسبه ولداً ناصحاً، وعاملاً كادحاً، وسيفاً قاطعاً، وركناً دافعاً، وقد كنت حثت الناس على لحاقه وأمرتهم بغياثه قبل الوقعة ودعوتهم سرّاً وجهرّاً وعوداً وبدءاً... الخ(1).

### نظرة في جدها من أمها عبد الرحمن بن أبي بكر

عبد الرحمن بن أبي بكر، جد السيدة أم فروة من جهة أمّها وعم والدها القاسم، شهد اليمامة مع خالد، وقتل محكم اليمامة في الحصن فاقتحمه المسلمون، وبعث إليه معاوية بمائة ألف درهم فردها وقال لا أبيع ديني بدنياي(2).

كما ذكر ذلك ابن حيان الأندلسي عنه (عبد الرحمن) حين دعاه مروان، وهو أمير المدينة، إلى مبايعة يزيد، فقال: جعلتموها هرقلية؟ كلما مات هرقل ولي ابنه، وكلما مات قيصر ولي ابنه؟ فقال مروان: خذوه، فدخل بيت أخته عائشة رضی الله عنها، وقد أنكرت ذلك عائشة فقالت، وهي المصدوقة: لم ينزل في آل أبي بكر من القرآن غير براءتي؛ وقالت: والله ما هو به، ولو شئت أن أسميه لسميته. وصدت مروان وقالت: ولكن الله لعن أباك وأنت في صلبه، فأنت فضض من لعنة الله. وكان عبد الرحمن من أفاضل الصحابة وسراتهم وأبطالهم، وممن له في الإسلام غناء يوم اليمامة وغيره(3).

ص:46

1- (1) راجع: المصدر السابق، ج 3 ص 60.

2- (2) الإمام جعفر الصادق عليه السلام، عبد الحلیم الجندی، ص 128.

3- (3) انظر: تفسير البحر المحیط، أبي حيان الأندلسي، ج 8 ص 61.



وفى لفظ آخر: فقال عبد الرحمان بن أبي بكر: جاء بها معاوية هرقلية. فقال مروان: أيها الناس إن هذا عبد الرحمان بن أبي بكر هو الذى أنزل الله عز وجل فيه: (وَ الَّذِي قَالَ لَوَالِدَيْهِ أَفٍّ لَكُمْمَا أَتَعِدَانِي)1, فبلغ ذلك أخته عائشة، فغضبت، وقالت: لا والله ما هو به ولو شئت أن اسميه لسميته، ولكن الله لعن أباك يا مروان على لسان رسوله وأنت فى صلبه، فأنت قطعة من لعنة الله عز وجل(1).

وجاء فى أسد الغابة عن عبد العزيز الزهرى عن أبيه عن جده قال: بعث معاوية إلى عبد الرحمن بن أبي بكر بمائة ألف درهم بعد أن أبى البيعة ليزيد بن معاوية فردها عبد الرحمن وأبى أن يأخذها وقال لا أبيع دينى بدنياى وخرج إلى مكة فمات بها قبل أن تتم البيعة ليزيد وكان موته فجأة من نومة نامها بمكان اسمه حبشى على نحو عشرة أميال من مكة وحمل إلى مكة فدفن بها ولما اتصل خبر موته بأخته عائشة ظعنت إلى مكة حاجة فوفقت على قبره فبكت(2). وهكذا أسدل التاريخ عليه الستار من دون معرفة أسباب وملايسات موته، وربما طعنه أحد الجنود التى كان يستخدمها معاوية بن أبي سفيان، ومن هذه الجنود العسل المسموم، فعندما أرسل السم إلى مالك الأشر وهو فى طريقه إلى مصر، قام معاوية خطيباً فقال: لله جنود من العسل(3).

ص: 47

1- (2) شرح الأخبار، القاضى النعمان المغربى، ج 2 ص 158.

2- (3) أسد الغابة، ابن الأثير، ج 3 ص 306.

3- (4) راجع: مروج الذهب، ج 2 ص 139.

كانت أم فروة (أم الإمام الصادق) عليهما السلام من الصالحات القانتات الطائعات ومن أتقى نساء زمانها عليها السلام، وكان يصفها العلماء من الفريقين من دون ترديد بأنها المرأة النجيبة الجليلة المكرمة، حتى أن الإمام الصادق عليه السلام كان يُعبر عنه بابن المكرمة(1).

وذلك بما كانت تمتاز به هذه المرأة الصالحة من صفات كمالية عالية، فلم يكن اختيارها كي تكون للمعصوم وعاءً وحجراً كان مجرد صدفة، بل كان مخططاً له مسبقاً وأنها هي التي تستحق أن تكون لذلك بما تحويه من نزاهة مادية ومعنوية إضافة إلى السجايا الحميدة التي كانت تتمتع بها هذه السيدة العظيمة.

وقد روى الكليني، عن الكاهلي، عن أبي الحسن عليه السلام قال: كان أبي يبعث أمي وأم فروة تقضيان حقوق أهل المدينة(2). فهذا يعبر عن الكفاءة العالية والمكانة العظيمة التي كانت تمتاز بها السيدة فاطمة بنت القاسم.

## الصفات التي تتمتع بها

### إشارة

عندما نريد دراسة شخصية ما أو التعرف على سيرة إنسان لا بد أن نلاحظ مدى ارتباطه بقوانين السماء وملاحظة الصفات والسجايا التي يحتويها في باطنه

ص: 48

1- (1) راجع: الأنوار البهية، الشيخ عباس القمي، ص 150.

2- (2) الكافي، الشيخ الكليني، ج 4 ص 428.

وظاهره وليس من السهل أن نصل إلى ذلك إلا بعد معاشرته والسفر معه وما إليه، ومع ذلك لا تقطع بأن هذا هو الواقع الذي يعيشه وأنه سيبقى على هذا الحال إلى آخر العمر؛ لأن مثل هذه الصفات يصعب معرفتها من الغير؛ لأنها صفات وسجايا معنوية باطنية لا تدرك وتلاحظ بالحواس، وما أروع كلام الإمام أمير المؤمنين عندما يصف المتقين بقوله: إذا زكى أحدهم خاف مما يقال له فيقول: أنا أعلم بنفسى من غيرى، وربى أعلم بى من نفسى(1).

فالإنسان بنفسه أبصر من غيره، ومع ذلك بحاله ولا يعلم كيف يختم أمره. نعم إلا- الذى يحصل على توثيق ووصف من قبل الله، أو المعصوم فهذا يكون أدل عليه من نفسه؛ لأن المعصوم يحكى عن تمام الواقع بما له من معنى، فعندما نريد معرفة الأبعاد التى يتمتع بها هذا الإنسان نلاحظ تأييده من قبل المعصوم وما كشف عنه من صفات، وبه نكون قد خلصنا إلى تمام معرفة صفاته وبيان حاله، فعندما نأتى إلى السيدة أم فروة أم الإمام الصادق عليه السلام نلاحظ أنها حظيت بتأييدٍ وتوثيقٍ من المعصوم عظيم وقد كشف عن الأبعاد التى كانت عليها، كما جاء فى الكافى بسنده عن الصادق عليه السلام فى حديث قال: كانت أمى ممن آمنت واثقت وأحسنت والله يحب المحسنين(2).

ويجدد بنا أن نقف عند هذه الصفات التى كانت تمتاز بها هذه السيدة الجليلة بحسب شهادة المعصوم عليه السلام.

ص: 49

---

1- (1) نهج البلاغة، خطب الإمام على عليه السلام، ج 2 ص 162.

2- (2) الكافى، الشيخ الكلينى، ج 1 ص 472.

النقطة التي يفترق منها الإنسان ويُصنف على غرارها إما كافر أو مؤمن هو الإيمان بالغيب وعدمه، فالمؤمن هو الذي آمن بالله ورسله واليوم الآخر وعقد قلبه على ذلك وامتثل لكل الأوامر السماوية ووافق ظاهره باطنه، وهذا أيضا يتضمن فرقا آخر بين الإسلام والإيمان، حيث إن الإسلام دائرته أوسع من الإيمان، ربما الإنسان يدخل في حلقة الإسلام لكن لم تتبلور في كيانه ونفسه تعاليم الإسلام ولم تتجذر في أعماقه وباطنه، فيمكن أن يتصف بظاهره أنه مسلم وينتمى إلى هذه الديانة الحققة لكن بباطنه وعمله لم يكن على هذا المستوى ولم يعكس قوانين ومتطلبات القيم والمبادئ الإسلامية، فالإسلام ليس مجرد شعارات فارغة بل هو قيم ومبادئ تنبعث من الأئمة والقلوب وتظهر على الجوارح والجوانح، وقد عانى الإسلام من هذه الثلة التي أعيت وأتعبت كاهل المسلمين وجرّت الويلات للمؤمنين المخلصين، بل أصبحت سداً منيعاً لمن أراد أن ينتمى إلى هذا الدين الذي ينسجم مع القيم الإنسانية والفترة الإلهية، لذلك نلاحظ أن القرآن والسنة يؤكدان على إسلام حقيقي يحمل معنى الإيمان، كما في قوله تعالى: (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لَكِنْ قُولُوا أَسَّ لَمْنَا وَ لَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ)<sup>1</sup>، فيمكن أن نعرف من هذه الآية وغيرها أن ثمرة الإسلام هو الإيمان، ولهذا الإيمان مراتب ودرجات، وليس من السهل أن يرد الإنسان إلى حلقة الإيمان إلا بالعمل والإخلاص والطاعة لله ورسوله وأوليائه، فالإيمان ليس

مجرد انتماء بل هو صور روحانية تتجسد فيه وينعكس صداها إلى الفضاء المادى، من هذا نجد أن الروايات تصف المؤمن عبارة عن مجموعة قيم وسجايا حميدة تجسدت فيه، كما روى عن أبي عبد الله عليه السلام فى توصيف المؤمن قال: «صفة المؤمن قوة فى دين، وحزم فى لين، وإيمان فى يقين، وحرص فى فقه، ونشاط فى هدى، وبر فى استقامة، وإغماض عند شهوة، وعلم فى حلم، وشكر فى رفق، وسخاء فى حق، وقصد فى غنى، وتجمل فى فاقة، وعفو فى قدرة، وطاعة فى نصيحة، وورع فى رغبة، وحرص فى جهاد، وصلاة فى شغل، وصبر فى شدة، وفى الهزاهز وقور، وفى المكاره صبور، وفى الرخاء شكور، لا يفتاب ولا يتكبر ولا يبغي، وإن بُغى عليه صبر، ولا يقطع الرحم وليس بواهن ولا فظ ولا غليظ، ولا يسبقه بصره، ولا يفضحه بطنه، ولا يغلبه فرجه ولا يحسد الناس، ولا يفتر ولا يبذر ولا يسرف، بل يقتصد، ينصر المظلوم، ويرحم المساكين، نفسه منه فى عناء والناس منه فى راحة، لا يرغب فى عز الدنيا، ولا يجزع من ألمها، للناس هم قد أقبلوا عليه، وله هم قد شغله، لا يرى فى حلمه نقص، ولا فى رأيه وهن، ولا فى دينه ضياع، يرشد من استشاره، ويساعد من ساعده، ويكيع من الباطل والخنا والجهل»<sup>(1)</sup>.

فكل هذه الصفات التى يحتوى عليها المؤمن الحقيقى كانت تتمتع بها

ص:51

---

1- (1) الكافى، الشيخ الكلينى، ج 2 ص 231.

السيدة المكرمة أم الإمام الصادق عليه السلام, كما كشف عن ذلك المعصوم عليه السلام بقوله إنَّها ممن آمنت, وربما وصلت إلى مرتبة عالية من الإيمان حتى جعلت الإمام عليه السلام أن يصفها بهذا الوصف العظيم, ولو صدر هذا من غير المعصوم لقلنا إنَّه يريد في ذلك المبالغة أو غيرها ولكن بما أنَّه صدر من المعصوم الذي لا ينطق إلا عن حقيقة وواقع بدون أى مبالغة ومراعاة, فقد يثبت أنه يكشف عن واقع فعلى تعيشه هذه السيدة الجليلة.

## شدة التقوى

بعد ما تجذّر في أعماق السيدة أم فروة ونفسها الإيمان وتجاوزت فيه مرتبة عالية حازت على مرتبة التقوى التي تعد من المراتب القصوى في مراتب الكمال وقد يعجز الإنسان الوصول إليها إلا من خصه الله وحباه وسدده بعدما لاحظ منه الهداية والإخلاص والطاعة والتزكية وما شاكلها, فلا شك أنَّ السيدة أم فروة قد طوت المقدمات التي تؤهلها لأن تصبح عضواً مميزاً من المتقين وتتحمّل أعباء هذه المرحلة بكل أطيافها, حيث يصعب لكل أحد تحملها حتى من المؤمنين المميزين كما يتبين ذلك من وصف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حال المتقين وكيف مات السائل بمجرد سماع هذه الصفات, فقد روى أنَّ صاحباً لأمر المؤمنين عليه السلام يقال له همام كان رجلاً عابداً، فقال يا أمير المؤمنين صف لى المتقين حتى كأنى أنظر إليهم, فتناقل عليه السلام عن جوابه ثم قال: يا همام اتق الله وأحسن فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، فلم يقنع همام بهذا القول حتى عزم عليه، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وآله ثم قال: «أما بعد،

فإنّ الله سبحانه وتعالى خلق الخلق حين خلقهم غنياً عن طاعتهم، آمناً من معصيتهم، لأنّه لا تضره معصية من عصاه ولا تنفعه طاعة من أطاعه، فقسم بينهم معيشتهم، ووضعهم من الدنيا مواضعهم، فالمتقون فيها هم أهل الفضائل، منطلقهم الصواب، وملبسهم الاقتصاد ومشيهم التواضع، غضوا أبصارهم عما حرّم الله عليهم، ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم، نزلت أنفسهم منهم فى البلاء كالتي نزلت فى الرخاء، ولولا الأجل الذى كتب لهم لم تستقر أرواحهم فى أجسادهم طرفة عين شوقاً إلى الثواب، وخوفاً من العقاب، عظم الخالق فى أنفسهم فصغر ما دونه فى أعينهم، فهم والجنة كمن قد رآها فهم فيها منعمون، وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذبون، قلوبهم محزونة، وشروهم مأمونة، وأجسادهم نحيفة، وحاجاتهم خفيفة، وأنفسهم عفيفة، صبروا أياماً قصيرة أعقتهم راحة طويلة، تجارة مريحة يسرها لهم ربهم، أرادتهم الدنيا فلم يريدوها وأسرتهم ففدوا أنفسهم منها، أما الليل فصافون أقدامهم تالين لأجزاء القرآن يرتلونه ترتيلاً، يحزنون به أنفسهم ويستثيرون به دواء دائهم، فإذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعا، وتطلعت نفوسهم إليها شوقاً، وظنوا أنها نصب أعينهم، وإذا مروا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم وظنوا أن زفير جهنم وشهيقها فى أصول آذانهم فهم حانون على أوساطهم، مفترشون لجبابهم، وأكفهم وركبهم وأطراف أقدامهم، يطلبون إلى الله تعالى فى فكاك رقابهم.

وأما النهار فحلما علماء، أبرار أتقياء، قد براهم الخوف برى القداح ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى وما بالقوم من مرض ويقول قد خولطوا ولقد خالطهم أمر عظيم، لا يرضون من أعمالهم القليل، ولا يستكثرون الكثير، فهم لأنفسهم متهمون، ومن أعمالهم مشفقون إذا زكى أحدهم خاف مما يقال له فيقول: أنا أعلم بنفسى من غيرى وربى أعلم بى من نفسى، اللهم لا تؤاخذنى بما يقولون، واجعلنى أفضل مما يظنون، واغفر لى ما لا يعلمون... الخ». فصعق همام صعقة كانت نفسه فيها، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أما والله لقد كنت أخافها عليه(1). ونحن عندما نذكر صفات المتقين هنا كى يتبين لنا منزلة هذه السيدة الجليلة أم فروة، فإنها من رموز المتقين، كما كشف عن ذلك المعصوم عليه السلام الذى ينطق عن الغيب، إنها ممن آمنتم واتقت، فعندما نعرف معانى التقوى نعرف من خلالها عظمة من تلبس بها والتي من مصاديقها أم الإمام الصادق عليه السلام.

### من صفاتها الإحسان

من جملة الصفات التى كانت تتمتع بها فاطمة بنت القاسم (أم الإمام الصادق عليه السلام) هى صفة الإحسان، كما شهد لها بذلك المعصوم عليه السلام بقوله وكانت من المحسنين، واعتنت الشريعة فى مسألة الإحسان حتى وردت فى عدة آيات، منها قوله تعالى: (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ \* آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ

ص: 54

---

1- (1) نهج البلاغة، خطب الإمام على عليه السلام، ج 2 ص 160.



إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُّحْسِنِينَ \* كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ \* وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ \* وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ)1.  
فأبان لنا هنا بعض صفات المحسنين من أنهم كانوا يتقون ربهم ويقومون أكثر الليل يصلون له ويستغفرونه بالأسحار وأن في أموالهم حق لمن يسألهم ومن لا يسألهم من المحوجين لذلك جزاهم بالجنات الخالدة والعيون الجارية آخذيةا من ربهم جزاء حسن أعمالهم، وهكذا رغب الله في الإحسان كل محسن ليدوم عليه ويتصف به أمام ربه وأبناء نوعه وأسرته ونفسه وأن الله يكون دائماً مع المحسنين، لقوله تعالى: (وَ الَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ)2. كما أعلن جل وعلا في عدة آيات بأنه يحب المحسنين، منها قوله تعالى: (لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)3. وغيرها من الآيات الكثيرة التي تناولت مسألة الإحسان وبينت مدى قرب المحسنين من الله عز وجل ومكانتهم عنده تعالى، فالسيدة أم فروة كانت من أفضل المحسنين حتى حظيت بمكانة عند الله وعند أوليائه، فعلاوة على ما كانت تمتاز به من إيمان وتقوى وعلم وما إليه فقد اتصفت بالإحسان وحظيت بالجزاء والتسديد والمحبة الإلهية إلى آخر مطاف حياتها.

لم تقتصر السيدة أم فروة (أم الصادق عليه السلام) على العبادة والارتقاء المعنوي في معزل عن الناس وعن خدمة الإسلام، بل كانت مع ذلك من الدعاة إلى طريق الحرية ونشر كلمة الحق في ربوع المعمورة وشاركت الناس في همومهم والعلماء في علمهم والرواة في رواياتهم، لذلك كانت من الرواة الذين نقل عنها المعصوم والذي يدل بذلك على عظمتها وعلمها وضبطها، بل إنها حازت على كل مقدمات الرواية.

فعندما ينقل عنها الإمام نفهم منه أنها من أكابر الرواة الذين يعتمد ويؤخذ بقولهم، فجاء في الكافي قال الإمام الصادق عليه السلام وقالت أمي: قال أبي: يا أم فروة إني لأدعو الله لمذنبى شيعتنا في اليوم والليلة ألف مرة، لأننا نحن فيما ينوبنا من الرزايا نصبر على ما نعلم من الثواب وهم يصبرون على ما لا يعلمون(1).

وقد ذكر المسعودي في كتاب الوصية، كانت أم الصادق عليه السلام أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر وكان أبوها القاسم من ثقات علي بن الحسين وكانت من اتقى نساء زمانها وروت عن علي بن الحسين عليه السلام أحاديث.

وأيضا عدها البرقي ممن روى عن أبي عبد الله عليه السلام(2).

ص: 56

---

1- (1) الكافي، الشيخ الكليني، ج 1 ص 472.

2- (2) معجم رجال الحديث، السيد الخوئي، ج 24 ص 205.

وأيضاً لم تكن السيدة أم فروة راوية للحديث فقط وتتمتع بمكانة معنوية رفيعة، بل كانت تُعد من العلماء الكبار تستقل بعلمها لاسيما في معرفة أحكام الشريعة بما استلهمته من زوجها وأسررتها إضافة إلى البيت التي كانت تعيش فيه، حيث إنّ أسرة هذا البيت قد تربت وترعرعت على معرفة علوم أهل البيت عليهم السلام حتى صاروا من ثقاة الأئمة عليهم السلام ومن العلماء الكبار ولهم ترجمة حقيقية بالولاء والطاعة، من هنا وردت نصوص تاريخية وغيرها تدل على مدى العلم والمعرفة عند السيدة أم الإمام الصادق عليه السلام، فقد جاء في الكافي عن داود بن فرقد، عن عبد الأعلى قال: رأيت أم فروة تطوف بالكعبة عليها كساء متنكرة فاستلمت الحجر بيدها اليسرى فقال لها رجل ممن يطوف: يا أمة الله أخطأت السنة، فقالت: إنا لأغنياء عن علمك(1).

قالوا: يظهر أنّ الرجل من فقهاء العامة وكان المعروف بابن خربوذ(2)، وكيف لا- تستغنى عن فقه العامة امرأة زوجها باقر علوم الأولين والآخرين، وأبو زوجها الإمام زين العابدين عليه السلام، وابنها ينبوع العلم ومعدن الحكمة جعفر الصادق عليه السلام. وأيضاً قد تقدم كيف كان يبعثها الإمام لقضاء حقوق أهل المدينة، فهذا يعبر عن مدى المستوى العلمي والأخلاقي التي تعيشه هذه السيدة العظيمة، فهي نالت المجد من طرفية والفخر من جانبيه حتى جمعت بين الصفات الروحية والمعنوية والمادية.

ص: 57

1- (1) الكافي، الشيخ الكليني، ج 4 ص 428.

2- (2) انظر: الأنوار البهية، الشيخ عباس القمي، ص 15.

عندما يختارها الإمام شريكة لحياته وأمينته على نطفته لاسيما المعصوم والحجة من بعده، وهو يعلم أنّها ستكون الوعاء المناسب واللائق للمعصوم من الناحية المعنوية والمادية والحضن الرؤف الصالح، فهذا يكشف بحد ذاته عن مدى طهارتها وقربها من الله تعالى، فلما تزوجها الإمام الباقر عليه السلام وعمت الفرحة في ربوع الأسرة الهاشمية لم تمض فترة طويلة من اقترانها بالإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام حتى حملت بالإمام الصادق عليه السلام وزادت الفرحة وعمت البشرية في أفراد الأسرة العلوية بالمولود الجديد، ولما أشرقت الأرض بنور ولادته سارعت القابلة لتزف البشرية إلى أبيه فلم تجده في البيت، وإنما وجدت جده الإمام زين العابدين عليه السلام، فهنأته بالمولود الجديد وأخبرته القابلة بأن له عينين زرقاوين جميلتين، فتبسم الإمام عليه السلام وقال: إنه يشبه عيني والدتي وبادر الإمام السجاد عليه السلام إلى الحجرة فتناول حفيده فقبله، وأجرى عليه مراسيم الولادة الشرعية، فأذن في أذنه اليمنى، وأقام في أذنه اليسرى، والبداية المشرقة للإمام الصادق عليه السلام أن استقبله جده، الذي هو خير أهل الأرض وهمس في أذنيه نشيد الولاء للإسلام الخالد.

واختلف الرواة في تاريخ ولادته عليه السلام، فقيل إنه ولد (17) ربيع الأول عام (80) هـ (وقيل عام (83) هـ (وقيل بل ولد قبل هذين التاريخين، والراجح أنه ولد عام (80) هـ. (واستشهد (25) شوال (148) هـ -) وتوفي جده زين العابدين وهو يومئذ ابن (14) عاما وأدرك جده من أمّه القاسم الذي توفي عام (108) هـ (وللصادق من العمر (28) عاما(1)).

ص:58

ذكروا أنّ أولاد الإمام الباقر عليه السلام سبعة، الذكور خمسة: وهم الإمام الصادق عليه السلام وعبد الله الأفتح(1)، أمهما أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر. وإبراهيم وعبيد الله وعلى من غيرها. وكان عبد الله بن الإمام الصادق يشار إليه بالفضل والصلاح. وروى أنه دخل على بعض بنى أمية فأراد قتله، فقال له عبد الله: لا تقتلني أكن لله عليك عوناً، واتركني أكن لك على الله عوناً، فلم يقبل، وسقاه السم فقتله.

أما بناته عليه السلام فزينب وأم سلمة. وقيل: له بنت واحدة اسمها زينب وكنيتها أم سلمة. درجوا أولاده كلهم (أى ماتوا في حياته) إلا أولاد الصادق عليه السلام والعقب منه(2).

لكن قال العلامة الأميني في الغدير مجموع أولاد أبي جعفر الباقر عليه السلام المذكور ستة باتفاق الفريقين ولم نجد فيما وقفنا عليه من تأليف العامة والخاصة غيرهم، ثم ذكر الخمسة المذكورة والسادس زيد(3).

ويؤيد القول الأول ما جاء في المناقب حيث قال جعفر الإمام وكان يكنى به، وعبد الله الأفتح من أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر، وعبد الله وإبراهيم من أم حكيم بنت أسد الثقفية، وعلى وأم سلمة وزينب من أم ولد. ويقال: زينب

ص: 59

- 
- 1- (1) الفطح: عرض في وسط الرأس والأرنبة حتى تلتزق بالوجه كالثور الأفتح، قال أبو النجم يصف الهامة: قبضاء لم تفتح ولم تكتل ورجل أفتح: عريض الرأس بين الفطح. انظر: لسان العرب، لابن منظور، ج 2 ص 545.
- 2- (2) انظر: مستدرک سفينة البحار، الشيخ على النمازي الشاهرودي، ج 2 ص 400.
- 3- (3) انظر: الغدير، العلامة الأميني، ج 3 ص 273.

لام ولد أخرى. ويقال: له ابنة واحدة وهي أم سلمة، درجوا كلهم إلا أولاد الصادق فقد تزوجها مولانا الباقر عليه السلام فولد له منها مولانا الصادق عليه السلام وعبد الله(1).

وابنها الإمام الصادق عليه السلام غنى عن التعريف، ورث المجد كبراً عن كابر، ومن أجدر بالإمام جعفر الصادق عليه السلام أن يفتخر بهذا النسب الرفيع المقدس، ويترنم بقول الفرزدق:

أولئك آبائي فجنّني بمثلهم إذا جمعتنا - يا جرير المجامع(2)

### إيثارها بنفسها

حبها للمعصوم الابن وإيثارها بنفسها له لأجل إنقاذ حياته يكشف عن بُعد إيمانها بالله وطاعتها وإيمانها بحملة الرسالة المحمدية، حيث ذكروا أن في سنة تسعين من الهجرة انتشر مرض الجدري في يثرب، فأصاب مجموعة كبيرة من الأطفال، وكان الإمام الصادق عليه السلام في السنة السابعة أو العاشرة من عمره، فخافت عليه أمه من العدوى، ففرت به إلى الطنفسة من ريف المدينة، ولما استقرت السيدة (أم فروة) مع ابنها (الصادق) فقد أصيبت هي بهذا المرض دون أن تشعر به في بادئ الأمر، فلما ظهرت عليها الأعراض، تنبّهت إلى خطورة الموقف، ولم تهتم السيدة (أم فروة) بعلاج نفسها، وإنما كان همها الوحيد إنقاذ ولدها (جعفر) فأبعدهت عنها إلى مكان آخر، وأخذت تعاني آلام أعراض المرض، وسريانه في جسمها ولما انتهى الخبر إلى الإمام الباقر عليه السلام، أوقف بحوثه ودروسه العلمية

ص:60

- 
- 1- (1) انظر: مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج 3 ص 340.
  - 2- (2) انظر: موسوعة المصطفى والعترة، الحاج الشاكري، ج 9 ص 16.

واتجه لعيادة زوجته، وقبل أن يغادر المدينة زار قبر جده رسول الله صلى الله عليه وآله ودعا الله تعالى أن ينقذ زوجته (أم فروة) من هذا المرض ولما انتهى إليها عظم عليها مجيئه، وخافت عليه من العدوى، وشكرته على تصدعه لزيارتها، والتفت إليها الإمام وبشرها بالسلامة، قائلاً لقد دعوت الله عز وجل عند قبر جدى رسول الله صلى الله عليه وآله أن ينجيك من هذا المرض، وإني واثق أن جدى لا يردنى، وسيقضى لى حاجتى، فثقتى بأنك ستشفين من هذا المرض، وأنا أيضاً مصون منه إن شاء الله واستجاب الله دعاء وليّه الإمام، فقد عوفيت السيدة (أم فروة) من مرضها، ولم يترك أى أثر على جسمها. ومن الجدير بالذكر: أنّ هذا المرض لا يصيب الكبار إلا نادراً، فإن أصابهم كان خطراً على حياتهم فلا ينجو منه إلا القليل(1).

### سبب تسمية ولدها بالصادق

إنّ أهل البيت عليهم السلام مظهر الصدق والإحسان والعبادة والجود والعلم والهدى وكظم الغيظ وما إلى ذلك، ولكن ربما تظهر حادثة تتجلى بها هذه الصفة لأحد الأئمة عليهم السلام التى راهن عصرها كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: إذا ولد جعفر بن محمد بن على بن الحسين ابني فسموه الصادق؛ فإنه يولد من ولد ابنه ولد يقال له جعفر الكذاب، ويبل له من جرأته على الله وتعيده على أخيه صاحب الحق، وإمام زمانه وأهل بيته. فلأجل ذلك سمى الصادق(2).

وأيضاً روى عن أبى خالد أنه قال: قلت لعلى بن الحسين عليهما السلام من الإمام

ص: 61

1- (1) الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب، ص 89

2- (2) دلائل الإمامة، محمد بن جرير الطبرى (الشيعة)، ص 248. وانظر: علل الشرائع، الصدوق، ج 1 ص 234.

بعدك؟ قال: محمد ابني يبقر العلم بقرأ، ومن بعد محمد جعفر، اسمه عند أهل السماء الصادق، قلت: كيف صار اسمه الصادق؟ وكلكم الصادقون؟ فقال: حدثني أبي، عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إذا ولد ابني جعفر بن محمد بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب فسموه الصادق، فإن الخامس من ولده الذي اسمه جعفر يدعى الإمامة اجترأ على الله، وكذباً عليه، فهو عند الله جعفر الكذاب، المفترى على الله، ثم بكى علي بن الحسين عليهما السلام فقال: كأنى بجعفر الكذاب وقد حمل طاغية زمانه على تقتيش أمر ولي الله، والمغيب في حفظ الله(1).

وأيضاً يمكن أن يكون هناك مغزى آخر لتجلى هذه الصفة في الإمام الصادق عليه السلام وهي أن في عصره عليه السلام اختلف العلماء في كثير من المسائل الشرعية وغيرها لاسيما بين المسلمين، حتى أن بعض تلاميذه اتخذوا فكراً آخر يختلف مما كان عليه المعصوم عليه السلام، بل ربما كانوا يخالفونه بكل شيء، فلأزم أن يبين من هو الصادق في القول ويستحق الإقتداء والإتباع لكي يكون سبيلاً للنجاة وطريقاً للسعادة، فأكد النبي صلى الله عليه وآله عندما لقبه بالصادق وأنه الصادق بالقول والعمل، حيث قال صلى الله عليه وآله: يقال له جعفر أصدق الناس قولاً وعملاً هو الإمام والحجة بعد أبيه، وذلك يكون حجة على إتباعه وأنه هو صاحب الحق وقوله الصدق وإتباعه إتباع لله ولرسوله، كما يتضح ذلك في أدنى تأمل في أحاديث النبي صلى الله عليه وآله التي سيأتي ذكرها، فإن الإمامية تعتقد أن أسماء أهل البيت وألقابهم عليهم السلام كانت جميعها من قبل النبي صلى الله عليه وآله وتحمل في طياتها معاني ودلالات.

ص:62



ذكر المؤرخون وأصحاب الحديث جملة من الروايات الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله في بيان أسماء وألقاب أهل البيت عليهم السلام إلى الإمام الثاني عشر، كما جاء في كفاية الأثر عن الحسن عليه السلام قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً فقال بعد ما حمد الله وأثنى عليه: معاشر الناس كأنى ادعى فأجيب، وإنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا، فتعلموا منهم ولا- تعلموهم فإنهم أعلم منكم، لا تخلو الأرض منهم، ولو خلت إذاً لساخت بأهلها. ثم قال صلى الله عليه وآله: اللهم إنى أعلم أن العلم لا يبید ولا ينقطع، وإنك لا تخلى أرضك من حجة لك على خلقك ظاهر ليس بالمطاع أو خائف مغمور لكيلا تبطل حجتك ولا يضل أولياؤك بعد إذ هديتهم، أولئك الأقلون عدداً الأعظمون قدراً عند الله. فلما نزل عن منبره قلت: يا رسول الله أما أنت الحجة على الخلق كلهم؟ قال: يا حسن إن الله يقول (إنما أنت منذر ولكل قوم هاد) فأنا المنذر وعلى الهادى. قلت: يا رسول الله فقولك إنَّ الأرض لا تخلو من حجة؟ قال: نعم على هو الإمام والحجة بعدى، وأنت الحجة والإمام بعده، والحسين الإمام والحجة بعدك، ولقد نبأنى اللطيف الخبير أنه يخرج من صلب الحسين غلام يقال له على سمي جده على، فإذا مضى الحسين أقام بالأمر بعده على ابنه وهو الحجة والإمام، ويخرج الله من صلبه ولدأ سمي وأشبهه الناس بى علمه علمى وحكمه حكمى هو الإمام والحجة بعد أبيه، ويخرج الله تعالى من صلبه مولودأ يقال له جعفر أصدق الناس قولأ وعملاً هو الإمام والحجة بعد أبيه، ويخرج الله تعالى من صلب جعفر مولودأ [يقال

له موسى] سمي موسى بن عمران عليه السلام أشد الناس تعبداً فهو الإمام والحجة بعد أبيه، ويخرج الله تعالى من صلب موسى ولداً يقال له على معدن علم الله وموضع حكمه فهو الإمام والحجة بعد أبيه، ويخرج الله من صلب على مولوداً يقال له محمد فهو الإمام والحجة بعد أبيه، ويخرج الله تعالى من صلب محمد مولوداً يقال له على فهو الحجة والإمام بعد أبيه، ويخرج الله تعالى من صلب على مولوداً يقال له الحسن فهو الإمام والحجة بعد أبيه، ويخرج الله تعالى من صلب الحسن الحجة القائم إمام شيعته ومنقذ أوليائه، ويغيب حتى لا يرى فيرجع عن أمره ويثبت آخرون ويقولون (متى هذا الوعد إن كنتم صادقين)، ولو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله عز وجل ذلك حتى يخرج قائمنا فيملاًها قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، فلا تخلو الأرض، أعطاكم الله علمي وفهمي ولقد دعوت الله تبارك وتعالى أن يجعل العلم والفقه في عقبى وعقب عقبى ومزرعى وزرع زرعى(1).

وفي خبر آخر عن أبي هريرة قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وآله وأبو بكر وعمر والفضل بن العباس وزيد بن حارثة وعبد الله بن مسعود إذ دخل الحسين بن علي عليه السلام فأخذه النبي صلى الله عليه وآله وقبله ثم قال: حزقة حزقة، ترق عين بقة، ووضع فمه على فمه وقال: اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه، يا حسين أنت الإمام ابن الإمام أبو الأئمة، تسعة من ولدك أئمة أبرار. فقال له عبد الله بن مسعود: ما هؤلاء الأئمة الذين ذكرتهم في صلب الحسين؟ فأطرق ملياً ثم رفع رأسه فقال: يا عبد الله سألت عظيماً ولكنني أخبرك أنّ ابني هذا (ووضع يده

ص:64

على كتف الحسين عليه السلام) يخرج من صلبه ولد مبارك سمي جده على عليه السلام يسمى العابد ونور الزهاد، ويخرج الله من صلب على ولداً اسمه اسمي وأشبه الناس بي يبقر العلم بقرأً وينطق بالحق ويأمر بالصواب، يخرج الله من صلبه كلمة الحق ولسان الصدق، فقال له ابن مسعود: فما اسمه يا رسول الله؟ قال: يقال له جعفر، صادق في قوله وفعله، الطاعن عليه كالطاعن على، والراد عليه كالراد على، ثم دخل حسان بن ثابت وأنشد في رسول الله صلى الله عليه وآله شعراً وانقطع الحديث. فلما كان من الغد صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله ثم دخل بيت عائشة ودخلنا معه أنا وعلى بن أبي طالب وعبد الله بن العباس، وكان صلى الله عليه وآله من دأبه إذا سئل أجاب وإذا لم يسأل ابتداءً، فقلت له: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ألا تخبرني بباقي الخلفاء من صلب الحسين قال: نعم يا أبا هريرة، ويخرج الله من صلب جعفر مولوداً نقياً طاهراً أسمر ربيعة سمي موسى بن عمران، ثم قال له ابن عباس: ثم من يا رسول الله؟ قال: يخرج من صلب موسى على ابنه يدعى بالرضا، موضع العلم ومعدن الحلم، ثم قال صلى الله عليه وآله، بأبي المقتول في أرض الغربية، ويخرج من صلب على ابنه محمد المحمود، أظهر الناس خلقاً وأحسنهم خلقاً، ويخرج من صلب محمد على ابنه: طاهر الحسب صادق اللهجة، ويخرج من صلب على الحسن الميمون النقي الطاهر الناطق عن الله. وأبو حجة الله، ويخرج الله من صلب الحسن قائمنا أهل البيت يملأها قسطاً وعدلاً كما

ملئت جوراً وظلماً، له هيبه موسى وحكم داود وبهاء عيسى ثم تلا صلى الله عليه وآله: (ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ). فقال له على بن أبي طالب عليه السلام: بأبي أنت وأمي يا رسول الله من هؤلاء الذين ذكرتهم؟ قال يا على: أسامى الأوصياء من بعدك، والعترة الطاهرة، والذرية المباركة، ثم قال صلى الله عليه وآله: والذي نفس محمد بيده لو أن رجلاً عبد الله ألف عام ثم ألف عام ما بين الركن والمقام ثم أتاني جاحداً لولايتهم لأكبه الله في النار كائناً من كان(1).

وأيضاً ما ذكره بن عياش الجوهري المتوفى سنة (401 هـ -) بسنده المعنعن إلى أبي سلمى، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ليلة اسرى بي إلى السماء قال العزيز جل ثناؤه: آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه قلت: والمؤمنون، قال: صدقت يا محمد من خلفت لا متك؟ قلت: خيرها، قال: على بن أبي طالب؟ قلت: نعم، قال: يا محمد إنني اطلعت على الأرض اطلاعة فاخترت منها، فشققت لك اسماً من أسمائي، فلا أذكر في موضع الا وذكرت معي، فانا المحمود وأنت محمد، ثم اطلعت فاخترت منها علياً، وشققت له اسماً من أسمائي، فانا الأعلى وهو على، يا محمد أنى خلقتك وخلقت علياً وفاطمة والحسن والحسين من سن نوري، وعرضت ولايتكم على أهل السماوات والأرضين، فمن قبلها كان عندي من المؤمنين، ومن جحدتها كان عندي من الكافرين، يا محمد لو أن عبداً من عبادي عبدني حتى ينقطع أو يصير كالشن البالي، ثم أتاني جاحداً لولايتكم، ما غفرت له أو يقر بولايتكم يا محمد تحب ان تراهم؟ قلت: نعم يا رب فقال لي: التفت عن

ص:66

يمين العرش فالتفت وإذا بعلى وفاطمة والحسن والحسين، وعلى بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، وموسى بن جعفر، وعلى بن موسى، ومحمد بن علي، وعلى بن محمد، والحسن بن علي، والمهدى في ضحضاح من نور قياماً يصلون، وهو في وسطهم - يعنى المهدى - كأنه كوكب درى فقال: يا محمد؟ هؤلاء الحجج وهو الثائر من عزتك، وعزتي وجلالى إنه الحجة الواجبة لأوليائي، والمنتقم من أعدائي(1).

## ولدى أبو بكر مرتين

### إشارة

بما أنّ (أم فروه) فاطمة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر كانت أم الصادق عليه السلام، وأمها أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر، فيكون هذا معنى قول الصادق عليه السلام: إنّ أبا بكر ولدنى مرتين(2)، حيث إنّ أمه عليه السلام تتصل بأبي بكر من جهة الأب ومن جهة الأم، لأنّ أباهما القاسم حفيد أبي بكر، وأمها أسماء حفيدة أبي بكر كذلك. وقد تقدم توضيح ذلك مفصلاً.

وهذا الاتصال من الإمام عليه السلام بأبي بكر من جهة الأم بهذا النحو لا غبار عليه وإنه واقع فعلاً، ولكن الكلام في صدور الحديث عن لسان الإمام الصادق عليه السلام وعدمه، فيقع الكلام من هذه الناحية في مقامين، نذكرهما على سبيل الاختصار والإيجاز لأنّ ذلك ليس مورد بحثنا، فالمقام الأول: من الناحية السنية. والمقام الثانى: ومن الناحية الدلالية.

ص: 67

1- (1) مقتضب الأثر، أحمد بن عياش الجوهري، ص 11.

2- (2) أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، ج 8 ص 390.

أمّا المقام الأول من مناقشة الحديث فتكون من جهة السند، فإن هذا الحديث ينتهي إلى مسند الكوفة، محمد بن الحسين الحنيني، قال: حدثنا عبد العزيز بن محمد الأزدي، قال: حدثنا حفص بن غياث، قال: سمعت جعفر بن محمد يقول: ما أرجو من شفاعه على شيئاً إلا وأنا أرجو من شفاعه أبي بكر مثله، ولقد ولدني مرتين(1).

وهذا الطريق من السند ليس بالسليم ولا تقوم به حجة، كما يتضح ذلك من القوم أنفسهم، حيث إنّ المتفرد بروايته عن حفص بن غياث، هو عبد العزيز بن محمد الأزدي، وهو فيه جهالة كما نص عليه جملة من علماء العامة، من جملتهم الذهبي حيث قال: عبد العزيز بن عبدالله الأصب (شيخ للحنيني) فيه جهالة، وقيل: عبد العزيز بن محمد(2).

وأيضاً الحافظ ابن حجر قال: قال ابن القطان عبد العزيز لا يعرف، سواء كان عبد العزيز بن عبدالله (كما قال البزاز) أو عبد العزيز بن محمد (كما قال قاسم ابن محمد)(3). ثم إنهم جعلوا ضابطة في الأخذ برواية من كانت حالته كذلك من الرواة، أن ينظر هل وافقه عليه أحد ممن يؤخذ بروايته أم لا، حيث قالوا: إنّ المجهول لا يخلو من أن يكون حديثه معروفاً أو منكراً، فإن كان معروفاً فجهالته لا تضر، وإن كان منكراً وعرف تفرد به فهو (أي المجهول) ضعيف محقق الضعف حتى لو رفعت جهالته العينية برواية اثنين فصاعداً عنه، أو لم ترفع، فهو

ص:68

1- (1) تهذيب الكمال، المزي، ج 5 ص 81.

2- (2) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، الذهبي، ج 2 ص 630.

3- (3) لسان الميزان، الحافظ ابن حجر، ج 4 ص 32.

ضعيف مجروح خارج من حيز المجاهيل إلى حيز الضعفاء المحقق ضعفهم، وبهذا الضابط يعرف المتأخرون ضعف الراوى المتقدم عنهم، أو ثقته، مع أنهم لم يروه ولم يعاشروه، بل يتكلمون فى الرواة المتقدمين عنهم بمئات السنين(1).

والأزدى هذا أولاً أنه مجهول كما تقدم، وثانياً لم يوافق أحد من الرواة مطلقاً، لا من الثقات ولا غيرهم، فعليه لا يصح الاستناد إلى كلامه، بالإضافة إلى ذلك أن شيخه حفص بن غياث النخعى كان قد ساء حفظه، كما ذكر ذلك مجموعة من علمائهم، كما قال داود بن رشيد: حفص كثير الغلط(2). وأيضاً سئل أحمد عن حفص قال: كان يخلط فى حديثه(3). فمن هذا وذاك ثبت أن هذه الرواية ساقطة عن الاعتبار والقبول من ناحية السندية، ولا نريد أن نسهب فى الموضوع؛ لأنه ليس هدف بحثنا كما هو واضح.

إن قيل: إن علماء الشيعة قد نقلوا هذا الحديث فى كتبهم، ولم ينفرد به علماء الجمهور؟ قلنا: إنهم إنما نقلوه من كتب مخالفيهم، وأول من ذكره أبو الفتح الأربلى قدس سره(4)، نقلاً عن كتاب (معالم العترة النبوية) لعبد العزيز بن الأخضر الجنازى الحنبلى، ثم كل من جاء بعده من متقدمى أصحابنا ومتأخريهم إنما أخذ ذلك من كتابه، فهو لم يثبت عندنا وإنما هو منقول من طريق العامة.

ص:69

---

1- (1) راجع: الكاشف فى معرفة من له رواية فى كتب الستة، الذهبى، ج 1 ص 26.

2- (2) راجع: تاريخ الإسلام، الذهبى، ج 13 ص 154.

3- (3) سير أعلام النبلاء، ابن حجر، ج 9 ص 31. وأيضاً: دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه، أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزى الحنبلى، ص 251.

4- (4) كشف الغمة فى معرفة الأئمة، أبو الفتح الأربلى، ج 2 ص 373.

أمّا المقام الثاني فيكون النقاش فيه من الناحية الدلالية، فلو تنزلنا وسلمنا وأغضضنا النظر عن سندها فلا ريب أنّ هذا الحديث جاء في مورد التقية لا مورد الجدل وبيان الواقع، وذلك لدفع ضرر سواء كان على الإمام عليه السلام أو على شيعته، والتقية أمر ثابت في القرآن والسنة كما هو ثابت في محله. أمّا الدليل الذي يدل على كون هذا الكلام صدر من الإمام عليه السلام تقية أمران:

الأول: كون المخاطب به هو حفص بن غياث النخعي قاضى بغداد، ثم قاضى الكوفة، وكان يقال: «ختم القضاء بحفص»<sup>(1)</sup>. ولا ريب أنّ من كان هذا شأنه عند قومه وعند السلطان، فإنّه ممن يتقى منه بمثل هذا الكلام.

الثاني: أنّ أهل البيت عليهم السلام شفعاء دار البقاء، كما ثبت في محله بالأدلة القاطعة، فكيف يصح أن يرتجى شفاعة غيره، مع أنّه كيف يمكن ترك رجاء شفاعة جده صلى الله عليه وآله والتي ثبتت له أولاً وبالذات دون الخلق أجمعين، كما تواتر عند الفريقين، عنه صلى الله عليه وآله: أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي... وأعطيت الشفاعة<sup>(2)</sup>. ويرتجى شفاعة غيره.

الثالث: أنّ الشفاعة لا تقع للأنساب بما هي، حتى لو كان هذا الأب أو الجد أو غيرهما من الأنبياء أو الخواص، فالنسب ليس مقياساً بالقانون الإلهي ولا يغنى ولا يقرب، كما صرح به تعالى: (فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ

ص: 70

- 
- 1- (1) راجع: تذكرة الحفاظ، الذهبي، ج 1 ص 297. تهذيب التهذيب، ابن حجر، ج 1 ص 568.
  - 2- (2) راجع: صحيح البخاري، ج 1 ص 86. وصحيح مسلم، مسلم النيسابوري، ج 2 ص 63، وغيرهم.



ولذلك أنّ بعض العلماء قد حمله على التقية كما ورد عن التستري رحمه الله حيث يقول: حاشا عن الإمام الصادق عليه السلام أن يستدل من غير ضرورة تقية...<sup>(1)</sup>.

الرابع: أنّ هذا الحديث لو سلمنا ثبوته لم يكن بهذا الشكل من النقل, بل ما ثبت عند محدثينا وغيرهم خالٍ من كلام رجاء الشفاعة وإنما فقط يتحدث عن واقع النسب وهو (ولدنى أبو بكر مرتين)<sup>(2)</sup>. ولا أحد ينكر هذا الواقع بحد ذاته من دون أن يحمل أبعاداً أخرى, لذلك نجد البعض كالسيد المرعشى رحمه الله قد قلل من أهمية هذا الحديث وأنه لا يشير إلى منزلة أحد لا من بعيد ولا من قريب وإنما مجرد بيان نسب من جهة الأم, وفي نفس الوقت دفع ضرره, فقد ذكر رحمه الله: وإنما المذكور فيه فى باب أحواله ومناقبه مجرد قوله: ولقد ولدنى أبو بكر مرتين, ولا إشعار لسوقه هناك أيضاً بما يفيد الشناء والتعظيم, بل الظاهر أنّه ذكر ذلك عند تفصيل حال الآباء والأمهات من غير إرادة الافتخار والمباهات... مع أن سوق الحديث المذكور صريح فى صدوره على وجه التقية, إذ الظاهر كون ما روى عنه عليه السلام جواباً عن سؤال من اتهمه بسبب أبى بكر, ودفع تلك التهمة لم يمكن بأدنى من ذلك كما لا يخفى, مع أن كلامه عليه السلام قد وقع على أسلوب جوامع الكلم... الخ<sup>(3)</sup>.

ص: 71

1- (2) الصوارم المهرقة, الشهيد نور الله التستري, ص 253.

2- (3) انظر: عمدة الطالب, ابن عنبه, ص 195. وبحار الأنوار, المجلسى, ج 29 ص 651, وغيرهم. وأما مصادر المخالفين: تهذيب الكمال, المزى, ج 5 ص 75. تهذيب التهذيب, ابن حجر, ج 2 ص 88.

3- (4) راجع: شرح إحقاق الحق, السيد المرعشى, ج 1 ص 67.

لم يصل إلينا من كتب التاريخ أو كتب الحديث بيان زمان وفاة السيدة فاطمة بنت القاسم عليها السلام، ولا بيان محل قبرها، ولكن يمكن أن نتصيد ذلك من بعض الروايات أنّها بقيت إلى ما بعد حياة زوجها الإمام الباقر عليه السلام، وأدركت إمامة ابنها الإمام الصادق عليه السلام فترة من الزمن، كما تشر الرواية التي تقدم ذكرها، أنها كانت تعين الإمام الصادق عليه السلام في قضاء حوائج أهل المدينة، فقد جاء عن أبي الحسن عليه السلام قال: كان أبي يبعث أُمى وأم فروة تقضيان حقوق أهل المدينة (1). فنفهم من ذلك أنّ الإمام الصادق عليه السلام بعدما تحولت إليه إدارة الأمة وشؤون الإمامة أخذ يستعين بالكوادر الكفوّة والنزيهة والتي من جملةهم زوجته حميدة المصفاة، وأمه أم فروة عليهما السلام، فهذا مؤشّر على أنها عاصرت ابنها الإمام الصادق عليه السلام في حال إمامته فترة من الزمن بقوة وافية واستعداد كامل، كما يظهر من الرواية من القيام بهذا العمل الذي من شأنه ذلك، وقد فارقت الحياة بعد ذلك في هذه الفترة من إمامة الإمام عليه السلام. ولا ينبغي التردد من أنّ المراد أم فروة زوجته أو ابنته؛ وذلك، أولاً: لم تكن للصادق عليه السلام بنت قد اشتهرت بهذا اللقب، وربما نسبها البعض به من الوهم أو التصحيف. وثانياً: أنّ هذا اللقب (أم فروة) مشهور عند الخاصة والعامة بأمام الصادق عليه السلام، حتى على لسان المعصوم عليه السلام لاسيما زوجها الباقر عليه السلام كما مرّ في رواية الكافي قال الإمام الصادق عليه السلام وقالت أُمى: قال أبي: يا أم فروة إني لأدعو الله لمذنبى شيعتنا في اليوم والليلة ألف مرة... الخ.

ص: 72

ولكن هناك رواية صريحة الدلالة تذكر أنّها عليها السلام توفيت في حياة زوجها الإمام الباقر عليه السلام، وحينئذ كان الإمام الصادق عليه السلام (ابنها) غلاماً، كما جاء ذلك عن ابن فضال، عن أبي جميلة، عن محمد بن علي الحلبي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: الرجل يستأذن على أبيه؟ قال: نعم، قد كنت أستأذن على أبي وليست أمي عنده إنما هي امرأة أبي توفيت أمي وأنا غلام وقد يكون من خلوتهما ما لا أحب أن أفجأهما عليه ولا يحبان ذلك مني، السلام أصوب وأحسن (1). إلا أنّ هذه الرواية ضعيفة السند بأبي جميلة، فإنه يروى ممن عرف بالكذب (2).

وأما محل قبرها، فأيضاً يمكن أن نستفيده (على القول الأرجح) من أحوال ابنها الإمام الصادق عليه السلام، فقد ثبت أنّها عاشت أواخر عمرها مع ابنها الصادق عليه السلام، مع أنّها حينذاك تمارس نشاطها التبليغي في المدينة المنورة، وأيضاً كان الإمام مستقره ومثواه في المدينة المنورة إلى أن وافاه الأجل ودفن في المقبرة المعروفة لأهل البيت عليهم السلام واتباعهم في البقيع، فاحتمال قوى أنّها دفنت مع زوجها الإمام الباقر عليه السلام في البقيع، فيكون محل قبرها عليها السلام البقيع مع أئمة أهل البيت عليهم السلام الذين دفنوا بالبقيع. وهذا أيضاً يثبت على القول من أنّها فارقت الحياة في زمان زوجها، فكذلك الإمام الباقر عليه السلام لم يتخذ سكناً غير مدينة جده. نعم إلا أن نقول قد وافاها الأجل في سفر من اسفارها إلى مكة بقصد الحج أو التبليغ، وهذا قليل الوقوع.

ص: 73

1- (1) الكافي، الشيخ الكليني، ج 4 ص 428.

2- (2) انظر: مباني تكملة المنهاج، السيد الخوئي، ج 2 ص 284. وكتاب النكاح، ج 1 ص 108.



## الفصل الثامن: حميدة بنت صاعد البربري أم الإمام الكاظم عليهما السلام

إشارة

ص: 75



السيدة حميدة بنت صاعد البربري، ويقال: إنها أندلسية، أو قل هي من أهالي المغرب بين حدود أفريقيا والأندلس. وهي أم ولد تكنى لؤلؤة، والأصح أنها تكنى أم محمد، ولؤلؤة لقب من ألقابها عليها السلام كما سيأتي. أما أخوها فقد ذكروا أنه صالح بن صاعد البربري.

وعن ابن شهر آشوب ذكر عن أعلام الوري أن قال: أمه أم ولد يقال لها حميدة البربرية، ويقال لها حميدة المصفاة. وفي المناقب: أمه حميدة المصفاة ابنة صاعد البربري ويقال إنها أندلسية<sup>(1)</sup>.

### من ألقاب السيدة حميدة

ولها ألقاب كثيرة تحكى عن معاني اختزلت في ذات السيدة حميدة عليها السلام كما كشف عن ذلك المعصوم عليه السلام. فمن جملة ألقابها: المحمودة، كما وسمها الإمام الصادق عليه السلام بذلك حينما قال لها أنت حميدة في الدنيا محمودة في الآخرة، وقيل وسمها بذلك الإمام الباقر عليه السلام أيضاً كما سيأتي في محله، ويمكن الجمع في

ص: 77

---

1- (1) انظر: مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج 3 ص 437.

ذلك من أن صدور هذا اللقب صدر من كلا الإمامين عليهما السلام، كما يتضح من خلال ذكر الروايات في هذا المجال.

وأيضاً من ألقابها، المصفاة، كما لقبها أيضاً الإمام الصادق عليه السلام بذلك حينما قال حميدة مصفاة من الأذناس كسيكة الذهب... الخ. فأخذوا يسمونها حميدة المصفاة. بمعنى أنها خالية ونزيهة وخالصة من كل الشوائب المعنوية والمادية، وقد خلصت وصفت نفسها لله وحده. ومن ألقابها أيضاً المهذبة، وهذه الصفة إما أن تعطى معنى المصفاة من عموم الأرجاس والأذناس وتكون مرادفة لها، وإما المراد من هذه الصفة التهذيب في أخلاقها ومنطقها وكلامها وما إليه. كما جاء في اللغة: التهذيب كالتنقية. ورجل مهذب، أى مطهر الأخلاق(1). ومن ألقابها لؤلؤة، وهى الدرّة، ويمكن أن يكون هذا اللقب له صلة فى مظهرها المادى أنّها تشع وتضىء، كما جاء: كوكب درى أى ثاقب ومضىء(2). وتلقب بأنّها سيدة الإماء. فكل هذه الألقاب تشير إلى صفات تجسدت فى كيان السيدة الجليلة حميدة المصفاة أم الإمام الكاظم عليه السلام. لذلك قالوا إنها كانت من أشرف العجم.

### البرابرة فى سطور

بما أنّ انتساب السيدة حميدة يرجع إلى البرابرة بحسب المشهور فيجدر بنا هنا أن نلقى نظرة مقتضبة حول بيان هذا النسب فنقول:

البريرة فى اللغة: كثرة الكلام والجلبة باللسان، وقيل الصياح والتخليط فى

ص:78

1- (1) راجع: الصحاح، الجوهري، ج 1 ص 237.

2- (2) راجع: لسان العرب، ابن منظور، ج 4 ص 282.



الكلام مع غضب ونفور. وفي حديث عليّ عليه السلام لما طلب إليه أهل الطائف أن يكتب لهم الأمان على تحليل الزنا والخمر، فامتنع، قاموا ولهم تدمرٌ وبربرة. وفي حديث أحد: فأخذ اللواء غلام أسود فنصبه وبربر. يقال: بربر الرجل، إذا هذا فهو بربر، كصلصال، مثل ثرثر فهو ثرثار. وقال الفراء: البربرى: الكثير الكلام بلا منفعة، وقد بربر في كلامه بربرة، إذا أكثر. ودلو بربار. لها في الماء بربرة، أى صوت فى الماء، قال رؤبة:

أروى ببرارين فى الغطاط إفراغ ثجاجين فى الأغواط (1)

والبربر فى الاصطلاح: جيل من الناس لا تكاد قبائله تنحصر، كما قاله ابن خلدون فى التاريخ، وفى الروض للسهيلى: أنهم والحبشة من ولد حام، وفى المصباح أنه معرب، وقيل: إنهم بقية من نسل يوشع بن نون من العماليق الحميرية، وهم رهط السميدع، وإنه سمع لفظهم، فقال: ما أكثر بربرتكم، فسموا البربر (2). وقيل غير ذلك. البرابرة، زادوا الهاء فيه، إما للعجمة، وإما للنسب وهو الصحيح. قال الجوهري: وإن شئت حذفتها، وهم أى أكثر قبائلهم بالمغرب فى الجبال، من سوس وغيرها، متفرقة فى أطرافها، وهم زنانة وهوارة وصنهاجة ونبزة وكتامة ولواته ومديونة وشباته، وكانوا كلهم بفلسطين مع جالوت، فلما قتل تفرقوا.

وأبضا بربر: أمة أخرى، وبلادهم بين الحبوش والزنج، على ساحل بحر الزنج وبحر اليمن، وهم سودان جداً، ولهم لغة برأسها لا يفهمها غيرهم،

ص: 79

1- (1) راجع: لسان العرب، ابن منظور، ج 4 ص 56.

2- (2) انظر: تاريخ ابن خلدون، ج 6 ص 93.

ومعيشتهم من صيد الوحش، وعندهم وحوش غريبة لا توجد في غيرها، كالزرافة والكركدن والوبر والنمر والفيل، وربما وجد في سواحلهم العنبر، وهم الذين يقطعون مذاكير الرجال ويجعلونها مهور نسائهم وقال الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني: وجزيرتهم قاطعة من حد ساحل أبين، ملتحقة في البحر بعدن، من نحو مطالع سهيل إلى ما يشرق عنها، وفيما حاذى منها عدن وقابله جبل الدخان، وهي جزيرة سقوطرى، مما يقطع من عدن ثابتاً على السم، وكلهم من ولد قيس عيلان.

وقال البلاذري: حدثني بكر بن الهيثم قال: سألت عبد الله بن صالح عن البربر، فقال: هم يزعمون أنهم من ولد بر بن قيس عيلان، وما جعل الله لقيس من ولد اسمه بر.

وقال أبو المنذر: هم من ولد فاران بن عمليق بن يلمع بن عابر بن سليخ بن لاوذ بن سام بن نوح، والأكثر الأشهر أنهم من بقية قوم جالوت، وكانت منازلهم فلسطين، فلما قتل جالوت تفرقوا إلى المغرب. أو هم بطنان من حمير: صنهاجة وكتامة، صاروا إلى البربر أيام فتح والدهم أفريقش الملك ابن قيس بن صيفى بن سبأ الأصغر، كانوا معه لما قدم المغرب، وبنى أفريقية فلما رجع إلى بلاده تخلفوا عنه عمالاً له على تلك البلاد، فبقوا إلى الآن وتناسلوا(1).

وعن صاحب القاموس: البرابرة، وهم بالمغرب، وأمة أخرى بين الحبوش والزنج، يقطعون مذاكير الرجال ويجعلونها مهور نسائهم، وكلهم من ولد قيس

ص:80

---

1- (1) راجع: تاج العروس، الزبيدي، ج 6 ص 73. ومعجم البلدان، الحموي، ج 1 ص 368.

عيلان، أو هم بطنان من حمير صنعهاجة وكتامة، صاروا إلى البربر أيام فتح أفريقش الملك إفريقية(1).

### اقتران السيدة حميدة بالإمام الصادق عليه السلام

الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام والتي تذكر كيفية اختيار أم المعصوم وما تحيطها من رعاية إلهية وحراسة ربانية بحيث يكون أمرها وأمر زوجها بيد الله عز وجل، والمعصوم يتحرك تحت أفق الغيب في كثير من المسائل لاسيما المصيرية والتي تتوقف عليها بعض المسائل التكوينية، كما يتضح هذا المضمون من خلال الروايات الواردة في اختيار أمهات الأئمة عليهم السلام ومن جملتهن اختيار حميدة المصفاة أم الإمام الصادق عليه السلام، فقد روى عن ابن عكاشة الأسدي قال للباقر عليه السلام: لم لا تزوج الصادق عليه السلام؟ قال: وبين يديه صرة مختومة، أما إنه سيحيىء نخاس من أهل بربر فينزل دار ميمون، فنشترى له بهذه الصرة جارية، قال: فأتى لذلك ما أتى، فدخلنا يوماً على أبي جعفر عليه السلام فقال: ألا أخبركم عن النخاس الذي ذكرته لكم قد قدم، فذهبوا فاشتروا بهذه الصرة منه جارية، قال: فأتينا النخاس فقال: قد بعت ما كان عندي إلا جارتين مريضتين إحداهما أمثل من الأخرى، قلنا: فأخرجهما حتى ننظر إليهما فأخرجهما، قلنا: بكم تبيعنا هذه المتماثلة قال: بسبعين ديناراً قلنا أحسن قال: لا أنقص من سبعين دينار، قلنا له نشترىها منك بهذه الصرة ما بلغت ولا ندرى ما فيها وكان عنده رجل أبيض الرأس واللحية قال: فكوا وزنوا، فقال النخاس:

ص: 81

لا تفكوا فإنها إن نقصت حبة من سبعين ديناراً لم أبعكم فقال الشيخ: ادنوا، فدنونا وفككنا الخاتم ووزنا الدنانير فإذا هي سبعون ديناراً لا تزيد ولا تنقص، فأخذنا الجارية فأدخلناها على أبي جعفر عليه السلام وجعفر قائم عنده، فأخبرنا أبا جعفر بما كان، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال لها: ما اسمك؟ قالت: حميدة، فقال حميدة في الدنيا، محمودة في الآخرة، أخبريني عنك أبكر أنت أم ثيب؟ قالت: بكر قال: وكيف ولا يقع في أيدي النخاسين شيء إلا أفسدوه، فقالت: قد كان يجيئني فيقعد مني مقعد الرجل من المرأة فيسلط الله عليه رجلاً أبيض الرأس واللحية فلا يزال يلطمه حتى يقوم عني، ففعل بي مراراً وفعل الشيخ به مراراً فقال: يا جعفر خذها إليك، فولدت له خير أهل الأرض الكاظم (1).

وعن جابر قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: قدم رجل من المغرب معه رقيق، ووصف لي صفة جارية معه، وأمرني بابتاعها بصيرةٍ دفعها إليّ، فمضيت إلى الرجل، فعرض عليّ ما كان عنده من الرقيق، فقلت: بقي عندك غير ما عرضت عليّ؟ فقال: بقيت جارية علية، فقلت: أعرضها عليّ فعرض حميدة، فقلت له: بكم تبيعها؟ فقال: بسبعين ديناراً، فأخرجت الصرة إليه، فقال النخاس: لا إله إلا الله؟ رأيت البارحة في النوم رسول الله صلى الله عليه وآله وقد ابتاع مني هذه الجارية بهذه الصرة بعينها، فتسلمت الجارية وصرت بها إلى أبي جعفر عليه السلام فسألها عن اسمها، فقالت: حميدة، فقال: حميدة في الدنيا، محمودة في الآخرة، ثم سألها عن خبرها، فعرفته أنها بكر، فقال لها: أتى يكون ذلك وأنت جارية كبيرة؟

ص: 82

فقلت: كان مولاي إذا أراد أن يقرب منى أتاها رجل في صورة حسنة، فيمنعه أن يصل إلى، فدفعها أبو جعفر عليه السلام إلى أبي عبد الله عليه السلام وقال: حميدة سيدة الإماء، مصفاة من الأرجاس كسبيكة الذهب ما زالت الأملاك تحرسها حتى أدت إلى كرامة الله عز وجل(1). والإمام عليه السلام يسألها عن حالها؛ لكي يُعرّف الناس مدى منزلة أم المعصوم عليه السلام عند الله، ورعاية يد الغيب لها، وإلا الإمام عليه السلام عالم بحالها وما جرى لها.

### حميدة الزوجة الأولى للمعصوم عليه السلام

يظهر من قصة زواج السيدة حميدة من الإمام الصادق عليه السلام هي الزوجة الأولى وأول امرأة تصبح شريكة لحياته، حيث كان الإمام الباقر عليه السلام ينتظر مجيئها في قوافل النخاسين، وهو يدل على أنّ هناك أمراً ألزم الإمام في انتظار مجيئها وتزويجها من ابنه، فهي تلك المرأة التي تتوافق مع مقتضيات الإمامة من وعاء وغيره، فقد روى عن ابن عكاشة الأسدي قال للباقر عليه السلام: لم لا تزوج الصادق عليه السلام؟ فقال: وبين يديه صرة مختومة، أما إنّه سيجيء نخاس من أهل بربر فينزل دار ميمون، فنشترى له بهذه الصرة جارية... الخ، فلو كان الإمام الصادق عليه السلام متزوجاً لما صح هذا السؤال من ابن عكاشة الأسدي، وكذلك لتغير جواب الإمام الباقر عليه السلام.

وأيضاً نستفيد من هذه الرواية أن الإمام الباقر عليه السلام قد كُلف بمهمة يلزمه

ص: 83

أداؤها وهي زوج ابنه من هذه المرأة بالذات, وهذا التكليف يجرى فى أفق الغيب خارج عن الادراكات الحسية, فالإمام عليه السلام كان ينظر من جانب غيبى وأصحابه ينظرون من جانب آخر, لذلك أبان لهم الإمام الباقر عليه السلام كيفية زواج ابنه عليه السلام من هذه الجارية التى ستأتى فى الأيام القلائل الآتية حتى أنه عزل أموالها وقد ختمها؟.

والعجيب هنا أن السائل سأل الإمام الباقر عليه السلام لماذا لا تزوج الصادق عليه السلام, فمنطوق السؤال هو التزويج ليس التملك, وما أكثر الجوارى حينذاك فهى ليست بعيدة عن تناول يد الإمام الصادق عليه السلام وإنما كانت فى تناول الأيدي, لكن نلاحظ أن فحوى جواب الإمام الباقر عليه السلام هو شراء جارية بهذه الأموال المعينة التى كانت أمامه فى صرة, والأعجب أن أصحابه ومن جملتهم السائل لم يستوضحوا من الإمام عليه السلام بل اقتنعوا بالجواب ونفذوا أوامر الإمام عليه السلام, فيمكن أن نفهم من كل ذلك أن مسألة اقتران حميدة بالإمام الصادق عليه السلام هى بطريقة الزواج المتعارف (كما هو الحال فى باقى أمهات الأئمة) وأنها بمثابة المرأة الحرة ولو أجبرتها الظروف أن يكون حالها مع الجوارى بيد النخاسين وتباع وتشترى لكن هى فى الواقع عاشت وتربت تحت الظل الإلهى والرعاية الربانية إلى أن وصلت مثواها الذى أعدت له, فهى لا تعد جارية كغيرها ولو كان يُنظر إليها كذلك, وربما الإمام الباقر عليه السلام بين لأصحابه حال السيدة حميدة عليها السلام ومكانتها وأنها هى ستكون شريكة حياة ابنه الصادق عليه السلام وترزق منه الحجة بعده فلم يبدوا اعتراضاً أو توضيحاً.

قد أصبحت هذه السيدة الجليلة زوجة لحجة الله بعد أبيه وكانت تعتنى بشأنه وخدمته وتلبية حاجاته ووقفت معه في البأساء والضراء، فلم يقتصر اهتمامها على أولادها فقط بل كانت تعتنى بكل احتياجات زوجها وإمامها وتقدم له ما يسعده، حتى أنه عليه السلام يذكر موقفاً من خدمتها له حيث يقول: «ولقد آذاني أكل الخل والزيت حتى أن حميدة أمرت بدجاجة فشويت فرجعت إلى نفسي»<sup>(1)</sup>.

### تكامل صفات السيدة حميدة

تتمتع حميدة عليها السلام بصفات كمالية عالية تمتاز بها عن نساء عصرها، وعليه حظيت باهتمام الأئمة عليهم السلام فقد كشفوا عن طهارتها وتكامل صفاتها بجملة من الروايات، منها: عن معلى بن خنيس أن الصادق عليه السلام قال: حميدة مصفاة من الأدناس كسبيكة الذهب، ما زالت الأملاك تحرسها حتى أدت إلى، كرامة من الله لى والحجة من بعدى<sup>(2)</sup>.

فنفهم من كلام المعصوم عليه السلام أنّها مصفاة من الأدناس، أى أنها طاهرة مطهرة خالية من كل الشوائب سواء كانت مادية أم معنوية، وذلك أنّ الله تعالى جعلها صافية وخالصة ومنع وصول الأدناس والأرجاس إليها، وقد شابته أمانا

ص: 85

1- (1) انظر: الكافي، الشيخ الكليني، ج 4 ص 260.

2- (2) نفس المصدر، ج 1 ص 477.

حواء زوجة آدم عليه السلام فى هذه الصفة، كما جاء فى الدعاء: اللهم صل على أئنا آدم بديع فطرتك الذى كرمته بسجود ملائكتك وأبخته جنتك، اللهم صل على أمنا حواء المطهرة من الرجس المصفاة من الدنس المفضلة من الإنس المترددة بين محال القدس... الخ(1). وأيضاً قال الإمام الباقر عليهم السلام لها بعد ما سألها عن اسمها قالت حميدة، فقال: حميدة فى الدنيا محمودة فى الآخرة(2).

### المعلّى بن خنيس فى لسان المعصوم

إنما نذكر بعض أحوال المعلّى هنا لكونه ذكر هذه الرواية التى ليس لها صلة بالسيدة حميدة فقط، بل نستفيد منها أن شأن كل أمهات الأئمة عليهم السلام كذلك تحت الحراسة الإلهية والملائكة كرامة لحجة الله فى أرضه، فكما أكرم الله عزّ وجلّ الإمام الصادق عليه السلام بحراسة زوجته حميدة كرامة له ولابنه المعصوم عليه السلام فكذلك يكون حال باقى أمهات الأئمة عليهم السلام؛ لأنّهم كلهم حجج الله فى أرضه والأمثال فيما يجوز وفيما لا يجوز واحدة، فمن الأجدر أن نعرف شيئاً عن إيمان هذا الرجل الفاضل المعلّى بن خنيس.

فقد روى عن ابن أبى عمير عن عبد الرحمان بن الحجاج، قال: حدثنى إسماعيل بن جابر، قال: كنت عند أبى عبد الله عليه السلام مجاوراً بمكة، فقال لى: يا إسماعيل اخرج حتى تأتى مرا وعسفان فتسأل هل حدث بالمدينة حدث؟ قال:

ص:86

1- (1) انظر: مصباح المتهجد، الشيخ الطوسى، ص 808.

2- (2) الكافى، الشيخ الكلينى، ج 1 ص 476.



فخرجت حتى أتيت مرا فلم ألق أحداً، ثم مضيت حتى أتيت عسفان فلم يلقني أحد، فارتحلت من عسفان، فلما خرجت منها لقيني عير تحمل زيتاً من عسفان فقلت لهم: هل حدث بالمدينة حدث؟ قالوا: لا، إلا قتل هذا العراقي الذي يقال له المعلى بن خنيس. قال: فانصرفت إلى أبي عبد الله عليه السلام، فلما رأني قال لي: يا إسماعيل قتل المعلى بن خنيس؟ فقلت: نعم، قال: أما والله لقد دخل الجنة. قال السيد الخوئي رحمه الله هذه الرواية صحيحة (1).

وفى رواية عن ابن أبي نجران عن حماد الناب، عن المسمعي، قال: لما أخذ داود بن علي، المعلى بن خنيس وحبسه، وأراد قتله، فقال له معلى بن خنيس: أخرجني إلى الناس، فإن لي ديناً كثيراً ومالاً، حتى أشهد بذلك، فأخرجه إلى السوق فلما اجتمع الناس، قال: يا أيها الناس أنا معلى بن خنيس فمن عرفني فقد عرفني اشهدوا أن ما تركت من مال، من عين، أو دين، أو أمة، أو عبد أو دار، أو قليل، أو كثير، فهو لجعفر بن محمد عليه السلام، قال: فشد عليه صاحب شرطة داود فقتله... ثم قال حماد: فأخبرني المسمعي عن معتب، قال: فلم يزل أبو عبد الله عليه السلام ليله ساجداً وقائماً، فسمعت في آخر الليل وهو ساجد ينادي: اللهم إني أسألك بقوتك القوية وبمحالك الشديد، وبعزتك التي خلقت لها ذليل، أن تصلي علي محمد وآل محمد، وأن تأخذه الساعة. قال: فوالله ما رفع رأسه من سجوده حتى سمعنا الصايحة. فقالوا: مات داود بن علي. فقال أبو عبد الله عليه السلام: إني دعوت عليه بدعوة بعث بها الله إليه ملكاً، فضرب رأسه بمرزبة انشقت منها مثانته (2).

ص: 87

1- (1) معجم رجال الحديث، السيد الخوئي، ج 19 ص 260.

2- (2) المصدر نفسه.

عندما ثبت أن هذه السيدة الجليلة أصبحت أمّاً للمعصوم عليه السلام فلا بد أن نحكم بطهارتها ونزاهتها وعظم مكانتها كيف ما كانت؛ وذلك من خلال اختيارها وعاءاً للمعصوم عليه السلام، حيث ثبت أن الوعاء يؤثر على الجنين سلباً وإيجاباً، ولذلك أوصت الشريعة الإسلامية بانتقاء الزوجة الصالحة كي يحافظ على نطفته ونسله، وقد بينا ذلك في التمهيد بشكل مفصل، ولكن الذي نريد أن نقوله هنا هو أن أم المعصوم عليه السلام لا يشترط فيها الطهارة فقط بل علاوة على ذلك أن تحتوى على صفات كمالية عالية تتناسب مع احتوائها في أحشائها المعصوم عليه السلام الذي هو أفضل الخلق في زمانه وحجة الله في أرضه، فعندما نجعل سيرة بعض أمهات الأئمة عليهم السلام أو حصل إهمال من قبل التاريخ في دراسة حياة أمهات المعصومين عليهم السلام وعدم الوقوف على الكرامات والفضائل والمزايا التي كُنَّ يتمتعن بها، فيبقى الدليل اللمى شاهداً وثابتاً على علو مكانتها وفضلها وطهارتها وقد كللتها رعاية إلهية حثيثة. وقد كشفت لنا بعض الروايات التي وصلت إلينا ذلك ومن جملتها الحديث المتقدم ذكره: ما زالت الأملاك تحرسها حتى أدت إلى، كرامة من الله لى والحجة من بعدى. أى ما زالت الأملاك تحرس حميدة إلى أن تزوجها الإمام الصادق عليه السلام، وذلك كرامة له عليه السلام ولكونها قدر لها أن تكون وعاءاً للمعصوم عليه السلام، وربما كان أحد هؤلاء الملائكة شيخاً جميلاً أيضاً كان يلطم النخاس عند إرادته الدخول عليها، كما تقدم، فيمكن أن نعرف من ذلك أن المقياس فى إنتقاء واختيار أم المعصوم عليه السلام ليس هو أن تكون من العرب أو من قريش أو من البيوتات المعروفة

والمرموقة, بل ولا أن تكون من بيوتات العلماء والعرفاء وما إلى غير ذلك, نعم يمكن أن يكون ذلك قرينة في أنها من أهل الصلاح والإيمان حيث تربت وعاشت في هذه الأجواء, لكن ليس هو الطريق الوحيد في تفضيلها على غيرها, حيث ربما تكون هنالك امرأة بعيدة عن كل هذه الأجواء لكنها حظيت بتربية ورعاية إلهية جعلتها أفضل من كل نساء زمانها كما هو الحال في أم الإمام الكاظم عليه السلام وغيرها من أمهات المعصومين عليهم السلام, فقد جعل الله تعالى أملاً كما تحرسها وتسدها وهي في أرحح الظروف الاجتماعية وغيرها إلى أن أدت للإمام الصادق عليه السلام وولدت له الحجة من بعده.

فتحصل أن من المزايا التي تتمتع بها السيدة حميدة هي أن الله عزّ وجلّ أوكل لها ملائكة تحرسها وتحفظها منذ بداية حياتها في الدنيا, بل ربما يكون بحسب المقتضى قبل ذلك, وهذا يعنى أنها عصمت من الأخطاء والذنوب وما إليه. كما هو الحال في باقي أمهات الأئمة عليهم السلام.

### حميدة من أهل العلم

بالإضافة إلى كل المزايا التي تتمتع بها السيدة حميدة أنّ هناك طائفةً من الروايات تكشف لنا عن مدى علمها ودورها التبليغي في نهج الحق وبيان الأحكام, وأنها عليها السلام قدوة لاسيما في المسائل الشرعية والحقوق, كما روى في الصحيح عن موسى بن القاسم عن صفوان بن يحيى عن عبد الرحمن بن الحجاج قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام وكنا تلك السنة مجاورين وأردنا الإحرام يوم التروية فقلت: إنّ معنا مولوداً صبيّاً فقال عليه السلام: مروا أمه فلتلق حميدة فلتسألها كيف

تفعل بصبيانها؟ قال: فأتتها فسألتها فقالت لها: إذا كان يوم التروية فجردوه وغسلوه كما يجرد المحرم ثم احرموا عنه ثم قفوا به في الموقف، فإذا كان يوم النحر فارموا عنه واحلقوا رأسه ثم زوروا به البيت ثم مروا الخادم ان يطوف به البيت وبين الصفا والمروة. وإذا لم يكن الهدى فليصم عنه وليه إذا كان متمتعاً(1).

هناك جانبان في هذه الرواية يمكن أن نعرف من خلالهما الأبعاد والمزايا العالية التي كانت تتمتع بها هذه السيدة الجليلة، أمّا الجانب الأول هو اعتماد الإمام الصادق عليه السلام عليها بشكل مطلق وذلك يدل على أنه عليه السلام أشار لكفاتها المطلقة في تبليغ الأحكام وغيرها ولو كانت ليست بهذا المستوى لما أحالهم بهذه الطريقة حيث قال: مروا أمه فلتلق حميدة فلتسألها كيف تفعل بصبيانها. فإنه واثق بجدارتها وعارف مدى علمها ومعرفتها، وكيف لا وهي تلميذته وترت على هديه وعلومه علاوة على ما فضلها الله وأكرمها. والجانب الثاني: تسلطها على معرفة الأحكام وبيان أصولها وفروعها من دون تأمل وتردد.

كما يظهر أيضاً من بعض الروايات أن الصادق عليه السلام كان يأمر النساء في أخذ الأحكام إليها(2). وهذا يدل على أن السيدة حميدة مرجع للنساء في المسائل الشرعية وغيرها، حيث إن الإمام عليه السلام أحال النساء في أخذ الأحكام منها لاسيما الأحكام الخاصة بالنساء. فنفهم من هذا وغيره أنها عليها السلام كانت على درجة عالية من العلم والمعرفة حتى نالت التأييد من قبل المعصوم في ذلك.

ص: 90

1- (1) الكافي، الشيخ الكليني، ج 1 ص 476.

2- (2) الأنوار البهية، الشيخ عباس القمي، ص 180

كانت السيدة حميدة تحمل على عاتقها تبليغ الرسالة وأداء حقوق الناس لا سيما في تلك الظروف العصيبة التي قيدت تحركات الإمام عليه السلام ومارسوا معه أنواع الضغوطات ومنعوه من ممارسة نشاطاته التبليغية والإرشادية وما إليها، كما جاء عن المفضل بن عمر قال: إنَّ المنصور قد كان هَمَّ بقتل أبي عبد الله عليه السلام غير مرة فكان إذا بعث إليه ودعاه ليقتله، فإذا نظر إليه هابه ولم يقتله، غير أنه منع الناس عنه، ومنعه من القعود للناس، واستقصى عليه أشد الاستقصاء حتى أنه كان لأحدهم مسألة في دينه في نكاح أو طلاق أو غير ذلك فلا يكون علم ذلك عندهم(1). لكن لم يعقه ذلك عن مواصلة طريقه الرسالي في مواصلة الناس وقضاء حوائجهم المادية والمعنوية، فكان عليه السلام يستعين بوكلائه المخلصين الكفوئين من خلالهم يوصل صوته الإلهي إلى الناس في إرشادهم وتبيين مسيرة حياتهم وقضاء حاجاتهم وغير ذلك، وكان من جملة هؤلاء الوكلاء الذين يرسلهم في أداء حقوق الناس هي حميدة المصفاة عليها السلام زوجته عليه السلام وأمه أم فروة، وربما كان لها الدور الأكبر بالقيام لهذا العمل؛ لكونها قريبة تماماً من الإمام عليه السلام وأيضاً بعيدة عن أنظار عيون الساسة الظالمة حيث لم يتوقعوا منها ذلك. كما وروى أنَّ الصادق عليه السلام كان يرسلها مع أم فروة تقضيان حقوق أهل المدينة(2). وهذا يعبر عن مدى مكانتها العلمية والعملية ومشاركتها الأئمة عليهم السلام في مواصلة

ص: 91

1- (1) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج 3 ص 364.

2- (2) الكافي، الشيخ الكليني، ج 3 ص 217.

تنوير الطريق وبيان كلمة الحق وإعانة المظلومين والمضطهدين من قبل العصابات الظالمة والمستبدة, مع أنها عليها السلام كسبت ثقة المعصوم عليه السلام فى أداء هذا الدور الرسالى وتحملت كل مصاعبه وعواقبه فى سبيل إعلاء كلمة الحق ونشر العدل, فكان الإمام عليه السلام كلما أراد أن يؤدى حقوق أهل المدينة يرسل زوجته حميدة المصفاة.

### من صفاتها الرواية

بقيت السيدة حميدة عليها السلام تواكب العصور ويرد ذكرها فى ألسن وأذهان الأجيال المتعاقبة وذلك بما خلفت من آثار كانت بمثابة الإيحاء فى ضمائر الأمة والإرشاد فى سبيل الحق, فدورها لم يقتصر على مجال خاص بل اتسعت دائرته وشمل كل ما هو من شأنه أن يرسم مستقبلاً زاهراً للأمة, فكما كان لها دور ريادةى فى عصرها فأيضاً كان لها دور فى نقل علوم أهل البيت عليهم السلام إلى الأجيال المتعاقبة وهى على يقين أن هذه العلوم التى تؤخذ وتستقى من مصدرها الأصيل هى التى تسعد البشرية ما إن أخذوا بها وامتلوها, فلم يقتصر نشاطها فى إيصال كلمة الحق بعصرها وجيلها وإنما تركت وسمات ذلك إلى الأجيال والعصور الآتية, ومن جملة ما جاء عنها ما ذكره أبو بصير حيث قال: دخلت على حميدة أعزىها بأبى عبد الله عليه السلام, فبكت وبكى لبيكاتها, ثم قالت: يا أبا محمد, لو رأيت أبا عبد الله عليه السلام عند الموت لرأيت عجباً, فتح عينيه ثم قال: اجمعوا كل من بينى وبينه قرابة, قالت: فما تركنا أحداً إلا جمعناه, فنظر إليهم ثم قال: إن شفاعتنا لا

فكانت الناس والأعاضم من العلماء يعززون السيدة حميدة برحيل إمامهم الصادق عليه السلام, وهذا بحد ذاته يبين لنا مكانة هذه السيدة الجليلة, وهي تنقل لهم ما شاهدته وسمعتة من لسان أهل العصمة والطهارة.

## أولادها

ولد للإمام الصادق عليه السلام عشرة أولاد: سبعة ذكور وثلاث بنات, وقيل إن أولاده أحد عشر سبع ذكور وأربع بنات, أمّا الإمام موسى الكاظم عليه السلام وإسحاق ومحمد المعروف بالديباج لحسنه وجماله, أمهم السيدة حميدة المصفاة. وقيل: فاطمة الكبرى وبريه أيضاً من أولاد حميد المصفاة(2). وأمّا إسماعيل (الملقب بالأعرج) وعبد الله وأم فروة, أمهم فاطمة بنت الحسين الأصغر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام, وأمّا العباس وعلي وأسماء وفاطمة, لأمهات أولاد شتى(3). ولكنّ الأصح كما في كشف الغمة, أنّ أمّ إسماعيل الأعرج وإخوته عبدالله وأم فروة هي فاطمة بنت الحسين الأثرم بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام(4).

وقد مات إسماعيل في حياة أبيه بالعريض (العريض: مصغر وهو واد في

ص:93

1- (1) وسائل الشيعة (آل البيت), الحر العاملي, ج 4 ص 26.

2- (2) انظر: تواريخ النبي صلى الله عليه وآله وآله والأل عليهم السلام, الشيخ محمد تقى التستري, ص 125.

3- (3) انظر: الإرشاد, الشيخ المفيد, ج 2 ص 209.

4- (4) انظر: كشف الغمة, ابن أبي الفتح الإربلي, ج 2 ص 374.

المدينة) وحمل على رقاب الرجال إلى أبيه بالمدينة، حتى دفن بالبيع (1).

وروى أن أبا عبد الله عليه السلام جزع عليه جزعاً شديداً، وحزن عليه حزناً عظيماً، وتقدم سريره بغير حذاء ولا رداء، وأمر بوضع سريره على الأرض مراراً كثيرة، وكان يكشف عن وجهه وينظر إليه، يريد بذلك تحقيق أمر وفاته عند الظانين خلافته له من بعده، وإزالة الشبهة عنه في حياته، ولما مات إسماعيل رحمة الله عليه انصرف عن القول بإمامته بعد أبيه من كان يظن ذلك ويعتقده من أصحاب أبيه عليه السلام (2).

ومن جملة أولاده المعروفين بعظمة المنزلة، على بن جعفر عليه السلام المدفون بمدينة قم المقدسة، وكان أصغر أولاد الإمام الصادق عليه السلام وقد شهد استشهاد أبيه وهو طفل. فتكفل الإمام الكاظم عليه السلام بتربيته فتدرج شيئاً فشيئاً في درجات الفضل والكمال وصار عالماً زاهداً عظيم القدر، وقد نقل روايات كثيرة عن الإمام الكاظم عليه السلام. وقد أدرك زمان الإمام الرضا والإمام الجواد والإمام الهادي عليهم السلام. وكان على بن جعفر في زمان الإمام الجواد عليه السلام كهلاً موقراً يتمتع بمنزلة كبيرة ولكنه مع ذلك كان يتصرف مع الإمام الجواد بكامل الاحترام والتعظيم، فكان (في المجالس) يقدم نعلي الإمام عليه السلام بين يديه، وفي مسجد النبي صلى الله عليه وآله استقبال الإمام الجواد عليه السلام وقبيل يده الشريف، ولما عاتبه البعض من أصحابه على هذه التصرفات، قال: أنا له عبد (3).

ص: 94

1- (1) انظر: شرح الأخبار، القاضي النعمان المغربي، ج 3 ص 309.

2- (2) انظر: الإرشاد، الشيخ المفيد، ج 2 ص 210. والبحار، المجلسي، ج 47، ص 242.

3- (3) انظر: الكافي، الكليني، ج 1 ص 322. والأنوار البهية، الشيخ عباس القمي، ص 252.



المرأة التي تحظى برعاية الله ومدح المعصوم وتحمل علم آل محمد في صدرها وتؤدي وظيفتها الأخلاقية والتبليغية أحق أن تكون الوعاء اللائق للمعصوم القائم بعد أبيه، فقد ولد الإمام الكاظم عليه السلام بالأبواء (منزل بين مكة والمدينة) يوم الأحد، لسبع خلون من صفر سنة ثمان وعشرين ومائة(1).

كما روى عن أبي بصير قال: كنت مع أبي عبد الله عليه السلام في السنة التي ولد فيها ابنه موسى عليه السلام، فلما نزلنا الأبواء وضع لنا أبو عبد الله عليه السلام الغداء ولأصحابه، وكان عليه السلام إذا وضع الطعام لأصحابه أكثره وأطابه، فبينما نحن نتغدى إذ أتاه رسول حميدة: إن الطلق قد ضربني، وقد أمرتني أن لا أسبقتك بابنك هذا. فقام أبو عبد الله عليه السلام فرحاً مسروراً فلم يلبث أن عاد إلينا حاسراً عن ذراعيه ضاحكاً سنه، فقلنا: أضحك الله سنك، وأقر عينك ما صنعت حميدة؟ فقال: وهب الله لي غلاماً، وهو خير من برأ الله، ولقد خبرتني بأمر كنت أعلم به منها، قلت: جعلت فداك وما خبرتك عنه حميدة؟ قال: ذكرت أنه لما وقع من بطنها وقع واضعاً يديه على الأرض، رافعاً رأسه إلى السماء، فأخبرتها أن تلك أمانة رسول الله صلى الله عليه وآله، وأمانة الإمام من بعده إذا خرج من بطن أمه، أن تقع يده على الأرض، ورأسه إلى السماء، ويقول: (اشهد الله أنه لا إله إلا هو)، أعطاه الله العلم الأول، والعلم الآخر، واستحق زيادة الروح في ليلة القدر، وهو أعظم خلقاً من جبرئيل(2).

ص: 95

1- (1) الأنوار البهية، الشيخ عباس القمي، ص 179.

2- (2) دلائل الإمامة، للطبري (الشيعة)، ص 300.

وروى لما ولد موسى بن جعفر عليهما السلام دخل أبو عبد الله عليه السلام على حميدة البربرية أم موسى عليه السلام فقال لها: يا حميدة بخ بخ حل الملك في بيتك(1).

### علامات غيبية في ولادتها للكاظم عليه السلام

عندما تكون أم المعصوم عليه السلام قد اصطفاها الله وأعدّها وحازت على صفات مادية ومعنوية تخرجها وتميزها عن أقرانها لكونها وعاءاً للمعصوم عليه السلام الذي شاء الله أن يجعله في أحشائها ويتغذى من دمانها، وتجرى عليه الإرهاصات والتغيرات الغيبية فلا يتأتى هذا لكل امرأة إلا أنّ تكون قد تهيأت واستعدت لتحمل هذا الأمر العظيم، لذلك تذكر لنا الروايات مدى التغيرات التي تجريها يد الغيب والقدرة في الجنين المعصوم عليه السلام وهو في بطن أمه، فقد روى عن أبي بصير قال، فقلت: جعلت فداك، وما الأمانة؟ فقال: العلامة يا أبا بصير، إنه لما كان في الليلة التي علق فيها أتاني بكأس فيه شربة من الماء، أبيض من اللبن، وأحلى من العسل وأشد، وأبرد من الثلج، فسقانيه فشربته، وأمرني بالجماع، ففعلت فرحاً مسروراً، وكذلك يفعل بكل واحد منا، فهو والله صاحبكم. إن نطفة الإمام حين تكون في الرحم أربعين يوماً وليلة نصب لها عمود من نور في بطن أمه، ينظر به مد بصره، فإذا تمت له أربعة أشهر أتاه ملك يقال له (الخير) فكتب على عضده الأيمن (وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)2، فإذا وضعت أمه اتقى الأرض بيده، رافعاً رأسه إلى السماء، ويشهد

ص:96

أن لا- إله إلا- الله. وينادى منادٍ من قبل العرش، من الأفق الأعلى باسمه واسم أبيه: يا فلان بن فلان، يقول الجليل: أبشر فإنك صفوتي، وخيرتي من خلقي، وموضع سرى، وعيبة علمي، لك ولمن تولاك أوجب رحمتي وأسكنه جنتي، وأحلله جوارى، ثم وعزتي لأصلين من عاداتك نارى وأشد عذابي، وإن أوسعت عليه في دنياه. فإذا انقطع المنادى أجابه الإمام: (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم)، فإذا قالها أعطاه الله علم الأولين وعلم الآخرين، واستوجب الزيادة من الجليل ليلة القدر فقلت: جعلت فداك، أليس الروح هو جبرئيل؟ فقال: جبرئيل من الملائكة، والروح خلق أعظم منه، وهو مع الإمام حيث كان (1).

### حميدة ترعى أم الإمام الرضا عليه السلام

تزداد حميدة فخراً ورفعة إضافة إلى كل ما تقدم، أنها كانت راعيةً لأم الرضا عليه السلام وقد تفرست فيها الصفات الكمالية اللاتقة بأن تكون زوجةً للمعصوم ووعاءً لابنه المعصوم، كما روى عون بن محمد الكندي قال: سمعت أبي الحسن علي بن ميثم يقول وما رأيت أحداً قط اعرف بأمور الأئمة عليهم السلام وأخبارهم ومناكحهم منه، قال: اشترت حميدة المصفاة وهي أم أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام وكانت من أشرف العجم جاريةً مولده واسمها تكتم وكانت من أفضل النساء في عقلها ودينها وإعظامها لمولاتها حميدة المصفاة، حتى أنها ما جلست بين يديها منذ ملكتها إجلالاً لها، فقالت لابنها موسى عليه السلام يا بني إن تكتم جاريه

ص: 97

1- (1) راجع: الدر النظيم، ابن حاتم العاملي، ص 650.

ما رأيت جاريةً قط أفضل منها ولست أشك أنّ الله تعالى سيظهر نسلها إن كان لها نسل، وقد وهبتها لك فاستوص خيراً بها فلما ولدت له الرضا عليه السلام سماها الطاهرة، قال: والرضا عليه السلام يرتضع كثيراً وكان تام الخلق فقالت أعينوني بمرضع فقيل لها: أنقص الدر؟ فقالت: ما أكذب والله نقص الدر ولكن عليّ ورد من صلواتي وتسيحي وقد نقص منذ ولدت (1).

### حميدة تزوج الإمام الكاظم عليه السلام

ومن انجازات السيدة حميدة عليها السلام أنّها كانت تخطط لرسم مستقبل ابنها المعصوم عليه السلام لاسيما في المجال الاجتماعي حيث عندما لاحظت الكفاءة العالية في جارتها وما كانت تمتاز به من صفات عالية سواء على الصعيد المادي أم المعنوي، وربما تفرست أنّها أولى في أن تكون وعاءاً للمعصوم من ابنها عليه السلام؛ لأنّها على علم أنّ أم المعصوم عليه السلام لا بد أن تحتوى على خصائص مادية ومعنوية تؤهلها للقيام بحمل هذا الدور العظيم، ومن حسن الحظ أن هذا التفرس وهذه النظرة الثاقبة قد توافقت مع النظرة الغيبية والتخطيط الإلهي، حتى أنّ النبي صلى الله عليه وآله أيد ذلك وأمر به وذلك في عالم الرؤيا التي رأتها السيدة حميدة كما روى عن علي بن ميثم عن أبيه قال: لما اشترت حميدة أم موسى بن جعفر عليهما السلام أم الرضا عليه السلام نجمه ذكرت حميدة: إنّها رأت في المنام رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لها يا حميدة هبى نجمه لابنك موسى فإنه سيولد له منها خير أهل الأرض، فوهبتها له فلما ولدت له الرضا عليه السلام سماها الطاهرة، وكانت لها أسماء، كما سيأتى في محله، منها نجمه

ص: 98

---

1- (1) عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق، ج 2 ص 24.

وأروى وسكن وسمان وتكنم وهو آخر أسمائها، قال على بن ميثم: سمعت أبي يقول: سمعت أُمى تقول: كانت نجمة بكرة لما اشترتها حميدة(1).

### حرق دار السيدة حميدة

واست السيدة حميدة مولاتها الزهراء عليها السلام فى هذه المصيبة من حرق الدار، فكما أنّ القوم احرقوا دار فاطمة الزهراء عليها السلام وروعوها وروعوا أطفالها وظلموا بعلها، فكان الحال كذلك فى حرق الدار التى كانت تقطنها السيدة حميدة مع زوجها الصادق عليهما السلام وقد روعوها وأرهبوا أطفالها واعتدوا على بعلها وظلموه، كما ورد عن المفضل بن عمر قال وجّه أبو جعفر المنصور إلى الحسن بن زيد وهو واليه على الحرمين أن أحرق على جعفر بن محمد داره، فألقى النار فى دار أبى عبد الله عليه السلام فأخذت النار فى الباب والدهليز، فخرج أبو عبد الله عليه السلام يتخطى النار ويمشى فيها ويقول: أنا ابن أعراق الثرى أنا ابن إبراهيم خليل الله عليه السلام(2).

وأيضاً جاء أنّهم لما وضعوا الحطب الجزل على باب الدار وأضرموا فيه النار فلما أخذت النار ما فى الدهليز تصايحن النساء والعلويات وخرج الإمام يطفى النار ويخمد الحريق حتى قضى عليها وجلس فى بيته حزيناً كثيراً فلما كان الغد دخل أصحابه عليه يسألونه، فقال لهم الإمام عليه السلام: لما أخذت النار ما فى الدهليز نظرت إلى نسائى وبناتى يتراكن من حجرة إلى حجرة ومن مكان إلى

ص: 99

1- (1) الاختصاص، الشيخ المفيد، ص 196.

2- (2) الكافى، الشيخ الكلينى، ج 1 ص 473.

مكان... الخ(1). فالسيدة حميدة كانت تشاهد كل هذه المآسى والآلام التي حلت عليها وعلى أسرتها، ومن الظلم الذى حلّ على بعلها وأهل البيت عليهم السلام وقلبها يتألم ويحترق حسرة على أئمتها ولكن تحتسب ذلك بعين الله.

### حزنها على زوجها

أجهد العباسيون أنفسهم فى ظلم أهل البيت عليهم السلام وأخذوا يقتفون آثارهم وآثار ذريتهم وقتلهم وتعذيبهم، وكان من جملة الذين عانوا الأمرين منهم ومن أحقادهم هو مولانا الإمام الصادق عليه السلام وأهل بيته، فقد روى عن محمد بن عبد الله الإسكندرى أنه قال: كنت من جملة ندماء أمير المؤمنين المنصور وخواصه، وكنت صاحب سره من بين الجميع، فدخلتُ عليه يوماً فرأيتُه مغتماً وهو يتنفس نفساً بارداً، فقلت ما هذه الفكرة يا أمير المؤمنين فقال لى: يا محمد لقد هلك من أولاد فاطمة ألفٌ أو يزيدون (فى البحار مقدار مائة) وقد بقى سيدهم وإمامهم فقلت له من ذلك؟ قال جعفر بن محمد، فقلت له: يا أمير المؤمنين إنّه رجل أنحلته العبادة واشتغل بالله عن طلب الملك والخلافة، فقال: يا محمد وقد علمت أنك تقول به وبإمامته، ولكن الملك عقيم، وقد آليت على نفسى أن لا أمسى عشيتى هذه، أو أفرغ منه، قال محمد: والله لقد ضاقت علىّ الأرض برحبها، ثم دعا سيافاً وقال له: إذا أنا أحضرت أبا عبد الله الصادق وشغلته بالحديث، ووضعت قلنسوتى عن رأسى فهى العلامة بينى وبينك فاضرب عنقه... الخ(2). وهكذا كان يتوعد

ص:100

1- (1) انظر: مجمع مصائب أهل البيت، الشيخ محمد الهنداوى، ج 3 ص 144.

2- (2) انظر: عيون المعجزات، حسين بن عبد الوهاب، ص 80. وبحار الأنوار، العلامة المجلسى، ج 47 ص 202.

الإمام الصادق عليه السلام ويستدعيه بين حين وآخر إلى العراق وهو يريد بذلك قتله لكن يحول بينه القدر إلى أن جاءت الساعة التي قتل فيها الإمام عليه السلام.

وبعد شهادته عليه السلام اشتد حزن السيدة حميدة على إمامها قبل أن يكون زوجها وما رأت منه إلا الحنان والسعادة فكانت من بكائها عليه وحينها تبكى الحاضرين, ومن جملتهم أبو بصير حيث يقول بكيت لبكاء وحزن حميدة المصفاة على الإمام الصادق عليه السلام, كما جاء في نص كلامه, وقد تقدم هذا الحديث ونذكر منه هنا محل الشاهد, قال أبو بصير: دخلت على حميدة أعزيها بأبي عبد الله الصادق عليه السلام فبكت وبكيت لبكائها ثم قالت: يا أبا محمد لو رأيت أبا عبد الله عند الموت لرأيت عجباً... الخ(1).

### حميدة من أوصياء الصادق عليه السلام

عانى الإمام الصادق عليه السلام أشد المعاناة من هؤلاء الظالمين الذين تربصوا وشمروا عن ساعديهم لاستئصاله واستئصال ذريته الطاهرة وقد ضيقوا عليه كل السبل حتى أنهم تتبعوا وصاياه وتعمدوا إلى قتل الوصى من بعده فأخبر الإمام عليه السلام أصحابه المخلصين والمقربين بالحجة من بعده وهو ابنه الكاظم عليه السلام سواء كان في حال ولادته أو بعدها, وقد أوهم على الساسة العباسيين ذلك ولم يترك لهم سبيلاً لقتله, كما ورد ذلك عن أبي أيوب الجوزي قال بعث إليّ أبو جعفر المنصور في جوف الليل فدخلت عليه وهو جالس على كرسي وبين يديه

ص:101

شمعة وفي يده كتاب فلما سلمت رمى الكتاب إليّ وهو يبكي وقال هذا كتاب محمد بن سليمان والى المدينة يخبرنا أنّ جعفر بن محمد قد مات فانا لله وانا إليه راجعون ثلاثاً وأين مثل جعفر، ثم قال لى اكتب فكتبت صدر الكتاب ثم قال اكتب إن كان أوصى إلى رجل بعينه فقدمه واضرب عنقه فرجع الجواب إليه أنّه أوصى إلى خمسة أحدهم أبو جعفر المنصور ومحمد بن سليمان وعبد الله وموسى ابني جعفر وحميدة فقال المنصور ليس إلى قتل هؤلاء سبيل (1).

وقد ذكر الإمام الصادق عليه السلام السيدة حميدة فى جملة الأوصياء للدلالة على أنّها تحمل جملة من وصايا الإمام عليه السلام والتي من جملتها أنّها تعرف أنّ الحجة من بعده هو الإمام الكاظم عليه السلام، وأيضاً كما هي كانت من وكلائه فى حياته وتوصل أفكاره وإرشاداته وغيرها إلى الناس فكذلك هي من أوصيائه بعد وفاته وتشر وصاياه وهديه وأداء الحقوق وغيرها إلى عموم الناس، ونلاحظ أنّه عليه السلام قرننها بابنه الكاظم عليه السلام، مع أنّه لم يذكر امرأة غيرها لا من زوجاته ولا من أقربائه، بالإضافة إلى أنّ ذكرها هنا لم يكن فيه دلالة على الإيهام كما هو الحال فى ذكر الطرف الآخر؛ لأن الوصاية بالإمامة والقيادة من المسلمات أنّها للرجال دون النساء لاسيما فى الأوساط العربية والعدو وغيره يعرف ذلك، فالمغزى من ذكرها هنا ليس إلا لبيان مكانتها وعظمتها وإشارة إلى ما تحمل من علوم ومعارف استقتها من منبع الحق، فكأنّه ارشد الناس إليها بعده فى بيان كثير من الأمور ومن جملتها بيان الحجة من بعده، فذكرها هنا من قبل الإمام يحمل دلالة غير ما

ص: 102



يحملها غيره من الذين أوصى بهم، حيث يمكن أن نقول الوصاية لها هنا ولا بنها المعصوم عليه السلام حقيقة وفي غيرها للإيهام والله العالم. وأما ذكره المنصور واضح أنه للإيهام وللحفاظ على الإمام من بعده كما حدث فعلاً وإلا كيف يصح أن يجعل عدوه والذي أراد قتله عدة مرات وصياً له فكل لبيب يعرف ذلك بل ربما حتى العدو عرف ذلك لكن لم يجد سبيلاً لتعيينه الحجة من بعده.

### وفاتها ومحل قبرها

لم نقف على نص من التاريخ أو رواية تبين لنا زمان وفاة السيدة حميدة، ولا يوجد أيضاً مما يدل على محل قبرها، ولكن يمكن أن نعرف من خلال رواية أبي بصير المتقدمة أنها بقيت على قيد الحياة إلى ما بعد وفاة زوجها الإمام الصادق عليه السلام، (سنة 148 هـ -) حيث قال دخلت على حميدة أعزبها بأبي عبد الله الصادق عليه السلام فبكت وبكى لبعائها... الخ. نعم لا نعرف الفترة التي عاشتها بعد وفاة الإمام الصادق عليه السلام، فقد أهمل التاريخ وغيره ذكر ذلك أو حالت بين ذلك أيدي الظالمين من حرق وإتلاف التراث الأصيل كما حصل في بغداد على أيدي التتار وغيرهم أو ما حدث في مصر على أيدي الأيوبيين وقد بينا ذلك في أواخر التمهيد من هذا الكتاب. وأيضاً يمكن أن نستفيد من أن قبرها في المدينة المنورة من خلال استقرارها في محل سكنها في المدينة مع أسرتها وأولادها ولا يبعد أن يكون مثواها الأخير هو البقيع مع زوجها عليه السلام وأهل بيته، نعم قد ألجأت الظروف السياسية بعد ذلك ابنها الإمام الكاظم عليه السلام وألقى في السجون إلى أن أستشهد في سجن بغداد ودفن فيها.







اسمها السيدة نجمة النوبية، كما مرّ ذكره في صحيفة الزهراء عليها السلام... إلى أن يقول، أبو الحسن علي بن موسى الرضا أمه جارية اسمها نجمة، وأيضاً من الأدلة على أنّ اسمها نجمة: هو تهنئة الإمام الكاظم عليه السلام لها بولادتها الإمام الرضا عليه السلام، هنيئاً لك يا نجمة كرامة ربك... الخ، كما سيأتي ذكره. ويقال: كان اسمها سكن النوبية وسميت أروى ومن ثم نجمة، ويقال لها سمان وتكتم وزاد بعضهم في أسمائها خيزران، وصقر وسها، وتحية، وشهد، ونجية، وسلامة، وشهدة، وسبيكة، وصفراء، وسكينة(1). وتكتم، (بضم أوله وسكون الكاف وفتح التاء) هو آخر أسمائها عليها السلام عليه استقر اسمها حين ملكها الإمام الكاظم عليه السلام، ولما ولدت له الرضا عليه السلام سماها الطاهرة. والظاهر أنّ الطاهرة لقب من ألقابها، وهذه واحدة من الصفات التي كانت متجسدة في ذات هذه السيدة الجليلة وقد كشف عنها الإمام عليه السلام لاسيما بعد ولادتها للمعصوم عليه السلام، حيث فيه إشارة إلى أنّ أم المعصوم عليه السلام لا بد أن تكون طاهرة، إضافة إلى المؤهلات الأخرى، فعندما كان

ص: 107

1- (1) راجع: هامش الفصول المهمة في معرفة الأئمة، ابن الصباغ، ج 2 ص 970.

الإمام يناديها ويسميتها بالطاهرة هو إشارة إلى صفة الطهارة التي كانت تتمتع بها السيدة نجمة حتى أصبحت كالعلم.

وأيضاً من ألقابها الشقراء، وربما هنا فيه إشارة إلى تكامل صفاتها المادية والجسدية كما جاء في اللغة أنّ الأشقر في الإنسان حمرة صافية وبشرته مائلة إلى البياض(1).

أو أنّها أشرقت بالخير والبركة لاسيما ولادتها الإمام الرضا عليه السلام، أو أنّها كانت تشرق في محرابها كالشمس، فقد جاء (كما سيأتي) أنّها كثيرة العبادة والصلاة.

فأبصر نارى، وهى شقراء، أوقدت بلبيل فلاحت للعيون النواظر(2)

ولا يلزم التباين بين هذه الاحتمالات بل يمكن أن تنطبق كلها في ذات هذه السيدة الجليلة. وأمّا كنيته فقد ذكروا أنّ كنيته أم البنين.

### السبب في تعدد أسمائها

ذكروا أنّ السبب في كثرة أسمائها نظراً لما هو المتعارف والمستحب من تغيير أسماء المماليك عند شرائها، وكانت أم الرضا عليه السلام هذه جارية مولدة: أى ولدت بين العرب ونشأت مع أولادهم وتأدبت بأدابهم، وكانت من أفضل النساء في عقلها ودينها وإعظامها لمولاتها حميدة، حتى أنّها ما جلست بين يديها منذ ملكتها إجلالاً لها فوهبتها حميدة لولدها موسى عليه السلام وأوصته بها خيراً(3).

ص: 108

1- (1) راجع: لسان العرب، ابن منظور، ج 4 ص 421..

2- (2) راجع: المصدر السابق، ج 4 ص 206.

3- (3) راجع: أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، ج 3 ص 244.

أقول: ويمكن أن يكون في تغيير اسمها أو كثرة أسمائها (كما هو الحال في باقى أمهات الأئمة عليهم السلام خصوصاً فى أمهات الأئمة الذين عاصروا الحكومات العباسية) هو لأهداف وأغراض سياسية منها حفاظاً على أم المعصوم عليه السلام والإبهام والتشويش على الأعداء لاسيما وأنهم يقتفون آثار الأئمة عليهم السلام, وربما عندهم معرفة إجمالية فى حال أم المعصوم بعد أبيه فيمكن أن يقطعوا الطريق فى قتلها قبل ولادتها المعصوم عليه السلام الذى يهدد عروش الظالمين, كما هو الحال فى أم النبى موسى عليهما السلام وقتل فرعون النسوة الحوامل حينذاك, وربما تسميتها بتكنم فيه إشارة واضحة لما ذكرناه, حيث إن معناه كما جاء فى اللغة التستر والإخفاء والكتمان وقد أنشد الشاعر:

كتم الحب فأخفاه، كما تكتم البكر من الناس الوحى(1)

فقد كتّمها الله وأخفاه عن أنظار وأفكار الحاقدين والمتربصين بأهل البيت عليهم السلام شراً، فلذا نلاحظ أنّ اسمها تكتّم بعد ذلك اشتهر بين الناس حتى أنّه جرى فى ألسن الشعراء كما ذكر عن الصولى قال: والدليل على أنّ اسمها تكتّم قول الشاعر يمدح الرضا عليه السلام:

ألا أن خير الناس نفساً ووالداً ورهطاً وأجداداً على المعظم

أتتنا به للعلم والحلم ثامناً إماماً يؤدى حجة الله تكتّم

وتكتّم من أسماء نساء العرب قد جاءت فى الأشعار كثيراً منها فى قولهم:

طاف الخيالان فهاجا سقما خيال تكنى وخيال تكتما

ص: 109

---

1- (1) راجع: لسان العرب, ابن منظور, ج 12 ص 631. (الوحى: الشهوة)

وقال الصولي: كانت لإبراهيم بن العباس الصولي (عم أبي) فى الرضا عليه السلام مدايح كثيرة أظهرها، ثم اضطر إلى أن سترها وتتبعها فأخذها من كل مكان(1).

## بلدها الأصلي

اختلفوا فى موطنها ومحل إقامتها، حيث قال بعضهم: إنها كانت من بلاد النوبة، كما ذكر عن العطاردي قال: يحتمل أن تكون أم الرضا عليه السلام من أهل بونة هذه؛ لأنها قريبة من مرسى الخرز، ثم لعبت بها يد النساخ وصحفوها بالنوبة، كما صحفوا غيرها من أسماء الرجال والبلدان(2).

ولكن يبقى الكلام فى أنه إذا كانت نوبية، هل هى من بلاد النوبة وهى الناحية التى فى جنوب مصر التى يقال لها اليوم: (السودان)، أو من النوبة وهى جيل من السودان كما قاله الجوهري.

نعم ذكروا أن بونة: بالضم ثم السكون: مدينة بإفريقية بين مرسى الخرز وجزيرة بنى مزغناى، وهى مدينة حصينة مقتدرة كثيرة الرخص والفواكه والبساتين القرينة، وأكثر فاكهتها من باديتها، وبها معدن حديد، وهى على البحر، ينسب إليها جماعة، منهم: أبو عبد الملك مروان بن محمد الأسدي البوني، فقيه مالكي من أعيان أصحاب أبي الحسن القابسي، له كتاب فى شرح الموطأ، وأصله من الأندلس انتقل إلى إفريقية فأقام ببونة فنسب إليها، ومات فيها قبل سنة (440)،

ص:110

1- (1) راجع: عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق، ج 2 ص 25.

2- (2) راجع: مسند الإمام الرضا عليه السلام، الشيخ عزيز الله عطاردي، ج 1 ص 18.



ويطل على بونة جبل زغوغ(1).

وذكر بعض آخر أنّ السيدة نجمة من المرسية، ولكن لم يصرحوا بأنها كانت من أى مرسية، أمرسية الأندلس أم مرسية إفريقية، فأما مرسية الأندلس، وهى كانت بلدة إسلامية بناها أحد الأمراء الأمويين بالأندلس. قال الزبيدي فى التاج: مرسية بالضم مخففة وأهل المغرب يفتحونها، بلد إسلامى بالمغرب شرقى الأندلس بناه الأمير عبد الرحمان بن الحكم الأموى، كثير المنازه والبساتين، ومن هذا البلد أبو غالب تمام بن غالب اللغوى صنف فى علم اللغة كتاباً نفيساً(2).

ولكن يذكر على أن المرسية بنيت فى القرن الثالث بعد وفاة الرضا عليه السلام، فلا جرم أن أمته عليه السلام تكون من مرسية إفريقية، وبيان ذلك أن المسلمين لما افتتحو إفريقية وبلاد الروم، أسسوا بلاداً فى سواحل البحر الأبيض شماليها وجنوبيها، ويقال لهذه البلاد: المراسى لاجتماع السفن بها كمرسى الخزر، ومرسى الدجاج، ومرسى ابن جناد، ويمكن أن تكون أم الرضا عليه السلام من إحدى هذه المراسى.

قال ياقوت: مرسى الخزر بالفتح ثم السكون والسين مهملة والقصر، أصله مفعول من رست السفينة إذا ثبتت والموضع مرسى، والخزر بفتح الخاء المعجمة والراء ثم زاي، واحده خزرة، موضع معمور على ساحل إفريقية بينه وبين بونة ثلاثة أيام يستخرج منه المرجان(3).

ص: 111

1- (1) راجع: معجم البلدان، الحموى، ج 1 ص 512.

2- (2) راجع: تاج العروس، الزبيدي، ج 8 ص 471.

3- (3) راجع: معجم البلدان، الحموى، ج 5 ص 106.

وقد ذكر أهل الحديث والتاريخ وغيرهم: أنّ أم الرضا عليه السلام كانت من أهل المغرب، اشتراها رجل نخاس وجاء بها إلى المدينة المنورة كما سيأتي، وربما كان بسبب تناقلها بين أيدي النخاسين حتى أوصلت المغرب، ومن ثم إلى المدينة المنورة، أو للتوسع في معنى المغرب حينذاك.

## بلاد النوبة

ذكر المختصون أنّ بلاد النوبة هي على شاطئ النيل من الجانب الغربي في الاقليم الثاني، طولها من الغرب أربع وخمسون درجة وأربع عشرة دقيقة، وعرضها أربع وعشرون درجة وأربعون دقيقة، وهي مدينة عامرة طيبة كثيرة النخل والبساتين والتجارة<sup>(1)</sup>. وفي بلاد النوبة من البلاد المشهورة والقواعد المذكورة: كوشة، وعلوة، ودُنْقَلَة، وبلّاق، وسوبة.

ودُنْقَلَة: مدينة كبيرة في بلاد النوبة، وإذا استقبلت الغرب كانت على يسارك في الجنوب، وهي منزلة ملك النوبة على شاطئ النيل، ولها أسوار عالية لا ترام مبنية بالحجارة، وطول بلادها على النيل مسيرة ثمانين ليلة، غزاها عبد الله بن سعد ابن أبي سرح في سنة (31) هـ - في خلافة عثمان بن عفان، رضى الله عنه، وأصيبت يومئذ عين معاوية بن حديج، وقتلهم قتالاً شديداً ثم سأله الهدنة فهادنهم الهدنة الباقية إلى الآن، وقال شاعر المسلمين:

لم تر عيني مثل يوم دمقله والخيل تعدو بالدروع مثقله

ص: 112

---

1- (1) راجع: معجم البلدان، الحموي، ج 1 ص 189.

قال ابن لهيعة: وسمعت يزيد بن أبي حبيب يقول كان أبي منسى دمقلة، والله أعلم(1).

وقال الإدريسي: مدينة دُنْقَلَة في غربى النيل وعلى ضفته ومنه شرب أهلها وأهلها سودان لكنهم أحسن السودان وجوهاً وأجملهم شكلاً وطعامهم الشعير والذرة والتمر يجلب إليهم من البلاد المجاورة لهم وشراهم المزر المتخذ من الذرة واللحوم التى يستعملونها لحوم الإبل طرية ومقددة ومطحونة ويطبخونها بألبان النوق، وأما السمك فكثير عندهم جداً وفي بلادهم الزرائف والفيلة والغزلان(2).

وأما مدينة كوشة الواغلة بينها وبين مدينة نوبة ستة أيام وهى تبعد عن النيل يسيراً وموضعها فوق خط الاستواء وأهلها قليلون وتجاراتها قليلة وأرضها حارة جافة كثيرة الجفوف جداً وشرب أهلها من عيون تمد النيل هناك وهى فى طاعة ملك النوبة وملك النوبة يسمى كاسل وهو اسم يتوارثه ملوك النوبة وقرارته ودار ملكه فى مدينة دنقلة وأما مدينة علوة وهى على الضفة النيل أسفل من مدينة دنقلة وبينهما مسير خمسة أيام فى النيل وماؤهم من النيل وشربهم منه وبه يزرعون الشعير والذرة وسائر بقولهم من السلجم والبصل والفجل والقثاء والبطيخ وحال علوة فى هياتها ومبانيها ومراتب أهلها وتجاراتهم مثل ما هى عليه حالات مدينة دنقلة وأهل علوة يسافرون إلى بلاد مصر وبين علوة وبلاق عشرة أيام فى البر وفى النيل أقل من ذلك انحداراً. وكذلك أهل علوة ودنقلة يسافرون فى النيل

ص: 113

1- (1) راجع: المصدر السابق، ج 2 ص 470.

2- (2) راجع: نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، الشريف الادريسي، ج 1 ص 37.

بالمراكب وينزلون أيضاً إلى مدينة بلاق فى النيل.

وأما مدينة بلاق فهى بين ذراعين من النيل وأهلها متحضرون ومعايشهم حسنة وربما وصلت إليهم الحنطة مجلوبة والشعير والذرة عندهم ممكن كثير موجود، وبمدينة بلاق يجتمع تجار النوبة والحبشة وتجار أرض مصر يسافرون إليها إذا كانوا معهم فى صلح وهدنة ولباس أهلها الأزر والمآزر وأرضها تسقى بالنيل وماء النهر الذى يأتى من بلاد الحبشة وهو وادٍ كبير جداً يمد النيل وموقعه بمقربة من مدينة بلاق وفى الذراع المحيط بها وعليه مزارع أهل الحبشة وكثير من مدنها وليس فى مدينة بلاق مطر ولا يقع فيها غيث البتة، وكذلك سائر بلاد السودان من النوبة والحبشة والكانميين والزغاويين وغيرهم من الأمم لا يمطرون ولا لهم من الله رحمة ولا غياث إلا فيض النيل وعليه يعولون فى زراعة(1).

### صفات السيدة نجمة الكمالية

نستفيد من كثرة أسمائها وألقابها عليها السلام المتقدمة أنها تحكى عن معانى وصفات سامية قد تجذرت وتجسدت فى كيان السيدة نجمة أم الإمام الرضا عليه السلام وتعبير عن مدى مكانتها وإيمانها، لذلك عرف عنها أنها كانت من أشرف العجم، وهى من أفضل النساء فى عقلها، ودينها. وإنما وقع اختيار الإمام الكاظم عليه السلام عليها لأنها كانت ذات شرف ومكانة وطهر وعفاف، لم تكن امرأة عادية من سائر النساء، بل كانت جليلة القدر عظيمة الشأن ذات منزلة رفيعة نقية ورعة عفيفة. فعندما يسميها الإمام المعصوم عليه السلام بالطاهرة وهو الذى يتكلم عن واقع ثابت

ص:114

1- (1) راجع: المصدر السابق، ج 1 ص 37.

بالإضافة إلى أنه اطلق لفظ الطاهرة عليها فيعم الطهارة المادية والمعنوية, مع أنّ فيه عموم زمانى فلم تكن الطهارة قد عرضت عليها بعد تملكها من الإمام عليه السلام أو بعد زواجها أو بعد ولادتها الإمام الرضا عليه السلام بل كانت متأصلة فيها قبل ذلك بكل أحوالها, فقد اصطفىها الله وطهرها وأعدّها لكي تكون وعاءاً لحجة الله, لذا نلاحظ تدخل الغيب في الأمر بشرائها وأيضاً في زواجها من الإمام الكاظم عليه السلام. ونفهم أيضاً من أسمائها سبيكة, أنّها قد سبكت بأخلاقها وخلقها ومنطقها وأخلصت نفسها لله وحدة وطاعة أوليائه, وأما اسمها نجية ربما كثرة نجوتها مع الله فقد ظهرت آثارها إلى العيان وأصبحت صفة لا تنفك عنها بحال من الأحوال حتى تحولت إلى اسم تخاطب فيه وهذا ما لا يتأتى إلا بعدما يصبح لازماً ودائماً فهو يحمل النجوى المستمرة والدائمة مع الله. وهناك مغزى في معانى اسميها شهد وشهدة يمكن أن يحمل في أحشائه الكمالات المادية والمعنوية, فقد ثبت في اللغة أن الشهيد هو العسل كما قال: الشهيد: العسل ما لم يعصر من شمع, شهاد, والواحدة: شهدة(1). فهي تتصف في حسننها ومنطقها وخلقها بالحلاوة البالغة والأدب العظيم. وربما تحمل معنى الشاهد والشهادة ولها الحظ في الشهادة يوم القيامة. وناهيك عن معنى اسميها سلامة وتحية فقد تنطوى أيضاً في طياتهما جملة من المعانى التي تشير إلى الصفات الكمالية التي تتمتع بها هذه السيدة الجليلة, ومن جملتها السلامة والبراءة من العيوب سواء كانت مادية أم معنوية, كما جاء في الصحاح قال, والسلام: البراءة من العيوب في قول أمية(2).

ص: 115

1- (1) راجع: كتاب العين, الخليل الفراهيدي, ج 3 ص 397.

2- (2) راجع: الصحاح, الجوهري, ج 5 ص 1951.

يعتبر حسن الأخلاق من المحاور الأساسية في مسيرة الكمال والارتقاء، ويعطى صبغة للإنسان يمتاز بها على غيره ويكون مورداً للغبطة والانجذاب وما إليه، لذا نلاحظ تأكيد الشريعة على التلبس بحسن الخلق والترغيب فيه بنصوص كثيرة، وقد مدح الله رسوله لعظم خلقه صلى الله عليه وآله بقوله: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) مع أنّ النبي صلى الله عليه وآله متكامل الصفات من كل الجهات ليس فقط بحسن الخلق وإنما كذلك بالحلم والعلم والشجاعة... ولكن نلاحظ خص الله مدحه بهذه الصفة، للدلالة على أهمية هذه الصفة في التركيبة الاجتماعية بكل أطيافها، ولورجعنا إلى السيدة نجمة أم الإمام الرضا عليه السلام لرأينا أنّها حظيت بمرتبة عالية بحسن أخلاقها حتى أثار انتباه كل من عايشها وجالسها ومن جملتهم المعصوم عليه السلام وهذه الصفات الخلقية الحميدة وغيرها التي تجسدت فيها عليها السلام جعلت من مولاتها السيدة حميدة أم الإمام الكاظم عليهما السلام تنظر لها بمستوى آخر حتى أخذت تخطط لها كي تكون زوجة لابنها المعصوم عليه السلام، فقد ذكروا أنّ من إعظامها لمولاتها السيدة حميدة أنّها ما جلست بين يديها من حين ملكتها إجلالاً، وإعظاماً لها، وهذا يشير أيضاً إلى أنّها قد عرفت مكانة أم المعصوم عليهما السلام عند الله وعند أهل البيت عليهم السلام ومدى فضلها فيكون ذلك من منطلق الإيمان والمعرفة، فلم تكن تحركاتها وأفعالها عن فراغ وإنما كانت تسير على وعى ومعرفة، وعلى غرار هذا وغيره نلاحظ أنّ السيدة حميدة قد قالت لابنها الإمام موسى عليه السلام: يا بني إنّ تكتمم جارية، ما رأيت جارية قط أفضل منها، ولست أشك أن الله تعالى سيظهر نسلها، وقد

وهبتها لك فاستوص بها خيراً. ولا يخفى أنّ السيدة حميدة عليها السلام كانت على مستوى عالٍ من العلم والمعرفة وقد رأينا مما تقدم من سيرتها أنّها كانت مورد اعتماد زوجها المعصوم عليه السلام في حياته وبعد مماته في شتى المجالات فعندما تصف لنا هنا السيدة نجمة عليها السلام والتي كانت على مقربة منها نفهم أنّها وقفت على حقائق واقعية ذات سمات عليا خصوصاً مع تأييد المعصوم لها حتى أنّها لم تقتصر على مدحها، بل تحركت في زواجها من المعصوم عليه السلام لأنها تراها الوعاء الأنسب للحجة بعده عليه السلام وهذا ما رأيناه قد حصل فعلاً.

## إنّها من الرواة

من جملة المزايا والصفات التي كانت تتمتع بها السيدة نجمة النوبية هي الرواية فقد كانت تروى عن المعصوم عليه السلام، ومن جملة ما ورد عنها ما أسنده الصدوق رحمه الله عن علي بن ميثم عن أبيه قال: سمعت أُمّي تقول: سمعت نجمة أم الرضا عليهما السلام تقول: لما حملت بابني علي عليه السلام لم اشعر بثقل الحمل وكنت أسمع في منامي تسييحاً وتهليلاً وتمجيداً من بطني فيفزعني ويهولني فإذا انتبهت لم أسمع شيئاً، فلما وضعت وقع علي الأرض واضعاً يديه على الأرض رافعاً رأسه السماء يحرك شفثيه كأنه يتكلم فدخل إليّ أبوه موسى بن جعفر عليهما السلام فقال لي: هنيئاً لك يا نجمة كرامة ربك فناولته إياه في خرقة بيضاء فأذن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى ودعا بماء الفرات فحنكه به ثم رده إليّ فقال: خذيه فإنه بقية الله تعالى في أرضه(1). فهذه الرواية تحمل في طياتها جملة من الأحكام الفقهية والعقيدية وربما

ص: 117

---

1- (1) راجع: عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق، ج 2 ص 29.

تحتوى أيضاً على معجزة وكرامة للإمام الرضا عليه السلام، وفيها إشارة إلى منزلة السيدة نجمة وأنها مُحدثة من جهة الغيب، وكيف كان فقد شاركت هذه السيدة الجليلة فى نقل وإيصال العلوم والمعارف الإلهية إلى البشرية بأجيالها المتعاقبة وكانت واحدة من الذين وصلوا فى سير وتحريك العملية الدينية ونشر العلوم الحقّة.

### تربيتها فى بيت المعصوم

من جملة الخصوصيات التى رافقت السيدة نجمة النوبية هى أنها نشأت وترعرعت فى بيئة عربية وأخذت من تقاليدهم وأعرافهم، كما ورد أنّها ولدت بين العرب ونشأت مع أولادهم وتأدبت بأدابهم، وكانت من أفضل النساء فى عقلها ودينها<sup>(1)</sup>. ومن ثم تحولت إلى بيت العصمة والطهارة حيث اشتراها الإمام الكاظم عليه السلام وجعلها عند والدته السيدة حميدة المصفاة وكانت بكرة كما ورد عن على بن ميثم قال: سمعت أبى يقول: سمعت أمى تقول: كانت نجمة بكرة لما اشترتها حميدة<sup>(2)</sup>. فكانت تحت إشراف وتعليم المعصومين عليهم السلام وأهل العلم والمعرفة أمثال السيدة حميدة عليها السلام التى كانت تباشر أمرها وكانت على قدر عالٍ من الكمال، حتى أضافت على ما كانت تحويه من كفاءة وصفات حميدة وعلوم ومعارف من بيت العصمة أضفت بها إلى الكمال والرقى الذى يعجز وصفه، فلا نستغرب عندما نجدها تتمتع بجملة من الصفات الكمالية أو أعيت نفسها بالعبادة من الصيام والقيام وما إليه، فقد كانت خريجة أهل الفضل والحكمة وتغرف من

ص: 118

1- (1) راجع: أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، ج 3 ص 244.

2- (2) راجع: عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق، ج 2 ص 26.



ينابيع العلوم الحققة وتتغذى من مصادر السماء على لسان الإيحاء والإلهام فكان مالكةا وزوجها معصوم وابنها معصوم، إضافة إلى شرف وعلم الأسرة التي كانت فى ربوعها، ولا شك أنّ الحياة فى بيت الإمام المعصوم عليه السلام، فى حد ذاتها كافية فى تأسيس حياة هى أفضل ما تكون، حيث منبع الطهر والعفاف والقداسة والكمال، فإذا انضم إلى ذلك الاستعداد التام كانت النتيجة هى بلوغ الغاية الممكنة، فى الكمال والاستقامة.

## بُعدُها الدينى

لقد تحلت السيدة نجمة عليها السلام بجميع مزايا الشرف والفضيلة التى تسمو بها المرأة المسلمة من العفة والطهارة، وسمو الذات وهى من السيدات الماجدات فى الإسلام، ولو أنّ الظروف السياسية وغيرها ألجأتها أن تكون أمة فى ظاهر الحال لكن هذا لا ينقص مكانتها ولا يغير ذاتها، كما فى غيرها من أمهات الأئمة الجوارى؛ لأنّ الإسلام جعل المقياس فى تفاوت الناس بالتقوى والعمل الصالح، ولا أثر لغير ذلك فكانت هذه السيدة الزكية من العابدات، فقد أقبلت على طاعة الله إقبالاً شديداً، وزادها تأثيراً سلوك زوجها الإمام الكاظم عليه السلام إمام المتقين، وأهل بيته، وقد انعكس ذلك على حياة السيدة نجمة عليها السلام، فكانت من أهل العبادة والتهجد، حتى إنّها لما أنجبت الرضا عليه السلام وكان كما تصفه الروايات يرتضع كثيراً، وكان تام الخلقة، قالت: أعينونى بمرضعة، فقيل لها أنقص الدر؟ فقالت: لا أكذب، والله ما نقص، ولكن علىّ ورد من صلاتى وتسيحى وقد نقص منذ ولدت(1).

ص: 119

---

1- (1) عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق، ج 2 ص 24.

فلاحظ هذه النفس الملائكية التي هامت بحب الله، وانقطعت إليه فقد طلبت أن يعاونوها على إرضاع ولدها لأنه يشغلها عن أورادها من الصلاة والتسبيح، وفي ذلك دلالة على عظمة هذه المرأة، ومدى تعلقها بالله تعالى وارتباطها به، ولا شك أن لذلك تأثيراً على ما ينحدر منها من نسل، مع أن المرأة التي يقع اختيار الإمام عليه السلام عليها وهو يعلم أنها ستكون وعاءً وحجراً لابنه المعصوم لم تكن من عامة الناس، بل من أشرف النساء، وذات مكانة في قومها، غير أنها وقعت في الأسر وجرها ذلك إلى سوق النخاسين.

### الله يختار أم الرضا عليهما السلام

وتقف هنا أيضاً يد الغيب لتختار الوعاء اللائق الذي أُعد كي يكون الحاضن الأصلح والحجر الأنسب والوعاء الأطهر للمعصوم عليه السلام بما تقتضيه الموازين العلمية والعملية، وقد كشف عن ذلك بجملة من الأحاديث، التي منها ما روى عن الصدوق بسنده عن هشام بن أحمد، قال: قال أبو الحسن الأول عليه السلام: هل علمت أحداً من أهل المغرب قدم؟ قلت: لا، فقال عليه السلام: بلى، قد قدم رجل أحمر، فانطلق بنا، فركب وركبنا معه حتى انتهينا إلى الرجل، فإذا رجل من أهل المغرب معه رقيق، فقال له: اعرض علينا، فعرض علينا تسع جوارٍ كل ذلك يقول أبو الحسن عليه السلام: لا حاجة لي فيها، ثم قال له: اعرض علينا، قال: ما عندي شيء، فقال له: بلى اعرض علينا، قال: لا والله، ما عندي إلا جارية مريضة، فقال له: ما عليك أن تعرضها، فأبى عليه، ثم انصرف عليه السلام، ثم أرسلني من الغد إليه، فقال لي: قل له: كم غايك فيها؟ فإذا قال: كذا وكذا فقل: قد أخذتها، فأتيته، فقال: ما أريد أن أنقصها

من كذا، فقلت: قد أخذتها، وهو لك، فقال: هي لك، ولكن من الرجل الذى كان معك بالأمس؟ فقلت: رجل من بنى هاشم، فقال: من أى بنى هاشم؟ فقلت: من نقبائهم، فقال: أريد أكثر منه، فقلت: ما عندي أكثر من هذا، فقال: أخبرك عن هذه الوصيصة، إنى اشتريتها من أقصى بلاد المغرب، فليقتنى امرأة من أهل الكتاب فقالت: ما هذه الوصيصة معك؟ فقلت: اشتريتها لنفسى، فقالت: ما ينبغى أن تكون هذه الوصيصة عند مثلك، إن هذه الجارية ينبغى أن تكون عند خير أهل الأرض، فلا تلبث عنده إلا قليلاً حتى تلد منه غلاماً يدين له شرق الأرض وغربها، قال: فأتيته بها، فلم تلبث عنده إلا قليلاً حتى ولدت له علياً عليه السلام(1). فكان تحرك الإمام الكاظم عليه السلام نحو هذه الجارية بأمر الغيب وأنه من جملة المخططات الغيبية فى رسم مستقبل أهل البيت عليهم السلام الاجتماعى وقد كشف الإمام عليه السلام النقاب عن ذلك عندما تم شراء السيدة نجمة، التفت لأصحابه قائلاً: والله ما اشتريت هذه الجارية إلا بأمر الله ووحيه... إلى آخر الحديث الذى سيأتى ذكره.

### زواجها بأمر الغيب

كما هو الحال فى كل أمهات الأئمة عليهم السلام أن الله اصطفاهن وأعدهن كى يكونن أوعية وحواضن لحججه فى خلقه فنلاحظ أن الغيب يتدخل فى اختيارهن وشرائهن وأيضاً فى زواجهن وقد مرّ علينا أمر زواج الزهراء عليها السلام من على عليه السلام حيث كان بأمر ووحى من الله، فأيضاً نجد أن الوحي الغيبى كعادته فى تزويج

ص: 121

---

1- (1) راجع: عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق، ج 2 ص 27.

امهات الأئمة عليهم السلام قد تدخل في أمر زواج السيدة نجمة النوبية، كما ورد في المأثور عن أبي الحسن موسى عليه السلام لما ابتاع هذه الجارية قال لجماعة من أصحابه: والله ما اشتريت هذه الجارية إلا بأمر الله ووحيه، فسئل عن ذلك فقال: بينا أنا نائم إذ أتاني جدي وأبى ومعهما شقة حرير فنشراها فإذا قميص وفيه صورة هذه الجارية، فقالا: يا موسى ليكونن لك من هذه الجارية خير أهل الأرض بعدك، ثم أمراني إذا ولدته أن اسميه علياً، وقالوا: إن الله سيظهر به العدل والرفقة والرحمة، طوبى لمن صدقه، وويل لمن عاداه وجحده(1).

## إزالة توهم

ربما يتصور البعض أنّ هناك تنافياً بين ما روى عن الصدوق رحمه الله بسنده عن علي بن ميثم أنه قال: اشترت حميدة المصفاة (وهي أم أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام) جارية واسمها تكتم، (أم الإمام الرضا عليه السلام) وهي من أشرف العجم وكانت من أفضل النساء في عقلها ودينها وإعظامها لمولاتها حميدة المصفاة، حتى أنها ما جلست بين يديها منذ ملكتها إجلالاً لها، وكانت علائم الجلالة والنجابة تلوح منها حتى شهدت بذلك مولاتها حميدة المصفاة.

وبين ما تقدم من أن الإمام الكاظم عليه السلام هو الذي اشترى السيدة تكتم (أم الإمام الرضا عليه السلام) حيث بعث هشاماً لاتباعها له كما تقدم، وظاهر هذا هو التنافي بين الأحاديث.

ص: 122

قلنا: يمكن الجمع بين الرويتين بأن يقال: إنَّ الإمام الكاظم عليه السلام اشتراها جارية لأُمَّه أو جعلها عندها فمكثت عند أمّه مدة، وربما كان ذلك لحكمة في مخطط الغيب من إعدادها وتأهيلها وما إليه، ومن ثم وهبتها أمّه إلى الإمام عليه السلام أو جعلتها تحت تصرفه بعدما علمت من أنّها تكاملت وأصبحت قادرة تماماً على تحمل المسؤولية الكبرى لذا حصلت حينها الإرهاصات الغيبية في باب تزويجها من الإمام عليه السلام، وبذلك يرتفع التنافي بين الرويتين؛ ولذا يذكر الرواة أنّ أم الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام هي جارية، كانت مملوكة لحميدة المصفاة أم الإمام موسى بن جعفر عليه السلام وقد أعجبت بها لعظيم خلقها ودينها وجلال وأدبها، فوهبتها لولدها الكاظم عليه السلام ليتزوج بها، مع أنّ النساء لاسيما أم المعصوم لا تزاوّل البيع والشراء في مثل هذا وإنما هو من مهام الرجال، نعم بعد ذلك يهبها الإمام وربما لغاية في قلب يعقوب، منها أنّ تبقى تحت رعايتها وإشرافها وحفظها كما تقدم، أو لأغراض سياسية منها حفاظاً على أم المعصوم عليه السلام والحجة من بعده بسبب الظروف التي كانت تحيط به عليه السلام، وإلا نحن علمنا أنّ الإمام عندما اشتراها قد أخبر أصحابه الخلّص أنّها أم الحجة من بعده وأنها ستكون زوجة له.

### السيدة نجمة وعاء للمعصوم

من أهم الفضائل التي حازت عليها السيدة نجمة (أم الإمام الرضا عليهما السلام) والتي يكشف عن طهارتها وإيمانها ويكللها وسام الشرف والطهارة بالماضي والمستقبل، هو ترقّيها في أن تكون وعاءً وحجراً للمعصوم عليه السلام، فقد جاء في عيون أخبار الرضا عليه السلام: عن نجمة قالت: لما حملت بابني علي عليه السلام لم أشعر بثقل الحمل،

وكنت أسمع في منامى تسبيحاً وتهليلاً وتمجيداً من بطنى، فيفزعنى ذلك ويهولنى، فإذا انتبهت لم أسمع شيئاً، فلما وضعته وقع على الأرض واضعاً يده على الأرض، رافعاً رأسه إلى السماء يحرك شفثيه كأنه يتكلم، فدخل إلى أبوه موسى ابن جعفر عليهما السلام فقال لى: هنيئاً لك يا نجمة، كرامة ربك، فناولته إياه فى خرقة بيضاء، فأذن فى أذنه الأيمن وأقام فى الأيسر، ودعا بماء الفرات فحنكه به، ثم رده إلى وقال: خذيه، فإنه بقية الله فى أرضه(1).

وسمى الإمام الكاظم عليه السلام وليده المبارك باسم جده الإمام أمير المؤمنين على عليه السلام، بأمر من الغيب كما تقدم، وتبركاً وتيمناً بهذا الاسم الذى يرمز لأعظم شخصية خلقت فى دنيا الإسلام والوجود بعد النبى المصطفى، والتي تحلت بجميع فضائل الدنيا.

وقد وقع الاختلاف بين المحدثين وغيرهم فى تحديد السنة التى ولد فيها وأيضاً الشهر، فقد ولد الإمام على الرضا عليه السلام بالمدينة المنورة عام (143 هـ) أو عام (148 هـ) أو عام (153 هـ)، على اختلاف الروايات، وأيضاً حصل الاختلاف بينهم فى تحديد سنة وشهر استشهاده عليه السلام، فقد توفى عام (203 هـ)، كما فى رواية المسعودى وابن خلكان(2). وكانت ولادته عليه السلام يوم الجمعة فى بعض شهور سنة ثلاث وخمسين ومائة، وقيل: بل ولد سابع شوال، وقيل ثامن، وقيل سادسه، سنة إحدى وخمسين ومائة، وتوفى فى آخر يوم من صفر سنة اثنتين ومائتين، وقيل بل

ص:124

- 
- 1- (1) عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق، ج 2 ص 29.
  - 2- (2) مروج الذهب، المسعودى ج 2 ص 418. ووفيات الأعيان، ابن خلكان ص 3 ج 270.

توفى خامس ذى الحجة، وقيل: ثالث عشر ذى القعدة سنة ثلاث ومائتين بمدينة طوس، وكان مسموماً، فاعتل منه ومات(1).

## أولادها

اختلف المحدثون والمؤرخون فى عدد أولاد الإمام الكاظم عليه السلام اختلافاً كبيراً، فعددهم يتراوح بين (33-60) بين ذكر وأنثى. فمنهم من قال ولد للكاظم عليه السلام ستون ولداً، سبعة وثلاثين بنتاً، وثلاثة وعشرين ابناً، درج منهم خمسة لم يعقبوا بغير خلاف وهم: عبد الرحمن وعقيل والقاسم ويحيى وداود. على أن رواية اليعقوبى إنما تجعلهم (41) ولداً، ثمانية عشر ذكراً، وثلاثاً وعشرين بنتاً. بينما يجعلهم ابن كثير أربعين فقط(2).

وفى الإرشاد قال: كان لأبى الحسن موسى عليه السلام، سبعة وثلاثون ولداً ذكراً وأنثى منهم: على بن موسى الرضا عليه السلام، وإبراهيم، والعباس، والقاسم، لأمهات أولاد. وإسماعيل، وجعفر، وهارون، والحسين، وأم ولد. وأحمد، ومحمد، وحمزة، وأم ولد. وعبد الله، وإسحاق، وعبيد الله، وزيد، والحسن، والفضل، وسليمان، لأمهات أولاد. وفاطمة الكبرى، وفاطمة الصغرى، ورقية، وحكيمة، وأم أبيها، ورقية الصغرى، وكلثم، وأم جعفر، ولبابة، وزينب، وخديجة، وعليه، وآمنة، وحسنة، وبريهة، وعائشة، وأم سلمة، وميمونة، وأم كلثوم، لأمهات أولاد. وكان أفضل ولد أبى الحسن موسى عليه السلام وأنبههم وأعظمهم قدراً وأعلمهم وأجمعهم

ص: 125

1- (1) راجع: الإمامة وأهل البيت. محمد بيومى مهران، ج 3 ص 104. ووفيات الأعيان، ابن خلكان ص 3 ج 270.

2- (2) راجع: لإمامة وأهل البيت، محمد بيومى مهران، ج 3 ص 103.

فضلاً أبو الحسن على بن موسى الرضا عليه السلام. وكان أحمد بن موسى كريماً جليلاً ورعاً، وكان أبو الحسن موسى عليه السلام يحبه ويقدمه، ووهب له ضيعته المعروفة باليسيرة. ويقال: إن أحمد بن موسى رضى الله عنه أعتق ألف مملوك(1).

ويذكر أن كل أولاد الإمام الكاظم عليه السلام أهل فضل وعلم وشهرة وكانت السيدة فاطمة المعصومة أخت الإمام الرضا لأمه وأبيه من أمهم السيدة الجليلة نجمة النوبية، ولم يذكر لنا التاريخ عدد نساء الإمام الكاظم عليه السلام ولا أسماءهن ولا أحوالهن مع كثرة أولاده وقالوا كل نسائه جوارى(2).

### الظروف المأساوية التي عاصرت السيدة نجمة

عندما نقرأ سيرة زوجها الإمام الكاظم عليه السلام نلاحظ أنها كانت مشحونة بالظلم والاضطهاد من قبل الظالمين وكانت فترة عصيبة، وربما هي أشد المراحل في عصر الأئمة عليهم السلام هي المرحلة التي عاصرها الإمام الكاظم عليه السلام فقد كرس فيها الطغيان والاستبداد وكان في أعلى مراتبه حتى أن أصحابه يصعب عليهم لقاءه والحديث عنه فكانوا يقولون حدثنا السيد والرجل والعبد الصالح والعالم وغير ذلك وكان يوصيهم بالكتمان والحذر، بالإضافة ما يجرى على الشيعة والمخلصين من قتلٍ وتشريدٍ وما إليه، ومع ذلك كان يستدعى الإمام عليه السلام من وطنه المدينة إلى بغداد لأجل التحقيق معه وتهديده حتى قاموا باعتقاله مرات عديدة وأخذ ينقل من سجن إلى سجن.

ص: 126

1- (1) راجع: الإرشاد، الشيخ المفيد، ج 2 ص 244.

2- (2) انظر: تواريخ النبي صلى الله عليه وآله وآل وآل عليهم السلام، ص 111.



ومن جملة الاعتقالات التي مرّ بها الإمام عليه السلام هي ما قام بها الرشيد، حيث قبض على موسى بن جعفر عليه السلام سنة تسع وسبعين ومائة في سفره إلى مكة المعظمة، وهو عند رأس النبي صلى الله عليه وآله قائماً يصلي، فقطع عليه صلاته وحمله وهو يقول: إليك أشكوا رسول الله ما ألقى. وأقبل الناس من كل جانب يبكون ويضعون، فلما حمل إلى بين يدي الرشيد وجن عليه الليل أمر بقتلين فهيئاً له، فحمل الإمام إحداهما في خفاء، ودفعه إلى حسان السروي وأمره أن يسير به في قبته إلى البصرة فيسلمه إلى عيسى بن جعفر بن أبي جعفر - وهو أميرها -، ووجه قبة أخرى علانية نهاراً إلى الكوفة معها جماعة ليعمى على الناس أمر موسى بن جعفر عليه السلام. فقدم حسان البصرة قبل التروية بيوم، فدفعه إلى عيسى بن جعفر بن أبي جعفر نهاراً علانية حتى عرف ذلك وشاع أمره، فحبسه عيسى في بيت من بيوت المحبس الذي كان يحبس فيه، وأقل عليه، وشغله عنه العيد، فكان لا يفتح عنه الباب إلا في حالتين: حال يخرج فيها إلى الطهور، وحال يدخل إليه فيها الطعام<sup>(1)</sup>. وهكذا بقي الإمام عليه السلام في هذه الأجواء المظلمة إلى أن استشهد في سجن السندی ببغداد. فكل هذه المحن والمصائب التي كان يعيشها الإمام عليه السلام وأهل بيته كانت السيدة نجمة زوجته عليهما السلام تتلقاها بقلب محترق يكاد يذوب ألماً على حال إمامها وزوجها وهو في أشد الأحوال من المعاناة والمضايقة فعاشت هذه السيدة أجواءً مليئةً بالأحزان والمصائب، مع أنّها كانت تحمل على عاتقها مسؤولية كبرى في ولادة وحفظ الحجة من بعده.

ص: 127

---

1- (1) انظر: الأنوار البهية، الشيخ عباس القمي، ص 192.

السيدة فاطمة بنت الإمام موسى بن جعفر الصادق إلى أن ينتهى نسبها إلى الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهم السلام. وهى شقيقة الإمام الرضا عليه السلام أباً وأماً. ولدت فى المدينة المنورة وأن ولادتها عليها السلام كانت سنة (183 هـ)، وهى السنة التى استشهد فيها والدها الإمام الكاظم عليه السلام، فى قول أكثر المؤرخين. وعلى هذا فلم تحظ السيدة المعصومة ببقاء أبيها عليه السلام ورعايته، وعاشت فى كنف أخيها وشقيقها الإمام الرضا عليه السلام وصى أبيه والقائم مقامه. واستبعد بعضهم أن تكون ولادتها عليها السلام فى تلك السنة؛ لأن السنوات الأربع الأخيرة من عمره عليه السلام (على أقل التقادير) كان فيها رهين السجون العباسية، مضافاً إلى أنه قد ذكر أن للإمام الكاظم عليه السلام أربعاً من البنات، اسم كل منهنّ فاطمة، وأن الكبرى من بينهن هى فاطمة المعصومة عليها السلام(1). ولذا فلا بد أن تكون ولادتها قبل ذلك فتكون فى غرة ذى القعدة سنة (179 هـ -)(2).

وكيف كان فإنها رضعت من ثدى الإيمان، ونشأت وترعرعت فى أحضان العفة والطهارة، تحت رعاية أخيها الإمام الرضا عليه السلام، لأن أباه الإمام الكاظم عليه السلام أشخص إلى بغداد وسجن فيها بأمر الرشيد العباسى لذلك تكفل أخوها الإمام الرضا عليه السلام رعايتها ورعاية أخواتها ورعاية بقية العلويين الذين كان الإمام الكاظم عليه السلام قائماً برعايتهم.

ص:128

1- (1) راجع: كتاب الفاطمة المعصومة عليها السلام، محمد على المعلم، ص 56.

2- (2) مستدرک سفينة البحار، الشيخ على النمازى الشاهرودى، ص 361.

## من صفات فاطمة المعصومة عليها السلام

تعرف هذه السيدة بالمحذثة، والعبادة، والمقدامة، وكريمة أهل البيت عليهم السلام وهي فى غاية الورع والزهد والتقوى، والانتطاع إلى الله سبحانه وتعالى.

كيف لا وأبوها الإمام الكاظم عليه السلام المعروف بباب الحوائج، وأخوها الإمام الرضا الراضى بالقدر، وقد عرفت حال أمها وما تحوى من صفات كمالية ورعاية ربانية.

جاء فى كتاب النساء المؤمنات: كانت السيدة فاطمة الكبرى بنت الإمام الكاظم عليه السلام عالمة محدثة راوية، حدثت عن آبائها الطاهرين عليهم السلام، وحدث عنها جماعة من أرباب العلم والحديث، وأثبت لها أصحاب السنن والآثار روايات ثابتة وصحيحة من الفريقين الخاصة والعامة، فذكروا أحاديثها فى مرتبة الصحاح الجديرة بالقبول والاعتماد(1).

## وفاة المعصومة ومحل قبرها

توفيت عليها السلام فى العاشر من ربيع الثانى فى سنة إحدى ومائتين فى بلدة قم؛ وذلك لما أخرج المأمون الرضا عليه السلام من المدينة إلى مرو لولاية العهد فى سنة (200) من الهجرة، خرجت فاطمة أخته تقصده فى سنة (201) هـ، فلما وصلت إلى ساوة مرضت، فسألت: كم بينها وبين قم؟

ص:129

فقلت: احملوني إليها، فحملوها إلى قم، وأنزلوها في بيت موسى بن خزرج ابن سعد الأشعري.

ذكروا أنه لما وصل خبر وصولها إلى قم، استقبلها أشرف قم، وتقدمهم موسى بن خزرج، فلما وصل إليها أخذ بزمام ناقتها وجرها إلى منزله، وكانت في داره سبعة عشر يوماً، ثم توفيت عليها السلام، فأمر موسى بتغسيلها وتكفينها وصلّى عليها ودفنها في أرض كانت له، وهي الآن روضتها، وبنى عليها سقيفة من البواري، إلى أن بنت زينب بنت محمد بن علي الجواد عليه السلام عليها قبة(1).

وروى أنه لما توفيت فاطمة عليها السلام سنة (201 هـ) (وغمست وكفنت، حملوها إلى مقبرة بابلان، ووضعوها على سرداب حفر لها، فاختلف آل سعد في من ينزلها إلى السرداب، ثم اتفقوا على خادم لهم صالح كبير السن يقال له قادر، فلما بعثوا إليه رأوا راكبين مقبلين من جانب الرملة وعليهما اللثام، فلما قربا من الجنازة نزلا وصليا عليها، ثم نزلا السرداب وأنزلا الجنازة ودفناها فيه، ثم خرجا ولم يكلما أحداً وركبا وذهبا ولم يدر أحد من هما(2).

والمحراب الذي كانت فاطمة عليها السلام تصلّى فيه موجود إلى الآن في دار موسى بن خزرج ويزوره الناس، ولا يزال هذا المحراب إلى يومنا هذا يؤمه الناس

ص:130

1- (1) راجع: مستدرک سفينة البحار، الشيخ على النمازی، ص 561.

2- (2) انظر: مستدرک سفينة البحار، الشيخ على النمازی الشاهرودی، ج 8 ص 262. وبحار الأنوار، المجلسی، ج 48 ص 290.

للصلاة والدعاء والتبرك، وهو الآن مسجد عامر في شارع (45 متري عمار ياسر) في قم المقدسة، وقد جددت عمارته أخيراً بشكل يناسب مقام السيدة فاطمة المعصومة رضوان الله عليها.

### فضل زيارة فاطمة المعصومة عليها السلام

يعد مشهد السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام في مدينة قم اليوم من المشاهد المشهورة في عالمنا الإسلامي، وهو مبنى على طرازٍ إسلاميٍّ رائعٍ، ويقصده محبو أهل البيت عليهم السلام من مختلف ديار الإسلام للزيارة والتوسل والدعاء، وهناك جملة من الروايات التي تحث على زيارة السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام، وتكشف عن عظم ثواب زيارة ضريحها.

منها ما روى عن ابن قولويه والشيخ الصدوق بالإسناد عن سعد بن سعد، قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن زيارة فاطمة بنت موسى بن جعفر عليهما السلام فقال: من زارها فله الجنة(1).

ومنها ما روى ابن قولويه بإسناده عن العمركي، عن ذكره، عن ابن الرضا عليه السلام قال: من زار قبر عمتي بقم فله الجنة(2).

ومنها ما ورد عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن سعد، عن علي بن موسى الرضا عليه السلام قال: يا سعد، عندكم لنا قبر، قلت له: جعلت فداك، قبر فاطمة بنت موسى عليهما السلام، قال: نعم، من زارها عارفاً بحقها فله الجنة فإذا

ص: 131

---

1- (1) كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه، ص 563. وثواب الأعمال، الشيخ الصدوق، ص 99.

2- (2) كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه، ص 563.

أتيت القبر عند رأسها مستقبل القبلة، وكبر أربعاً وثلاثين تكبيرة، وسبح ثلاثاً وثلاثين تسيحة، واحمد الله ثلاثاً وثلاثين تحميدة، ثم قل الزيارة(1).

وأيضاً روى عن الحسن بن محمد القمي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال:

إنّ لله حرماً وهو مكة، وإنّ للرسول صلى الله عليه وآله حرماً وهو المدينة، وإنّ لأمير المؤمنين عليه السلام حرماً وهو الكوفة، وإنّ لنا حرماً وهو بلدة قم، وستدفن فيها امرأة من أولادى تسمى فاطمة، فمن زارها وجبت له الجنة(2).

وبركة السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام تعج المدينة المقدسة قم بأعداد غفيرة من طلبة العلم، يختلفون إلى عشرات المدارس الدينية وفي مراحل مختلفة من أقطار شتى، فهي اليوم جامعة علمية دينية يتخرج منها آلاف الطلبة كل عام، حتى أصبحت مدينة قم مدينة العلم والاجتهاد.

### وفاة ومحل قبر السيدة نجمة

من البعيد أن نقف على نص تاريخي أو غيره يبين لنا تاريخ وفاتها عليها السلام ولا حتى بيان قبرها وأثر معلمها، ولكن يمكن أن نقول إنّها بقيت على قيد الحياة إلى ما بعد استشهاد زوجها الكاظم عليه السلام، وذلك على القول من أنّ ولادة السيدة

ص:132

1- (1) مستدرک الوسائل، الميرزا النورى، ج 10 ص 368.

2- (2) المصدر السابق.

المعصومة أخت الإمام الرضا عليه السلام كانت في أيام استشهاد أبيها كما تقدم، وقد ثبت أنّ السيدة المعصومة والرضا عليهما السلام أولادها عليها السلام، فعليه تكون قد أدركت استشهاد زوجها عليه السلام ولكن لم تعرف الفترة التي عاشتها بعد ذلك. وأيضا يمكن أن نرجح أن محل قبرها في المدينة المنورة؛ وذلك لأنّ زوجها الإمام الكاظم عليه السلام عندما كان مثواه الأخير في بغداد لم يكن ذهابه باختياره ومع أسرته بل أعتقل وأخذ جبراً لوحده إلى العراق وكان في غياهب السجون إلى أن استشهد ودفن في بغداد، أما أسرته فكانت مستقرة في موطنها المدينة المنورة ولم تسافر إلى غيرها. ولو فرضنا أنها بقيت حية إلى حين تولى ابنها الإمام الرضا عليه السلام ولاية العهد من قبل المأمون في طوس فأيضاً الإمام عليه السلام لم يأخذ أسرته وأهل بيته معه، بل تركهم في موطنهم المدينة المنورة بعد ما سافر لتقلد ولاية العهد التي فرضت عليه قهراً. فيمكن أن نستفيد من هذا وغيره أنّها فارقت الحياة في المدينة المنورة ودفنت فيها.









اسمها السيدة خيزران المريسية القبطية، كما جاء ذلك فى صحيفة الزهراء عليها السلام والتي تشتمل على أسماء الأئمة عليهم السلام وأمهاتهم كما مرّ مفصلاً، فقد أسند الشيخ الصدوق رحمه الله، عن أبى نضرة قال: لما احتضر أبو جعفر محمد بن على الباقر عليه السلام عند الوفاة،... ثم دعا بجابر بن عبد الله فقال له: يا جابر، حدثنا بما عاينت من الصحيفة. فقال له جابر: نعم يا أبا جعفر دخلت على مولاتى فاطمة... فقلت لها: يا سيدة النساء ما هذه الصحيفة التي أراها معك؟ قالت: فيها أسماء الأئمة من ولدى، (الى أن قال) أبو جعفر محمد بن على الزكى أمه جارية اسمها خيزران... الخ(1). والحديث طويل، أخذنا منه موضع الحاجة.

ومن الأدلة على أنّ اسمها خيزران هو ما ورد على لسان السيدة حكيمة كما جاء فى المناقب عن حكيمة بنت أبى الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قالت: لما حضرت ولادة الخيزران أم أبى جعفر عليه السلام دعانى الرضا فقال لى: يا حكيمة احضرى ولادتها وادخلى وإياها والقابلة بيتاً... الخ(2).

ص: 137

1- (1) راجع: عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق، ج 1 ص 41.

2- (2) راجع: مناقب آل أبى طالب، ابن شهر آشوب، ج 3 ص 499.

ومعنى الخيزران فى اللغة: هو نبات لّين القصبان أملس العيدان لا ينبت ببلاد العرب إنّما ينبت ببلاد الروم(1).

ويقال إنّ اسمها ريحانة، وهو مفرد الرياحين، والريحان: كل بقل طيب الريح، وقال:

بريحانة من بطن حلية نورت لها أرح، ما حولها غير مسنت

وقيل: الريحان أطراف كل بقلة طيبة الريح إذا خرج عليها أوائل النور، وفى الحديث: إذا أعطى أحدكم الريحان فلا يردّه، هو كل نبت طيب الريح من أنواع المشموم(2).

ويقال إنّ اسمها: سكينه، ويقال لها: درّه، كما عن ابن شهر آشوب، قال: وأمه (أى الجواد عليه السلام) أم ولد، تدعى: درة، وكانت مريسية، ثم سماها الرضا عليه السلام: خيزران. وكانت من أهل بيت مارية القبطية. ويقال: إنها سبيكة، وكانت نوبية. وتكنى: أم الحسن(3).

وكانت عليها السلام من أهل النوبة، أو من أهل مريسة، من قبيلة مارية القبطية أم إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، والنوبة (بالضم) بلاد واسعة للسودان بجنب الصعيد ومنها بلاد الحبشة، والنوبة أيضاً جيل من السودان، والنسبة إليها نوبى ونوبية، وقد تقدم الكلام عنه.

ص: 138

1- (1) راجع: لسان العرب، ابن منظور، ج 4 ص 237.

2- (2) راجع: المصدر نفسه، ج 2 ص 458.

3- (3) راجع: مناقب آل أبى طالب، ابن شهر آشوب، ج 3 ص 487. دلائل الإمامة، محمد بن جرير الطبرى (الشيعى)، ص 396.

لا ضير في تعدد أسماء الجوارى والإماء، وهو أمر وارد آنذاك وكان متعارفاً، فالسيد أو المالك الجديد قد يطلق على أمته اسماً جديداً، إذا لم يعجبه اسمها الأول، أو يكون قد تزوجها فيغير اسمها بما يتناسب ووضعها الجديد، أو أنه يطلق عليها عدة أسماء في آن واحد؛ لهذا يكون للجارية عدة أسماء أحياناً، كما هو الحال في والددة الإمام الجواد عليه السلام، فقد سماها الإمام الرضا عليه السلام إضافة لما لها من أسماء.

وربما يفهم من تعدد أسمائها تكامل صفاتها واحتواؤها على الدرجات العالية والرفيعة، فإن الأسماء عادة تحكى عن مسميات فهي تشير إلى معانٍ مقدسة، فلعلها إنما سميت (درة) لتلألأ وجهها بنور الإمامة لما كانت حاملاً بالإمام الجواد عليه السلام، وسميت سبيكة بسبب لمعان وجهها كسبيكة الذهب، وسميت ريحان لطيب ريحها كما تقدم معناه في اللغة، وأيضاً أشار النبي صلى الله عليه وآله لذلك بقوله: الطيبة الفم، كما سيأتى.

وسميت سكيمة لحسن أخلاقها واستقامة سلوكها. وغيرها من الدلالات والإشارات التي تحويها هذه الأسماء.

ويمكن أن يكون من وراء تعدد أسمائها أهداف وأغراض سياسية وأمنية منها الحفاظ على أم المعصوم عليه السلام، لاسيما في الفترة المتأخرة من عصر الأئمة عليهم السلام.

اختلف المؤرخون والمحدثون في نسبتها إلى بلدها، منهم من قال إنها ترجع إلى المريسة، والمراد بالمريسة: (بفتح أوله، وتخفيف الراء، وياء ساكنة، وسين مهملة) هي جزيرة في بلاد النوبة كبيرة يجلب منها الرقيق.

ومريسة: (بالفتح ثم الكسر والتشديد، وياء ساكنة، وسين مهملة) قرية بمصر وولاية من ناحية الصعيد، إليها ينسب الحمر المريسية وهي من أجود الحمير وأمشاهها، ينسب إليها بشر بن غياث المريسي صاحب الكلام مولى زيد بن الخطاب، أخذ الفقه عن أبي يوسف القاضي صاحب أبي حنيفة ثم اشتغل بالكلام وجرّد القول بخلق القرآن وحكى عنه أقوال شنيعة كقوله: إن السجود للشمس والقمر ليس بكفر، وكان مرجحاً، وروى عن حماد بن سلمة وسفيان بن عيينة، توفي سنة (218 هـ -)، ويغداد درب يعرف بدرب المريسي ينسب إليه (1).

ومنهم من نسبها إلى بلاد المرسية، والمرسية (بفتح الميم وسكون الراء وفي آخرها سين مهملة هذه النسبة إلى المرس) قرية نحو المدينة منها أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن القاسم بن إسماعيل العلوي المرسي المدني، روى عن أبيه عن جده، وإلى المرسية مدينة من بلاد الأندلس منها أبو غالب تمام بن غالب اللغوي المرسي الأندلسي يعرف بابن التيانى له كتاب مصنف في اللغة.

والمرسية: (بضم الميم وسكون الراء وفي آخرها سين مهملة) هذه النسبة

ص: 140

---

1- (1) راجع: اللباب في تهذيب الأنساب، ابن الأثير الجزري، ج 3 ص 196.

إلى مرسية وهي مدينة من بلاد المغرب هكذا ضبطه ابن ماكولا بالضم، قال السمعاني وكنت أسمع المغاربة يذكرونه بالفتح والله أعلم. ومنها جماعة من المحدثين والعلماء منها أبو غالب تمام بن غالب التياني المرسي اللغوي أَلَّفَ كتاباً في اللغة أحسن فيه. (قال) قلت قول السمعاني في هذه الترجمة بالضم وفي التي قبلها بالفتح وهما واحد لا وجه له فإن عاداته في أمثال هذا يذكر ترجمة واحدة ويقول وقيل بالفتح أو بالضم أو بالتشديد وأما ميله إلى أنها بالفتح فغريب جداً وإنما هي بالضم وهما واحدة بالأندلس لا غير ومن يراه قد ذكر في الترجمة الأولى مرسية بالأندلس فبقي الثانية مرسية بالمغرب يظن أن هذه غير تلك لأنَّ العادة جارية أن يقال لبلاد العدو المغرب ويقال لبلد الأندلس فهذا يوهم لبساً ودليل أنهما مدينة واحدة أن المنسوب إليهما واحد والله أعلم(1).

وكيف كان فقد ذكر البعض أنّها من المرسيّة، نسبة إلى مريسة؛ وهي قرية في صعيد مصر من بلاد النوبة، وعلى هذا فهي من نوبة مصر لا السودان، والذي عليه أكثر المصادر عند الفريقين(2). ويؤيد ذلك ما ورد في الصحيفة عن النبي صلى الله عليه وآله بأبي ابن خير الإمام النوبية... الخ.

فتحصل أنّها عليها السلام سيده أفريقية من بلاد المغرب أو مصر أو النوبة، وهي شرق أفريقية، وليس هناك اختلاف جوهرى وإنما اختلاف في التعابير.

ص: 141

---

1- (1) راجع: معجم البلدان، الحموى، ج 5 ص 118.

2- (2) راجع: موسوعة شهادة المعصومين، لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، ص 277.

نالت هذه السيدة الجليلة الفخر والمجد الأوفر في جملة من المزايا حتى أشخصتها عن غيرها وسادت على أقرانها في زمانها بحيث كانت أفضل نساء زمانها، حتى أن هذا الإيمان وهذه الفطرة السليمة الراسخة فيها جعلت يد الغيب أن ترعاها ويجري مدحها على لسان النبي صلى الله عليه وآله كاشفاً عن المستقبل وما تحويه هذه المرأة من طيب وطهارة.

فقد أشار إليها رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله: بأبي ابن خير الإماء النبوية الطيبة الفم، المنتجة الرحم(1).

وأما مدح الإمام الرضا عليه السلام لها يكشف على أنها في غاية القدسية والكمال والطهارة، حيث قال عليه السلام بعدما سأله كلثم بن عمران، قال: قلت للرضا عليه السلام ادع الله أن يرزقك ولداً فقال عليه السلام:

إنما أرزق ولداً واحداً وهو يرثني.

فلما ولد أبو جعفر (الجواد عليه السلام) قال الرضا عليه السلام لأصحابه:

قد ولد لي شبيه موسى ابن عمران عليه السلام فالق البحار، وشبيه عيسى ابن مريم عليه السلام قدست أم ولدته، قد خلقت طاهرة مطهرة، ثم قال الرضا عليه السلام يقتل غضباً فيبكي له وعليه أهل السماء ويغضب الله تعالى على عدوه وظالمه... الخ(2).

ص: 142

1- (1) الكافي، الشيخ الكليني، ج 1 ص 323.

2- (2) راجع: عيون المعجزات، حسين بن عبد الوهاب، ص 108. وبحار الأنوار، المجلسي، ج 50 ص 15.



تتمتع السيدة خيزران بكثير من الصفات الكمالية التي ميزتها عن أقرانها وجعلتها أفضل أهل زمانها من النساء في جميع الأصعدة حتى أصبحت محط أنظار أهل البيت عليهم السلام وكشفوا لنا جملة من هذه الصفات الحميدة التي كانت متجسدة في ذات وكيان هذه المرأة العظيمة، فكانت تحوى على الطهارة القصى سواء كان ذلك في المجال المعنوى أم المادى، وكانت المقدسة عند الجميع والمنتجة والمصطفاة من قبل الله تعالى، وكانت محل اهتمام الغيب في كل شؤونها ولا نستبعد أو نستغرب ذلك فإنّ هذا ديدن أمهات وأوعية الأئمة المعصومين عليهم السلام فقد اصطفاهن الله وخصهن وأعدهن حتى جعلهن طاهرات مطهرات مقدسات، وهذه الصفات المعنوية كثير منها لا يمكن أن نطلع عليها إلا من قبل الغيب، فمن له شأن ارتباط بالغيب يكشف لنا عن مدى العظمة والمكانة التي تتمتع بها هذه السيدة الجليلة، هب أنّ القدر أو الحكمة ساقها لأن تكون جارية في أيدي النخاسين أو أسيرة بأيدي القوم لكن هذا لا يحط من واقعها وعظمتها ورفعتها فإن الظاهر لا يؤثر بالواقع، فواقع حالها يحكى عن تكامل من جميع جوانبها، فكيف أنّ السبى والأسر لم يؤثر بواقع السيدة زينب بنت أمير المؤمنين عليه السلام بل جعلها بطلة ورائدة الإنسانية وكشف عن مدى صلابتها ومتانتها وبعد إيمانها، فكذلك الأسر والسبى الذى حاكته السماء حتى تصل إلى مشاها الذى تؤدى به وظيفتها الكبرى لن يلين ويؤثر بالسيدة خيزران أو غيرها من أمهات الأئمة عليهم السلام، بل ظلت تلك المرأة التي تحوى جملة من الصفات الكمالية إلى أن أدت وظيفتها طبق المراد والمرسوم لها، كما شهد بذلك

المعصوم الذى يحكى عن الواقع الذى غاب عن إدراك العوام, ونحن نذكر هنا بعضاً من صفاتها عليها السلام.

## من صفاتها الطاهرة

من جملة الصفات التى كانت تتمتع بها السيدة خيزران هى صفة الطهارة, وهذه الصفة لم تكن وليدةً فى حال اقترانها بالإمام الرضا عليه السلام أو فى حال ولادتها للإمام الجواد عليه السلام ولا فى حال طفولتها وغرة حياتها, بل خلقت وجبلت طاهرة مطهرة كما كشف عن ذلك من له ارتباط بالغيب, وهو المعصوم الذى لا يزل ولا يخطأ ولا يتكلم فى مثل هذا إلا عن واقع فعلى, كما تقدم أنه عليه السلام يُكلم أصحابه بشأن السيدة خيزران (أم الإمام الجواد عليه السلام) ويقول: قد خلقت طاهرة مطهرة. ولو رجعنا إلى أهمية هذه الصفة لوجدنا أنها فى غاية الرفعة والعظمة, حيث ورد أن الطاهر أسم من أسماء المولى عزّ وجلّ كما جاء فى الدعاء: اللهم إني أسألك باسمك المكنون المخزون الطاهر الطهر المبارك, وأسألك باسمك العظيم, وسلطانك القديم... الخ(1). فهذه دلالة على أهمية هذه الصفة التى كانت من أسماء الله المكنونة المخزونة. قال الكفعمى: الطاهر من أسماء الله, أى المنزه عن الأشباه والأمثال والأضداد والأنداد وعن صفات الممكنات وحالات المخلوقات من الحدوث والزوال والسكون والانتقال(2). ولما كان لأسماء الله مظاهر فى هذا العالم, كانت السيدة خيزران إحدى مظاهر اسم «الطاهر».

ص: 144

1- (1) راجع: من لا يحضره الفقيه, الشيخ الصدوق, ج 1 ص 324.

2- (2) راجع: المصباح, الكفعمى, ص 457.

وأيضاً نجد أنّ هذه الصفة كانت من الصفات التي عُرف بها النبي صلى الله عليه وآله فقد كان يعبر عنه بالطاهر، كما جاء في النصوص والأشعار وغيرها، منها: ورد عن الشرواني قال بعض الثقات إنّ من أكل الفجل ثم قال بعده خمس عشرة مرة: اللهم صل على النبي الطاهر في نفس واحد لم يظهر منه ريح ولا يتجشأ منه(1).

وأيضاً جاء ذلك في أرجوزة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في ساحة الوغى:

أنا على فسألوني تخبروا ثم ابرزوا لي في الوغى وابدروا

سيفي حسام وسناني يزهر منا النبي الطاهر المطهر(2)

وكما جاء عن العباس بن علي عليه السلام عندما حمل على القوم في كربلاء وهو يرتجز:

والله إن قطعتم يميني إني أحامي أبداً عن ديني

وعن إمام صادق اليقين نجل النبي الطاهر الأمين(3)

وكذلك عرفت هذه الصفة (الطاهر) بالإمام الحسين عليه السلام، كما جاء في زيارته المباركة: السلام عليك يا حجة الله في أرضه وسمائه، صلى الله على روحك الطيبة وجسدك الطاهر، وعليك السلام يا مولاي ورحمة الله وبركاته... الخ(4). وأيضاً هذه الصفة كانت من الألقاب المشهورة للصديقة فاطمة

ص: 145

1- (1) راجع: حواشي الشرواني، الشرواني، ج 2 ص 275.

2- (2) راجع: مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج 2 ص 354.

3- (3) المصدر نفسه، ج 3 ص 256.

4- (4) راجع: المقنعة، الشيخ المفيد، ص 470.

الزهراء عليها السلام بل كانت من الأوصاف الذاتية للزهراء عليها السلام والمظهر الأجلى لاسم الله تعالى. كما عن الشيخ الصدوق في علل الشرائع والأمالى عن الصادق عليه السلام قال: لفاطمة تسعة أسماء... وعَدَّ منها «الطاهرة»<sup>(1)</sup>. وهو مشتق من الطَّهر (بالضم)، وهو النزاهة والنظافة كما في اللغة، والمطهر المنزه. ويقولون: امرأة طاهر من الحيض وطاهرة من النجاسة والعيوب<sup>(2)</sup>. وكذلك عرفت بهذه الصفة السيدة خديجة الكبرى عليها السلام كما تقدم في محله، عن الزبير بن بكار قال في حديثه عن أحوال خديجة الكبرى عليها السلام «وكانت تدعى في الجاهلية الطاهرة»<sup>(3)</sup>. حتى أن البعض قال إنَّ هذا اللقب موروث لفاطمة عليها السلام من أمها إضافة إلى استحقاقها الذاتى. فنقول أيضاً أصبح موروثاً لأمهات أولادها المعصومين عليهم السلام بعدها والتي من جملتهن السيدة الجليلة خيزران أم الإمام الجواد عليه السلام. ولو فتشنا في معنى الطاهرة والسبب في تسميتها بذلك لوجدنا أنها تحكى عن نزاهتها من كل القذارات والعيوب معنوية كانت أو مادية، كما كشف عن ذلك المعصوم عليه السلام في بيان سبب تسميت فاطمة عليها السلام ب - (الطاهرة)، فقد ورد عن أبى جعفر عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: إنَّما سميت فاطمة بنت محمد الطاهرة لطهارتها من كل دنس، وطهارتها من كل رث، وما رأيت قط يوماً حمرة ولا نفاساً<sup>(4)</sup>.

ص: 146

- 
- 1- (1) راجع: الأمالى، الشيخ الصدوق، ص 688. علل الشرائع، ج 1 ص 178.
  - 2- (2) راجع: الصحاح، الجوهري، ج 2 ص 727.
  - 3- (3) راجع: مجمع الزوائد، الهيثمى، ج 9 ص 218.
  - 4- (4) راجع: الفصول المهمة في معرفة الأئمة، ابن الصباغ، ج 2 ص 1198. وبحار الأنوار، المجلسى، ج 43 ص 19.

فكما أنّ في هذا الحديث إشارة إلى أن فاطمة عليها السلام مطهرة من الأخلاق الذميمة والقبايح الباطنية علاوة على طهارتها من الأدناس والأرجاس البدنية والظاهرية، فكذلك ينطبق تماماً على السيدة خيزران (أم الإمام الجواد عليهما السلام)؛ لأنها أيضاً كانت توصف بالطاهرة على لسان المعصوم عليه السلام والعلة والمناط واحد.

### من صفاتها الْمُطَهَّرَةُ

ومن خصائص السيدة خيزران أنّها خلقت مطهّرة، وقد اتصفت بهذه الصفة، كما تقدم عن الإمام الرضا عليه السلام، قد خلقت طاهرة مطهرة. والمطهر يحمل معانى أخرى اضافة إلى المعانى التى تحملها صفة الطاهرة، وهذه الصفة أخذت مجالاً واسعاً فى القرآن الكريم والسنة الشريفة، كما جاء فى قوله تعالى: (وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ)<sup>1</sup>، أى نساء مطهرة من الحيض والحدث وذنس الطبع وسوء الخلق. وفى مجمع البيان، طهرن من الحيض والنفاس، ومن جميع المعائب، والأدناس، والأخلاق الدنية، والطبائع الرديّة، لا- يفعلن ما يوحش أزواجهن، ولا يوجد فيهن ما ينفر عنهن<sup>(1)</sup>. وقوله تعالى: (رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً)<sup>3</sup>، أى لا يمسه إلا الملائكة المطهرون، وقيل: مطهرة عن الباطل والكذب والزور. وفى قوله تعالى: (لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ)<sup>4</sup>، والمعنى: لا

ص: 147

---

1- (2) راجع: تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسى، ج 3 ص 111.

يمس الكتاب المكنون الذى فيه القرآن إلا- المطهرون أو لا- يمس القرآن الذى فى الكتاب إلا المطهرون. والكلام على أى حال مسوق لتعظيم أمر القرآن وتجليله فمسه هو العلم به وهو فى الكتاب المكنون. والمطهرون - اسم مفعول من التطهير - هم الذين طهر الله تعالى نفوسهم من أرجاس المعاصى وقذارات الذنوب أو مما هو أعظم من ذلك وأدق. وهو تطهير قلوبهم من التعلق بغيره تعالى، وهذا المعنى من التطهير هو المناسب للمس الذى هو العلم دون الطهارة من الخبث أو الحدث كما هو ظاهر. فالمطهرون هم الذين أكرمهم الله تعالى بتطهير نفوسهم كالملائكة الكرام والذين طهرهم الله، قال تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) 1، ولا وجه لتخصيص المطهرين بالملائكة كما عن جُلِّ المفسرين لكونه تقييداً من غير مقيد آية التطهير أن التطهير بمعنى التنزيه عن أى عمل قبيح. ومتعلق الطهارة: إما الطهارة الظاهرية من الأخباث، أو طهارة الجوارح عن الجرائم والمعاصى، أو طهارة النفس من الأخلاق الرديئة الرذيلة، أو طهارة السر عما سوى الله(1).

وكيف كانت هذه الصفة لها أهمية فى الشرع الحنيف وقد وصف الله بعض خلقه ممن طهرهم واصطفاهم وليس من السهل أن يصل كل أحد إلى هذا المقام ويتصف بهذه الصفة إلا من أخلص واتقى وسار على نهج السماء... فمن هنا نعرف مكانة وعظمة السيدة الجليلة الطاهرة المطهرة خيزران، فقد كشف لنا

ص: 148

1- (2) راجع: تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، ج 19 ص 137.

الإمام عليه السلام أنّها من جملة الذين طهرهم الله واصطفاهم فهي مطهرة من كل العيوب المادية والمعنوية وما إليها.

## المقدسة

من جملة الصفات التي حظيت وتلبست بها السيدة خيزران هي التقديس، وذلك أيضاً كشف عنه الإمام الرضا عليه السلام لأصحابه وللأجيال المتعاقبة أنّ أم ولده الإمام الجواد عليه السلام مقدسة، كما مرّ ذكره في الحديث المتقدم قوله عليه السلام: قدست أمّ ولدته. وهذه الصفة تعبر عن مرتبة عالية في الكمال والارتقاء، بل هو أيضاً اسم من أسماء الله تعالى، كما جاء ذكره في القرآن في عدة آيات، منها قوله تعالى: (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ)1، ومنها قوله تعالى: (يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ)2. وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله: يا قدوس، الطاهر فلا شيء كمثلته(1).

وعن الإمام الكاظم عليه السلام في الدعاء: تقدست يا قدوس عن الظنون والحدوس وأنت الملك القدوس بارئ الأجسام... الخ(2). وغيرها من النصوص التي تدل على أنّ القدوس اسم من أسماء الله، وبعض المخلوقات التي خصها الله

ص: 149

1- (3) راجع: جمال الاسيوع، السيد ابن طاووس، ص 222.

2- (4) راجع: بحار الأنوار، المجلسي، ج 82 ص 220.

بالتطهير والبركة والاصطفاء تكون مظهراً لهذا الاسم العظيم، ومن جملة الذين نالت هذه المرتبة وأصبحت من المظاهر المتجلية لهذا الاسم هي السيدة خيزران (أم الإمام الجواد عليهما السلام). وأما معنى التقديس فقد اختلفوا فيه، منهم من قال التقديس: هو التطهير والتعظيم ومنه قولهم: سبوح قدوس، يعنى بقولهم سبوح: تنزيه لله وقولهم قدوس: طهارة له وتعظيم ولذلك قيل للأرض: أرض مقدسة، يعنى بذلك المطهرة. فمعنى قول الملائكة - ونقدس لك - ننسبك إلى ما هو من صفاتك من الطهارة من الأذناس وما أضاف إليك أهل الكفر بك. وقال بعضهم: التقديس: هو التعظيم، نقديس لك: نعظمك ونمجذك ونكبرك. وقيل معنى المقدس المبارك فيه (1).

فتحصل أنّ البعض يرى أنّه عبارة عن تنزيه الله عز وجل عن كل نقص. والبعض الآخر ذهبوا إلى أن التقديس من مادة (قدس) أى تطهير الأرض من الفاسدين والمفسدين. أو تطهير النفس من كل رذيلة. أو تطهير الجسم والروح لله. وبعض يرى هو التعظيم والإجلال. وكيف كانت هذه الصفة تعبر عن مرتبة عالية لا يتصف بها كل أحد إلا الخواص الذين طهرهم الله وسددهم واصطفاهم، وذلك بما قدموا من عمل وإخلاصٍ وطاعةٍ وما إليه، وكانت السيدة خيزران واحدة من هؤلاء المصطفين، فقد حظيت برتبة التقديس وأنها مقدسة، كما كشف عنها الإمام عليه السلام أنّها مقدسة، وهو يعبر عن مدى العظمة والمرتبة الرفيعة التي وصلت إليها.

ص:150

---

1- (1) راجع: لسان العرب، ابن منظور، ج 82 ص 220. وتفسير البحر المحيط، الأندلسي، ج 6 ص 215. وغيره.



من الصفات الكمالية العالية التي حازت عليها السيدة خيزران هي الانتجاب كما كشف عن ذلك النبي صلى الله عليه وآله على لسان الإمام الرضا عليه السلام حيث يقول: يا عم، ألم تسمع أبى وهو يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: بأبى ابن خيرة الإمام ابن النوية الطيبة الفم، المنتجة الرحم(1). والانتجاب: هو الاصطفاء والاختيار، ونجيب الله مختاره(2). وهو افتعال من الصفو، وهو الخالص من الكدر والشوائب. وفي اللسان: الانتجاب، من نجب - بالضم - نجابة، يقال: انتجبه أى استخلصه، وأصله من النجب - بالتحريك - لحاء الشجر، وبالتسكين مصدر قولك: نجبت الشجرة أنجبها إذا أخذت قشر ساقها(3). فاستعمل منه النجابة لخلوص الطينة من الرذائل الخلقية، يقال: فلان نجيب أى فاضل كريم سخي، ونجب فلان إذا كان فاضلاً نقيساً فى نوعه، فالانتجاب بمعنى الاختيار والاصطفاء من بين النوع لا امتيازه عن سائر أفراده بالفضائل الكاملة.

ويدل عليه ما رآه أحد زوار مشهد الإمام الرضا عليه السلام مكتوباً على الضريح من قبل الملائكة الكرام، وذلك عندما أراد خادم القبر أن يخرج ويغلق الباب فسأله أن يغلق عليه الباب ويدعه فى المشهد ليصلى فيه فإنه جاء من بلد شاسع ولا يخرج منه وأنه لا حاجة له فى الخروج فتركه وغلق عليه الباب وأنه كان يصلى

ص: 151

1- (1) الكافى، الشيخ الكلينى، ج 1 ص 323.

2- (2) راجع: تفسير البحر المحيط، أبى حيان الأندلسى، ج 1 ص 545.

3- (3) راجع: لسان العرب، ابن منظور، ج 1 ص 748.

وحده إلى أن أعى فجلس ووضع رأسه على ركبتيه ليستريح ساعة فلما رفع رأسه رأى فى الجدار مواجهة وجهه رقعة عليها هذان البيتان:

من سره أن يرى قبراً برؤيته يفرج الله عمن زاره كربه

فليات ذا القبر أن الله أسكنه سالة من نبى الله منتجه

قال: فقامت وأخذت فى الصلاة إلى وقت السحر ثم جلست كجلستى الأولى ووضعت رأسى على ركبتي فلما رفعت رأسى لم أر ما على الجدار شيئاً(1).

وأيضاً ما قاله الحميرى:

سبطان أمهما الزهراء منتجة سادت نساء جميع العالميات

ابنا الرسول الذى جلت فضائله إن عُدَّ الفضل عن وصف المقالات

وابنا الوصى الذى كانت ولايته حتماً من الله فى تنزيل آيات(2)

وعلى هذا يكون حال السيدة خيزران كحال سيدتها الزهراء عليها السلام منتجة ومختارة وتحسب من سالة النبى صلى الله عليه وآله المختارة والمصطفاه، كما هو الحال أيضاً فى أمهات الأئمة المعصومين عليهم السلام.

### رسول الله يمدح السيدة خيزران

من الملفت للنظر أن النبى صلى الله عليه وآله وعن طريق الغيب أخذ يمدح جارية تأتى فى المستقبل بفارقٍ زمنى بعيدٍ بقوله: بأبى ابن خيرة الإمام ابن النوية الطيبة الفم،

ص: 152

1- (1) راجع: عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق، ج 1 ص 313.

2- (2) راجع: مناقب آل أبى طالب، ابن شهر آشوب، ج 3 ص 157.

المنتجة الرحم. كما تقدم ذكره، وهذا يكشف عن خصوصية تمتاز بها السيدة خيزران على أقرانها، فنلاحظ في قوله صلى الله عليه وآله: بأبي ابن خيرة الإمام، هذه الباء تسمى باء التفدية، والمعنى أفدى بأبي ابن خيرة الإمام. وخيرة: (بفتح الخاء والياء الساكنة) الفاضلة من كل شيء. وابن النوبية: إشارة إلى بلدها. والطيبة الفم: يحمل معاني بالإضافة إلى الحسن المادى، من أنها عذبة اللسان حسنة المنطق وذلك في مرضاة الله وذكره وتسيبحة، قوله تعالى: (وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ)1. وأيضاً في قوله تعالى: (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ)2. فذكرها وتسيبحةا لبارئها وكلامها المهدب مع أسرتها وجيرانها ومجتمعها جعلها محط نظر النبي صلى الله عليه وآله في مدحها وتكريمها.

والمنتجة: على صيغة المفعول صفة مضافة إلى معمولها على طريقة كريم الأب، أى المنتجة رحمها. فالنبي صلى الله عليه وآله أشار مادحاً إلى صفاتها المادية والمعنوية والخلقية وأنها خيرة نساء عصرها. ولم نجد في مثل هذا بغيرها من النساء أن تحظى بمدح من قبل نبي الإنسانية ولم تكن قد عاصرتة أو قاربت عصره، فهذا يعبر عن اهتمام الغيب بهذه السيدة الجليلة وبيان مكاتبتها العظيمة عند الله وأهل البيت عليهم السلام. نعم ربما حظيت أمهات الأئمة الباقين عليهم السلام بمدح وغيره من قبل النبي صلى الله عليه وآله لكن لم يصل إلينا، كما يشير لذلك الحديث المتقدم، من أن مدح النبي صلى الله عليه وآله بحق السيدة خيزران كان مشتهراً لا أقل بين الأسرة الهاشمية كما خاطب الإمام الرضا عليه السلام

بقوله: يا عم، ألم تسمع أبى وهو يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: بأبى ابن خيرة الإمام ابن النوبية الطيبة الفم... الخ. فكان الأئمة عليهم السلام ينشرون فضائل أمهاتهم ويكشفون عن سجايهن وأبعادهن ويذكرون ما قال النبي صلى الله عليه وآله بحقهن، لكن لم يصل إلا النزر القليل، وهذا الحديث لم يسمع إلا من الإمام الرضا عليه السلام بهذه الحادثة التي سيأتى ذكرها وكأنها كانت السبب في إيصال هذا الحديث.

### الإمام الكاظم يرسل لها سلامه

ومما يدل أيضاً على جلالته قدرها ومكانتها ما فى الخبر المعتبر من أن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام طلب من يزيد بن سليط أن يبلغها منه السلام إذا قدر على ذلك، كما سيأتى بيانه. وهذا يعزز فى جلالته وقداسته هذه المرأة العظيمة بأن يبلغها السلام من المعصوم، كما أمر رسول الله صلى الله عليه وآله جابر بن عبد الله الأنصارى أن يبلغ أبا جعفر الباقر عليه السلام سلامه. فببقي أن نعرف ما هو الدافع الذى جعل الإمام الكاظم عليه السلام أن يحرض على إيصال سلامه لجارية تأتى فى المستقبل القريب ولم يُقدّر له أن يدركها ويراها؟ ويمكن أن يكون لأجل بيان عظمة ومكانة هذه المرأة وعظم الدور الذى ستقوم به. أو أنّ لهذه المرأة شأنًا تستحق أن يرسل لها سلام من قبل حجة الله فى أرضه ولسانه الناطق، وكما حصل أنّ بعث الله سلامه إلى السيدة خديجة عليها السلام وأيضاً إلى بنتها السيدة الزهراء عليها السلام عن طريق جبرئيل فهذا يفهم منه أنّ هؤلاء النسوة يتمتعن بمكانة رفيعة ولهن مرتبة عالية عند الله ورسوله وأوصيائه. وأيضاً هنا شبه آخر بين السيدة خيزران وبين سيدتها الزهراء والسيدة خديجة، هو أنّ ابن سليط لم يلتق بالجارية فى المكان المعين وأخبر الإمام الرضا عليه السلام بخبر

أمانة إيصال السلام إليها فتكفل المعصوم عليه السلام إيصاله إليها عند شرائها كما حدث فعلاً. وهذا كما كان من أن جبرئيل أوصل سلام الله تعالى إلى الزهراء وخديجة عليهما السلام عن طريق النبي صلى الله عليه وآله. فيكون سلام من معصوم عن طريق معصوم إلى السيدة خيزران، كما هو الحال في إيصال سلام الله تعالى عن طريق معصومين للزهراء وأمها عليهما السلام.

## أزواج الإمام الرضا عليه السلام

لم نقف على ذكر زوجة للإمام الرضا عليه السلام غير السيدة الجليلة خيزران (أم الإمام الجواد عليهما السلام)، وفي أواخر حياته عليه السلام وبعد أشهر من قبوله بولاية العهد من قبل المأمون يقال تزوج بنت المأمون أم حبيب أو أم حبيبة، وقيل أخت المأمون المكناة أم أيها، كما ذكره بعض من الخاصة والعامة، منها ما جاء في العيون قال: حدثنا أبو ذكوان قال: سمعت إبراهيم بن العباس يقول: كانت البيعة للرضا عليه السلام لخمس خلون من شهر رمضان سنة إحدى ومائتين وزوجه ابنته أم حبيب في أول سنة اثنتين ومائتين وتوفى سنة ثلاث ومائتين بطوس والمأمون متوجه إلى العراق في رجب ولي غيره(1).

وعن ابن شهر آشوب قال: أخذ البيعة في ملكه للرضا عليه السلام بعهد المسلمين من غير رضى في الخامس من شهر رمضان سنة إحدى ومائتين، وزوجه ابنته أم حبيب في أول سنة اثنتين ومائتين. وقيل: سنة ثلاث وهو يومئذ ابن خمس

ص: 155

---

1- (1) راجع: عيون أخبار الرضا، الشيخ الصدوق، ج 1 ص 159. إعلام الوري بأعلام الهدى، الشيخ الطبرسي، ج 2 ص 85.

وأيضاً ذكر ذلك ابن الأثير فى أحداث سنة (202 هـ -) قال: فىها تزوج المأمون بوران بنت الحسن بن سهل. وفىها أيضاً زوج المأمون ابنته أم حبيب من على بن موسى الرضا، وزوج ابنته أم الفضل من محمد بن على الرضا بن موسى(2). ويمكن أن يراد من تزويجه الإمام الجواد عليه السلام فى هذه السنة هو مجرد تسمية ابنته له أو إجراء العقد إلى حين بلوغه، لأن الإمام فى هذه السنة كان فى بداية صباه بل كان عمره عليه السلام لم يتجاوز السنة السابعة. لذلك أشار إليه السيد الأمين فى قوله: بعد ما جعل الرضا عليه السلام ولى عهده زوجة ابنته أم حبيب أو أم حبيبة فى أول سنة (202) وفى رواية أنه زوج ابنته أم حبيبة وسمى للجواد ابنته أم الفضل وتزوج هو ببوران بنت الحسن بن سهل كل هذا فى يوم واحد. وقال على بن الحسين المسعودى فى كتاب إثبات الوصية لعلى بن أبى طالب عليه السلام: زوجة المأمون ابنته وقيل أخته المكناة أم أبيها، قال والرواية الصحيحة أخته أم حبيبة وسأله أن يخطب لنفسه فلما اجتمع الناس للأملاك خطب خطبة قال فى آخرها والتى تذكر أم حبيبة أخت أمير المؤمنين عبد الله المأمون صلة للرحم وأمشاج الشبيكة وقد بذلت لها من الصداق خمسمائة درهم تزوجنى يا أمير المؤمنين فقال المأمون نعم قد زوجتك فقال قد قبلت ورضيت(3).

وعن ابن خلكان قال: أبو الحسن على الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر

ص: 156

1- (1) راجع: مناقب آل أبى طالب، ابن شهر آشوب، ج 3 ص 476.

2- (2) راجع: الكامل فى التاريخ، ابن الأثير، ج 6 ص 350.

3- (3) راجع: أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، ج 2 ص 23.

الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين المذكور قبله وهو أحد الأئمة الاثني عشر على اعتقاد الإمامية وكان المأمون قد زوجه ابنته أم حبيب في سنة اثنتين ومائتين وجعله ولي عهده وضرب اسمه على الدينار والدرهم وكان السبب في ذلك أنه استحضر أولاد العباس الرجال منهم والنساء وهو بمدينة مرو من بلاد خراسان وكان عددهم ثلاثة وثلاثين ألفاً ما بين الكبار والصغار واستدعى علياً المذكور فأنزله أحسن منزلة وجمع خواص الأولياء وأخبرهم أنه نظر في أولاد العباس وأولاد علي بن أبي طالب رضى الله عنهما فلم يجد في وقته أحداً أفضل ولا أحق بالأمر من علي الرضا فبايعه وأمر بإزالة السواد من اللباس والأعلام. و (قال) توفي في آخر يوم من صفر سنة اثنتين ومائتين وقيل بل توفي خامس ذى الحجة وقيل ثالث عشر ذى القعدة سنة ثلاث ومائتين بمدينة طوس وصلى عليه المأمون ودفنه ملاصق قبر أبيه الرشيد، وكان سبب موته أنه أكل عنباً فأكثر منه. وقيل بل كان مسموماً فاعتل منه ومات رحمه الله تعالى(1).

### اقتران السيدة خيزران بالإمام الرضا عليه السلام

تكشف لنا قصة اقترانها بالإمام الرضا عليه السلام عن مدى مكانتها عند الله وعند أهل البيت عليهم السلام وعن بُعد إيمانها وطهارتها وتكامل صفاتها (إضافة إلى اختيار المعصوم لها بالذات دون غيرها من النساء، ولكي تكون وعاءً وحجراً لابنه المعصوم وهذا وحده يكفي في الدلالة على تكامل صفاتها) فقد ورد عن يزيد بن سليط الزيدى، قال: لقيت أبا إبراهيم عليه السلام ونحن نريد العمرة في بعض

ص:157

---

1- (1) راجع: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، ج 3 ص 269.

الطريق... ثم قال لى أبو إبراهيم (الإمام الكاظم عليه السلام): إني أؤخذ في هذه السنة والأمر هو إلى ابني على عليه السلام, ثم قال لى: يا يزيد وإذا مررت بهذا الموضوع ولقيته وستلقاه, فبشره أنه سيولد له غلام, أمين, مأمون, مبارك, وسيعلمك أنك قد لقيتني, فأخبره عند ذلك أن الجارية التي يكون منها هذا الغلام جارية من أهل بيت مارية, جارية رسول الله صلى الله عليه وآله أم إبراهيم, فإن قدرت أن تبلغها منى السلام, فافعل. قال يزيد: فلقيت بعد مضى أبي إبراهيم علياً عليه السلام فبدأني. فقال لى: يا يزيد ما تقول في العمرة؟ فقلت: بأبي أنت وأمي ذلك إليك وما عندي نفقة. فقال: سبحان الله ما كنا نكلف ولا نكفيك. فخرجنا حتى انتهينا إلى ذلك الموضوع, فابتدأني, فقال: يا يزيد إن هذا الموضوع كثيراً ما لقيت فيه جيرتك وعمومتك. قلت: نعم ثم قصصت عليه الخبر. فقال لى: أما الجارية فلم تجئ بعد, فإذا جاءت بلغتها منه السلام. فانطلقنا إلى مكة, فاشتراها في تلك السنة, فلم تلبث إلا قليلاً حتى حملت فولدت ذلك الغلام(1).

## أولادها

اختلف المؤرخون والمحدثون في عدد أولاد الإمام الرضا عليه السلام فذهب جمع أنه ليس له عقب إلا الإمام الجواد عليه السلام, قال المفيد رحمه الله ومضى الرضا عليه السلام ولم يترك ولداً نعلمه إلا ابنه الإمام بعده أبا جعفر محمد بن على عليه السلام وكانت سنه يوم وفاة أبيه سبع سنين وأشهرًا(2).

ص:158

1- (1) راجع: الكافي, الشيخ الكليني, ج 1 ص 316.

2- (2) راجع: الارشاد, المفيد, ج 2 ص 263.



وأيضاً قال الطبرسي: وكان للرضا عليه السلام من الولد ابنه أبو جعفر محمد بن علي الجواد لا غير(1). وعن المناقب: كان للرضا عليه السلام من الولد ابنه أبو جعفر محمد بن علي الجواد لا غير(2).

ويؤيد قولهم بعض المرويات في هذا المجال, منها: عن حنان بن سدير قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: أيكون إمام ليس له عقب؟ فقال أبو الحسن: أما إنّه لا يولد لي إلا واحد, ولكن الله منشي منه ذرية كثيرة(3).

ومنها: ما روى عن عبد الرحمن بن محمد عن كلثم بن عمران قال قلت للرضا عليه السلام ادع الله أن يرزقك ولداً, فقال عليه السلام إنما أرزقُ ولداً واحداً وهو يرثني(4).

ومنهم من ذهب إلى أن أولاده عليه السلام ستة كما جاء عن الإربلي قال: وأما أولاده فكانوا ستة, خمسة ذكور وبنت واحدة, وأسماء أولاده: محمد القانع, الحسن, جعفر, إبراهيم, الحسين, وعائشة(5). وكما نقل عن الحافظ عبد العزيز بن الأخضر الجنازدي أن له عليه السلام من الولد خمسة رجال وابنة واحدة, محمد الإمام وأبو محمد الحسن, وجعفر, وإبراهيم والحسين, وعائشة. وكذلك عن ابن الخشاب(6). ويؤيد

ص: 159

- 
- 1- (1) راجع: إعلام الوري، الطبرسي، ص 329.
  - 2- (2) راجع: مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج 4 ص 367.
  - 3- (3) راجع: كشف الغمة، ابن أبي الفتح الأربلي، ج 3 ص 95.
  - 4- (4) عيون المعجزات، حسين بن عبد الوهاب، ص 107.
  - 5- (5) راجع: كشف الغمة، ابن أبي فتح الأربلي، ج 3 ص 60.
  - 6- (6) راجع: مسند الإمام الرضا عليه السلام، الشيخ عزيز الله عطاردى، ج 1 ص 140. وتاريخ مواليد الأئمة (المجموعة)، ابن الخشاب البغدادي، ص 37.

قولهم ما ذكر أنّ في قوجان مشهد عظيم يعرف بسُلطان إبراهيم بن علي بن موسى الرضا عليه السلام(1).

وجاء في كتاب العدد: كان له عليه السلام ولدان أحدهما محمد والآخر موسى، لم يترك غيرهما(2).

ولكن ذكر الصدوق قدس سره روايات أسندها عن فاطمة بنت علي بن موسى الرضا عليه السلام، منها: حدثنا محمد بن أحمد بن يوسف البغدادي، قال: حدثنا علي بن محمد بن عيينة قال: حدثني أبو الحسن بكر بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن زياد بن موسى بن مالك الأشج العصري، قال حدثتنا فاطمة بنت علي بن موسى الرضا عليه السلام، قالت: سمعت أبي علياً يحدث، عن أبيه، عن جعفر بن محمد، عن أبيه وعمه زيد، عن أبيهما علي بن الحسين عن أبيه وعمه، عن علي بن أبي طالب عليهم السلام قال: لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً.

وبهذا الإسناد، عن النبي صلى الله عليه وآله، قال: من كف غضبه كف الله عنه عذابه، ومن حسن خلقه بلغه الله درجة الصائم القائم(3).

وهذا يدل على أنّه عليه السلام له بنت بهذا الاسم لم يذكرها ضمن أولاده عليه السلام، ويمكن أن يكون بدل اسم عائشة؛ لأنّ أهل البيت عليهم السلام كانوا يكثر من تسمية فاطمة تبركاً بجدهم فاطمة الزهراء عليها السلام وربما تجد أكثر من بنت بهذا الاسم في

ص: 160

1- (1) راجع: بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج 48 ص 320.

2- (2) راجع: العدد القوية، علي بن يوسف الحلبي، ص 294.

3- (3) راجع: مسند الإمام الرضا عليه السلام، الشيخ عزيز الله عطاردى، ج 1 ص 140. وتاريخ مواليد الأئمة (المجموعة)، ابن الخشاب البغدادي، ص 37.

أسرة واحدة, مع أنه لم يوجد مانع أو غيره في عصر الإمام الرضا عليه السلام من تسمية بناته بفاطمة.

وكيف كان إن الذين ذكروا له أولاداً غير الإمام الجواد عليه السلام لم يذكروا أمهاتهم ولا يبعد أن تكون السيدة خيزران أمهم جميعاً, لأنهم لم يذكروا له زوجة غيرها, نعم ذكر الصدوق رحمه الله وغيره كما تقدم أن له زوجة باسم أم حبيب بنت المأمون(1). وعلى صحة ذلك وثبوته فيكون تزويجها منه في أواخر حياته عليه السلام بعد سفره إلى طوس وتسلمه ولاية العهد, كما ذكروا أن المأمون زوجه بعد أشهر مرت على ولاية العهد من ابنته أم حبيب وذلك في أوائل سنة (202 هـ -), وقيل إنه زوجه أخته المكناة أم أبيها, وقيل تكنى بأُم حبيبة كما تقدم ذكره. ونستخلص من هذا وغيره أنه على القول بتعدد أولاد الإمام الرضا عليه السلام لا يبعد أن يكونوا من السيدة خيزران عليها السلام, بل هو الأرجح والأقرب للمنطق؛ لأنه عليه السلام على القول بزواجه من بنت المأمون أو أخته فإنه لم يطل مكثه مع زوجته الثانية (على فرض ثبوتها) وإنما الفترة بين زواجه منها وبين استشهاده عليه السلام كانت تتراوح ما بين سنة إلى سنة ونصف, كما نص عليه المؤرخون والمحدثون وقد تقدم ذكره. والتي منها ما في العيون: حدثنا أبو ذكوان قال: سمعت إبراهيم بن العباس يقول: كانت البيعة للرضا عليه السلام لخمس خلون من شهر رمضان سنة إحدى ومائتين وزوجه ابنته أم حبيب في أول سنة اثنتين ومائتين وتوفى سنة ثلاث ومائتين بطوس(2).

ص: 161

1- (1) راجع: عيون أخبار الرضا, الشيخ الصدوق, ج 1 ص 274.

2- (2) راجع: المصدر نفسه, ج 1 ص 159.

هذه المزية الأخرى التي تزداد بها عليها السلام فخراً وعزاً وتحظى بالشرف العظيم حيث تكون أمّاً مناسبة للمعصوم، وهذا بنفسه يعطيها الدليل القاطع على مدى إيمانها وطهارتها ورعاية الله لها حيث لا يمكن أن يكون وعاء المعصوم غير ذلك، فقد وفر الله تعالى هذه المؤهلات في هذه السيدة الجليلة لتكون أمّاً لحجة الله، وحينما وصل الخبر إلى زوجها الإمام الرضا عليه السلام بولادتها لابنه الجواد، قال عليه السلام: قدست أم ولدته، قد خلقت طاهرة مطهرة... (1). والمقدس: هو المطهر والمبارك، والتقديس: التطهير والتنزيه، كما تقدم بيانه. فالجملة التي ذكرها الإمام تشير إلى ما كانت تمتاز به أم الجواد عليه السلام من العفاف والنزاهة والتقوى والورع والبركات التي جعلها الله فيها سواء كانت معنوية أو مادية.

وقد وقع الاختلاف في تاريخ ولادتها للإمام الجواد عليه السلام، فقد ذكر المجلسي أنّ يوم ولادة الجواد عليه السلام هو عاشر رجب برواية ابن عياش، أو سابع عشر شهر رمضان أو منتصفه سنة (195)، ويوم وفاته هو آخر ذى القعدة أو الحادى عشر منه، ويوم إمامته هو يوم شهادة أبيه عليه السلام (2). وقد أحصى هذا الاختلاف السيد القزويني في موسوعته فراجع (3). والاختلاف في زمان ولادته عليه السلام كما رأينا مردد في شهر رجب أو شهر رمضان كما عليه المشهور.

ص: 162

1- (1) راجع: عيون المعجزات، حسين بن عبد الوهاب، ص 108. وبحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج 50 ص 15.

2- (2) راجع: بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج 99 ص 25.

3- (3) راجع: موسوعة الإمام الجواد، السيد الحسيني القزويني، ج 1 ص 7.

ولكن مما يؤيد كون ولادته في رجب هو هذا الدعاء الوارد في أيام رجب: اللهم إني أسألك بالمولودين في رجب محمد بن علي الثاني وابنه علي بن محمد المنتجب وأتقرب بهما إليك خير القرب... الخ(1).

### من المعجزات في ولادتها للمعصوم

وقد روى عن ابن شهر آشوب بسند معتبر عن حكيمة بنت أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام قالت: لما حضرت ولادة أم أبي جعفر عليه السلام دعاني الرضا فقال لي: يا حكيمة احضري ولادتها وادخلي وإياها والقبالة بيتاً، ووضع لنا مصباحاً وأغلق الباب علينا فلما أخذها الطلق طفئ المصباح وبين يديها طست فاغتمت بطفئ المصباح، فبينما نحن كذلك إذ بدر أبو جعفر عليه السلام في الطست وإذا عليه شيء رقيق كهيئة الثوب يسطع نوره حتى أضاء البيت فأبصرناه فأخذته فوضعت في حجرى ونزعت عنه ذلك الغشاء فجاء الرضا ففتح الباب وقد فرغنا من أمره، فأخذه فوضعه في المهد وقال لي: يا حكيمة الزمي مهده. قالت: فلما كان في اليوم الثالث رفع بصره إلى السماء ثم نظر يمينه ويساره ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، فقامت ذعرة فزعاً فأتيت أبا الحسن عليه السلام فقلت له: لقد سمعت من هذا الصبي عجباً.

فقال: وما ذاك؟ فأخبرته الخبر فقال:

يا حكيمة ما ترون من عجائبه أكثر(2).

ص:163

1- (1) مصباح المتعجب، الشيخ الطوسي، ص 805.

2- (2) راجع: مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج 3 ص 499.

إضافة إلى تجاوز يد الشر والطغيان في عدائهم لأهل البيت عليهم السلام في كل المجالات حتى التي تنتهي بالمساس بالشرف والعفة؛ وذلك لإطفاء نور الله بأفواههم، كما عبر عنهم المولى القدير بقوله: (يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ)1، لقد وصل الأمر إلى عداء أقرب الناس إليه من عمومته وإخوته أن يطعنوا في أسرته، فهذه الحادثة التي أَلَمَّتْ بالإمام عليه السلام وقد يندى لها جبين الإنسانية ومن خلال هكذا ظلمات نعرف مدى المحن والآلام التي مرّ بها أهل البيت عليهم السلام، فقد ورد عن زكريا بن يحيى بن النعمان الصيرفي قال: سمعت علي بن جعفر يحدث الحسن بن الحسين بن علي بن الحسين، فقال: والله لقد نصر الله أبا الحسن الرضا عليه السلام. فقال له الحسن: أي والله - جعلت فداك - لقد بغى عليه إخوته. فقال علي بن جعفر: أي والله ونحن عمومته بغينا عليه، فقال له الحسن: جعلت فداك كيف صنعتم، فإني لم أحضركم؟، قال: قال له إخوته ونحن أيضاً: ما كان فينا إمام قط حائل اللون(1)، فقال لهم الرضا عليه السلام: هو ابني. قالوا: فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قد قضى بالقافة(2)، فبيننا

ص:164

1- (2) كل حائل متغير سمي به؛ لأنه يحول من حال إلى حال والمقصود أن لونه ليس مثل لونك ولون آبائك الطاهرين، لأن لونه عليه السلام كان أسمر، وكان غرضهم من ذلك سلب نسبه عليه السلام لسلب إمامته طمعاً فيها نعوذ بالله من ذلك. راجع: شرح أصول الكافي، المازندراني، ج 6 ص 211

2- (3) القافة: جمع قائف، وهو الذي يعرف آثار الأقدام، تقول: قفت أثر. اذا اتبعته، مثل قفوت أثره. أنزر: الصحاح الجوهري ج 4 ص 1419. وفي الاصطلاح: هي الاستناد الى علامات يترتب عليها الحاق بعض

وبينك القافة قال: إبعثوا أنتم إليهم، فأما أنا فلا، ولا تعلموهم لما دعوتموهم، ولتكونوا في بيوتكم، فلما جاءوا أقعدونا في البستان، واصطف عمومته واخوته، وأخذوا الرضا عليه السلام وألبسوه جبة صوف وقلنسوة منها، ووضعوا على عنقه مسحاة، وقالوا له: ادخل البستان كأنك تعمل فيه، ثم جاءوا بأبي جعفر عليه السلام فقالوا: ألحقوا هذا الغلام بأبيه. فقالوا: ليس له ههنا أب، ولكن هذا عم أبيه، وهذا عم أبيه، وهذه عمته. وإن يكن له ههنا أب فهو صاحب البستان، فإن قدميه وقدميه واحدة. فلما رجع أبو الحسن عليه السلام قالوا: هذا أبوه. قال علي بن جعفر: فقامت فمصصت ريق أبي جعفر عليه السلام ثم قلت: أشهد أنك إمامي عند الله. فبكى الرضا عليه السلام. ثم قال: يا عم، ألم تسمع أبي وهو يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: بأبي ابن خيرة الإمام ابن النوية الطيبة الفم، المنتجة الرحم، ويلهم لعن الله الأعبس وذريته، صاحب الفتنة ويقتلهم سنين وشهوراً وأياماً، يسومهم خسفاً، ويسقيهم كأساً مصبرة، وهو الطريد الشريد الموتور بأبيه وجده، صاحب الغيبة يقال: مات أو هلك، أى واد سلك، أفيكون هذا يا عم إلا منى فقلت: صدقت جعلت فداك (1). ولا يفهم من هذه الرواية أنّ الإمام الرضا عليه السلام قد أقرّ عمل القافة ورتب عليه

ص: 165

حكماً، بل الأمام عليه السلام رفض هذا العمل من أول الأمر وقال أنتم قوموا به ثم الزمهم بما كانوا به يعتقدون، والقيافة منهي عنها وهي حرام عندنا وقد عمل بها غيرنا(1).

## وفاة ومحل قبر السيدة خيزران

لم يذكر المؤرخون ولا غيرهم زمان وفاة السيدة خيزران أم الإمام الجواد عليه السلام ولم تقف أيضاً على ذكر محل قبرها، ولكن لا يُستبعد أن يكون في المدينة المنورة مع قبور أهل البيت عليهم السلام؛ والشاهد على ذلك أنها كانت قاطنة ومستقرة فيها، وحتى لو قلنا إنها بقيت على قيد الحياة إلى حين سفر زوجها الإمام الرضا عليه السلام إلى خراسان بطلب من المأمون لولاية العهد فهو عليه السلام لم يصطحب أسرته معه، بل تركهم في المدينة إلى حين استشهاده في طوس، ويفهم منه أنها كانت مع فرض حياتها مستقرة في المدينة المنورة أيضاً إلى حين استشهاد زوجها عليه السلام ولم تسافر إلى غيرها من البلدان، وكذلك لو فرضنا حياتها إلى حين استشهاد ولدها الإمام الجواد عليه السلام فهي أيضاً كانت مستقرة في المدينة ولم تسافر مع ابنها عليه السلام إلى العراق، مع أن الإمام الجواد عليه السلام كان أغلب سكنه في مدة إمامته في المدينة المنورة، فقد ذكروا أنه عليه السلام بعد زواجه من أم الفضل رجع إلى المدينة ومعه زوجته أم الفضل، وخرج منها مع زوجته أم الفضل بنت المأمون إلى بغداد قبيل وفاته وبعد وفاة المأمون بطلب من المعتصم، حتى أنه ترك ولده الإمام الهادي عليه السلام في المدينة المنورة. كما جاء في الإرشاد قال: ولما توجه أبو جعفر عليه السلام من بغداد منصرفاً من عند المأمون ومعه أم الفضل قاصداً بها المدينة،

ص: 166

---

1- (1) راجع: نهاية الأحكام، العلامة الحلي، ج 2 ص 472.



صار إلى شارع باب الكوفة ومعه الناس يشيعونه، فانتهى إلى دار المسيب. عند مغيب الشمس، نزل ودخل المسجد، وكان في صحنه نبقة لم تحمل بعد، فدعا بكوز فيه ماء فتوضأ في أصل النبقة فصلى بالناس صلاة المغرب، فقرأ في الأولى منها الحمد وإذا جاء نصر الله، وقرأ في الثانية الحمد وقل هو الله أحد، وقتت قبل ركوعه فيها، وصلى الثالثة وتشهد وسلم، ثم جلس هنيهة يذكر الله تعالى، وقام من غير تعقيب فصلى النوافل أربع ركعات، وعقب بعدها وسجد سجدة الشكر، ثم خرج. فلما انتهى إلى النبقة رآها الناس وقد حملت حملاً حسناً فتعجبوا من ذلك وأكلوا منها فوجدوه نبقاً حلواً لا عجم له. وودعوه ومضى عليه السلام من وقته إلى المدينة، فلم يزل بها إلى أن أشخصه المعتصم في أول سنة عشرين ومائتين إلى بغداد، فأقام بها حتى توفى في آخر ذي القعدة من هذه السنة، فدفن في ظهر (ضريح) جده أبي الحسن موسى عليه السلام(1).

وأيضاً يؤيد استقراره عليه السلام في المدينة المنورة ما روى من أن أم الفضل بنت المأمون كتبت إلى أبيها من المدينة تشكو أبا جعفر عليه السلام وتقول: إنه يتسرى على ويغيرني، فكتب إليها المأمون: يا بنية، إنا لم نزوجك أبا جعفر لتحرمى عليه حلالاً، فلا تعاودى لذكر ما ذكرت بعدها(2). فهذا وغيره يدلنا على أن السيدة خيزران أم الجواد عليه السلام فارقت الحياة في المدينة المنورة وقد دفنت فيها والله العالم.

ص: 167

1- (1) راجع: نهاية الأحكام، العلامة الحلي، ج 2 ص 472.

2- (2) راجع: المصدر نفسه.







اسمها السيدة سوسن المغربية. كما جاء في صحيفة الزهراء عليها السلام مع ذكر الأئمة وأمهاتهم وقد تقدم ذكره في التمهيد مفصلاً، فقد ورد في عيون الأخبار، عن أبي نضرة قال: لما احتضر أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام عند الوفاة دعا بابنه الصادق عليه السلام ليعهد إليه عهداً... ثم دعا بجابر بن عبد الله فقال له: يا جابر حدثنا بما عاينت من الصحيفة فقال له جابر: نعم... فقلت لها: يا سيدة النساء ما هذه الصحيفة التي أراها معك؟ قالت: فيها أسماء الأئمة من ولدي... أبو الحسن علي بن محمد بن الأمين أمه جارية اسمها سوسن... الخ(1). ومعنى سوسن في اللغة: نبت، أعجمي معرب، وهو معروف وقد جرى في كلام العرب، قال الأعشى:

وأس وخيري ومرو وسوسن إذا كان هيزم من ورحت مخشما

وأجناسه كثيرة وأطيبه الأبيض(2). ويقال لها سمانة، وعن ابن الخشاب: يقال إن اسمها متفرشة المغربية. ويقال لها الدرّة المغربية، ويقال: سكيّنة، مربية أم ولد، ويقال خورنال، ويقال غزالة المغربية. قال ابن أبي الثلج سألت أبا علي محمد

ص: 171

1- (1) راجع: عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق، ج 2 ص 47.

2- (2) لسان العرب، ابن منظور، ج 13 ص 229.

ابن همام(1) عن اسمها فقال: حدثني ماجن مولاة أم محمد وجماعة الحانية أن اسمها حويث(2). أو حديث. ويقال لها: جمانة. وأيضاً مهرسنة المغربية. ومدنب. وهذا التعدد من الأسماء يحكى عن مسميات وسجايا حميدة جسدتها هذه المرأة الجليلة وكانت تحكى عن واقعها وجمالها المادى والمعنوى.

أمّا نسبها: فيرجع إلى ذرية وولد عمار بن ياسر كما نقله السيد ابن طاووس عن أبي نصر الهمداني, قال حدثتني حكيمة بنت محمد بن علي بن موسى بن جعفر عمّة أبي محمد الحسن بن علي قالت لما مات محمد بن علي الرضا عليه السلام أتيت زوجته أم عيسى بنت المأمون فعزيتها ووجدتها شديدة الحزن والجزع عليه... (إلى أن قالت أم عيسى) فبينما أنا جالسة ذات يوم إذ دخلت عليّ جارية فسلمت فقلت من أنت فقالت جارية من ولد عمار بن ياسر وأنا زوجة أبي جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام زوجك فدخلني من الغيرة لم أقدر على احتمال ذلك وهممت أن أخرج وأسيح في البلاد... الخ(3).

وأمّا لقبها وكنيتها فقد ورد عن الطبرى وغيره: أنها كانت معروفة بالسيدة, وتكنى أم الفضل المغربية, كانت من سادات الروم, حيث وقعت أسيرة في جيش الإسلام وعليه صارت حرّة(4). فهي من سبايا بعض الأمم النصرانية.

ص: 172

- 
- 1- (1) محمد بن همام شيخ جليل ثقة, يقال له أبو علي محمد بن همام الاسكافي صاحب كتاب التمهيص ويظهر من الأخبار أنّه من أصحاب سفراء الإمام الحجة عليه السلام المتوفى سنة (336 هـ -).
  - 2- (2) تاريخ الأئمة (المجموعة), الكاتب البغدادي, ص 25.
  - 3- (3) انظر: الأمان من أخطار الأسفار, السيد ابن طاووس, ص 74.
  - 4- (4) انظر: چهارده نور پاک (فارسي), دكتر عقيقي بخشايشي, ج 12 ص 155.

المغرب: بالفتح، ضد المشرق: وهي بلاد واسعة كثيرة ووعثاء شاسعة، قال بعضهم: حدها من مدينة مليانة وهي آخر حدود إفريقيا إلى آخر جبال السوس التي وراءها البحر المحيط وتدخل فيه جزيرة الأندلس وإن كانت إلى الشمال أقرب ما هي، وطول هذا في البر مسيرة شهرين(1).

ومن بلاد المغرب: تباله، ومدينة صاحب الحبشة جرمي، ومدينة النوبة دمقلة، وجنوب البرابر، وغانة من بلاد السودان المغرب إلى البحر الأخضر(2). ويقول الحموي غانة: بعد الألف نون، كلمة أعجمية لا-أعرف لها مشاركا من العربية: وهي مدينة كبيرة في جنوبي بلاد المغرب متصلة ببلاد السودان يجتمع إليها التجار ومنها يدخل في المفازات إلى بلاد التبر ولولاها لتعذر الدخول إليهم لأنها في موضع منقطع عن الغرب عند بلاد السودان فمنها يتزودون إليها، وقد ذكرت القصة في ذلك في التبر(3).

وتم فتحها في عصر حكومة معاوية بن أبي سفيان بقيادة عمرو بن العاص، حيث قالوا لم يكتف عمرو بتأمين مصر من جهة الغرب، بل حاول أن يؤمنها من الجهة الوحيدة التي كانت لا تزال مصدر الخوف: وهي جهة الجنوب، فبعث نافع ابن عبد القيس الفهري (وكان نافع أخا العاص بن وائل لأمه) فدخلت خيلهم

ص: 173

1- (1) معجم البلدان، الحموي، ج 5 ص 161.

2- (2) المصدر السابق، ج 1 ص 29.

3- (3) المصدر السابق، ج 4 ص 184.

أرض النوبة فقاتلهم أهلها قتالاً شديداً فانصرفوا(1). وفي زمن يزيد فتح المغرب الأقصى على يد الأمير «عقبة بن نافع»(2).

## تكمال صفات السيدة سوسن

من المسلم أنّ المرأة التي يختارها الإمام المعصوم عليه السلام بأمر من الغيب كي تكون وعاءً وحجراً لابنه المعصوم عليه السلام، لا شك أنها تتمتع بصفات كمالية عالية، وقد حظيت بتربية وإعداد إلهي، وتكون من جملة النساء اللاتي اصطفاهن الله وطهرهن وفضلهن على غيرهن كما هو الحال في أمهات الأنبياء عليهم السلام، والسيدة سوسن من جملة هذه الكوكبة المنتجة التي اختارها الله لكي تكون أوعية صالحه وحجوراً طاهرة، فقد كشف لنا المعصوم عليه السلام عن مكانة وعظمة هذه السيدة الجليلة من الناحية المعنوية والمعرفية، وأنها تحظى برعاية وحراسة إلهية لا يقربها شيطان ولا يعترئها مكروه، فقد روى ذلك تعزيزاً لشئنا وكشفاً عن عظم مكانتها وبُعد إيمانها، كما جاء عن محمد بن الفرج وعلى بن مهزيار، عن السيد عليه السلام (الإمام الهادي عليه السلام) أنّه قال: أمي عارفة بحقي، وهي من أهل الجنة، لا- يقربها شيطان مارد، ولا- ينالها كيد جبار عنيد، وهي مكلوءة بعين الله التي لا- تنام، ولا- تتخلف عن أمهات الصديقين والصالحين(3). وماذا يريد الإنسان أكثر من هذا التوثيق والبيان عن مدى أبعاد هذه السيدة الجليلة، وهو يعلم

ص: 174

1- (1) تاريخ عمرو بن العاص، دكتور حسن إبراهيم حسن، ص 187.

2- (2) الأعلام، خير الدين الزركلي، ج 8 ص 189.

3- (3) نظر: الأنوار البهية، الشيخ عباس القمي، ص 274.



أنّ المعصوم عليه السلام لا يتكلم إلا - عن واقع قد تجسد في كيائها وتشرب في ذاتها، فقد نطق الغيب عن مستوى المراحل والمراتب الكمالية التي ارتقت إليها هذه السيدة الطاهرة.

### من صفاتها العارفة

ويستفاد من الحديث أنّ السيدة سوسن كانت على درجة كبيرة من الفضائل والصفات الحميدة والأخلاق العالية ويكفيها فخراً وعظماً منزلة أنّه وصفها الإمام المعصوم عليه السلام (أمى عارفة بحقى) حيث إنّ معرفة حق الإمام عليه السلام كما هو الواقع لا يتأتى لكل أحد، إلا من خصه الله بمزايا وأيده وسدده؛ لأنّ المعرفة من المسائل التي تحتاج إلى توفيق الهى حتى يصل إلى مرحلة من الكمال لكى يتمكن من معرفة الإمام المعصوم عليه السلام بقدر ما توصل إليه من كمال ومعرفة، وتحتاج هذه إلى مقدمات يصعب إحرازها، وهذه المعرفة لها مراتب كما أشار النبی الأكرم صلى الله عليه وآله إلى هذه المعرفة ذات المرتبة الكاملة «يا على ما عرف الله إلا أنا وأنت وما عرفنى إلا الله وأنت وما عرفك إلا الله وأنا» (1).

فقد صح أنّهم خزان العلم وعييته وصاحب الدرجة العليا يطيق حمل الدنيا وصاحب الدنيا لا يطيق حمل العليا. وعلى غرار هذا حثت الروايات الإنسان أن يسأل الله في معرفة ربه ومعرفة رسوله وإمام زمانه، كما ورد عن الصادق عليه السلام مخاطباً زرارَةَ قُل: «اللهم عرفنى نفسك، فإنك إن لم تعرفنى نفسك لم أعرف

ص: 175

---

1- (1) انظر: مختصر بصائر الدرجات، الحسن بن سليمان الحلبي، ص 125.

نبيك، اللهم عرفني رسولك، فإنك إن لم تعرفني رسولك لم أعرف حجتك، اللهم عرفني حجتك، فإنك إن لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني»(1).

وروى عن يسير قال قلت لأبي عبدالله عليه السلام: إنّه يفوتني الحج فأعرف عند قبر الحسين عليه السلام، فقال عليه السلام: أحسنت يا يسير، من أتاه يوم عرفة عارفاً بحقه كتب الله له ألف حجة وألف عمرة مبرورات متقبّلات وألف غزوة مع نبي مرسل أو إمام عدل(2).

فتحصل أن معرفة المعصوم عليه السلام من خواص الأولياء وأصحاب المعرفة والقرب الإلهي، والتي من جملتهم السيدة سوسن أم الإمام الهادي عليهما السلام، كما شهد لها بذلك المعصوم عليه السلام، بالإضافة إلى غيرها من المزايا التي لا تقل درجاتها عن درجات أمهات الصديقين والصالحين.

ومعرفة الإمام عليه السلام ليست مجرد اطلاع على واقع حاله ومدى بعده، بل يكون محرّكاً نحوه في الطاعة والافتداء والامثال لكل أقواله وأفعاله؛ لأنه لسان الله وحجته في خلقه المفترض الطاعة، لذلك نلاحظ السيدة سوسن هي الوحيدة التي عرفت مقام ومكانة الإمام الجواد عليه السلام دون غيرها من نسائه، بل كانت أم الفضل بنت المأمون زوجته لا ترى في الإمام الجواد عليه السلام إلا إشباع متطلباتها وعليه أخذت تشكوه بدافع الغيرة كما سيأتي.

ص:176

---

1- (1) انظر: الكافي، الشيخ الكليني، ج 1 ص 337.

2- (2) انظر: مصباح المتهجد، الشيخ الطوسي، ص 715.

العصمة فى اللغة: المنع. يقال: عصمه الطعام، أى منعه من الجوع. وأبو عاصم: كنية السويق. وأيضاً العصمة: تأتى بمعنى الحفظ. يقال: عصمته فانعصم. واعتصمت بالله، إذا امتنعت بلطفه من المعصية(1). ويدل عليه قوله تعالى: (قَالَ سَأُوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِي مِنِّي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِن أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ)2، ويجوز أن يراد هنا لا معصوم، أى لا ذا عصمة، فيكون فاعل بمعنى مفعول. وهذا المعنى ينطبق على السيدة سوسن عليها السلام فإنّ الله قد حفظها وعصمها ومنع عنها كل الآفات المعنوية والمادية، مع أنّه أبعد عنها كل ما من شأنه أن يوقعها بالخطأ والمعصية، كما كشف عن ذلك المعصوم عليه السلام فى الحديث المتقدم بقوله: «لا يقربها شيطان مارد، ولا ينالها كيد جبار عنيد»، فقد أبعد الله الشيطان وغيره من التقرب إلى السيدة سوسن.

## الحراسة الإلهية للسيدة سوسن

بالإضافة إلى ما تكلفت به من مزايا وسجايا قد حظيت بحفظ وحراسة من الله، وهذه الحراسة والحفظ الإلهي التي أوعزته السماء لحماية وحراسة هذه السيدة العظيمة، وأيضاً قد كشف عن ذلك المعصوم عليه السلام الذي يحكى عن الغيب

ص:177

---

1- (1) انظر: الصحاح، الجوهري، ج 5 ص 1986.

والواقع بذيل الحديث المتقدم، حيث يقول: «وهي مكلوءة بعين الله التي لا تنام، ولا تتخلف عن أمهات الصديقين والصالحين».

والمكلوء في اللغة: المحروس والمحفوظ. يقال: كلاك الله كلاءة أى حفظك وحرسك، والمفعول منه مكلوء، وأنشد الشاعر:

إن سليمان، والله يكلؤها، ضنت بزاد ما كان يرزؤها

وفي الحديث أنه صلى الله عليه وآله قال لبلال، وهم مسافرون: اكلاً لنا وقتنا. هو من الحفظ والحراسة(1).

وأيضاً ورد في القرآن الكريم عندما أمر نبيه صلى الله عليه وآله بأن يقول لهؤلاء الكفار (قُلْ مَنْ يَكْلُوكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ)2، أى من يحفظكم من بأس الرحمن وعذابه. وقيل: من عوارض الآفات أو يحفظكم من أن يحل بكم عذابه، وقيل: من يحفظكم مما يريد الله إحلاله بكم من عقوبات الدنيا والآخرة(2).

وهناك قول آخر فى تفسير الآية: هو أنّ المراد بـ (الكلاء) هنا هو وضع الغلاف الجوى الذى يحفظ المخلوقات على سطح الأرض من هجوم النيازك والأجرام، حيث يقول «فلو أن الله سبحانه لم يجعل السماء - أى الجو المحيط بالأرض سقفاً محفوظاً كما مر فى الآيات السابقة - لكان هذا وحده كافياً أن

ص:178

1- (1) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ج 1 ص 145.

2- (3) انظر: التبيان، الشيخ الطوسى، ج 7 ص 251.

تتهوى النيازك وتمطركم الأجرام السماوية بأحجارها ليل نهار. إن الله الرحمن قد أولاكم من محبته أن جعل جنوداً متعددين لحفظكم وحراستكم، بحيث لو غفلوا عنكم لحظة واحدة لصب عليكم سيل البلاء(1).

وكيف كان أن السيدة سوسن عليها السلام علاوة على منع كل ما من شأنه أن يزلّها ويوقعها في المعصية أنّها قد حظيت بحفظ الله وحراسته، وهذا يعنى أنّها قد عَصِمَتْ تماماً من اقتراف الخطيئة وارتكاب المعصية وما إليها؛ لأنّها تحت الحراسة التي لا يمكن معها ذلك، مع أنّه تعالى قيد عنها أغلال الشياطين وتجاوزات المردة، ولا يخفى أنّ هذه الحراسة والألطف الإلهية لم تكن متأخرة عنها أو في حال اقترانها بالإمام الجواد عليه السلام أو عند حملها وولادتها للإمام الهادي عليه السلام، بل يفهم من الحديث أن هذه الرعاية والحراسة وغيرها متقدمة على ولادتها بحسب المقتضيات العلمية والعملية.

### السيدة سوسن من أهل الجنة

كشف المعصوم عليه السلام (الذي يحكى ويتحدث عن الغيب) عن خاتمة مطاف السيدة الجليلة سوسن عليها السلام أنّها من أهل الجنة، وهذه العاقبة الحسنة يتمناها كل أحد لأنها عين السعادة والرفاه الأبدى، والجنة وبحسب مراتبها لا تتسنى لكل أحد بل تحتاج إلى عمل واعتقاد وإخلاص وما إليه، كما كشف عن ذلك القرآن الكريم والروايات وحث الشريعة بالعمل والإخلاص والدعاء حتى يرزق الجنة،

ص: 179

---

1- (1) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ج 10 ص 171.

قوله تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ)1. وأيضا جاء في المأثور أن يدعو المؤمن عقيب صلاة الظهر وفي كل حال أن يرزقه الله الجنة, كما جاء في المصباح يقول «اللهم اجعلني من أهل الجنة التي حشوها البركة وعمارها الملائكة مع نبينا محمد وأبينا إبراهيم عليهما السلام»(1).

والوصول إلى هذا المقام الرفيع والسعادة الحقيقية يحتاج إضافة إلى العمل الصالح اعتقاداً وتقوى وإخلاصاً, كما في قوله تعالى: (وَسَيَقِ الْوَالِدِينَ اتَّقُوا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُهَا وَفَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ \* وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ \* وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)3.

ونستفيد من هذا أن الإخبار من المعصوم عليه السلام بحق أمه السيدة سوسن أنها من أهل الجنة ليس نابغاً عن تكريم من دون عمل واعتقاد بل هو يكشف لنا أن هذه السيدة كانت في غاية قصوى من العبادة والإخلاص والتقوى والورع حتى كانت تُعَرَّفُ من القانتات الفاضلات الورعات, فإن الوصول إلى هذه المرتبة

ص: 180

---

1- (2) انظر: مصباح المتجهج, الشيخ الطوسي, ص 377.

الرفيعة ومن ثم حظيت بالألطف الإلهية كل ذلك كان يعبر عن مدى إيمانها وإتقان عملها وطاعتها حتى ختم الله لها بالجنة وكشف عن سعادة مستقبلها في الدار الأبدية.

## أزواج الإمام الجواد عليه السلام

لم تقف على زوجة للإمام الجواد عليه السلام غير السيدة سوسن عليها السلام (أم الإمام الهادي عليه السلام)، والأخرى أم الفضل بنت المأمون الخليفة العباسي، كما هو ثابت عند المؤرخين لدى الفريقين، منهم ما ذكره ابن الجوزي في حوادث سنة خمس عشرة ومأتين قال: إنَّ المأمون شخص من بغداد لغزو الروم في يوم السبت لثلاث بقين من المحرم، وكان ارتحاله من الشامسية إلى البردان يوم الخميس بعد صلاة الظهر لستِ بقين من المحرم، واستخلف حين رحل عن بغداد عليها إسحاق بن إبراهيم بن مصعب، وولاه مع ذلك السواد وحلوان وكور دجلة، فلما صار المأمون بتكريت قدم عليه محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه من المدينة في صفر، فأجازه، وأمره أن يدخل بابنته أم الفضل، وكان زوجها منه، فأدخلت عليه في دار أحمد بن يوسف التي على شاطئ دجلة، فأقام بها، فلما جاءت أيام الحج خرج بأهله وعياله حتى أتى مكة، ثم أتى منزله بالمدينة، فأقام بها(1).

وروى الشيخ المفيد رحمه الله أنه لما أراد المأمون أن يزوجه ابنته قال له: أتخطب

ص:181

---

1- (1) انظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي المتوفى سنة 597 هـ -، ج 10 ص 265، ط دار الكتب العلمية بيروت.

يا أبا جعفر؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. فقال له المأمون: اخطب لنفسك جعلت فداك فقد رضيتك لنفسى وأنا مزوجك أم الفضل ابنتى وإن رغم قوم لذلك، فقال أبو جعفر عليه السلام: الحمد لله إقراراً بنعمته، ولا إله إلا الله إخلاصاً لوحدانيتها، وصلى الله على سيد بريته والأصفياء من عترته.

أما بعد فقد كان من فضل الله على الأنام أن أغناهم بالحلال عن الحرام فقال سبحانه: (وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) 1. ثم إن محمد بن على بن موسى يخطب أم الفضل بنت عبد الله المأمون وقد بذل لها من الصداق مهر جدته فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وهو خمسمائة درهم جياً، فهل زوجته يا أمير المؤمنين بها على هذا الصداق المذكور؟ فقال المأمون: نعم زوجتك يا أبا جعفر أم الفضل بنتى على الصداق المذكور فهل قبلت النكاح؟ قال أبو جعفر: قد قبلت ذلك ورضيت به (1).

ولا يخفى أن هذا الزواج والإصرار عليه من قبل المأمون كانت وراءه أهداف وأغراض سياسية، منها مراقبة تحركات الإمام الجواد عليه السلام حتى فى بيته من خلال ابنته، ومن ثم يضبط جميع تحركات الإمام عليه السلام ولقاءاته، كما حدث ذلك فى تزويجه بنته أو أخته للإمام الرضا عليه السلام لى يراقب تحركات ولقاءات الإمام عليه السلام.

ص: 182



صحيح أنّ الإمام المعصوم عليه السلام يتعامل مع الناس بحسب الظاهر وما جرت عليه العادة والعرف في انسجامها مع أهداف الرسالة, لكن هذا ليس بشكل مطلق ودائم, فهناك رؤى خاصة للإمام عليه السلام وتحركات بمقتضى احتكاكه بالغيب ونظراته الثاقبة وبما يتوقف على إجراء المستقبل, فمن تلك المواقف التي اتخذها الإمام الجواد عليه السلام هي حالة اقترانه مع أمّ ولده الهادي عليه السلام السيدة سوسن عليها السلام, وهذا بعيد عن متعارف عوام الناس حيث إنها تنتظر من الحرة ذات المنزلة الاجتماعية في أهلها أن تلد أمثال المعصوم عليه السلام, ولكن شاءت حكمة الله أن يجعل أمه من الجوارى مع وجود زوجته بنت الخليفة المأمون أمّ الفضل, فقد ذكروا أنّه عليه السلام بعث بصدره فيها أموال مع أحد أصحابه وأعطاه مواصفات الجارية التي أتت من المغرب ليشتريها, كما ورد ذلك عن إبراهيم بن عبد الله بن جعفر, قال: دعاني أبو جعفر محمد بن علي بن موسى عليهم السلام فأعلمني أن قافلة قد قدمت، وفيها نخاس، معه جوارٍ، ودفع إليّ سبعين ديناراً، وأمرني بابتياح جارية وصفها لي، فمضيت وعملت بما أمرني به، فكانت تلك الجارية أمّ أبي الحسن عليه السلام (1).

وفي رواية المسعودي قال: روى عن محمد بن الفرّج، وغيره، قال: دعاني أبو جعفر عليه السلام فأعلمني أن قافلة قد قدمت، وفيها نخاس معه رقيق، ودفع إلي صرة فيها ستون ديناراً، ووصف لي جارية معه بحليتها وصورتها ولباسها، وأمرني

ص: 183

---

1- (1) انظر: دلائل الإمامة، محمد بن جرير الطبري (الشيعة)، ص 410.

بابتياعها، فمضيت واشتريتها بما استام (أى سام البائع) وكان سومها بها ما دفعه إليّ. فكانت تلك الجارية أم أبي الحسن عليه السلام، واسمها جمانة وكانت مولده عند امرأة ربتها، واشتراها النخاس، ولم يقض له أن يقربها حتى باعها(1).

### اهتمام الإمام الجواد بالسيدة سوسن

بعدما علم الإمام الجواد عليه السلام مكانة السيدة سوسن عليها السلام عند الله وإخلاصها وطاعتها لله ولرسوله وأهل بيته عليهم السلام وأنها أعدت لتكون له الزوجة الصالحة والوعاء الطاهر للحجة من بعده، وقد احتوت على صفات كمالية عالية وما إلى غير ذلك، فلا ريب أنّها قد تحظى باهتمام المعصوم عليه السلام وحبه وعطفه واهتمامه، ولو كانت لها ضرة تعد بحسب أنظار العوام من الملوك والسلاطين والأشراف وهي أم الفضل بنت المأمون التي حكمت على نفسها بالهلاك والندم الأبدى في الدنيا والآخرة وذلك بسوء خلقها وسريرتها فلم ترزق الولد ولا حب الإمام عليه السلام، فلذلك أنّها أخذت تشكوه وتؤذيه وتخطط لقتله، كما ذكر ذلك جملة من المؤرخين قالوا: لما انصرف أبو جعفر عليه السلام إلى العراق لم يزل المعتصم وجعفر بن المأمون يدبران ويعملان الحيلة في قتله عليه السلام. فقال جعفر لأخته أم الفضل: (وكانت لأمّ أبيه) في ذلك، لأنه وقف على انحرافها عنه وغيرتها عليه لتفضيله أم أبي الحسن ابنه عليها مع شدة محبتها له، ولأنها لم ترزق منه ولداً، فأجابت أخاها جعفرأً وجعلوا سماً في شيء من عنب رازقى... الخ(2).

ص: 184

1- (1) انظر: إثبات الوصية، ص 228.

2- (2) انظر: الأنوار البهية، الشيخ عباس القمي، ص 269. وإثبات الوصية: ص 192.

وهناك شاهد آخر يحكى عن مدى غيرتها وشكايتها من الإمام عليه السلام بسبب زواجه وحبه لأم الإمام العسكرى عليه السلام السيدة سوسن, فقد روت السيدة حكيمة عنها أنّها تقول: فبينما أنا جالسة ذات يوم إذ دخلت على جارية من ولد عمار بن ياسر وسلمت عليّ، فقلت: من أنت؟ قالت: أنا جارية من ولد عمار بن ياسر، وأنا زوجة أبي جعفر محمد بن علي، زوجك. فدخلني من الغيرة ما لم أقدر على احتمالها، وهممت أن أخرج وأصيح في البلاد، وكاد الشيطان أن يحملني على الإساءة إليها، فكظمت غيظي وأحسنت رفدها، وكسوتها. فلما خرجت عنى لم أتمالك أن نهضت، فدخلت على أبي، فخبيرته الخير... الخ(1). وكيف كان أنّ السيدة سوسن عليها السلام دون غيرها قد حظيت بحب واهتمام الإمام الجواد عليه السلام وهذا بحد ذاته يعبر عن مدى طاعتها وإيمانها وحسن تعلقها وتكامل صفاتها وقربها من الله، لأنّ تحرك المعصوم عليه السلام نحو الغير بشكل إيجابي سواء كان من خلال القول أم الفعل دلالة على حسن وجمال ذلك الغير بكل المعايير المادية والمعنوية، وقد لاحظنا كيف كان اهتمام الإمام عليه السلام بهذه السيدة الجليلة سوسن عليها السلام حتى أثار ذلك حفيظة الطرف الآخر.

### ولادة السيدة سوسن للهادى عليه السلام

تزداد على كمالها ومنزلتها في موقف هو الآخر الذى يكللها بالشرف والمجد وتكون الوعاء الطاهر والحجر المبارك إلى المعصوم الحجة في زمانه، فلم تلد امرأة في ذلك العصر مثله علماً وتقوى وغير ذلك، فقد ولد في المدينة المنورة، وكان يحكم ميراثه جامعاً لجميع خصال الخير والشرف والنبيل، وسارع

ص: 185

---

1- (1) انظر: الثاقب في المناقب, ابن حمزة الطوسى, ص 219.

الإمام الجواد عليه السلام فأجرى على وليده المبارك المراسيم الشرعية فأذن في أذنه اليمنى، وأقام في اليسرى، وسماه أبوه الإمام الجواد عليه السلام علياً تبركاً وتيمناً باسم أجداده العظماء: جده الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وجده الإمام علي بن الحسين زين العابدين وسيد الساجدين عليه السلام، وجده علي بن موسى الرضا عليه السلام. ثم ختنه في اليوم السابع من ولادته، كما هي العادة المتبعة عند أئمة أهل البيت عليهم السلام أنهم يجرون هذه المراسيم الشرعية على أبنائهم عند الولادة.

واتفق أكثر المؤرخين أنه (الإمام الهادي عليه السلام) ولد سنة (212) للهجرة، وقيل إنه ولد في سنة (214) للهجرة، وقد اختلفوا في الشهر واليوم الذي ولد فيه، وهذه بعض الأقوال: منها: ولد في اليوم السابع والعشرين من ذي الحجة. ومنها: ولد في اليوم الثالث عشر من رجب(1).

وقال العلامة المجلسي رحمه الله في زيارة الإمامين العسكريين عليهما السلام: اعلم أن زيارتهما عليهما السلام في الأوقات والأيام الشريفة والأزمان المختصة بهما أفضل وأنسب، كيوم ولادة الإمام الهادي عليه السلام وهو في النصف من ذي الحجة، وبرواية ابن عياش ثاني رجب، أو خامسه، وبرواية إبراهيم بن هاشم ثالث عشر رجب، والأول أشهر، ولكن كونه في رجب قد ورد به الخبر. ويوم وفاته وهو ثالث رجب برواية إبراهيم بن هاشم وغيره، أو ثانيه وخامسه على بعض الأقوال، أو لأربع بقين من جمادى الآخرة برواية الشيخ الكليني، ويوم إمامته، وهو آخر ذي القعدة أو الحادي عشر منه(2).

ص: 186

1- (1) انظر: حياة الإمام الهادي، الشيخ باقر شريف القرشي، ص 17.

2- (2) انظر: بحار الأنوار، الشيخ المجلسي، ج 99، ص 79. والكافي، الكليني، ج 1 ص 498

اختلف المؤرخون وغيرهم في عدد أولاد الإمام الجواد عليه السلام، منهم من قال: ولد للإمام الجواد عليه السلام أربعة أبناء، وأربع بنات. فالبنات زاد على رواية الصدوق عليهن فاطمة. وأما الأولاد فزاد على الجميع إضافة إلى الإمام على النقى عليه السلام، وموسى المبرقع، وأبو أحمد الحسين، وأبو موسى عمران، وقال: إن جميعهم أمهم أم ولد يقال لها سمانة المغربية، ولم يكن للإمام الجواد عليه السلام من أم الفضل بنت المأمون نسل. وعقبه ينحصر في الإمام على النقى عليه السلام وأبي أحمد موسى المبرقع(1).

وأما الشيخ المفيد ذكر أنّ أولاده عليه السلام أربعة: على الإمام الهادي عليه السلام وموسى المبرقع وفاطمة وأمامة، ولم يخلف ذكراً غير من سميناه(2). وعن الشيخ الصدوق قال: أولاده على الإمام عليه السلام وموسى وحكيمة وخديجة وأم كلثوم. وقال أبو عبد الله الحارثي: خلف فاطمة وأمامة. ولم يخلف غيرهم. وعن النفحات العنبرية: أنه أولد من الذكور محمداً وعلياً وموسى المبرقع والحسين، ومن الإناث حكيمة وبريهة وأمامة... الخ. وعن عمدة الطالب، وصحاح أخبار: أنه لم يعقب إلا من مولانا على الهادي عليه السلام وموسى المبرقع. وفي عمدة الطالب في أحوال موسى المبرقع ووروده بقم: فأتته أخواته زينب وأم محمد وميمونة بنات الجواد عليه السلام ونزلن عنده، فلما مِتْنَّ دفنَ عند فاطمة بنت موسى الكاظم عليه السلام وأقام موسى بقم

ص: 187

1- (1) راجع: چهارده نور پاک (فارسی)، دکتر عقیقی بخشایشی، ج 12 ص 155.

2- (2) راجع: الإرشاد، الشيخ المفيد، ج 2 ص 295.

وعن الفخر الرازي: وأما أبو جعفر التقى عليه السلام، فله من الأبناء ثلاثة: أبو الحسن على النقى عليه السلام الإمام، وموسى، ويحيى، وولده بقم. وله من البنات خمس: فاطمة، وبهجت، وبريهة، وحكيمة، وخديجة. لا عقب للبنات ولا ليحيى(2).

فحصل مع اختلاف العدد من أولاد الإمام الجواد عليه السلام فهم كلهم يرجعون إلى السيدة سوسن عليها السلام حيث لم يذكر لأم الفضل بنت المأمون ولد من الإمام عليه السلام ولو كان لبان وظهر في بطون الكتب وغيرها، وأيضاً لم يذكروا زوجة أخرى غير ما ذكرناه للإمام الجواد عليه السلام، فلا يبعد أن تكون السيدة سوسن هي المرأة الوحيدة التي رزق منها الإمام الجواد عليه السلام الولد.

### من بنات الإمام الجواد حكيمة

حكيمة بنت الإمام محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام. مدفونة بسامراء هي ونرجس أم المهدي عليه السلام مع الإمامين العسكري والهادي عليهما السلام. والصواب أن اسمها حكيمة بالكاف كما هو الموجود في كتب التاريخ والأخبار. وما يجري على السنة العامة من تسميتها حليلة باللام تحريف. كانت من الصالحات العابدات القاتنات، لها أخبار في تزويج الإمام الحسن العسكري عليه السلام بنرجس أم

ص: 188

1- (1) راجع: مستدرک سفينة البحار، الشيخ على النمازي الشاهرودي، ج 2 ص 405.

2- (2) انظر: الشجرة المباركة، ص 78.

المهدى عليه السلام، وفي ولادة الإمام المهدي عليه وعلى أبيه السلام(1). وقد أدركت أربعة من الأئمة عليهم السلام، الجواد، والهادى، والعسكرى، والحجة المنتظر. وبعد وفاة العسكرى عليه السلام تسنمت منصب السفارة لإمام العصر عليه السلام، وكانت توصل عرائض الناس إليه، كما توصل التوقيعات الصادرة عن تلك الناحية المقدسة إلى الناس.

وذكروا فى سنة (274 هـ -) توفيت السيدة حكيمة بنت الإمام الجواد عليه السلام فدفنت جوار أخيها. ثم بعد ذلك توفى من توفى من العائلة الكريمة أمثال السيدة سوسن، وقيل حديث أو حديثه والدة الإمام الحسن العسكرى عليه السلام(2).

### حكيمة ترى أم الإمام المهدي

حظيت حكيمة بمكانة عالية بين الأئمة الأطهار ولها جملة من المواقف المخلدة، من جملتها تربيتها لأم الإمام المهدي عليه السلام، كما جاء عن الثقات من مشايخنا أنّ بعض أخوات أبي الحسن على بن محمد الهادي عليه السلام كانت لها جارية ولدت فى بيتها وربتها تسمى نرجس (أم الإمام المهدي عليه السلام) فلما كبرت دخل أبو محمد الحسن العسكرى عليه السلام فنظر إليها فأعجبته فقالت له عمته أراك تنظر إليها فقال إنى ما نظرت إليها إلا - متعجباً أما أنّ المولود الكريم على الله جل وعلا يكون منها، ثم أمرها أن تستأذن أبا الحسن عليه السلام فى دفعها إليه، ففعلت(3).

وعن الصدوق فى كمال الدين، روى بسنده عن الطهوى عن حكيمة بنت

ص: 189

1- (1) راجع: أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، ج 6 ص 217.

2- (2) راجع: الكشكول المبوب، الحاج حسين الشاكرى، ص 114.

3- (3) راجع: الغيبة، الشيخ الطوسى، ص 244.

الإمام محمد الجواد عليه السلام قالت كانت لي جارياة يقال لها نرجس فزارني ابن أخي أي الحسن العسكري عليه السلام وأقبل يحد النظر إليها فقلت له يا سيدي لعلك هويتها فأرسلها إليك فقال لا يا عمّة لكن أتعجب منها سيخرج ولد كريم على الله عز وجل الذي يملأ الله به الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً، فقلت فأرسلها إليك يا سيدي، فقال استأذني أبي فأتيت منزل أبي الحسن عليه السلام فبدأني وقال يا حكيمة ابعتي نرجس إلى ابني أبي محمد فقلت يا سيدي على هذا قصدتك، فقال يا مباركة إن الله تبارك وتعالى أحب أن يشركك في الأجر فزينتها ووهبتها لأبي محمد عليه السلام، فمضى أبو الحسن عليه السلام وجلس أبو محمد مكانه فكنت أزوره كما كنت أزور والده فجاءتني نرجس يوماً تخلع خفي وقالت يا مولاتي ناوليني خفك، فقلت بل أنت سيدتي ومولاتي والله لا دفعت إليك خفي ولا خدمتني بل أخدمك على بصري، فسمع أبو محمد عليه السلام ذلك فقال جزاك الله خيراً يا عمّة، فلما غربت الشمس صحت بالجارياة ناوليني ثيابي لأنصرف فقال يا عمّته بيتي الليلة عندنا فإنه سيولد الليلة المولود الكريم على الله عز وجل الذي يحيى الله به الأرض بعد موتها(1). كما سيأتي الكلام فيه مفصلاً إن شاء الله.

### نبذة من حياة السيد موسى المبرقع

ولد السيد موسى المبرقع أخو الإمام الهادي عليه السلام بالمدينة المنورة وعاش مع أبيه فيها مدة حياته، وبعد استشهاد أبيه انتقل إلى الكوفة وسكن بها مدة ثم هاجر إلى قم فوردها سنة (256) للهجرة بقصد التوطن بها، وهو أول سيد

ص:190

---

1- (1) راجع: كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، ص 426.



رضوى تطأ أقدامه مدينة قم، وكان يضع برقعاً على وجهه، لما قيل من أنه كان حسن الوجه، جميل الصورة، فكان الناس رجالاً ونساءً يطيلون النظر إليه، انبهاراً بجماله، فكان رحمه الله يتضايق من هذا الأمر، ولهذا ستر وجهه ببرقع حتى يستريح من كثرة نظر الناس إليه، فلهذا لقب بالمبرقع. وارتاب منه أهالي قم لعدم معرفتهم إياه، فأخرجه جماعة العرب المقيمين بها فرحل عنها إلى كاشان ونزل عند أحمد ابن عبد العزيز بن دلف العجلي، فأكرمه هذا ورحب به وبذل له الأموال، فعاش عنده مدة في رخاء ورفاه وجاه حتى خرج جماعة من رؤساء الكوفيين المشايخين لأهل البيت عليهم السلام لتفحص أمره فقدموا قم واستطلعوا أخباره، فعرفوا ما كان بينه وبين أهل قم، فوبخوهم على فعلهم من سوء معاملته، وعرفوهم به. فندم القميون على ما بدر منهم تجاه ابن الإمام عليه السلام واستشفعوا بالكوفيين كي يردوه إلى بلدهم، فقبل موسى شفاعتهم، وصفح عن أهل قم. ثم عاد إلى قم فنزل على أهلها معزراً مكرماً، وبذلوا له الأموال والعقار فعاش بينهم في رخاء وسعة، وانتقل إليه أقاربه وأهل بيته من الكوفة وأقاموا عنده(1).

كان موسى المبرقع من أهل الحديث والدراية، ويروى عنه الشيخ الطوسي في التهذيب، وابن شعبة في تحف العقول. وهناك خبر مروى عن يعقوب بن ياسر، يمس بكرامة موسى المبرقع ويطعن فيه، وهو خبر لا اعتماد عليه؛ لمجهولية الراوى، وعدم الاعتبار بحديثه.

وقد ألف الشيخ النورى رحمه الله رسالة سماها: (البدر المشعشع فى أحوال ذرية

ص:191

---

1- (1) راجع: بحار الأنوار، الشيخ المجلسى، ج 50 ص 160.

موسى المبرقع) زيف فيها ذلك الخبر، وذكر بعض الأدلة على استقامة حاله واعتداله(1).

توفى موسى المبرقع بقم فى الثامن ربيع الآخر سنة (296) للهجرة ودفن فى بيته وقبره اليوم مزار مشهور، تزوره الناس، وعليه عمارة حديثة ضخمة وضريح فضى مذهب، ويقع فى المحلة المعروفة ب - (دربهشت) أى باب الجنة. وعقبه كثيرون منتشرون فى بقاع واسعة فى إيران (فى مدينتى مشهد وقم) والهند، والباكستان، وأفغانستان، وتركستان، والعراق، وسورية(2).

### وفاة السيدة سوسن ومحل قبرها

لم يذكر المؤرخون ولا أصحاب الحديث وغيرهم زمان وفاتها ولا محل قبرها عليها السلام نعم قد ورد فى عيون المعجزات وغيره: عن الحسن بن محمد بن المعلى، عن الحسن بن على الوشاء قال: جاء المولى أبو الحسن على بن محمد عليه السلام مدعوراً حتى جلس فى حجر أم موسى عمه أبيه، فقالت له: مالك؟ فقال لها: مات أبى والله الساعة، فقالت: لا تقل هذا، فقال: هو والله كما أقول لك، فكتب الوقت واليوم، فجاء بعد أيام خبر وفاته عليه السلام وكان كما قال عليه السلام(3). ويفهم من هذه الرواية أنّ الإمام الجواد عليه السلام ترك عائلته فى المدينة ومن جملة الذين

ص:192

- 
- 1- (1) راجع: موسوعة المصطفى والعترة عليهم السلام، الحاج حسين الشاكري، ج 13 ص 34.
  - 2- (2) راجع: الإمام الجواد عليه السلام من المهدي الى اللحد، السيد القزويني، ص 85. والشجرة الطيبة، ص 11.
  - 3- (3) راجع: عيون المعجزات، حسين بن عبد الوهاب، ص 119. وكشف الغمة، ابن أبى الفتح الأربلي، ج 3 ص 177.

بقوا السيدة سوسن, واصطحب معه فقط أم الفضل. وبقي الهادي عليه السلام حتى بعد شهادة أبيه في المدينة أكثر من عشرين سنة. ولكن يبقى الكلام أنه لماذا لم يأت إلى أمه ويخبرها بوفاة أبيه مع أن الراوي لم يذكر لها خبراً في ساعة استشهاد زوجها الإمام الجواد عليه السلام, وربما كانت قد فارقت الحياة قبل رحيل زوجها عليه السلام وبه يثبت ما نروم إليه من أن قبرها في المدينة المنورة وزمن وفاتها في حياة زوجها الجواد عليه السلام, إلا اللهم أن يقال إنه عليه السلام قد اصطحبها معه إلى بغداد, وهو بعيد لأمرين: الأول, عدم ذكر رحيلها وحضورها في بغداد ولا ذكر شيء عن موقفها وجزعها عند وبعد استشهاد زوجها الإمام الجواد عليه السلام.

والثاني, من البعيد أن يفرق الإمام الجواد عليه السلام بينها وبين أبنائها لاسيما ولدها الإمام الهادي عليه السلام فقد ثبت أنه قد تركه في المدينة المنورة عند رحيله إلى بغداد. حتى لو قيل إن عدم ذكرها من قبل الراوي حينذاك ليس بالضرورة قد كانت فارقت الحياة, بل يمكن أن يكون الراوي رصد هذه الحادثة في بيت عمه أبيه من دون أن يشير إلى حالها, فأقول حتى مع هذا يمكن أن يفهم منه أنها كانت مستقرة في المدينة المنورة إلى حين وفاتها. وربما من هذا فهم البعض وقال إن محل قبرها في المدينة المنورة(1).

ص: 193

1- (1) كارواني با سيزده كجاوه, ص 115.







السيدة سُمّانة النوبية، كما ذكر ذلك جملة من المؤرخين وأصحاب السير والحديث، حيث قالوا إنّ أمّ الإمام العسكري عليها السلام اسمها سُمّانة، كما عن الصدوق رحمه الله قال: أمّه جارية اسمها سُمّانة وتكنى أمّ الحسن، وغيره كذلك (1). ومن الأدلة على ذلك ذكر اسمها وكنيتها في صحيفة الزهراء عليها السلام، كما ورد عن أبي نضرة قال: لما احتضر أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام عند الوفاة دعا بابنه الصادق عليه السلام، فعهد إليه عهداً... ثم دعا بجابر بن عبد الله فقال له: يا جابر حدثنا بما عاينت في الصحيفة؟ فقال له جابر: نعم يا أبا جعفر دخلت على مولاتي فاطمة عليها السلام لأهنتها بمولود الحسن عليه السلام فإذا هي بصحيفة بيدها من درة بيضاء، فقلت: يا سيدة النسوان ما هذه الصحيفة التي أراها معك؟ قالت: فيها أسماء الأئمة من ولدي فقلت لها: ناوليني لأنظر فيها، قالت: يا جابر لولا النهي أفعل لكنه نهى أن يمسه إلا نبي أو وصى نبي، أو أهل بيت نبي، ولكنه مأذون لك أن تنظر إلى باطنها من ظاهرها. قال جابر: فقرأت فإذا فيها: أبو القاسم محمد بن عبد الله المصطفى، أمه

ص: 197

1- (1) راجع: عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق، ج 2 ص 48. والاحتجاج، الطبرسي، ج 2 ص 137. لكن منهم من قال: إنّ اسمها سُمّانة كما عن الكليني، في الكافي، ج 1 ص 498.

آمنة بنت وهب... (إلى أن يقول) أبو محمد الحسن بن علي الرفيق، أمه جارية اسمها سمانة وتكنى بأُم الحسن(1).

وقالوا اسمها حديث، أو حديثة (على اختلاف النسخ) وتسمى سمانة، وتسمى شكل النوبية، ويقال لها: سوسن المغربية. ويقال: ستقوس. ويقال: أسماء، ويقال: سليل. ويقال لها حربية. وتكنى أم الحسن. وتلقب بالجددة.

### سبب الاختلاف في تعيين اسمها

اختلفوا أيضاً في تعيين اسمها عليها السلام كما هو الحال في غيرها من أمهات الأئمة عليهم السلام، لاسيما ما بعد أمّ الرضا عليها السلام، وربما يكون ذلك بسبب الظروف السياسية التي أحاطت وألمت بهم عليهم السلام، لاسيما في تعيين أمّ الإمام الحجة عليه السلام التي وعدت بها الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله وغيره من أهل البيت عليهم السلام، وهي التي تلد من يملأ الأرض عدلاً وقسطاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً، ويزيل عروش الظالمين والمستبدين، فأصبحت مراقبة خاصة لأمهات الأئمة في الآونة الأخيرة من قبل السلطة الحاكمة حينذاك، فعمد أهل البيت عليهم السلام إلى الكتمان والإيهام لاسيما في أمّ المعصوم عليه السلام. ولعل هذا السبب في اضطراب أقلام المؤرخين وترددهم واختلافهم في تحديد أسم أمّ المعصوم عليه السلام. بالإضافة إلى ذلك أنّ الأسماء التي تكلمت بها السيدة سمانة عليها السلام تحمل مداليل تحكى عن عظمة هذه السيدة الجليلة وتكشف عن مدى أبعادها وصفاتها المعنوية والمادية.

ص:198

---

1- (1) راجع: كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، ص 305. وعيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق، ج 2 ص 48.



ذكر المؤرخون وأصحاب السير أنّها من العارفات الصالحات ومن السيدات الزاكيات، حيث كانت أفضل نساء عصرها في عقلها وورعها وتقواها ويكفيها فخراً ورفعة وسمواً اختيار المعصوم عليه السلام لها كى تكون وعاءً وحجراً لابنه المعصوم، وذلك بما يعلم عليه السلام من أنّه الأنسب والأصلح، حيث أنه عدّ وهيباً لذلك، كما في غيره من أمهات المعصومين عليهم السلام. وقد ثبت بالأدلة النقلية اعتماد الإمام عليه السلام عليها في بيان أحكام الشريعة للناس بعده ورجوعهم إليها عليها السلام، وتحملها ميراث وأسرار المعصومين، والقيام بالحفظ والستر على الحجة القائم الذي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً، وهذا كله نابع من تكامل خصالها وبعد إيمانها، إضافة إلى ذلك كله حظيت بمدح وإطراءٍ من قبل المعصوم عليه السلام الذي بأقواله وأفعاله يحكى عن واقع محقق ولا يبالغ ويجمال، كما هو عند عوام الناس، فقد أثنى عليها الإمام الهادي عليه السلام ثناءً عاطراً وأشاد بمكانتها وسمو منزلتها فقال: سليل (الذي هو أحد أسمائها) مسلوقة من الآفات والأرجاس والأنجاس. فإنها لم تلوث بالأرجاس والأدناس ولا بما يشين المرأة وينقصها في شرفها وعفتها.

وعن صاحب المنتهى رحمه الله قال: كانت في غاية الصلاح والورع والتقوى وهي في حياة الخلود إذ ولد في أيامها إمام الزمان عليه السلام، وكفى في فضلها أنّها كانت مفرز الشيعة وغوئهم بعد وفاة الإمام العسكري عليه السلام (1).

ص: 199

وأما كونها عليها السلام من الجوارى فهو لا يضر في سمو منزلتها ولا ينقص من شأنها، فإنَّ الإنسان في دين الإسلام إنما يسمو بهديه وتقواه وصلاحه، وينحط بضلاله وانحرافه عن الطريق القويم، فليس علو النسب أو انخفاضه، بل ولا الكرسى ولا المال ولا غير ذلك من الشؤون الاعتبارية التي يؤول أمرها إلى التراب تكرم وترفع الإنسان أو العكس، بل المحور الأول والأخير هو التقوى، (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ).

### السيدة سمانة مسلوقة من كل الآفات

كشف المعصوم عليه السلام عن أبعاد وطهارة السيدة سمانة (أم الإمام العسكري عليه السلام) بما فيه الكفاية وقد أوجز أنها طاهرة مطهرة لا يعترها كل مكروه، وذلك عندما دخلت على الإمام الهادي عليه السلام قال: «سُئِلَ سَلْتِ مِنْ كُلِّ آفَةٍ وَعَاهَةٍ وَمِنْ كُلِّ رَجْسٍ وَنَجَاسَةٍ» ثم قال «لا تلبثين حتى يعطيك الله عزَّ وجلَّ حجته على خلقه»(1).

والآفة في اللغة: العاهة، أو عرض مفسد لما أصابه. وسلم من الآفة بالكسر سلامة وسلمه الله تعالى منها تسليماً. وتأتى في البلية الشديدة التي قلَّ ما يخلو الإنسان عنها(2).

ص: 200

---

1- (1) راجع: رياحين الشريعة، شيخ ذبيح الله محلاتي، ج 3 ص 306. ومداران جهارده معصوم عليهم السلام، أحمد أميري بور، ص 228.

2- (2) راجع: القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ج 3 ص 120. وج 4 ص 130. ومجمع البحرين، الشيخ الطريحي، ج 1 ص 131.

وجاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله قال، يا على: آفة الحديث الكذب، وآفة العلم النسيان، وآفة العبادة الفترة(1)، وآفة الجمال الخيلاء(2)، وآفة العلم الحسد(3).

وقد فسروا (السلام) الذي هو اسم من أسماء الله تعالى أنه مصدر وصف به للمبالغة والمراد السالم من النقائص بأسرها، وسميت الجنة دار السلام لأن سكانها سالمون من كل آفة أو لأنها داره جل شأنه(4).

وقد جاء استحباب الدعاء بالطهارة من كل آفة كما روى محمد بن مروان عن أبي عبد الله عليه السلام يقول في غسل الجمعة: اللهم طهر قلبي من كل آفة تمحق ديني وتبطل عملي(5).

وجاء في المصباح: فإذا اغتسلت، فقل في غسلك: بسم الله وبالله، اللهم! اجعله نوراً وطهوراً وحرزاً وشفاءً من كل داء وسقم وآفة وعاهة، اللهم طهر به قلبي واشرح به صدري وسهل لى به أمري(6).

وأيضاً سئل أبو عبد الله عليه السلام عن كيفية تناوله (التربة الحسينية)، قال: «إذا

ص: 201

1- (1) الفترة: الانكسار والضعف، ولا يكون كل ذلك إلا لعدم التوجه وحضور القلب الذي هو روح العبادة، فإنه كلما كان الحضور أكثر كان الشوق والذوق والنشاط أكثر.

2- (2) الخيلاء: بالضم وبالكسر كلاهما صحيح وهو بمعنى العجب والتكبر.

3- (3) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، ج 4 ص 373.

4- (4) انظر: مفتاح الفلاح، البهائي العاملي، ص 100.

5- (5) ذخيرة المعاد، المحقق السبزواري، ج 1 ص 60.

6- (6) انظر: مصباح المتعبد، الشيخ الطوسي، ص 718.

تناول التربة أحدكم فليأخذ بأطراف أصابعه، وقدره مثل الحمصة، فليقبلها وليضعها على عينيه وليمرها على سائر جسده وليقل: اللهم بحق هذه التربة، وبحق من حل بها وثوى فيها، وبحق أبيه وأمه وأخيه والأئمة من ولده، وبحق الملائكة الحافين به إلا جعلتها شفاءً من كل داء، وبرءاً من كل مرض، ونجاةً من كل آفة، وحرزاً مما أخاف وأحذر»(1).

وقد وصف النبي صلى الله عليه وآله أنه مطهر من كل آفة كما جاء في الدعاء المروي عن صاحب الزمان عليه السلام: بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على محمد سيد المرسلين وخاتم النبيين وحجة رب العالمين المنتجب في الميثاق المصطفى في الظلال المطهر من كل آفة البريء من كل عيب المؤمل للنجاة المرتجى للشفاعة المفوض إليه دين الله(2).

ونستفيد من كل ما تقدم أن السيدة سوسن عليها السلام منزهة من كل العيوب والآفات كما كشف عن ذلك المعصوم الذي يحكى عن الواقع الحق سلت من كل آفة وعاهة، فهي مطهرة ومصونة من كل آفة وعاهة بما أولاها الله بلطفه وعنايته وجعلها في مرتبة عالية ومنزلة رفيعة.

### مطهرة من كل رجس

لم يكتف الإمام عليه السلام في بيان عظمة السيدة سمانة من أنها مصونة من كل الآفات والعاهات بل أخذ يبين الصفات الأخرى التي تتمتع بها هذه السيدة الجليلة

ص: 202

1- (1) مستند الشيعة، المحقق النراقي، ج 15 ص 164.

2- (2) انظر: مصباح المتعجب، الشيخ الطوسي، ص 406.

ومنها الطهارة من كل رجس ونجاسة, كما تقدم فى الحديث.

والرجس فى اللغة: القذر, وقيل: الشئ القذر. ورجس الشئ ىرجس رجاسة, وإنه لرجس مرجوس, وكل قذر رجس. ويقال: رجس الرجل رجساً ورجس يرجس إذا عمل عملاً قبيحاً<sup>(1)</sup>. فتحصل أنّ الرجس أعم من القذارات المادية بل يشمل المعنوية والخلقية, وعليه أنّ السيدة سمانة عليها السلام طاهرة ومطهرة من كل رجس سواء كان على الصعيد المادى أم المعنوى أم الأخلاقى, فهى كغيرها من أمهات الأئمة المعصومين عليهم السلام والصالحات, تحتل المرتبة الثانية بالتطهير والتنزيه بعد أهل البيت عليهم السلام الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

### من صفات السيدة سمانة الرواية

من جملة الصفات العملية التى تتمتع بها السيدة الجليلة سمانة هى الرواية والحديث عن أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام, بل أكثر من ذلك أنّ الإمام العسكرى عليه السلام أرجع الناس إليها بعد رحيله كما سيأتى بيانه, فلا نستعظم تصدّيها لبيان أحكام الشرع الحنيف فقد عاشت وترعرعت فى بيت العصمة والعلم والحكمة إضافة إلى ما حباها الله من الكمال والارتقاء والاصطفاء, وكيف كان فقد كانت إحدى الرواة التى حظيت بالتأييد والثقة من قبل المعصوم عليه السلام, ومن جملة الروايات التى وردت عنها ما جاء عن على بن إبراهيم بن مهزيار, عن

ص: 203

---

1- (1) انظر: لسان العرب, ابن منظور, ج 6 ص 94.

محمد بن أبي الزعفران، عن أم أبي محمد عليهما السلام قال: قال لي يوماً من الأيام تصيبني في سنة ستين ومائتين حزازة أخاف أن أنكب منها نكبة، قالت: وأظهرت الجزع وأخذني البكاء، فقال: لا بد من وقوع أمر الله، لا تجزعي(1).

### تلقيا أسرار الإمام العسكري عليه السلام

إضافة إلى الصفات الكاملة والمزايا النادرة التي تحو بها السيدة سماعة أم الإمام العسكري عليه السلام، فقد كللت بهذه المنقبة العظيمة المشرفة والتي تعبر عن مدى إيمانها وبعده إخلاصها لله ولأهل البيت عليهم السلام، بحيث كانت تحمل سرّ المعصوم عليه السلام الذي هو من سرّ الله عز وجل، لاسيما في تلك الظروف العصيبة التي واجهها العسكريان عليهما السلام، فقد ورد أنّ أبا محمد عليه السلام أمر والدته بالحج في سنة تسع وخمسين ومائتين، وعرفها ما يناله في سنة ستين، وأحضر الصاحب عليه السلام فأوصى إليه وسلّم الاسم الأعظم والمواريث والسلاح إليه، وخرجت أم أبي محمد عليهما السلام مع الصاحب عليه السلام جميعاً إلى مكة، وكان أحمد ابن محمد بن مطهر أبو علي المتولي لما يحتاج إليه الوكيل، فلما بلغوا بعض المنازل من طريق مكة، تلقى الأعراب القوافل، فأخبروهم بشدة الخوف، وقلة الماء، فرجع أكثر الناس إلا من كان في الناحية، فإنهم نفذوا وسلموا(2).

وروى أنه ورد عليهم الأمر بالنفوذ. كما في الكافي في باب مولد أبي محمد عليه السلام بإسناده عن أبي علي المطهر، أنه كتب إليه بالقادسية يعلمه انصراف

ص: 204

1- (1) انظر: بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج 50 ص 313.

2- (2) خاتمة المستدرک، الميرزا النوري، ج 4 - ص 56

الناس، وأنه يخاف العطش، فكتب عليه السلام: امضوا ولا خوف عليكم إن شاء الله، فمضوا سالمين(1).

ونفهم من هذه الرواية أنّ الإمام العسكري عليه السلام قد كلف والدته سمانة عليها السلام بأمر عظيم وفي غاية الخطورة وهو حراسة وحفظ الحجة من بعده (ابنه الإمام المهدي عليه السلام) مع خطورة تلك الفترة الحرجة والحساسية، لذلك أمرها أن تذهب به إلى البلد الأمين مكة المكرمة وتكون قد أبعدته عن أنظار الأعداء والمتربصين به لاسيما عند وفاة العسكري عليه السلام ورحيله، وربما فهم الإمام عليه السلام منخطط الأعداء في اغتيال الإمام صاحب الزمان عليه السلام في حال وفاته، أو لا أقل التعرف على وجوده وتشخيصه. وهذا الدور الذي كُلفت به السيدة سمانة يكشف عن مدى قربها لله وأهل البيت عليهم السلام وأنها مورد ثقة المعصوم عليه السلام، وأيضاً يكشف عن مدى فطنتها وحكمتها وشجاعته مع الحنكة التي تتمتع بها في مواجهة الأعداء والحفاظ على الخلف من بعد الإمام العسكري عليه السلام، فلم يستعن الإمام عليه السلام بمثل هذا لا بأولاده ولا بعمومته وغيرهم، بل أوكل هذا الأمر العظيم إلى أمه السيدة سمانة عليها السلام.

### أمانتها لميراث الإمامة

تقدم أنّ الإمام العسكري عليه السلام بعدما نعى للسيدة سمانة نفسه علّمها أسراراً وسلّمها أمانة الإمام الثاني عشر الحجة بن الحسن عليهما السلام، ثم أمرها بالذهاب للحج، فلم يقتصر الأمر على حفظ الإمام الثاني عشر عليه السلام، بل كانت أيضاً من أوصياء ابنها الإمام العسكري عليه السلام لاسيما في الأمور المهمة والخطيرة والتي تتعلق بأسرار

ص: 205

الإمامة والدين, لذلك عندما توفي الإمام عليه السلام بسر من رأى, ووصل الخبر لأمه سمانة عليها السلام وهي في المدينة, خرجت حتى قدمت سر من رأى, وجرى بينها وبين أخيه جعفر أقاصيص في مطالبته إياها بميراثه, وسعى بها إلى السلطان, وكشف ما ستر الله, فجعل نساءه وخدمه, ونساء الواثق, ونساء القاضي ابن أبي الشوارب, يتعاهدون أمرها إلى أن دهمهم أمر الصفار, وموت عبد الله بن يحيى بن خاقان, وأمر صاحب الزنج, وخروجهم عن سر من رأى ما شغلهم عنها, وعن ذكر من أعقب من أجل ما يشاء الله ستره وحسن رعايته بمنه وطوله.

### رجوع الناس إليها بعد العسكرى عليه السلام

نقف مرة أخرى على واحدة من تلك المزايا التي حازت عليها السيدة سمانة عليها السلام أم العسكرى عليه السلام والتي تعطيها بُعداً سامياً يصعب تفسيره ويجل تقديره, وهذا يعبر عن المؤهلات الذاتية التي تمتلكها هذه المرأة الجليلة, حيث كانت مرجع الناس بعد استشهاد الإمام العسكرى عليه السلام في كل الأمور لاسيما الأمور الشرعية, ولا يخفى أنها كانت بظاهر أمرها هكذا ولكن كانت في الواقع ترتبط مع الإمام الحجة عليه السلام وتقتبس من نوره وتوصياته وتدليها إلى الناس, كما ورد ذلك عن أحمد بن إبراهيم قال: دخلت على حكيمة بنت محمد بن علي الرضا عليهما السلام, أخت أبي الحسن صاحب العسكر عليه السلام في سنة اثنتين وستين ومائتين فكلمتها من وراء حجاب وسألتها عن دينها فسمت لي من تأتم بهم, ثم قالت: والحجة ابن الحسن بن علي فسمته, فقلت لها: جعلني الله فداك معاينة أو خبراً؟ (يعني هذا الحجة بن الحسن رأيتيه أم سمعتي به؟) فقالت خبراً عن أبي



محمد عليه السلام كتب به إلى أمه، فقلت لها: فأين الولد؟ فقالت: مستور، فقلت: إلى من تفرغ الشيعة؟ فقالت إلى الجدة أم أبي محمد عليه السلام السيدة سمانة (أم الإمام العسكري عليها السلام) فقلت لها: أقتدى بمن وصيته إلى امرأة؟ فقالت: اقتداءً بالحسين بن علي عليه السلام فإن الحسين بن علي عليهما السلام أوصى إلى أخته زينب بنت علي في الظاهر فكان ما يخرج عن علي بن الحسين عليه السلام من علم ينسب إلى زينب عليها السلام، سترًا على علي بن الحسين عليه السلام، ثم قالت: إنكم قوم أصحاب أخبار، أما رويتم أن التاسع من ولد الحسين بن علي عليه السلام يقسم ميراثه وهو في الحياة(1).

والذي نروم إليه في ذكر هذا الحديث الشريف هو بيان فضل ومكانة أم الإمام العسكري عليهما السلام، حيث إنّه أمر المعصوم عليه السلام الذي أمره من أمر الله عزّ وجل برجوع الناس إليها بعده، وتكون في نفس الوقت حافظة لإمام العصر عليه السلام وحلقة وصل بينه وبين الناس في تبليغ الأحكام وغيرها، ولا يخفى أنّ هذا ليس من السهل أن يتلبس به كل إنسان وإنما يحتاج إلى كفاءة عالية على الصعيد المعنوي والمادي، وعليه لا بد وأن يكون قد حظى برعاية إلهية وتسديد في جمع المواقف، فأمر العسكري عليهما السلام أصبحت الشريك الأكبر في تبليغ الدين وتحمل أعباء التكليف، بالإضافة إلى تحملها المصاعب والمشقات في حفظ وستر الإمام عليه السلام من يد الشر والعدوان، ثم إنّ حكيمة مثلتها زينب عليه السلام التي لا تُدرك بكمالها وعلو مقامها، بشهادة المعصوم لها (عمة بحمد الله أنت عالمة غير معلمة، فهمة غير مفهومة)(2)، فهذا يدلنا على العلم والورع والتقوى والحكمة التي تتمتع بها هذه السيدة الجليلة

ص: 207

---

1- (1) راجع: كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، ص 507. والغيبة، الشيخ الطوسي، ص 230.

2- (2) راجع: الاحتجاج، الطبرسي، ج 2 ص 31.

سمانة أم العسكرى عليها السلام، ولذلك لم يختار الأمام غيرها حينذاك من الرجال أو النساء فى رجوع الناس إليه لبيان حكم الله.

## أولادها

اختلف المؤرخون فى ذكر عدد أولاد الإمام على الهادى عليه السلام، أما الشيخ المفيد فعدهم خمسة، أربعة ذكور وابنة واحدة، فقد قال: توفى أبو الحسن عليه السلام فى رجب سنة أربع وخمسين ومائتين، ودفن فى داره بسر من رأى، وخلف من الولد أبا محمد الحسن ابنه وهو الإمام من بعده، والحسين، ومحمداً، وجعفرأ، وابنته عائشة(1).

وأما الفخر الرازى فقال: له من الأبناء ستة أبو محمد العسكرى الإمام عليه السلام وأبو عبدالله جعفر الذى لقبوه بالكذاب والحسين مات قبل أبيه بسر من رأى. وموسى ومحمد وهو أكبر أولاده، وعلى. واتفقوا على أن المعقب من أولاده ابنان: الحسن العسكرى الإمام، وجعفر الكذاب. وله من البنات ثلاث: عائشة وفاطمة وبريهة(2). وعن ابن عتبة أعقب عليه السلام رجلين هما الإمام أبو محمد الحسن العسكرى عليه السلام وأخوه جعفر(3). وذكروا أن محمداً أراد النهضة إلى الحجاز فسافر فى حياة أخيه (ولعل الصحيح فى حياة أبيه؛ لان السيد أبا جعفر محمداً رضوان الله تعالى عليه مات فى حياة أبيه أبى الحسن الثالث الهادى عليه السلام) حتى بلغ بلداً وهى

ص: 208

1- (1) راجع: الإرشاد، الشيخ المفيد، ج 2 ص 311.

2- (2) راجع: الشجرة المباركة، الفخر الرازى، ص 78.

3- (3) راجع: عمدة الطالب، ابن عتبة، ص 78.

قرية فوق الموصل بسبعة فراسخ فمات بالسواد فقبره هناك عليه مشهد(1).

وذكروا أنّ وفاة جعفر المشهور بالكذاب سنة (271 هـ -). وقد اختلفَ في حقه هل أنه تاب أو بقي على إصراره على الأفعال المنكرة والدعاوى الكاذبة، وقيل إنه تاب، وقد روى ثقة الإسلام الكليني عن محمد بن عثمان العمري توقيعاً بخط صاحب الأمر عليه السلام صريحاً في توبته وأنّ سبيله سبيل أخوة يوسف بن يعقوب عليه السلام، كما جاء عن الشيخ في الغيبة عن جعفر بن محمد بن قولويه وأبي غالب الزراري (وغيرهما) عن محمد بن يعقوب الكليني، عن إسحاق بن يعقوب قال: سألت محمد بن عثمان العمري رحمه الله أن يوصل لي كتاباً قد سألت فيه عن مسائل أشكلت عليّ، فورد التوقيع بخط مولانا صاحب الدار عليه السلام. أما ما سألت عنه أرشدك الله وثبتك من أمر المنكرين لي من أهل بيتنا وبنى عمنا، فاعلم أنه ليس بين الله عز وجل وبين أحد قرابة، ومن أنكرني فليس مني، وسبيله سبيل ابن نوح عليه السلام. وأما سبيل عمي جعفر وولده، فسبيل إخوة يوسف علي نبينا وآله وعليه السلام(2). وتوفي جعفر عن (45) سنة وقبره في دار أبيه بسامراء.

### ولادتها للإمام العسكري عليه السلام

فلو لم تحظ أمّ العسكري عليها السلام إلا على هذه المنقبة من أنّها أصبحت وعاءً وحجراً للمعصوم لكفاها فخراً وعزاً، وكان ذلك الدليل القاطع على طهارتها وإيمانها وتكامل صفاتها؛ لأن وعاء المعصوم لا بد أن تتوفر فيه الصفات الإيجابية

ص: 209

1- (1) راجع: المجدي في أنساب الطالبين، علي بن محمد العلوي، ص 130

2- (2) راجع: الغيبة، الشيخ الطوسي، ص 290.

اللازمة، ومن هنا قد حظيت برعاية إلهية وتربية غيبية. وقد ولدت الإمام العسكري عليه السلام بالمدينة في شهر ربيع الأول سنة ثلاثين ومائتين، وكانت مدة خلافته ست سنين. وقيل: يوم العاشر من شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائتين من الهجرة. وقيل يوم الاثنين(1).

وعن مناقب ابن شهر آشوب قال: ميلاده يوم الجمعة لثمان خلون من شهر ربيع الآخر بالمدينة، وقيل: ولد بسر من رأى سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، مقامه مع أبيه ثلاث وعشرون سنة، وبعد أبيه أيام إمامته ست سنين، وكان في سنى إمامته بقية أيام المعترز شهراً ثم ملك المهتدي، والمعتمد، وبعد مضي خمس سنين من ملك المعتمد قبض عليه السلام. ويقال: استشهد، ودفن مع أبيه بسر من رأى، وقد كمل عمره تسعة وعشرين سنة، ويقال: سنة ثمان وعشرين، مرض في أول شهر ربيع الأول سنة ستين ومائتين، وتوفى يوم الجمعة لثمان خلون منه(2).

وقال ابن الخشاب: ولد أبو محمد عليه السلام في سنة إحدى وثلاثين ومائتين، وتوفى يوم الجمعة، وقال بعض الرواة في يوم الأربعاء لثمان ليال خلون من ربيع الأول سنة مائتين وستين، فكان عمره تسعاً وعشرين سنة، منها بعد أبيه خمس سنين وثمانية أشهر وثلاثة عشر يوماً، قبره بسر من رأى(3). وذهب كثير من أصحابنا إلى أنه عليه السلام قبض مسموماً وكذلك أبوه وجده وجميع الأئمة عليهم السلام خرجوا من الدنيا على الشهادة، واستدلوا في ذلك بما روى عن أبي الصلت عبد

ص: 210

1- (1) راجع: بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج 50 ص 235.

2- (2) راجع: مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج 3 ص 523.

3- (3) تاريخ مواليد الأئمة، ابن الخشاب البغدادي، ص 42.

السلام بن صالح الهروى قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: والله ما منّا إلا مقتول شهيد، فقيل له: فمن يقتلك يا بن رسول الله؟ قال: شر خلق الله فى زمانى يقتلنى بالسم ثم يدفننى فى دار مضيقه وبلاد غربه، ألا فمن زارنى فى غربتى كتب الله عز وجل له أجر مائة ألف شهيد، ومائة ألف صديق، ومائة ألف حاج ومعتمر، ومائة ألف مجاهد، وحشر فى زمرتنا وجعل فى الدرجات العلى من الجنة رفيقنا(1).

ونقل هذا الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام، كما عن المجلسى رحمه الله حيث قال: وذهب كثير من أصحابنا إلى أن الأئمة خرجوا من الدنيا على الشهادة، واستدلوا بقول الصادق عليه السلام: والله ما منّا إلا مقتول شهيد(2).

### الظروف السياسية التى مرت بها

عانت السيدة سمانة مع زوجها الإمام الهادى عليه السلام وابنها الإمام العسكرى عليه السلام ألوان العنف والاضطهاد من قبل المستبدين والمتسلطين على رقاب الناس لاسيما الأبرياء والأحرار منهم، وقد بلغت هذه الضغوط والمضايقات ذروتها لاسيما فى عصر الإمام الهادى عليه السلام، فقد أشخصوها مع زوجها الإمام عليه السلام من المدينة إلى سر من رأى كرهاً كما يقول الإمام الهادى عليه السلام «يا أبا موسى، أخرجت إلى سر من رأى كرهاً»(3) وجعلوهم تحت المراقبة والمتابعة، والإقامة الجبرية، وكان ذلك فى عصر المتوكل الذى بالغ فى ظلم أهل البيت عليهم السلام

ص: 211

1- (1) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، ج 2 ص 585.

2- (2) راجع: بحار الأنوار، العلامة المجلسى، ج 27 ص 209.

3- (3) راجع: الأمالى، الشيخ الطوسى، ص 281.

وشيعتهم، وقد ضيق عليهم اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً، حتى قيل إنّه لم يكن للنساء العلويات فى تلك الفترة ثياب سالمة يرتدينها للصلاة، وكن يملكن ثوباً واحداً بالياً يرتدينه فى الصلاة بالتناوب، ويعشن على بيع الغزل، وبقين على هذه الحالة من الفقر والفاقة حتى هلك المتوكل(1). وفى قبال ذلك قد شيد القصور الفخمة وهدر الملايين من الأموال على اللهو والطرب وما إليه، وهناك شواهد كثيرة يندى لها الجبين لا يسع المقام لذكرها. ولم يكتف عن ظلم الإمام عليه السلام بالمراقبة وجعل الجواسيس والعيون وسلب كل حقوقه، بل كان بين فترة وأخرى يرسل عليه جلاوزته يفتشون بيته ويروعون حريمه وأطفاله ويستدعونه فى آناء الليل على أشد حال، كما ذكروا أنّه بعث إليه جماعة من الأتراك، فهاجموا داره ليلاً فلم يجدوا فيها شيئاً، ووجدوه فى بيت مغلق عليه، وعليه مدرعة من صوف وهو جالس على الرمل والحصى، وهو متوجه إلى الله تعالى يتلو آيات من القرآن، فحمل على حاله تلك إلى المتوكل وقالوا له: لم نجد فى بيته شيئاً، ووجدناه يقرأ القرآن مستقبل القبلة، وكان المتوكل جالساً فى مجلس الشراب فأدخل عليه والكأس فى يده، فلما رآه هابه وعظمه وأجلسه إلى جانبه، وناوله الكأس التى كانت فى يده، فقال الإمام عليه السلام: والله ما خامر لحمى ودمى قط... الخ(2).

ولم يرو غليله بذلك حتى أمر بحبس الإمام عليه السلام وزجه فى السجن، بعدما فرض عليه الإقامة الجبرية فى داره، كما يدل على ذلك جملة أخبار، منها: ما ورد

ص:212

1- (1) راجع: سيرة الأئمة، مهدي البيشوائى، ص 281.

2- (2) راجع: تاريخ الإسلام، الذهبي، ج 18 ص 199.

عن الحسن بن محمد بن جمهور، قال: كان لى صديق مؤدب ولد (ولدى) بغا أو وصيف - الشك منى - فقال لى: قال الأمير [عند] منصرفه من دار الخلافة: حبس أمير المؤمنين هذا الذى يقولون له ابن الرضا اليوم ودفعه إلى على بن كركر، فسمعتة يقول: «أنا أكرم على الله من ناقة صالح» (تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدُّ غَيْرِ مَكْذُوبٍ) 1 ليس يفصح بالآية ولا بالكلام، أى شىء هذا؟ قال: قلت: أعزك الله تعالى توعدك أنظر ما يكون بعد ثلاثة أيام. فلما كان من الغد أطلقه واعتذر إليه، فلما كان اليوم الثالث وثب عليه باغر ويغلون أو تامش وجماعة معهم، فقتلوه وأفعدوا المنتصر ولده خليفة (1). وهكذا إلى أن جاء دور المعتز فأرسل السم إلى الإمام عليه السلام وقتله. وكل هذه الأجواء من ظلم واضطهاد وغيرها لم تكن السيدة سمانة فى معزل عنها بل كانت تعيش المحنة مع زوجها وتتألم لكل ما يمر به من آلام ومضايقات، بالإضافة إلى أنها واحدة من الذين عانوا من هذه السياسة الرعناء من خوف وترويع وغيره. ثم اشتدت عليها الآلام والمحن بعد رحيل زوجها وفى عصر ابنها الإمام العسكرى عليه السلام، حيث ضيقوا عليه كل تحركاته وسكناته حتى أصحابه لم يتسن لهم الوصول إليه والتحدث معه، فقد ورد عن محمد بن عبد العزيز البلخى قال أصبحت يوماً فجلست فى شارع الغنم فإذا بأبى محمد قد أقبل من منزله يريد دار العامة فقلت فى نفسى ترى إن صحت أيها الناس هذا حجة الله عليكم فاعرفوه يقتلونى فلما دنى منى أو ما ياصبعه السبابة

ص: 213

على فيه أن أسكت ورأيته تلك الليلة يقول إنما هو الكتمان أو القتل فاتق الله على نفسك(1). ويعز على السيدة سمانة أن ترى ابنها قد زجوه فى الحبس ولا تعلم حاله وما يجرى عليه, وهكذا إلى أن استشهد عليه السلام وقد عظم عليها الخطب والمصاب واحتسبت كل ذلك بعين الله, ولكن الأمر الذى زاد عليها الألم ووسع الجرح هو ما جرى بينها وبين جعفر الكذاب فى المطالبة فى ميراث أخيه الإمام العسكرى عليه السلام وقد جعله الإمام عليه السلام عندها أمانة فقد قام بكشف سرها وشكاها إلى السلطة حتى أصبحت فى عين المواجه مع السلطة.

### وفاتها ومحل قبرها عليها السلام

لم يذكر المؤرخون الزمان الذى توفيت به السيدة سمانة عليها السلام أم الإمام العسكرى عليه السلام, ولكن ورد عن بعضهم أن فى سنة (274 هـ -) توفيت السيدة حكيمة بنت الإمام الجواد عليه السلام فدفنت جوار أخيها. ثم بعد ذلك توفى من توفى من العائلة الكريمة أمثال السيدة سمانة, والدة الإمام الحسن العسكرى عليه السلام(2). وهذا وغيره مما تقدم يؤكد أن السيدة سمانة بقيت على قيد الحياة إلى ما بعد ابنها العسكرى عليه السلام وعاصرت حفيدها الإمام المهدي عليه السلام أكثر من أربع عشرة سنة بحسب الرواية السابقة, فقد بقيت إلى ما بعد سنة (274 هـ -) والإمام العسكرى استشهد سنة (260 هـ -).

أمّا محل قبرها فهو فى قبة الإمام العسكرى عليه السلام, فى سر من رأى, فإنّ

ص: 214

1- (1) كشف الغمة, ابن أبى الفتح الإربلى, ج 3 ص 218.

2- (2) راجع: الكشكول المبوب, الحاج حسين الشاكرى, ص 114.



ذكرهم أن قبر حكيمة في قبة العسكرى عليه السلام كما اشتهر، فهو غير معلوم، وكذلك اشتهر أن القبر الذي في قبة العسكرى عليه السلام للسيدة نرجس عليها السلام أم الإمام الحجة عليه السلام فهو أيضاً غير معلوم، كما ذهب إليه بعض الأعلام رحمه الله، وقال: لا يبعد أن يكون القبر المنسوب إليها قبر أم العسكرى عليه السلام(1).

وقد روى عن الصدوق في باب من رأى الحجة عليه السلام أنه لما ماتت أم الحسن الجدة أمرت أن تدفن في الدار، فنازعهم جعفر وقال (هي داري لا تدفن فيها) فخرج عليه السلام وهو يقول: (يا جعفر أدارك هي؟ ثم غاب فلم يره بعد ذلك)(2). ولكن لا يبعد أن يكون الكل قد دفنوا بهذه الروضة المباركة.

ص: 215

---

1- (1) راجع: قاموس الرجال، الشيخ محمد تقى التستري، ج 12 ص 239.

2- (2) كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، ص 442.



## الفصل الثالث عشر: فرجس الرومية أم الإمام الحجة المنتظر عليهما السلام

إشارة

ص:217



هي السيدة نرجس بنت يشوعا بن قيصر ملك الروم، ولدت في عاصمة الإمبراطورية الرومية، (القسطنطينية) وذلك قبل عام (240 هـ -)، وأمّا الدليل على أنّ اسمها نرجس هو ما عليه أغلب العلماء لاسيما القرييين من عصرها أمثال الشيخ المفيد والشيخ الطوسي وغيرهم، وأيضاً نقل عن ابن همام قال: حكيمة هي عمّة أبي محمد ولها حديث بمولود صاحب الزمان عليه السلام وهي روت أنّ أم الخلف اسمها نرجس (1). ومن الأدلة على أنّ اسمها نرجس هو ما جاء ذكره في صحيفة الزهراء عليها السلام، عن أبي نضرة قال: لما احتضر الإمام الباقر عليه السلام دعا بابنه الإمام الصادق عليه السلام... ثم دعا بجابر بن عبد الله فقال: له يا جابر حدثنا بما عاينت من الصحيفة فقال له جابر: نعم يا أبا جعفر دخلت على مولاتي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله لأهنتها بمولودها الحسين عليه السلام فإذا بيديها صحيفة بيضاء من دره فقلت لها: يا سيدة النساء ما هذه الصحيفة التي أراها معك؟ قالت: فيها أسماء الأئمة من ولدي قلت لها: ناوليني لأنظر فيها قالت: يا جابر لولا النهي لكنت أفعل لكنه قد نهى أن يمسه إلا نبي أو وصى نبي أو أهل بيت نبي ولكنه مأذون لك أن تنظر باطنها من ظاهرها قال جابر: ... (إلى أن قال) أبو القاسم محمد الحسن هو حجه الله

ص: 219

1- (1) انظر: تاريخ الأئمة (المجموعة)، الكاتب البغدادي، ص 26.

القائم أمه جارية اسمها نرجس صلوات الله عليهم أجمعين(1).

والنرجس فى اللغة: هو من الرياحين معروف(2). ويقال لها: ريحانة، ويقال: صيقل، (الشيء الأملس). ويقال لها: سوسن، ويقال مريم بنت زيد، ويقال مليكة. ويقال لها خمط، (الخمط: نوع من شجر الأراك له حمل وثمر يؤكل)(3).

وكما أسلفنا ربما يكون هذا التعدد فى الأسماء لتعدد المناسبات أو لمصالح وأسباب وحكم سياسية وأمنية واجتماعية.

وأما نسبها فقيل: مريم بنت زيد العلوية، أخت حسن ومحمد ابني زيد الحسيني الداعي بطبرستان(4).

والصحيح: أنّ نسبها يرجع إلى أولاد شمعون بن حمون بن الصفا وصى حضرت عيسى عليه السلام. وقيل إنّ أمها من ولد الحواريين تنسب إلى شمعون الصفا وصى عيسى عليه السلام(5). وكما نقل عن الشيخ الصدوق فى حديث طويل يتضمن إرسال الهادى عليه السلام لبعض أصحابه فاشتراها له، وأعطاه ابنه الحسن عليه السلام فأولدها الإمام القائم عليه السلام كما سيأتى، ثم ذكر أن القول بكونها مريم بنت زيد العلوية فى نهاية الضعف(6).

ص: 220

1- (1) انظر: عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق، ج 2 ص 47.

2- (2) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ج 6 ص 23.

3- (3) الصحاح: الجوهري، ج 3 ص 112.

4- (4) كما يقول الخصيبى فى الهداية الكبرى: 32، نقلاً عن الهامش فى كتاب الفصول المهمة فى معرفة الأئمة، ابن الصباغ، ج 2 ص 1103.

5- (5) انظر: الأنوار البهية، الشيخ عباس القمى، ص 336.

6- (6) انظر: الحدائق الناضرة، المحقق البحرانى، ج 17 ص 44.

هو شمعون بن حمون بن عامه؛ الملقب بالصفاء، والصفاء كلمة عربية تعنى الحجر الأملس؛ ويقابلها باليونانية: بطرس؛ وبالآرامية: كيفا؛ ومعناها الحجر أو الصخر.

والنصارى يسمونه بطرس باليونانية وبالسريانية كيفاس وهما بمعنى الحجر. إذاً لشمعون الصفا أسماء أخرى يعرف بها منها: بطرس - كيفا أو كيفاس - سيمعان أو سمعان أو شمعان الصفا، وفي قاموس الكتاب المقدس: بطرس اسم يوناني؛ ومعناه صخرة أو حجر؛ وكان هذا الرسول يسمّى أولاً سمعان... فلما اتبع يسوع سمي كيفا وهي كلمة آرامية معناها صخرة؛ يقابلها في العربية صفا أى صخرة وقد سماه المسيح بهذا الاسم؛ والصخرة باليونانية بيتروس ومنها بطرس.

أمّا في المصادر والكتب المسيحية؛ فقد ورد ذكر شمعون الصفا باسم: سمعان؛ بطرس؛ كيفا، صفا. ففي العهد الجديد: نظر إليه يسوع وقال: أنت سمعان ابن يونا؛ أنت تدعى صفا الذي تفسيره بطرس(1).

ومما تقدّم نعلم أن شمعون الصفا؛ كان يعرف قديماً بسمعان الصفا. وسمعان كلمة عبرية؛ يقابلها شيمون بالسريانية؛ التي هي شمعون بالعربية الملقب بطرس.

ولد شمعون الصفا سنة 10 ق. م. ويعتبر سليل الأنبياء من ناحية الأب والأم

ص: 221

---

1- (1) انظر: الكتاب المقدس، مجمع الكنائس الشرقية، ص 83.. والكتاب المقدس (العهد الجديد)، الكنيسة، ص 30.

معاً؛ فوالده حمون بن عامه؛ يعود في نسبه إلى النبي سليمان بن داود عليهما السلام؛ وهو من مواليد بلدة جسكالا؛ المعروفة - اليوم - ببلدة الجش شمال فلسطين، وكانت نشأته الأولى من قرية مشرفة على شاطئ البحر؛ وفي منطقة كانت تعرف بجليل الأمم.

وأمة سيّدة جليّة؛ تربّت في بيت من بيوتات الأنبياء والذين ضرب الله المثل برفعة شأنهم وصدق إيمانهم؛ فهي أخت النبي عمران والد السيّدة مريم العذراء عليها السلام الذي خصّه الله وآله بسورة في القرآن الكريم؛ فقال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ)<sup>1</sup>، وعندما تزوّج حمون من أخت النبي عمران أنجبا شمعون الصفا (الذي يعتبر ابن عمّة مريم) وهذا ما اشير له في حديث للإمام علي عليه السلام لجاثليق الروم؛ يقول: أوما تعلمون أن وصى عيسى شمعون بن حمون الصفا ابن خاله اختلفت عليه أمة عيسى... (1). وقيل ابن عم السيدة مريم عليها السلام (2).

وبناءً على ما تقدّم تكون قرابة شمعون الصفا عليه السلام بالسيدة مريم عليها السلام من ناحية الأب والأم معاً؛ فهو ابن خالها وابن عمّتها في الوقت نفسه. أما بالنسبة لمنطقة سكنهم؛ فالمصادر لا تذكر شيئاً سوى أن شمعون كان يسكن في بلدة كفر ناحوم على بحيرة طبريا؛ لكن بعض المعاصرين رجّح أن يكون والده قد سكن بالقرب من الناقورة في منقطة حامول وحامول هذا تل بالقرب من الناقورة

ص: 222

1- (2) انظر: بحار الانوار، المجلسي، ج 30 ص 76.

2- (3) انظر: بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار، ص 119.



يبعد عن مقام شمعون حوالي خمسة كيلومترات من الناحية الجنوبية الغربية؛ ويعتقد أهالي المنقطة أن قبر أحد الأنبياء أو الصالحين موجود على سفحه الغربي؛ ويعتقد البعض أن والد شمعون الصفا حمون مدفون فيه. و (قال) نحن نرجح ذلك لأن لفظة حمون؛ قد تكون حرفت نونها لأمّاً لتقارب المخارج الصوتية؛ وقد ذكر روبنسون في كتابه يوميات في لبنان تعريفاً لحامول فقال: وتحتنا وادي حامول القصيرة؛ وهو يشق الجبل ويخرج من ثغرة ضيقة إلى الشاطئ شمال الناقورة؛ وفي هذا الوادي أطلال حامول؛ وربما كانت حمون.

### شمعون وصى نبي الله عيسى عليه السلام

شاءت حكمته تعالى أن لا يجعل الأرض خالية من حجة، من آدم عليه السلام إلى قيام الساعة، لا بد من نبي أو وصي، فكانت الوصاية تنتقل بين الأنبياء والأوصياء حتى الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام، كما جاء ذلك في نصوص صريحة، منها: عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا سيد النبيين، ووصي سيد الوصيين، وأوصياؤه سادة الأوصياء، إن آدم عليه السلام سأل الله عز وجل أن يجعل له وصياً صالحاً، فأوحى الله عز وجل إليه: أني أكرمت الأنبياء بالنبوة، ثم اخترت خلقي، وجعلت خيارهم الأوصياء. ثم أوحى الله عز وجل إليه: يا آدم، أوص إلى شيث، فأوصى آدم إلى شيث، وهو هبة الله بن آدم، وأوصى شيث إلى ابنه شبان، وهو ابن نزلة الحوراء التي أنزلها الله على آدم من الجنة، فزوجها ابنه شيثاً، وأوصى شبان إلى مجلث، وأوصى مجلث إلى محوق، وأوصى محوق إلى غثميشا، وأوصى غثميشا إلى أخنوخ، وهو إدريس النبي عليه السلام، وأوصى

إدريس إلى ناحور ودفعها ناحور إلى نوح النبي عليه السلام، وأوصى نوح إلى سام، وأوصى سام إلى عثامر، وأوصى عثامر إلى برعيثاشا، وأوصى برعيثاشا إلى يافث، وأوصى يافث إلى برة، وأوصى برة إلى جفسيه وأوصى جفسيه إلى عمران، ودفعها عمران إلى إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام، وأوصى إبراهيم إلى ابنه إسماعيل، وأوصى إسماعيل إلى إسحاق، وأوصى إسحاق إلى يعقوب، وأوصى يعقوب إلى يوسف، وأوصى يوسف إلى بترياء، وأوصى بترياء إلى شعيب عليه السلام، ودفعها شعيب إلى موسى بن عمران عليه السلام، وأوصى موسى بن عمران عليه السلام، وأوصى سليمان عليه السلام، وأوصى سليمان عليه السلام إلى يوسف بن نون، وأوصى يوسف بن نون إلى داود عليه السلام، وأوصى داود عليه السلام إلى سليمان عليه السلام، وأوصى سليمان عليه السلام إلى آصف بن برخيا، وأوصى آصف بن برخيا إلى زكريا عليه السلام، ودفعها زكريا عليها السلام إلى عيسى ابن مريم عليه السلام، وأوصى عيسى إلى شمعون بن حمون الصفا، وأوصى شمعون إلى يحيى بن زكريا، وأوصى يحيى بن زكريا إلى منذر، وأوصى منذر إلى سليمة، وأوصى سليمة إلى برة. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ودفعها إلى برة، وأنا أدفعها إليك يا علي، وأنت تدفعها إلى وصيك، ويدفعها وصيك إلى أوصيائك من ولدك واحداً بعد واحد، حتى تدفع إلى خير أهل الأرض بعدك، ولتكفرن بك الأمة، ولتختلفن عليك اختلافاً شديداً، الثابت عليك كالمقيم معي، والشاذ عنك في النار، والنار مشوى الكافرين(1). وهناك روايات كثيرة تصرح أيضاً أنّ شمعون الصفا كان من الأوصياء المباشرين والرئيسيين لنبي الله عيسى عليه السلام.

ص:224

مما جاء في زيارة السيدة نرجس عليها السلام يضيف لنا عظمة المكانة والمرتبة التي تحويها هذه السيدة الجليلة وأنها في مسير ركب الانبياء عليهم السلام ومقام أمهاتهم، بل أكبر من ذلك بحسب ما تحمل من سر عظيم دارت عليه القرون وختم به الكون، فقد جاء في زيارتها عليها السلام كما سيأتي ذكرها كاملة: السلام عليك أيتها الصديقة المرضية، السلام عليك يا شبيهة، أم موسى وابنة حوارى عيسى، السلام عليك أيتها التقية النقية، السلام عليك أيتها الرضية المرضية... الخ(1). فكان لهذه السيدة العظيمة العديد من المقارنات بينها وبين السيدات العظام في الأزمنة التي سبقتها لاسيما أم نبي الله موسى عليه السلام (يوخايد) فكما أخفى الله حمل السيدة يوخايد أم موسى عليه السلام بابنها أخفى حمل السيدة نرجس بابنها الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

ومنها: إنَّ السيدة نرجس وأم نبي الله موسى عليه السلام كليهما قد تعرضتا لرقابة شديدة وصارمة. وعاشتا ضغوطاً سياسية من قبل فراعنة الماضي والحاضر ففرعون موسى كان يعلم انه سيولد نبي ويقضى على ملكه ويحقق طموح وآمال المستضعفين، وفراعنة العباسيين كانوا يعلمون بأنَّ إماما أسمة باسم الرسول محمد صلى الله عليه وآله سيولد وسيقضى على دولتهم وسلطانهم ويظهر العدل والرفاه في أرجاء المعمورة التي عمها الظلم والاضطهاد.

ومنها: أنَّ نبي الله موسى رُد إلى أمه عليها السلام كما في قوله تعالى: (فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا

ص: 225

يَعْلَمُونَ<sup>1</sup>، كذلك السيدة نرجس رد عليها ابنها ساعة ولادته، وقد صرح الإمام الحسن العسكري عليه السلام بذلك فقال لعتمته السيد  
حكيمة رضوان الله عليها «يا عمه رديه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثر الناس لا يعلمون. فرددته إلى  
أمه»<sup>(1)</sup>.

وأيضاً ورد أن الإمام العسكري عليه السلام بعد ما أجرى عليه مراسم الولادة قال لعتمته السيدة حكيمة امضى به إلى أمه لترضعه ورديه إليّ  
قالت: فتناولته أمه فأرضعته، فرددته إلى أبي محمد عليه السلام والطيير ترفرف على رأسه فصاح بطير منها فقال له: احمله واحفظه وردة إلينا  
في كل أربعين يوماً، فتناولته الطير وطار به في جو السماء واتبعه سائر الطير، فسمعت أبا محمد عليه السلام يقول: أستودعك الله الذي  
أودعته أم موسى موسى، فبكت نرجس فقال لها: اسكتي فإن الرضاع محرم عليه إلا من ثديك وسيعاد إليك كما رد موسى إلى أمه وذلك  
قول الله عز وجل (ثم تلا الآية)، قالت حكيمة: فقلت: وما هذا الطير؟

قال: هذا روح القدس الموكل بالأئمة عليهم السلام يوفقهم ويسددهم ويربيهم بالعلم<sup>(2)</sup>.

ومن جملة الشبه بينها وبين أم موسى عليه السلام: إن كلتا السيدتين اضطرتا لفراق وليدهما ساعة ولادته إلى أن أعيد لهما بفضل الله ولطفه  
وعنايته.

ص: 226

---

1- (2) ألقاب الرسول وعترته (المجموعة)، من قدماء المحدثين، ص 87.

2- (3) كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، ص 428.

## مكانة السيدة نرجس عند الله وأهل البيت عليهم السلام

إن الروايات التي تتحدث عن طهارة وإيمان أمهات الأئمة هي ليست وليدة مرحلة اقترانها بالمعصوم أو بعد ذلك، وإنما تكشف عن ذلك قبل حضورها في يد الإمام وزواجها منه، كما يكشف لنا الإمام عن طريق الغيب أنها كانت معدة ومصانة من قبل الله عز وجل؛ لأن تكون الوعاء الصالح والأنسب للمعصوم، نعم لم يصل لدينا الكثير من الروايات وذلك للظروف التي مرّ بها التاريخ (السياسية والاجتماعية)، وكيف كان فقد روى الشيخ رحمه الله من القضايا التي دلت على أن الأمر لم يكن بصورة عفوية، أو من القضايا الاتفاقية، بل كانت على وفق تخطيط إلهي محكم ويحتوي على الأسرار الإلهية، وإن كانت لا تخرج عن ظاهرة الخضوع للأسباب المتعارفة، والتي كانت يبدو فيها أن الأمر طبيعي جداً، وربما أم الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف بالذات تحتاج إلى رعاية وصيانة أشد من غيرها بما ينطوي عليها ولادة منقذ البشرية من أيدي الظالمين ومطبق رسالة جده المصطفى في أرجاء المعمورة، ولذا نرى كما سيأتي في زيارتها عليها السلام أنها كانت منعوتة في الكتب المقدسة، مع أنها حظيت باهتمام الأنبياء والصالحين عليهم السلام في نطاق إرهابات الغيب السابق على أوانه، إضافة إلى ظاهر الحال من اهتمام الأئمة عليهم السلام فيها.

## الرعاية الإلهية لأم القائم عليه السلام

لم يكن شراء السيدة نرجس صدفة كغيرها من الجوارى، بل كان أمر شرائها مقصوداً ومبرمجاً عبر تخطيط إلهي غيبي كما جاء في خبر شرائها عليها السلام فقد

أسند الصدوق عن أبي الحسين محمد بن بحر الشيباني عن بشر بن سليمان النخاس قال: فبينما أنا ذات ليلة في منزلي بسر من رأى وقد مضى هوى من الليل إذ قرع الباب قارع فعدوت مسرعاً فإذا أنا بكافور الخادم رسول مولانا أبي الحسن علي بن محمد عليه السلام يدعوني إليه فلبست ثيابي ودخلت عليه فرأيتته يحدث ابنه أبا محمد وأخته حكيمة من وراء الستر، فلما جلست قال: يا بشر إنك من ولد الأنصار وهذه الولاية لم تزل فيكم يرثها خلف عن سلف، فأنتم ثقاتنا أهل البيت وإني مزكيك ومشرفك بفضيلة تسبق بها شأن الشيعة في الموالاة بها: بسر أطلعك عليه وأنفذك في اتباع أمة فكتب كتاباً ملصقاً بخط رومي ولغة رومية، وطبع عليه بخاتمه، وأخرج شستقة صفراء فيها مائتان وعشرون ديناراً فقال: خذها وتوجه بها إلى بغداد، واحضر معبر الفرات ضحوة كذا، فإذا وصلت إلى جانبك زواريق السبايا وبرزن الجوارى منها فستحديق بهم طوائف المبتاعين من وكلاء قواد بني العباس وشراذم من فتيان العراق، فإذا رأيت ذلك فأشرف من البعد على المسمى عمر بن يزيد النخاس عامة نهارك إلى أن يبرز للمبتاعين جارية صفتها كذا وكذا، لابسة حريرتين صفيقتين، تمتنع من السفور ولمس المعترض، والانتقاد لمن يحاول لمسها ويشغل نظره، بتأمل مكاشفها من وراء الستر الرقيق فيضربها النخاس فتصرخ صرخة رومية، فاعلم أنها تقول: وا هتك ستره، فيقول بعض المبتاعين على بثلاثمائة دينار فقد زادني العفاف فيها رغبة، فتقول بالعربية: لو برزت في زي سليمان وعلى مثل سرير ملكه ما بدت لي فيك رغبة فأشفق على مالك، فيقول النخاس: فما الحيلة ولا بد من بيعك، فتقول الجارية: وما العجلة ولا بد من اختيار

مبتاع يسكن قلبى [إليه و] إلى أمانته وديانته، فعند ذلك قم إلى عمر بن يزيد النخاس وقل له: إن معى كتاباً ملصقاً لبعض الأشراف كتبه بلغة رومية وخط رومى، ووصف فيه كرمه ووفاه ونبله وسخاءه فناولها لتأمل منه أخلاق صاحبه فإن مالت إليه ورضيته، فأنا وكيله فى ابتاعها منك. ثم قال بشر بن سليمان النخاس: فامتثلت جميع ما حده لى مولاي أبو الحسن عليه السلام فى أمر الجارية، فلما نظرت فى الكتاب بكت بكاءً شديداً، وقالت لعمر بن يزيد النخاس: بعنى من صاحب هذا الكتاب، وحلفت بالمحرجة المغلظة إنه متى امتنع من بيعها منه قتلت نفسها، فما زلت أشاحه فى ثمنها حتى استقر الأمر فيه على مقدار ما كان أصحابنيه مولاي عليه السلام من الدنانير فى الشستقة الصفرء، فاستوفاه منى وتسلمت منه الجارية ضاحكة مستبشرة.

### السيدة نرجس تكشف عن التحرك الغيبى

لم تكن السيدة نرجس عليها السلام امرأة عادية كغيرها من النساء، بل كانت تمتاز بصفات واسعة وتحظى بكمالٍ عالٍ لا يتسنى لكل امرأة إلا أن تكون قد خصها الله واصطفها، فكانت السيدة نرجس تحظى بالنسب العريق والإيمان العميق وقد خصها الله بالعلم، والمعرفة والشجاعة، والحكمة، والصمود، والكتمان، والمثالية، وما إليها، لذلك ورد عن بشر يقول بعدما اشتريتها وانصرفت بها إلى حجرتى التى كنت آوى إليها ببغداد فما أخذها القرار حتى أخرجت كتاب مولاها عليه السلام من جيبها وهى تلثمه وتضعه على خدها وتطبقه على جفنها وتمسحه على بدنها، فقلت: تعجباً منها أتلثمين كتاباً ولا تعرفين صاحبه؟ قالت: أيها العاجز الضعيف

المعرفة بمحل أولاد الأنبياء أعزني سمعك وفرغ لي قلبك أنا مليكة بنت يشوعا بن قيصر ملك الروم، وأمي من ولد الحواريين تنسب إلى وصي المسيح شمعون، أنبتك العجب العجيب إن جدي قيصر أراد أن يزوجني من ابن أخيه وأنا من بنات ثلاث عشرة سنة فجمع في قصره من نسل الحواريين ومن القسيسين والرهبان ثلاثمائة رجل ومن ذوى الأخطار سبعمائة رجل وجمع من أمراء الأجناد وقواد العساكر ونقباء الجيوش وملوك العشائر أربعة آلاف، وأبرز من بهو ملكه عرشاً مسوغاً من أصناف الجواهر إلى صحن القصر فرفعه فوق أربعين مرقاة فلما صعد ابن أخيه وأحدقت به الصلبان وقامت الأساقفة عكفاً ونشرت أسفار الإنجيل تسافلت الصلبان من الأعلى فلصقت بالأرض، وتقوضت الأعمدة فانهارت إلى الفرار، وخر الصاعد من العرش مغشياً عليه، فتغيرت ألوان الأساقفة، وارتعدت فرائصهم، فقال كبيرهم لجدي: أيها الملك أعفنا من ملاقة هذه النحوس الدالة على زوال هذا الدين المسيحي والمذهب الملكاني، فتطير جدي من ذلك تطيراً شديداً، وقال للأساقفة: أقيموا هذه الأعمدة، وارفعوا الصلبان، واحضروا أخا هذا المدبر العاثر المنكوس جده لأزوج منه هذه الصبية فيدفع نحوسه عنكم بسعوده، فلما فعلوا ذلك حدث على الثاني ما حدث على الأول.

### رسول الله صلى الله عليه وآله يخطب السيدة نرجس للعسكري عليه السلام

دخول السماء واهتمام الغيب بحياة السيدة نرجس يعبر عن مدى إيمانها وطهارتها وما تحويه من صفات كمالية عالية حتى أنّ الأنبياء عليهم السلام اجتمعوا لخطبتها كي تكون وعاءاً لحجة الله في أرضه القائم على خلقه، فقد ذكرت



السيدة نرجس قالت: عندما تفرق الناس وقام جدى قيصر مغتماً ودخل قصره وأرخت الستور فأريت فى تلك الليلة كان المسيح والشمعون وعدة من الحواريين قد اجتمعوا فى قصر جدى ونصبوا فيه منبراً يبارى السماء علواً وارتفاعاً فى الموضع الذى كان جدى نصب فيه عرشه، فدخل عليهم محمدٌ صلى الله عليه وآله مع فتية وعدة من بنيه فيقوم إليه المسيح فيعتقه فيقول: يا روح الله إني جئتك خاطباً من وصيك شمعون فتاته مليكة لابنى هذا، وأوماً بيده إلى أبى محمد صاحب هذا الكتاب، فنظر المسيح إلى شمعون فقال له: قد أتاك الشرف فصل رحمك برحم رسول الله صلى الله عليه وآله قال: قد فعلت، فصعد ذلك المنبر وخطب محمد صلى الله عليه وآله وزوجنى وشهد المسيح عليه السلام بنبوته محمد صلى الله عليه وآله والحواريون، فلما استيقظت من نومى أشفقت أن أقص هذه الرؤيا على أبى وجدى مخافة القتل، فكنت أسرها فى نفسى ولا أديها لهم، وضرب صدرى بمحبة أبى محمد حتى امتنعت من الطعام والشراب وضعفت نفسى ودق شخصى ومرضت مرضاً شديداً فما بقى من مدائن الروم طيب إلا أحضره جدى وسأله عن دوائى فلما برح به اليأس قال: يا قرّة عينى فهل تخطر ببالك شهوة فأزودكها فى هذه الدنيا؟ فقلت: يا جدى أرى أبواب الفرج علىّ مغلقة فلو كشفت العذاب عمن فى سجنك من أسارى المسلمين وفككت عنهم الأغلال وتصدقت عليهم ومننتهم بالخالص لرجوت أن يهب المسيح وأمه لى عافيةً وشفاءً، فلما فعل ذلك جدى تجلّدت فى إظهار الصحة فى بدنى وتناولت يسيراً من الطعام فسر بذلك جدى وأقبل على إكرام الأسارى وإعزازهم.

## زيارة الزهراء للسيدة نرجس عليها السلام

تقف على مزية أخرى قد حظيت بها السيدة نرجس عليها السلام، حيث رأت أيضاً بعد أربع ليال كأن سيدة النساء قد زارتني ومعها مريم بنت عمران وألف وصيفة من وصائف الجنان فتقول لى مريم: هذه سيدة النساء أم زوجك أبى محمد عليه السلام، فأتعلق بها وأبكي وأشكو إليها امتناع أبى محمد من زيارتي، فقالت لى سيدة النساء عليها السلام: إن ابني أبأ محمد لا يزورك وأنت مشركة بالله وعلى مذهب النصارى وهذه أختى مريم تبرا إلى الله تعالى من دينك فإن ملت إلى رضا الله عز وجل ورضا المسيح ومريم عنك وزيارة أبى محمد أياك فتقولى: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن - أبى - محمداً رسول الله، فلما تكلمت بهذه الكلمة ضمتنى سيدة النساء إلى صدرها فطابت لى نفسى، وقالت: الآن توقعى زيارة أبى محمد إياك فإنى منفذه إليك، فانتبهت وأنا أقول: وا شوقاه إلى لقاء أبى محمد، فلما كانت الليلة القابلة جاءنى أبو محمد عليه السلام فى منامى فرأيتة كأنى أقول له: جفوتنى يا حبيبى بعد أن شغلت قلبى بجوامع حبك؟ قال: ما كان تأخيرى عنك إلا - لشركك وإذ قد أسلمت فإنى زائرک فى كل ليلة إلى أن يجمع الله شملنا فى العيان، فما قطع عنى زيارته بعد ذلك إلى هذه الغاية(1).

## كيفية أسر السيدة نرجس عليها السلام

لم تكن السيدة نرجس عليها السلام غير عالمة بأسرها وما يجرى لها، وإنما بحسب احتكاكها بالغيب وما فضلها الله من كشف رؤية المستقبل وما يؤول إليه مصيرها

ص: 232

وختم حسن عاقبتها بأحسن ما يكون كانت عالمة بمجاري الأمور، كما ورد عن بشر قال: فقلت لها عليها السلام: وكيف وقعت في الأسر فقالت: أخبرني أبو محمد ليلة من الليالي (حيث كان الإمام العسكري عليه السلام كل ليلة يأتيها في الرؤيا كما تقدم) أن جدك سيسرب جيوشاً إلى قتال المسلمين يوم كذا، ثم يتبعهم فعليك باللحاق بهم متنكرة في زي الخدم مع عدة من الوصائف من طريق كذا، ففعلت فوقت علينا طلائع المسلمين حتى كان من أمرى ما رأيت وما شاهدت وما شعر أحد [بى] بأنى ابنة ملك الروم إلى هذه الغاية سواك، وذلك باطلاعى إياك عليه، ولقد سألتني الشيخ الذي وقعت إليه في سهم الغنيمة عن اسمي فأنكرته وقلت: نرجس، فقال: اسم الجوارى، فقلت: العجب إنك رومية ولسانك عربى؟ قالت: بلغ من ولوع جدي وحمله إياي على تعلم الآداب أن أوعز إلي امرأة ترجمانة له في الاختلاف إليّ، فكانت تقصدني صباحاً ومساءً وتفيدني العربية حتى استمر عليها لساني واستقام(1).

## وثيقة رجال الرواية

ربما الشك يراود البعض لاسيما مرضى النفوس أو ضعفاء الإيمان ويستبعد صحة صور هذه الرواية أو يشكك في رجالها فنقول إنّ الصدوق رحمه الله أسند الرواية إلى أحمد بن عيسى الوشاء البغدادي أبي العباس، وشيخه أحمد بن طاهر القمي، في باب خاص باسم (باب ما روى في نرجس أم القائم عليهما السلام) والظاهر منه معرفته بحالهما واعتماده عليهما، (الرواية)؛ وذلك لأنه لم يرو في هذا الباب

ص:233

الذى هو من الأبواب المهمة من كتابه إلا حديثاً واحداً، بل يظهر من ذلك كمال وثاقتهما عنده واعتماده على صدقهما وأمانتهما، ويظهر مما عنون به الباب أيضاً اعتماده واستدلاله على ما كان مشهوراً فى عصره من اسم أمه عليها السلام ونسبها بهذا الحديث، فالرجلان كانا معلومى الحال عنده بالصدق والأمانة، وإلا فلا ينبغى لمثله أن يعتمد على رواية غير موثقة لا يعرف رواتها بالوثاقة فى مثل هذا الأمر المعتنى به عند الخاص والعام، فالمظنون بل المقطوع اطمئنانه بصحة الرواية وصدق رواتها.

ولو تنزلنا عن ذلك فلا محيص عن القول باطمئنانه بصدورها بواسطة بعض القرائن والامارات المعتبرة التى يجبر بها ضعف الراوى ويقطع بها بصحتها، وإلا فيسأل ما فائدة عقد باب فى كتاب (مثل كمال الدين) للاحتجاج برواية واحدة لا يحتج بها ولا يعتمد عليها مؤلف الكتاب لجهله بأحوال رجالها؟ وما معنى عنوان الباب بمضمونها؟ وكيف يقبل صدور ذلك من الصدوق قدس سره؟ ألم يصنف كتابه (كمال الدين) لرفع الحيرة والشبهة والاستدلال على وجود الحجة؟ فهل هذه الرواية إذا كان مؤلف الكتاب لا يعتمد عليها تزيد الشبهة والحيرة أو ترفعها؟(1).

إضافة إلى ذلك ما ورد فى صدر الرواية من إشارة إلى إيمان وعلم الراوى النخاس بشر بن سليمان من أصحاب العسكريين عليهما السلام ومحمد بن بحر الشيبانى، ففيه أيضاً تزكية لهما فقد قال: وردت كربلاء سنة ست وثمانين

ص: 234

---

1- (1) راجع: مجموعة الرسائل، الشيخ لطف الله الصافى، ج 2 ص 148.

ومائتين، قال: وزرت قبر غريب رسول الله صلى الله عليه وآله ثم انكفأت إلى مدينة السلام متوجهاً إلى مقابر قريش في وقت قد تضرمت الهواجر وتوقدت السمائم، فلما وصلت منها إلى مشهد الكاظم عليه السلام واستنشقت نسيم تربته المغمورة من الرحمة، المحفوفة بحدائق الغفران أكببت عليها بعبرات متقاطرة، وزفرات متتابعة وقد حجب الدمع طرفي عن النظر فلما رقأت العبرة وانقطع النحيب فتحت بصرى فإذا أنا بشيخ قد انحنى صلبه، وتقوس منكباه، وثفتت جبهته وراحته، وهو يقول لآخر معه عند القبر: يا ابن أخي لقد نال عمك شرفاً بما حملة السيدان من غوامض الغيوب وشرائف العلوم التي لم يحمل مثلها إلا سلمان، وقد أشرف عمك على استكمال المدة وانقضاء العمر، وليس يجد في أهل الولاية رجلاً يفضى إليه بسر، قلت: يا نفس لا يزال العناء والمشقة ينالان منك باتعابى الخف والحافر في طلب العلم، وقد قرع سمعى من هذا الشيخ لفظ يدل على علم جسيم وأثر عظيم، فقلت: أيها الشيخ ومن السيدان؟ قال: النجمان المغيبان في الثرى بسر من رأى، فقلت: إني أقسم بالموالاة وشرف محل هذين السيدين من الإمامة والوراثة إني خاطب علمهما، وطالب آثارهما، وباذل من نفسى الأيمان المؤكدة على حفظ أسرارهما، قال: إن كنت صادقاً فيما تقول فأحضر ما صحبك من الآثار عن نقلة أخبارهم، فلما فتش الكتب وتصفح الروايات منها قال: صدقت أنا بشر بن سليمان النخاس من ولد أبى أيوب الأنصارى أحد موالى أبى الحسن وأبى محمد عليهما السلام وجارهما بسر من رأى، قلت: فأكرم أخاك ببعض ما شاهدت من آثارهما قال: كان مولانا أبو

الحسن على بن محمد العسكري عليهما السلام فقهني في أمر الرقيق فكنت لا أبتاع ولا أبيع إلا بإذنه، فاجتنبت بذلك موارد الشبهات حتى كملت معرفتي فيه فأحسنت الفرق [فيما] بين الحلال والحرام(1).

### خلاصة القول في حال السيدة نرجس عليها السلام

إن السيدة نرجس كانت من سلالة الأوصياء بنت يشوعا من أولاد شمعون بن الصفا وصى نبي الله عيسى عليه السلام. وإن الإمام الهادي عليه السلام عندما أراد شراءها وتزويجها من ابنه الإمام الحسن العسكري عليه السلام اجتمع مع ابنه عليه السلام وأخته حكيمة وتشاوروا بالأمر ثم أرسلوا إلى بشر بن سليمان النخاس وبعثوه لشرائها. وقد ثبت أنها كانت بالغة بل كان عمرها أكثر من ثلاث عشرة سنة. وأنها كانت عارفة أدبية وعالمة وكانت مسلمة حين أسرها، مع ذلك أن الإمام الهادي عليه السلام استودعها أخته حكيمة لتعلمها الفرائض والسنن. وقيل: إنها ولدت في بيت حكيمة كما جاء في عيون المعجزات، قال: إنه كان لحكيمة بنت أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام جارية ولدت في بيتها وربتها وكانت تسمى نرجس فلما كبرت دخل أبو محمد فنظر إليها فقالت له عمته حكيمة أراك يا سيدي تنظر إليها فقال عليه السلام إنني ما نظرت إلا إليها متعجباً أما إن المولود الكريم على الله يكون منها ثم أمرها أن تستأذن أبا الحسن أباه عليه السلام في دفعها إليه فقلت فأمرها بذلك(2). أقول وربما حصل هنا تصحيف في لفظه - ولدت في بيت حكيمة - بدل - وضعت في بيت حكيمة - والله العالم.

ص:236

1- (1) كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، ص 417.

2- (2) انظر: عيون المعجزات، حسين بن عبد الوهاب، ص 127.

من جملة الصفات التي تتمتع بها السيدة نرجس عليها السلام أنها كانت أديبة وعالمة باللغة العربية وربما هذه إحدى الحكم الغيبية التي تحكى عن انتظار مستقبل يتطلب ذلك ومن جملتها الحفاظ على مولودها الحجة التي تعلق عليه آمال البشرية المستضعفة كي تعرف كلام القوم وتتقى شرهم، فقد جاء عن بشر عندما اشتراها للإمام عليه السلام قال لها: العجب أنك رومية ولسانك عربى؟ قالت: نعم، من ولوع جدى وحمله إياى على تعلم الآداب أن أوعز إلى امرأة ترجمانة له فى الاختلاف إلى وكانت تقصدنى صباحاً ومساءً وتفيدنى العربية حتى استمر لسانى عليها واستقام(1).

### الإمام الهادى يبشرها بالمهدى عليه السلام

حظيت هذه المرأة العظيمة باهتمام ثلاثة من الأئمة عليهم السلام (الهادى، والعسكرى، والقائم عليهم السلام) بالإضافة إلى ما تقدم من اهتمام الأنبياء عليهم السلام بشأنها، بشرها الهادى عليه السلام عن هذا الشرف العظيم الذى فيه السعادة الأبدية فى الدارين، حيث قال بشر: فلما انكفأت بها إلى سر من رأى دخلت على مولانا أبى الحسن العسكرى عليه السلام فقال لها: كيف أراك الله عز الإسلام وذل النصرانية، وشرف أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله؟ قالت: كيف أصف لك يابن رسول الله ما أنت أعلم به منى؟ قال: فإنى أريد أن أكرمك فأيما أحب إليك عشرة آلاف درهم؟ أم بشرى لك فيها شرف الأبد؟ قالت: بل البشرى، قال عليه السلام: فأبشرى بولد يملك الدنيا شرقاً وغرباً

ص:237

ويملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، قالت: ممن؟ قال عليه السلام: ممن خطبك رسول الله صلى الله عليه وآله من ليلة كذا من شهر كذا من سنة كذا بالرومية، قالت: من المسيح ووصيه؟ قال: فممن زوجك المسيح ووصيه، قالت: من ابنك أبي محمد؟ قال: فهل تعرفينه؟ قالت: وهل خلوت ليلة من زيارته إياي منذ الليلة التي أسلمت فيها على يد سيدة النساء أمه.

فقال أبو الحسن عليه السلام: يا كافور ادع لى أختى حكيمة، فلما دخلت عليه قال عليه السلام لها: هاهيه فاعتقتها طويلاً وسرت بها كثيراً، فقال لها مولانا: يا بنت رسول الله أخرجيها إلى منزلك وعلميها الفرائض والسنن فإنها زوجة أبي محمد وأم القائم عليه السلام(1).

### ولادة السيدة نرجس عليها السلام للإمام المهدي عليه السلام

وقفت نرجس عليها السلام مرة أخرى لتسجل موقفاً مخلداً للتاريخ والإنسانية، وتصل فيه إلى ذروة كمالها وختمت باكورة أعمالها وحازت على الشرف العظيم حيث أصبحت وعاء وحجراً للقائم المنتظر عليه السلام، فقد ورد عن حكيمة بنت محمد الجواد عليهما السلام، قالت: بعث إلى أبو محمد الحسن بن علي عليهما السلام فقال: يا عمّة اجعلي إفطارك [هذه] الليلة عندنا فإنها ليلة النصف من شعبان فإن الله تبارك وتعالى سيظهر في هذه الليلة الحجة وهو حجته في أرضه، قالت: فقلت له: ومن أمه؟ قال لى: نرجس، قلت له: جعلنى الله فداك ما بها أثر، فقال: هو ما أقول لك، قالت: فبجئت، فلما سلمت وجلست جاءت تنزع خفى وقالت لى: يا سيدتى كيف

ص: 238



أمسيت؟ فقلت: بل أنت سيدتى وسيدة أهلى، قالت: فأنكرت قولى وقالت: ما هذا يا عمّة؟ قالت: فقلت لها: يا بنية إن الله تعالى سيهب لك فى ليلتك هذه غلاماً سيداً فى الدنيا والآخرة قالت: فخجلت واستحييت، فلما أن فرغت من صلاة العشاء الآخرة أفطرت وأخذت مضجعى فرقدت، فلما أن كان فى جوف الليل قمت إلى الصلاة ففرغت من صلاتى وهى نائمة ليس بها حادث ثم جلست معقبة، ثم اضطجعت ثم انتبهت فزعة وهى راقدة، ثم قامت فصلت ونامت قالت حكيمة وخرجت أتفقد الفجر فإذا أنا بالفجر الأول كذب السرحان وهى نائمة فدخلنى الشكوك، فصاح بى أبو محمد عليه السلام من المجلس فقال: لا تعجلى يا عمّة فهاك الامر قد قرب، قالت: فجلست وقرأت ألم السجدة ويس، فبينما أنا كذلك إذ انتبهت فزعة فوثبت إليها فقلت: اسم الله عليك، ثم قلت لها: أتحسين شيئاً؟ قالت: نعم يا عمّة، فقلت لها: اجمعى نفسك وجمعى قلبك فهو ما قلت لك، قالت: فأخذتنى فترة وأخذتها فترة فانتبهت بحس سيدى فكشفت الثوب عنه فإذا أنا به عليه السلام ساجداً يتلقى الأرض بمساجده فضمته إلىّ فإذا أنا به نظيف متنظف.

### العسكري يستقبل ابنه المولود المنتظر عليهما السلام

قالت حكيمة فصاح بى أبو محمد عليه السلام هلمى إلى ابنى يا عمّة فجئت به إليه فوضع يديه تحت أليتيه وظهره ووضع قدميه على صدره ثم أدلى لسانه فى فيه وأمرّ يده على عينيه وسمعته ومفاصله، ثم قال: تكلم يا بنى فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم صلى على أمير المؤمنين وعلى الأئمة عليهم السلام إلى أن وقف على أبيه، ثم أحجم.

ثم قال أبو محمد عليه السلام: يا عمّة اذهبي به إلى أمه ليسلم عليها وائتني به، فذهبت به فسلم عليها ورددته فوضعتة في المجلس ثم قال: يا عمّة إذا كان يوم السابع فأتينا قالت حكيمة: فلما أصبحت جئت لأسلم على أبي محمد عليه السلام وكشفت الستر لأتفقد سيدي عليه السلام فلم أره، فقلت: جعلت فداك ما فعل سيدي؟ فقال: يا عمّة استودعناه الذي استودعته أم موسى موسى عليه السلام.

### العسكري يجرى مراسم يوم السابع

قالت حكيمة: فلما كان في اليوم السابع جئت فسلمت وجلست فقال: هلمي إلى ابني، فجئت بسيدي عليه السلام وهو في الخرقه ففعل به كفعلته الأولى، ثم أدلى لسانه في فيه كأنه يغذيه لبناً أو عسلاً، ثم قال: تكلم يا بني، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وثنى بالصلاة على محمد وعلى أمير المؤمنين وعلى الأئمة الطاهرين عليهم السلام حتى وقف على أبيه عليه السلام، ثم تلا هذه الآية: (وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ) 1، قال: موسى فسألت عقبه الخادم عن هذه، فقال: صدقت حكيمة (1).

### ولادة السيدة نرجس عليها السلام للقائم عليه السلام بلسان آخر

ذكروا أنّ حكيمة كانت في بيت الإمام العسكري عليه السلام وعندما أرادت الذهاب إلى بيتها فقال عليه السلام: يا عمّة بيتي الليلة عندنا فإنه سيولد الليلة المولود

ص: 240

---

1- (2) راجع قصة ولادة الإمام المنتظر في كتاب كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، ص 424.

الكريم على الله عز وجل الذى يحيى الله به الأرض بعد موتها قلت: فممن يا سيدى ولست أرى بنرجس شيئاً من أثر الحبل؟ فقال: من نرجس لا- من غيرها قالت: فوثبت إليها فقلبتها ظهراً لبطن فلم أر بها أثر حبل فعدت إليه فأخبرته بما فعلت فتبسم ثم قال لى: إذا كان وقت الفجر يظهر لك بها الحبل؛ لأن مثلها مثل أم موسى لم يظهر بها الحبل، ولم يعلم بها أحد إلى وقت ولادتها لأن فرعون كان يشق بطون الحبالى فى طلب موسى، وهذا نظير موسى عليه السلام قالت حكيمة: فعدت إليها فأخبرتها بما قال وسألتها عن حالها فقالت: يا مولاتى ما أرى بى شيئاً من هذا قالت حكيمة: فلم أزل أرقبها إلى وقت طلوع الفجر وهى نائمة بين يدي ولا تقلب جنباً إلى جنب حتى إذا كان فى آخر الليل وقت طلوع الفجر، وثبت فزعة فضممتها إلى صدرى وسميت عليها فصاح أبو محمد عليه السلام وقال اقرئى إنا أنزلناه فى ليلة القدر، فأقبلت اقرأ عليها وقلت لها ما حالك؟ قالت: ظهر بى الأمر الذى أخبرك به أبو محمد مولاي، فأقبلت اقرأ عليها كما أمرنى فأجابنى الجنين من بطنها يقرأ بمثل ما أقرأ وسلم على، قالت حكيمة: ففرغت لما سمعت فصاح بى أبو محمد عليه السلام لا تعجبين من أمر الله إن الله تعالى ينطقنا صغاراً بالحكمة ويجعلنا حجة فى أرضه كباراً فلم يستتم الكلام حتى غيبت عنى نرجس فلم أرها كأنه صرّب بينى وبينها حجاب فعدوت نحو أبى محمد عليه السلام وأنا صارخة فقال لى: ارجعى يا عمّة فإنك ستجدينها فى مكانها قالت: فرجعت فلم ألبث إلى أن كشف الغطاء الذى كان بينى وبينها وإذا أنا بها وعليها من أثر النور ما غشى بصرى، فإذا أنا بالصبي عليه السلام ساجداً لوجهه جاثٍ على ركبتيه رافعاً سبابته نحو السماء وهو

يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن جدى رسول الله صلى الله عليه وآله وان أبى أمير المؤمنين ثم عد إماماً إماماً إلى أن بلغ إلى نفسه فقال: اللهم أنجز لى وعدى وأتمم لى أمرى، وثبت وطأتى وأملاً الأرض بى عدلاً وقسطاً فصاح بى أبو محمد عليه السلام، وقال: يا عمّة تناوليه وهاتيه فتناولته وأتيت به نحوه فلما مثلت بين يدى أبيه وهو على يدى فسلم على أبيه فتناولته الحسن عليه السلام منى والطير يرفرف على رأسه ويناوله لسانه فيشرب منه ثم قال: امض به إلى أمه لترضعه ورديه إلىّ قالت فناولته أمه فأرضعته ورددته إلىّ أبى محمد والطير يرفرف على رأسه فصاح طير منها فقال له: أحمله وأحفظه وردة إلينا فى كل أربعين يوماً فتناولته الطير وطار به فى جو السماء واتبعه سائر الطيور فسمعت أبا محمد يقول: أستودعك الذى أودعته أم موسى فبكت نرجس فقال: اسكتى فان الرضاع محرم عليه إلا من ثديك وسيعاد إليك كما رد موسى إلى أم موسى وذلك قول الله عز وجل (فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ) قالت حكيمة: قلت فما هذا الطير؟ قال هذا روح القدس الموكل بالأئمة عليهم السلام يوفقهم ويسددهم ويربيهم العلم قالت حكيمة: فلما كان بعد أربعين يوماً رد الغلام ووجهه إلى ابن أخى فدعاني فدخلت عليه فإذا أنا بصبى متحرك يمشى بين يديه فقلت سيدى هذا ابن سنتين فتبسم عليه السلام ثم قال: إن أولاد الأنبياء والأوصياء إذا كانوا أئمة ينشؤون بخلاف ما ينشأ غيرهم وإن الصبى منا إذا أتى عليه شهر كان كمن أتى عليه سنة وإن الصبى منا ليتكلم فى بطن أمه ويقرأ القرآن ويعبد الله تعالى عند الرضاع وتطيف به الملائكة وينزل عليه بالسلام صباحاً ومساءً قالت حكيمة: فلم أزل أرى ذلك الصبى فى كل أربعين يوماً إلى أن رأيته رجلاً

قد مضى أبو محمد بأيام قلائل فلم اعرفه فقلت لابن أخي عليه السلام من هذا الذى تأمرنى ان اجلس بين يديه؟ فقال لى: هذا ابن نرجس وهذا خليفتى من بعدى وعن قليل تفقدوننى فاسمعى وأطيعى قالت حكيمة: فمضى أبو محمد بعد ذلك بأيام قلائل وافترق الناس كما ترى(1).

### ولادتها للمهدى المنتظر عجل الله فرجه الشريف عند المخالفين

هناك مجموعة كبيرة من علماء القوم ذكروا ولادة السيدة نرجس للإمام المهدي المنتظر عليه السلام وزمان ولادته له، ولم يكن ذلك مختص بالشيععة الإمامية بل وجدناه مبثوثاً فى تراث الثقات من المسلمين لدى الفريقين، ونذكر هنا بغضاً منهم:

1 - الشيخ الشبراوى الشافعى(2):

فقد قال الشيخ الشبراوى: الثانى عشر من الأئمة أبو القاسم محمد الحجة الإمام، قيل: هو المهدي المنتظر، ولد الإمام محمد الحجة بن الإمام الحسن الخالص رضى الله عنه بسر من رأى ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين قبل موت

ص: 243

1- (1) انظر: روضة الواعظين، الفتال النيسابورى، ص 258.

2- (2) هو الشيخ عبد الله بن محمد بن عامر بن شرف الدين القاهرى الشافعى الشهير بالشبراوى شيخ الجامع الأزهر فى سنة 1137 هـ - انتقلت مشيخة الجامع الأزهر إلى الشافعية فتولاها الشيخ عبد الله الشبراوى فى حياة كبار العلماء بعد أن تمكن وحضر الأشياخ وسمع الأولية وأوائل الكتب ولم يزل يترقى فى الأحوال والأطوار ويفيد ويملى ويدرس حتى صار أعظم الأعظم ذا جاه ومنزلة عند رجال الدولة والأمراء ونفدت كلمته وصار لأهل العلم فى مدته رفعة مقام ومهابة عند الخاص والعام وأقبلت عليه العلماء وهادوه بأنفس ما عندهم وكان عارفاً حاذقاً وأديباً متفنناً له النشر الرائق والنظم الطلى. مات بالقاهرة ودفن بمقبرة المجاورين. وله عدة مؤلفات. راجع: معجم المطبوعات العربية، البيان سركىس، ج 1 ص 1098.

أبيه بخمس سنين، وكان أبوه قد أخفاه حين ولد وستر أمره لصعوبة الوقت وخوفه من الخلفاء، فإنهم كانوا فى ذلك الوقت يتطلبون الهاشميين ويقصدونهم بالحبس والقتل ويريدون إعدامهم. وكان الإمام محمد الحجة يلقب أيضاً بالمهدى، والقائم، والمنتظر، والخلف الصالح، وصاحب الزمان، وأشهرها المهدي... الخ(1).

## 2 - الشيخ الشبلنجى(2):

فقد ذكر الشبلنجى فصل فى ذكر مناقب محمد بن الحسن الخالص، بن على الهادى، بن محمد الجواد، بن على الرضا، بن موسى الكاظم، بن جعفر الصادق، بن محمد الباقر، بن على زين العابدين، بن الحسين بن على أبى طالب رضى الله عنهم: أمه أم ولد يقال لها: نرجس، وقيل: صقيل، وقيل: سوسن، وكنيته أبو القاسم، ولقبه الإمامية بالحجة، والمهدى، والخلف الصالح، والقائم، والمنتظر، وصاحب الزمان، وأشهرها المهدي(3).

## 3 - الحافظ الكنجى الشافعى(4):

قال الحافظ أبو عبد الله محمد بن يوسف الكنجى الشافعى: أبو محمد

ص: 244

1- (1) الإتحاف بحب الأشراف، الشبراوى، ص 68.

2- (2) هو مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجى، المتوفى بعد سنة 1308 هـ، فاضل، من أهل شبليجة، من قرى مصر، قرب بنها العسل، تعلم فى الأزهر وأقام فى جواره. وكان يميل إلى العزلة. من كتبه (نور الأبصار فى مناقب آل بيت النبى المختار) و (فتح المنان) فى تفسير غريب القرآن، و (مختصر الجبرتي) فى جزئين صغيرين. راجع: الأعلام، خير الدين الزركلى، ج 7 ص 334.

3- (3) نور الأبصار فى مناقب آل بيت النبى المختار، الشبلنجى الشافعى، ص 168.

4- (4) هو محمد بن يوسف بن محمد، أبو عبد الله ابن الفخر الكنجى (المتوفى سنة 658 هـ -): محدث. من الشافعية نسبته إلى (كنجة) بين اصبهان وخوزستان. نزل بدمشق. راجع: الأعلام، خير الدين الزركلى، ج 7 ص 150.

الحسن العسكري بن علي الهادي مولده بالمدينة... إلى أن قال: ودفن في داره بسر من رأى في البيت الذي دفن فيه أبوه، وخلف ابنه وهو الإمام المنتظر صلوات الله عليه(1).

4 - سراج الدين الرفاعي(2):

وقال سراج الدين بن السيد عبد الله الرفاعي: وأما الإمام علي الهادي ابن الإمام محمد الجواد، ولقبه النقي، والعالم، والفقير، والأمير، والدليل، والعسكري، والنجيب. ولد في المدينة سنة اثنتي عشرة ومائتين من الهجرة، وتوفي شهيداً بالسم في خلافة المعتز العباسي يوم الاثنين بسر من رأى لثلاث ليال خلون في رجب سنة أربع وخمسين ومائتين، وكان له خمسة أولاد: الإمام الحسن العسكري، والحسين، ومحمد، وجعفر، وعائشة، فالحسن العسكري أعقب صاحب السرداب الحجة المنتظر ولي الله الإمام محمد المهدي(3).

5 - ابن حجر الهيتمي:

وأيضاً نقل عن ابن حجر الهيتمي قال: ولم يخلف غير ولده أبي القاسم محمد الحجة، وعمره عند وفاة أبيه خمس سنين، لكن آتاه الله فيها الحكمة،

ص: 245

1- (1) كفاية الطالب في مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، الكنجي، ص 458.

2- (2) هو محمد بن عبد الله بن محمد المخزومي الرفاعي الحسيني، سراج الدين: شيخ الاسلام في عصره. ولد بواسط (في العراق) ورحل إلى الشام ومصر. وتوفي ببغداد (سنة 885 هـ -). له مؤلفات، منها (البيان في تفسير القرآن) و (صحاح الأخبار في نسب السادة الفاطمية الأخيار)، وغيرها. راجع: الأعلام، خير الدين الزركلي، ج 6 ص 238.

3- (3) صحاح الأخبار، ص 55، ط بومباي سنة 1306

ويسمى القاسم المنتظر، قيل: لأنه ستر بالمدينة وغاب، فلم يعرف أين ذهب(1).

6 - ابن طولون الدمشقي الحنفي(2):

وعن الشيخ شمس الدين محمد بن طولون الدمشقي الحنفي قال: ثانی عشرهم ابنه محمد بن الحسن، وهو أبو القاسم محمد بن الحسن بن علي الهادي، ابن محمد الجواد، بن علي الرضا، بن موسى الكاظم، بن جعفر الصادق، بن محمد الباقر، بن علي زين العابدين، بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم. وكانت ولادته رضي الله عنه يوم الجمعة منتصف شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين، ولما توفي أبوه المتقدم ذكره رضي الله عنهما كان عمره خمس سنين. واسم أمه خمط، وقيل: نرجس... إلى أن قال: وذكر ابن الأزرقي في تاريخ ميفارقين: أن الحجة المذكور ولد تاسع ربيع الآخر سنة ثمان وخمسين ومائتين، وقيل: في ثامن شعبان سنة ست وخمسين، وهو الأصح... إلى أن قال: وقد نظمتهم على ذلك، فقلت:

عليك بالأئمة الاثني عشر من آل بيت المصطفى خير البشر

أبو تراب حسن حسين وبغض زين العابدين شين

ص: 246

1- (1) الصواعق المحرقة، ص 208. نقلاً عن ينابيع المودة للقندوزي، ج 3 ص 131.

2- (2) هو محمد بن علي بن أحمد (المدعو محمد) ابن علي بن خمارويه بن طولون الدمشقي الصالح الحنفي، شمس الدين، المتوفى سنة 953 هـ (-) وكان مؤرخاً، عالماً بالتراجم والفقهاء. من أهل الصالحية بدمشق، ونسبته إليها. قال الغزالي: كانت أوقاته معمورة كلها بالعلم والعبادة، وله مشاركة في سائر العلوم حتى في التعبير والطب. وله نظم، وليس بشاعر. كتب بخطه كثيراً من الكتب وعلق ستين جزءاً سماها (التعليقات) أكثرها من جمعه وبعضها لغيره. ولم يتزوج ولم يعقب. راجع: الأعلام، خير الدين الزركلي، ج 6 ص 291.



محمد الباقر كم علم درى والصادق ادع جعفرأ بين الورى

موسى هو الكاظم وابنه على لقبه بالرضا وقدره على

محمد التقى قلبه معمور على النقى دره منشور

والعسكرى الحسن المطهر محمد المهدي سوف يظهر(1)

7- ابن خلكان(2):

وقال ابن خلكان: فى ذكر محمد بن الحسن المهدي: وكانت ولادته يوم الجمعة منتصف شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين. وذكر ابن الأزرقي فى تاريخ ميفارقين أن الحجة المذكور ولد تاسع عشر ربيع الأول سنة ثمان وخمسين ومائتين، وقيل: فى ثامن شعبان سنة ست وخمسين، وهو الأصح(3).

8- السبط ابن الجوزى(4):

وقال السبط ابن الجوزى: المهدي هو محمد بن الحسن، بن على، بن

ص: 247

1- (1) الشذورات الذهبية فى تراجم الأئمة الاثنى عشرية عند الإمامية، ابن طولون الدمشقي، ص 117.

2- (2) هو القاضى الفاضل المحقق شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر بن خلكان المتوفى سنة 681 هـ - من أشهر مشاهير أهل السنة، فقد قال الذهبى بترجمته: ابن خلكان قاضى القضاة... لقي كبار العلماء، وبرع فى الفضائل والآداب... وكان كريماً جواداً سرياً ذكياً أخبارياً عارفاً بأخبار الناس... وقال أبو الفداء: القاضى الفاضل المحقق شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر بن خلكان البرمكى، وكان فاضلاً عالماً، تولى القضاء بمصر والشام وله مصنفات جليلة مثل وفيات الأعيان وغيره فى التاريخ. راجع: نفحات الأزهار، السيد على الميلانى، ج 5 ص 46.

3- (3) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج 4 ص 176.

4- (4) هو: شمس الدين يوسف سبط أبى الفرج ابن الجوزى، توفى سنة 654 أو 656 هـ -، وصفوه بالإمام، الحافظ، الواعظ، المؤرخ، الفقيه، الحنفى. وصفه ابن خلكان قائلاً: الواعظ المشهور، حنفى المذهب، وله صيت وسمعة فى مجالس وعظه، وقبول عند الملوك وغيرهم. راجع: وفيات الأعيان، ج 3 ص 142.

محمد، بن علي، بن موسى بن جعفر، بن محمد، بن علي، بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وكنيته أبو عبد الله وأبو القاسم، وهو الخلف الحجة صاحب الزمان، القائم، والمنتظر، والتالي، وهو آخر الأئمة. وقال: ويقال له: ذو الاسمين: محمد، وأبو القاسم. قالوا: أمه أم ولد يقال لها: صيقل(1).

9 - الذهبي:

وأيضاً عن الذهبي قال: ولد محمد بن الحسن، بن علي الهادي، بن محمد الجواد، بن علي الرضا، بن موسى الكاظم، بن جعفر الصادق العلوي الحسيني، أبو القاسم الذي تلقبه الرافضة الخلف الحجة، وتلقبه بالمهدي والمنتظر، وتلقبه بصاحب الزمان، وهو خاتمة الاثنى عشر(2).

10 - ابن الصباغ المالكي(3):

وكذلك عن ابن الصباغ قال: ولد أبو القاسم محمد الحجة بن الحسن الخالص بسر من رأى ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين للهجرة. وأما نسبه أباً وأماً فهو أبو القاسم محمد الحجة بن الحسن الخالص، ابن

ص: 248

---

1- (1) تذكرة الخواص، السبط ابن الجوزي، ص 204.

2- (2) العبر، الذهبي، ج 2 ص 31.

3- (3) هو علي بن محمد بن أحمد، نور الدين ابن الصباغ: فقيه مالكي. من أهل مكة، مولداً ووفاة. أصله من سفاقس. له كتب، منها (الفصول المهمة لمعرفة الأئمة). راجع: الأعلام، خير الدين الزركلي، ج 5 ص 8. وابن الصباغ من مشاهير فقهاء المالكية، ومن ثقات علماء أهل السنة المعروفين، فهم ينقلون عنه أقواله ويعتمدون على رواياته، ويصفونه - وهم ناقلون عنه - بالأوصاف العظيمة. راجع: خلاصة عبقات الأنوار، السيد حامد النقوي، ج 8 ص 249.

على الهادى، بن محمد الجواد، بن على الرضا، بن موسى الكاظم، بن جعفر الصادق، بن محمد الباقر، بن على زين العابدين، بن الحسين بن على بن أبى طالب صلوات الله عليهم أجمعين. وأما أمه فأم ولد يقال لها: نرجس خير أمة، وقيل: اسمها غير ذلك. وأما كنيته فأبو القاسم. وأما لقبه فالحجة، والمهدى، والخلف الصالح، والقائم المنتظر، وصاحب الزمان، وأشهرها المهدي. صفته عليه السلام شاب مرفوع القامة، حسن الوجه والشعر، يسيل شعره على منكبيه، أقنى الأنف، أجلى الجبهة. بوابه محمد بن عثمان، معاصره المعتمد. قيل: غاب فى السرداب والحرس عليه، وكان ذلك سنة ست وسبعين ومائتين للهجرة(1). ولا يخفى أنّ هناك جمعاً كثيراً من علماء القوم قد ذكروا ولادة الإمام المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف أعرضنا عن ذكرهم هنا خوف التطويل، وقد دونهم أصحاب الحديث والسير.

### محاولات لقتل السيدة نرجس والحجة عليهما السلام

ربما عانت السيدة نرجس أكثر من غيرها من أمهات الأئمة محنة وبلاء؛ لأنها كانت فى خط المواجهة والصراع المباشر مع المستبدين والمتغترسين، وكانت الوعاء للمعصوم الذى هدد عروش الظالمين فكانت تعيش تحت المراقبة المباشرة والتفتيش المستمر وينتظر زمان حملها فتقتل هى مع جنينها عليهما السلام، لذلك ذكروا أنه لما علم خلفاء بنى العباس بالأخبار النبوية والآثار المروية عن النبى صلى الله عليه وآله ما مضمونها: أن المهدي المنتظر سيظهر من صلب الحسن

ص:249

---

1- (1) الفصول المهمة فى معرفة الأئمة، ابن الصباغ، ج 2 ص 1104.

العسكري عليه السلام، ويملاً الله به الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، وينتقم من أعداء آل محمد صلى الله عليه وآله خصوصاً من بنى العباس وبنى أمية، فلذلك صاروا فى صدد إطفاء نوره، ويأبى الله إلا أن يتم نوره، وقد بالغوا وجدوا واجتهدوا فلم ينفعهم الجِد حيث كانت يد الله فوق أيديهم، (وَ مَكْرُوا وَ مَكَّرَ اللَّهُ وَ اللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) 1، وقد أخفى الله عز وجل حمل أمه نرجس بنت يشوعا قيصر الروم عن عامة الناس، كما أخفى حمل أم موسى عن فرعون وقومه، مع أن الكهنة والمنجمين قد عَيَّنوا سنة ولادته إلى أن بعث المعتمد العباسى القوابل سراً وأمرهن أن يدخلن دور بنى هاشم سيما دار العسكري عليه السلام بلا استئذان، وفى أى وقت كان ليفتشن أثره ويتطلعن خبره إلى أن نور الكون بقدمه إلى عالم الوجود، وتولد عليه السلام قبل وفاة أبيه بسنتين، وقيل بخمس، فى سامراء فى منتصف شعبان، وأنه كان عليه السلام يوماً من الأيام فى حجر والدته فى صحن الدار إذ أحست نرجس بالقوابل فاضطربت اضطراباً شديداً، ولم تجد فرصة حتى تخفى ذلك النور، فهتف هاتف بها أن ألقى حجة الله القهار فى البئر التى فى صحن الدار، فألقت فى البئر وقد سمعت القوابل صوت الطفل فدخلن الدار بسرعة فبالغن فى التفحص فلم يجدن منه أثراً فخرجن والهات حائرات، فلما فرغت الدار عن الأغيار أقبلت نرجس إلى البئر لكى تعلم ما جرى على قرّة عينها، فلما أشرفت على البئر رأّت الماء يفور إلى أن ساوى أرض الدار، وحجة الله فوق الماء صحيحاً سالماً كالبدر الطالع، والقماط الذى عليه لم يبتل أبداً فتناولته وأرضعته وحمدت الله وسجدت

له شكراً فهتف هاتف: أن يا نرجس ألقيه إلى البئر أربعين يوماً، فمتى أردت أن تسترضيه نوصله إليك، فكانت كلما أرادت إرضاعه تأتي إلى شفير البئر فيفور الماء، وحجة الله فوفه فتأخذه وترضعه وتقر عينها بجماله وترده إلى البئر فينزل الماء إلى قراره، فبقى عليه السلام فى البئر فى تلك المدة كما أن يوسف الصديق أيضاً كذلك، وكان مستوراً عن أعين الناس(1).

## أولادها

المعروف بين الشيعة الإمامية بل المشهور أنّ الإمام الحسن العسكرى عليه السلام ليس له ولد إلا المهدي المنتظر عليه السلام كما صرح به الشيخ المفيد رحمه الله، بقوله: ولم يخلف أبوه ولداً ظاهراً ولا باطناً غيره وخلفه غائباً مستتراً(2).

وقد تصدى لبحث هذه المسألة بالذات كثير من العلماء والمراجع الماضين منهم والمعاصرين ومن جملةهم آية الله الشيخ الصافى دام ظله، قال: هذا ظاهر عبارات كثير من أساطين الشيعة وهو القول المشهور بينهم فى ذلك ولم نعرف فى الأحاديث ما يدل على وجود ولد لسيدنا أبى محمد عليه السلام غير مولانا المهدي عليه السلام إلا هذين الخبرين اللذين أخرجهما فى كمال الدين، وقد عرفت أنّهما خبر واحد روى بألفاظ مختلفة ومضامين متقاربة، وروى فى الغيبة وفى دلائل الإمامة وليس فيهما ذكر من ذلك، كما لم نجد أيضاً فى الأقوال قولاً مخالفاً لهذا القول إلا من الحسين بن حمدان فإنه قال فى كتابه الموسوم بالهداية فى ترجمة مولانا أبى

ص: 251

1- (1) انظر: إلزام الناصب فى إثبات الحجة الغائب، الشيخ على اليزدى الحائرى، ج 1 ص 318.

2- (2) انظر: الإرشاد، الشيخ المفيد، ج 2 ص 339.

محمد عليه السلام (له من الولد موسى والحسين والخلف عليه السلام ومن البنات...) وإلا من ابن أبي الثلج في تاريخ الأئمة فإنه قال (ولد للحسن بن علي العسكري عليه السلام (م ح م د) عليه السلام وموسى وفاطمة وعائشة. ولا-ريب إن هذا القول شاذ ومخالف لما هو المعروف بين الشيعة وأرباب كتب السيرة والأنساب والتواريخ، وقد صرح بما هو المشهور بين الامامية بعض أكابر العامة أيضا كابن حجر في الصواعق قال: (ولم يخلف (يعنى مولانا أبا محمد عليه السلام) غير ولده أبي القاسم محمد الحجة وعمره عند وفاة أبيه خمس سنين لكن آتاه الله فيها الحكمة. وهذا ظاهر كلمات جماعة منهم... الخ (1).

وقيل ولد للحسن بن علي العسكري عليه السلام (م ح م د عليه السلام) وموسى وفاطمة وعائشة. كما تقدم عن ابن أبي الثلج وذهب علي الفريابي فاطمة من ولد الحسن بن علي العسكري عليه السلام، ومن الدلائل ما جاء عن الحسن بن علي العسكري عليه السلام عند ولادة محمد بن الحسن عليه السلام في كلام كثير زعمت الظلمة أنهم يقتلونني ليقطعوا هذا النسل كيف رأوا قدرة القادر وسماه المؤمن... الخ (2). ويدل على أن له أكثر من ولد ما ورد عن إبراهيم بن مهزيار قال: قدمت مدينة الرسول صلى الله عليه وآله فبحثت عن أخبار آل أبي محمد الحسن بن علي الأخير عليه السلام فلم أقع على شيء منها فرحلت منها إلى مكة مستبحة عن ذلك، فبينما أنا في الطواف إذ تراءى لى فتى أسمر اللون، رائع الحسن، جميل المخيلة، يطيل التوسم فيّ، فعدت إليه مؤملاً منه عرفان ما قصدت له، فلما قربت منه سلمت، فأحسن الإجابة، ثم قال: من أى

ص: 252

---

1- (1) انظر: مجموعة الرسائل، الشيخ لطف الله الصافي، ج 2 ص 202.

2- (2) انظر: تاريخ الأئمة (المجموعة)، الكاتب البغدادي، ص 21.

البلاد أنت؟ قلت: رجل من أهل العراق، قال: من أى العراق؟ قلت: من الأهواز، فقال: مرحباً بلقائك هل تعرف بها جعفر بن حمدان الحصيني، قلت: دعى فأجاب، قال: رحمة الله عليه ما كان أطول ليله وأجزل نيئه، فهل تعرف إبراهيم بن مهزيار قلت: أنا إبراهيم بن مهزيار فعانقني ملياً ثم قال: مرحباً بك يا أبا إسحاق ما فعلت بالعلامة التي وشجت بينك وبين أبي محمد عليه السلام؟ فقلت: لعلك تريد الخاتم الذي آثرني الله به من الطيب أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام؟ فقال: ما أردت سواه، فأخرجته إليه، فلما نظر إليه استعبر وقبله، ثم قرأ كتابته فكانت (يا الله يا محمد يا علي) - إلى أن قال لي - يا أبا إسحاق أخبرني عن عظيم ما توخيت بعد الحج؟ قلت: وأبيك ما توخيت إلا ما سأسألكم مكنونه، قال: سل عما شئت فإني شارح لك إن شاء الله؟ قلت: هل تعرف من أخبار آل أبي محمد الحسن عليه السلام شيئاً؟ قال لي: وأيم الله إنى لأعرف الضوء بجبين محمد وموسى ابني الحسن بن علي عليه السلام ثم أتى لرسولهما إليك قاصداً لإنبائك أمرهما فإن أحببت لقاءهما والاحتفال بالتبرك بهما فارتحل معي إلى الطائف وليكن ذلك في خفية من رجالك واكتتام... الخ(1).

وقيل: كان له ولد توفي قبل ولادة الحجة عليه السلام كما ورد عن إبراهيم بن إدريس قال: وجه إليّ مولاي أبو محمد عليه السلام بكبش وقال: عقه عن ابني فلان وكل وأطعم أهلك ففعلت، ثم لقيته بعد ذلك فقال لي: المولود الذي ولد لي مات، ثم وجه إليّ بكبشين وكتب: بسم الله الرحمن الرحيم عق هذين الكبشين عن مولاك وكل

ص: 253

1- (1) انظر: كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، ص 445.

هناك الله وأطعم إخوانك، ففعلت ولقيته بعد ذلك فما ذكر لي شيئاً(1).

### الظروف السياسية الأليمة التي مرت بها السيدة نرجس عليها السلام

عاشت السيدة نرجس عليها السلام ألوان الظلم والاضطهاد من السياسة المهيمنة على رقاب المسلمين والمستضعفين وكانت السيدة بالذات على رأس قائمة المطلوبين وذلك لأنها الوعاء والحاضن للإمام الحجة الذي يبحثون عنه فقد واجهت السجن والتعذيب والترويع وما إليه لاسيما بعد رحيل زوجها الإمام العسكري عليه السلام، كما جاء عن الصدوق رحمه الله... فنحن جلوس إذ قدم نفر من قم فسألوا عن الحسن بن علي عليهما السلام فعرفوا موته فقالوا: فمن (نعزى)؟ فأشار الناس إلى جعفر بن علي فسلموا عليه وعزوه وهنوه وقالوا: إن معنا كتباً ومالاً، فتقول ممن الكتب؟ وكم المال؟ فقام ينفض أثوابه ويقول: تريدون منا أن نعلم الغيب، قال: فخرج الخادم فقال: معكم كتب فلان وفلان (وفلان) وهميان فيه ألف دينار وعشرة دنانير منها مطلية، فدفعوا إليه الكتب والمال وقالوا: الذي وجه بك لأخذ ذلك هو الإمام، فدخل جعفر بن علي على المعتمد وكشف له ذلك، فوجه المعتمد بخدمة فقبعضوا على صقيل الجارية فطالبتها بالصبي فأنكرته وادعت حبلاً به لتغطي حال الصبي فسلمت إلى ابن أبي الشوارب القاضي، وبغتهم موت عبيد الله بن يحيى بن خاقان فجأة، وخروج صاحب الزنج بالبصرة فشغلوا بذلك عن الجارية، فخرجت عن أيديهم، والحمد لله رب العالمين(2). والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة،

ص:254

1- (1) انظر: الغيبة، الشيخ الطوسي، ص 245.

2- (2) انظر: كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، ص 476.



فهذه واحدة من الماسى والآلام التى واجهتها السيدة نرجس عليها السلام إلى أن قضت نحبها جاهدة فى سبيل الله ورضاه وطاعة أهل البيت عليهم السلام وقد بوأها الله مكانة رفيعة تُغبط عليها فى الدنيا والآخرة بما صبرت وجاهدة وعملت.

### حكيمة تتكلم عن المهدي وأمه عليهما السلام

اعتاد الناس أن تعرف الخلف بعد الإمام عليه السلام، ويرجعوا إليه فى الصغيرة والكبيرة فى حل مسائلهم وعلاج مشاكلهم، لكن فى عصر العسكرى عليه السلام ضيقت السياسة على معرفة الإمام الخلف الذى يقف فى وجه الظالمين ويزيل عروشهم ويهدم كيانهم، كما بشرت به الروايات المستفيضة، فوقف الناس موقف حيرة وارتياب ازاء الخلف، فأخذوا يبحثون عن معرفته وتشخيصه ليطمئنون إليه، ولذا روى عن عبد الله الطهوى قال: قصدت حكيمة بنت محمد الجواد عليه السلام بعد مضى أبو محمد عليه السلام أسألها عن الحجة وما قد اختلف فيه الناس من الحيرة التى هم فيها فقالت لى: اجلس فجلست، ثم قالت: يا محمد إن الله تبارك وتعالى لا يخلى الأرض من حجة ناطقة أو صامته، ولم يجعلها فى أخوين بعد الحسن والحسين عليهما السلام تفضيلاً للحسن والحسين وتنزيهاً لهما أن يكون فى الأرض عديلهما إلا أن الله تبارك وتعالى خص ولد الحسين عليه السلام بالفضل على ولد الحسن عليه السلام كما خص ولد هارون على ولد موسى عليه السلام وإن كان موسى حجة على هارون، والفضل لولده إلى يوم القيامة، ولا بد للأمة من حيرة يرتاب فيها المبطلون ويخلص فيها المحقون، كيلا يكون للخلق على الله حجة، وإن الحيرة لا بد واقعة بعد مضى أبى محمد الحسن عليه السلام، فقلت: يا مولاتى هل كان للحسن (العسكرى)

ص: 255

عليه السلام ولد؟ فتبسّمت ثم قالت: إذا لم يكن للحسن عليه السلام عقب فمن الحجّة من بعده وقد أخبرتك أنه لا إمامة لأخوين بعد الحسن والحسين عليهما السلام فقلت: يا سيدتي حدثيني بولادة مولاي وغيبته عليه السلام قالت: نعم كانت لى جارية يقال لها: نرجس فزارني ابن أخي فأقبل يحدق النظر إليها، فقلت له: يا سيدى لعلك هويتها فأرسلها إليك؟ فقال لها: لا يا عمّة ولكنى أتعجب منها، فقلت: وما أعجبك [منها]؟ فقال عليه السلام: سيخرج منها ولد كريم على الله عز وجل الذى يملأ الله به الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً، فقلت: فأرسلها إليك يا سيدى؟ فقال: استأذنى فى ذلك أبى عليه السلام قالت: فلبست ثيابى وأتيت منزل أبى الحسن عليه السلام: فسلمت وجلست فبدأنى عليه السلام وقال: يا حكيمة ابعثى نرجس إلى ابني أبى محمد، قالت: فقلت: يا سيدى على هذا قصدتك على أن أستأذنك فى ذلك، فقال لى: يا مباركة إن الله تبارك وتعالى أحب أن يشركك الأجر ويجعل لك فى الخير نصيباً، قالت حكيمة: فلم ألبث أن رجعت إلى منزلى وزينتها ووهبتها لأبى محمد عليه السلام وجمعت بينه وبينها فى منزلى فأقام عندى أياماً، ثم مضى إلى والده عليهما السلام ووجهت بها معه.

قالت حكيمة: فمضى أبو محمد عليه السلام بعد ذلك بأيام قلائل، وافترق الناس كما ترى ووالله إنى لأراه صباحاً ومساءً وإنه لينبئنى عما تسألون عنه فأخبركم، ووالله إنى لأريد أن أسأله عن الشىء فيبدأنى به وإنه ليرد علىّ الأمر فيخرج إلىّ منه جوابه من ساعته من غير مسألتى. وقد أخبرنى البارحة بمجيبك إلىّ وأمرنى أن أخبرك بالحق. قال محمد بن عبد الله: فوالله لقد أخبرتنى حكيمة بأشياء لم يطلع

عليها أحد إلا الله عز وجل، فعلمت أن ذلك صدق وعدل من الله عز وجل، لأن الله عز وجل قد أطلعه على ما لم يطلع عليه أحداً من خلقه(1).

## إزالة وهم

اختلف الخبر في السيدة نرجس أم الحجة عليه السلام هل كانت من جواربها (أى من جوارى حكيمة) وأنها ربتها وأهدتها إلى ابن أخيها العسكرى عليه السلام أو من أسراء الروم التي اشتراها الهادى عليه السلام لابنه؟ والمفهوم من إثبات المسعودى أن الأول الثبت، حيث اقتصر على خبره، ومال الإكمال إلى الثانى حيث إنه وإن روى الأول، إلا أنه قال: ما روى فى نرجس أم القائم عليه السلام واسمها مليكة بنت يوشعا بن قيصر الملك, كما تقدم(2).

أقول: لا منافاة بين هذا الحديث الذى تقدم ذكره عن حكيمة, والذى سبق من أنّها كانت أسيرة واشتراها الإمام الهادى عليه السلام؛ لأن فى ما سبق قال عليه السلام: يا بنت رسول الله أخرجيها وعلميها الفرائض والسنن فإنها زوجة أبى محمد وأم القائم عليه السلام, فكانت هى عند حكيمة فى تلك الحالة حتى اشتهرت بجارية حكيمة وجرى الأمر بعد ذلك كما فى هذا الخبر الذى عن حكيمة. فيمكن أن نقول إنّ السيدة نرجس عليها السلام عاشت ثلاث مراحل فى حياتها قبل زواجها من الإمام أبى محمد الحسن العسكرى عليه السلام مرحلة مع أسرتها والثانية فى الأسر والثالثة فى دار حكيمة بنت الإمام الجواد عليه السلام ومن ثم تزوجت بأبى محمد العسكرى عليه السلام.

ص: 257

1- (1) كمال الدين وتمام النعمة, الشيخ الصدوق, ص 427.

2- (2) انظر: قاموس الرجال, الشيخ محمد تقى التستري, ج 12 ص 239.

من جملة المزايا التي حازت عليها السيدة نرجس عليها السلام علاوة على ما تكفلها من كرامات وصفات كمالية عالية هي الشفاعة، فقد أعطها الله هذه الدرجة العظيمة وقرنها مع شفاعة المعصومين عليهم السلام كما جاء ذلك في زيارتها عليها السلام «اللهم بحق محمد وآل محمد أن تصلي على محمد وآل محمد وعجل لهم بانتقامك من عدوك وعدوهم يا إله العالمين ولا تجعله آخر العهد من زيارتي إياها وارزقني العود إليها أبداً ما أبقيتني وإذا توفيتني فاحشرنني في زمرتها وأدخلني في شفاعة ولدها وشفاعتها واغفر لي ولوالدي وللمؤمنين والمؤمنات وآتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا برحمتك عذاب النار والسلام عليكم يا موالى وساداتي ورحمة الله وبركاته»(1).

### من كرامات السيدة نرجس عليها السلام

إنّ السيّد نرجس عليها السلام تنحدر من سلالة الأنبياء والأوصياء عليهم السلام وقد اصطفاه الله أن تكون وعاءً وحجراً لخاتم الأوصياء، ليس ببعيد أو مستغرب أن تكون باباً من أبواب الله تعالى يقصده المحتاجون والمنكوبون فلا يعودوا إلاّ بحوائج مقضية وهموم مكشوفة بإذن الله تعالى، والشواهد على ذلك كثيرة.

منها: ما نقل في أحوال الميرزا محمّد تقي الشيرازي قدس سره أنّه قد أصاب مدينة سامراء مرض الطاعون وأخذ من أهلها مأخذاً عظيماً بحيث إنّ أهالي

ص: 258

الموتى عجزوا عن دفن موتاهم فأصبحوا يأتون بهم ويتركونهم فى الشوارع آنذاك وفى شدة المحنة جاء الميرزا محمد تقي الشيرازى إلى منزل السيّد محمد الفشاركى قدس سره الذى كان فى منزله مع كوكبة من العلماء فدار البحث حول الوباء الذى يهدّد حياة الجميع وبينما هم على ذلك وإذا بالميرزا الشيرازى يلتفت إليهم قائلاً: إذا أصدرت حكماً فهل هو نافذ أم لا؟

فردّ الجميع: نعم إنّه نافذ ويجب إجراؤه فقال الميرزا: إنى أصدرت حكماً على جميع الشيعة القاطنين فى سامراء أن يقرؤوا زيارة عاشوراء من اليوم إلى عشرة أيام ويهدوا ثوابها إلى روح السيّدة نرجس عليها السلام والدة الإمام الحجّة عجل الله فرجه الشريف ليبتعد عنهم البلاء فأبلغ الحاضرون حكمه ذاك لجميع الشيعة فشرع الموالون بقراءة الزيارة، وإذا بالطاعون يرتفع عنهم منذ قراءتهم للزيارة، بينما بقى غيرهم يموتون كالعادة حتّى تجلّى الأمر للجميع.

فسأل بعض أتباع المذاهب الأخرى أبناء الشيعة فى سامراء عن سبب ارتفاع الطاعون عنهم، فأخبروهم بالحال، فشرعوا بقراءة الزيارة وإهدائها إلى السيّدة نرجس عليها السلام فدفع البلاء عن الجميع.

### وفاة السيدة نرجس ومحل قبرها عليها السلام

ذكروا أنّ السيدة نرجس أم المهدي عليه السلام ماتت فى حياة أبى محمد عليه السلام، كما روى ذلك عن الصدوق رحمه الله، قال أبو على: فحدثتني أنها حضرت ولادة السيد عليه السلام، وأن اسم أم السيد صقيل، وأن أباً محمد عليه السلام حدثها بما يجرى على

عياله، فسألته أن يدعوا الله عز وجل لها أن يجعل منيتها قبله، فماتت في حياة أبي محمد عليه السلام، وعلى قبرها لوح مكتوب عليه هذا قبر أم محمد(1).

والصحيح أنها بقيت إلى ما بعد استشهاد زوجها الإمام أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام، ومن الأدلة على ذلك هو نفس ما جاء عن الشيخ الصدوق في نفس الكتاب، حيث ذكر عن محمد بن الحسين بن عباد أنه قال: مات أبو محمد الحسن بن علي عليهما السلام يوم جمعة مع صلاة الغداة، وكان في تلك الليلة قد كتب بيده كتباً كثيرة إلى المدينة، وذلك في شهر ربيع الأول لثمان خلون منه سنة ستين ومائتين من الهجرة، ولم يحضر رحمه الله في ذلك الوقت إلا صقيل الجارية، وعقيد الخادم ومن علم الله عز وجل غيرهما، قال عقيد: فدعا بماء قد أغلى بالمصطكى فجئنا به إليه فقال: أبدء بالصلاة هيئوني فجئنا به وبسطنا في حجره المنديل فأخذ من صقيل الماء فغسل به وجهه وذراعيه مرة مرة ومسح على رأسه وقدميه مسحاً وصلّى صلاة الصبح على فراشه وأخذ القدح ليشرب فأقبل القدح يضرب ثناياه ويده ترتعد فأخذت صقيل القدح من يده. ومضى من ساعته صلوات الله عليه ودفن في داره بسر من رأى إلى جانب أبيه صلوات الله عليهما فصار إلى كرامة الله جل جلاله وقد كمل عمره تسعاً وعشرين سنة. قال: وقال لى عباد في هذا الحديث: قدمت أم أبي محمد عليه السلام من المدينة واسمها. (حديث) حين اتصل بها الخبر إلى سر من رأى فكانت لها أقاصيص... الخ(2). فهذه الرواية تصرح على أنّ أم الإمام المهدي عليه السلام كانت حاضرة عند وفاة زوجها العسكري عليه السلام.

ص:260

---

1- (1) انظر: كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، ص 431.

2- (2) انظر: المصدر السابق، ص 473.

وأيضاً من الأدلة التي تثبت أن وفاتها كانت بعد رحيل زوجها عليه السلام هو اعتقالها وحبسها ومطالبتها بالصبي بعد وفاة أبي محمد العسكري عليه السلام وقد تقدم ذكره بحسب ما أورده الصدوق في نفس الكتاب، قال: إذ قدم نفر من قم فسألوا عن الحسن بن علي عليه السلام فعرفوا موته فقالوا: فمن (نعزى)؟ فأشار الناس إلى جعفر ابن علي فسلموا عليه وعزوه وهنوه وقالوا: إن معنا كتباً ومالاً، فتقول ممن الكتب؟ وكم المال؟ فقام ينفض أثوابه ويقول: تريدون منا أن نعلم الغيب، قال: فخرج الخادم فقال: معكم كتب فلان وفلان (وفلان) وهميان فيه ألف دينار وعشرة دنائير منها مطلية، فدفعوا إليه الكتب والمال وقالوا: الذي وجه بك لأخذ ذلك هو الإمام، فدخل جعفر بن علي على المعتمد وكشف له ذلك، فوجه المعتمد بخدمه فقبضوا على صقيل الجارية فطالبتها بالصبي فأنكرته وادعت حبلاً به لتغطي حال الصبي فسلمت إلى ابن أبي الشوارب القاضي، وبغتهم موت عبيد الله بن يحيى بن خاقان فجأة، وخروج صاحب الزنج بالبصرة فشغلوا بذلك عن الجارية، فخرجت عن أيديهم، والحمد لله رب العالمين (1). مع أنه لم يذكر (في غير ما تقدم) من الأحاديث أو التواريخ وفاتها قبل أبي محمد عليه السلام.

أمّا محل قبرها فهو في سر من رأى (سامراء) قريب من قبر العسكريين عليهما السلام، بل خلف ضريح مولانا الحسن العسكري عليه السلام، وعلى قبرها لوح مكتوب عليه هذا قبر أم محمد رحمه الله كما تقدم ذكره عن الشيخ الصدوق رحمه الله. وقد ذكر السيد محسن الأمين عليهم السلام أنّ العسكريين عليهما السلام دفنا في دارهما وكان سرداب الغيبة هو سرداب

ص: 261

تلك الدار سكنه الهادى والعسكرى وصاحب الزمان عليهم السلام فكان القبران الشريفان والسرداب فى دار واحدة وكان طريق السرداب ودرجه من داخل حرم العسكريين عليهما السلام قريباً من قبر نرجس أم المهدي عليهما السلام(1).

### زيارة ضريح السيدة نرجس عليها السلام

من خلال زيارة السيدة نرجس عليها السلام نعرف مدى المكانة التى تتبوأ بها أم الإمام المعصوم عليه السلام, وأنّ الذى وصل إلينا من ذكر صفات أمهات المعصومين عليهم السلام هو غيظ من فيض, حيث إنّ أمهات المعصومين عليهم السلام فى درجة واحدة من الكمال, وكل واحدة تحمل أسرار رب العالمين وغيرها من الصفات. فقد وصفت هذه السيدة أنّها مودعة أسرار الملك العلام, وأنّها منعوتة فى الإنجيل... الخ, كما ذكر المجلسى وغيره من المحدثين نص زيارتها عليها السلام, أنه بعد الفراغ من زيارة العسكريين عليهما السلام تزور السيدة نرجس أم القائم عليه السلام, وهذا الوسام بالإضافة إلى ما تحمله ألفاظ الزيارة الخاصة بها من مضامين عالية يدل على عظمة تلك المرأة الجليلة الطاهرة, واليك نص زيارتها عليها السلام.

«السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله الصادق الأمين، السلام على مولانا أمير المؤمنين، السلام على الأئمة الطاهرين، الحجج الميامين، السلام على والده الإمام، والمودعة أسرار الملك العلام، والحاملة لأشرف الأنام، السلام عليك أيتها الصديقة المرضية، السلام عليك يا شبيهة أم موسى، وابنة

ص:262

1- (1) انظر: أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، ج 2 ص 588.



حوارى عيسى السلام عليك أيتها التقية النقية، السلام عليك أيتها الرضية المرضية، السلام عليك أيتها المنعوتة فى الإنجيل، المخطوبة من روح الله الأمين، ومن رغب فى وصلتها محمد سيد المرسلين، والمستودعة أسرار رب العالمين، السلام عليك وعلى آبائك الحواريين، السلام عليك وعلى بعلك وولدك، السلام عليك وعلى روحك وبدنك الطاهر، أشهد أنك أحسنت الكفالة، وأديت الأمانة، واجتهدت فى مرضاة الله، وصبرت فى ذات الله، وحفظت سر الله، وحملت ولى الله، وبالغت فى حفظ حجة الله، ورغبت فى وصلة أبناء رسول الله، عارفة بحقهم، مؤمنة بصدقهم، معترفة بمنزلتهم، مستبصرة بأمرهم، مشفقة عليهم، مؤثرة هواهم. وأشهد أنك مضيت على بصيرة من أمرك، مقتدية بالصالحين، راضية مرضية تقية نقية زكية، فرضى الله عنك وأرضاك، وجعل الجنة منزلك ومأواك، فلقد أولاك من الخيرات ما أولاك، وأعطاك من الشرف ما به أغناك، فهناك الله بما منحك من الكرامة».

ثم ترفع رأسك وتقول:

«اللهم إياك اعتمدت، ولرضاك طلبت، وبأوليائك إليك توسلت، وعلى غفرانك وحلمك اتكلت، وبك اعتصمت، وبقبر أم ولىك لذت، فصل على محمد وآل محمد وانفعنى بزيارتها، وثبتنى على محبتها، ولا تحرمنى شفاعتها وشفاعة ولدها وارزقنى مرافقتها واحشرنى معها ومع

ص: 263

ولدها كما وفقتنى لزيارة ولدها وزيارتها، اللهم إني أتوجه إليك بالأئمة الطاهرين وأتوسل إليك بالحجج الميامين، من آل طه ويس، أن تصلى على محمد وآل محمد الطيبين، وأن تجعلنى من المطمئنين الفائزين، الفرحين المستبشرين، الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، واجعلنى ممن قبلت سعيه، ويسرت أمره، وكشفت ضره، وآمنت خوفه. اللهم بحق محمد وآل محمد، صل على محمد وآل محمد، وعجل لهم بانتقامك ولا- تجعله آخر العهد من زيارتى إياها، وارزقنى العود إليها أبداً ما أبقيتنى، وإذا توفيتنى فاحشرنى فى زمرتها، وأدخلنى فى شفاعة ولدها وشفاعتها، واغفر لى ولوالدى وللمؤمنين والمؤمنات، وآتانا فى الدنيا حسنة، وفى الآخرة حسنة وقنا برحمتك عذاب النار، والسلام عليكم يا ساداتى ورحمة الله وبركاته»(1).

ص:264

---

1- (1) بحار الأنوار، العلامة المجلسى، ج 99 ص 70، وقد ذكر المفيد والشهيد وغيرهما فى كتبهم زيارة أم القائم عليه السلام هكذا، انظر مصباح الزائر، ابن طاوس ص 213. ومزار الشهيد ص 65. المزار الكبير ص 217.

1. القرآن الكرىم.
2. إبصار العىن فى أنصار الحسفن علىه السلام, الشىخ محمد السماوى, الطبعة: الأولى سنة الطبع: رمضان المبارك 1419-1377 ش, الناشر: مركز الدراسات الإسلامفة لممثلة الولف الفقهفة فى حرس الثورة الإسلامفة.
3. الإتحاف بحب الأشراف, الشبراوى الشافعى, ط مصطفى البابى الحلبى بمصر.
4. الإتحاف فى علوم القرآن, السىوطى, تحقيق: سعفد المندوب, الطبعة: الأولى, سنة الطبع: 1416 هـ -- 1996 م, المطبعة: لبنان, دار الفكر.
5. إثبات الوصففة, على بن الحسين المسعودى, نشر الرضى, قم.
6. الاحتجاج, الشىخ الطبرسى, تحقيق: السفد محمد باقر الخرسان, سنة الطبع: 1386 هـ -- 1966 م, الناشر: دار النعمان للطباعة والنشر, النجف الأشرف.
7. الاختصاص, الشىخ المففد, تحقيق: على أكبر الغفارى, السفد محمود الزرندى, الطبعة: الثانية, سنة الطبع: 1414 هـ -- 1993 م, الناشر: دار المففد للطباعة والنشر والتوزفح, بفرط.
8. اختيار معرفة الرجال, الشىخ الطوسى, تحقيق: السفد مهدى الرجائى, سنة الطبع: هـ - 1404, الناشر: مؤسفة آل البفط علىهم السلام لإحفاء التراث.
9. الإرشاد, الشىخ المففد, تحقيق: مؤسفة آل البفط علىهم السلام لتحقيق التراث, الطبعة: الثانية,

سنة الطبع: 1414 هـ -- 1993 م, الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع, بيروت, لبنان.

10. أسباب نزول الآيات, الواحدى النيسابورى, سنة الطبع: 1388-1968 م, الناشر: مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع, القاهرة.
11. الاستبصار, الشيخ الطوسى, تحقيق وتعليق: السيد حسن الموسوى الخراسان, الطبعة: الرابعة, سنة الطبع: 1363 ش, الناشر: دار الكتب الإسلامية, طهران.
12. الاستغاثة, أبو القاسم الكوفى, على بن أحمد بن موسى بن الإمام الجواد محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام.
13. الاستيعاب, ابن عبد البر, تحقيق: على محمد البجاوى, الطبعة: الأولى, سنة الطبع: 1412 هـ -, المطبعة: بيروت, دار الجيل.
14. أسد الغابة, ابن الأثير, الناشر: دار الكتاب العربى, بيروت, لبنان. الأسرار الفاطمية, الشيخ محمد فاضل المسعودى, الطبعة: الثانية, سنة الطبع: 1420 هـ -- 2000 م, المطبعة: أمير, قم.
15. الإصابة, ابن حجر, تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود, والشيخ على محمد معوض, الطبعة: الأولى, سنة الطبع: 1415, الناشر: دار الكتب العلمية, بيروت.
16. الاعتقادات فى دين الإمامية, الشيخ الصدوق, تحقيق: عصام عبد السيد, الطبعة: الثانية, سنة الطبع: 1414 هـ - 1993 م, الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع, بيروت, لبنان.
17. إعلام الورى بأعلام الهدى, الشيخ الطبرسى, تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث, الطبعة: الأولى, سنة الطبع: ربيع الأول 1417 هـ -, الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث, قم المشرفة.
18. الأعلام, خير الدين الزركلى, الطبعة: الخامسة, سنة الطبع: أيار, مايو 1980, الناشر: دار العلم للملايين, بيروت, لبنان.

19. أعمال الحرمين, ابن الشيخ منصور المرهون, الطبعة: الثانية المنقحة, سنة الطبع: 1422 هـ -- 2001 م, الناشر: دار الهدى للطباعة والنشر.
20. أعيان الشيعة, السيد محسن الأمين, تحقيق وتخريج: حسن الأمين, الناشر: دار التعارف للمطبوعات, بيروت, لبنان.
21. إقبال الأعمال, السيد ابن طاووس, تحقيق: جواد القيومي الاصفهاني, الطبعة: الأولى, سنة الطبع: رجب 1414 هـ -, المطبعة: مكتب الإعلام الإسلامى.
22. إزام الناصب فى إثبات الحجة الغائب, الشيخ على اليزدى الحائرى, تحقيق: السيد على عاشور.
23. أم البنين, محمد على السالكى.
24. أم المؤمنين خديجة الطاهرة عليها السلام, حسين الشاكى, الطبعة: الأولى, المطبعة: ستارة.
25. الأمالى, الشيخ الصدوق, تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية, مؤسسة البعثة, قم, الطبعة: الأولى, سنة الطبع: 1417 هـ -, الناشر: مركز الطباعة والنشر فى مؤسسة البعثة.
26. الأمالى, الشيخ الطوسى, تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية, مؤسسة البعثة, الطبعة: الأولى, سنة الطبع: 1414 هـ -, الناشر: دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع, قم.
27. الإمام الجواد عليه السلام من المهدي إلى اللحد, السيد القزوينى, الطبعة: الأولى, سنة الطبع: ذى الحجة 1419 هـ -, الناشر: مؤسسة ولى العصر عجل الله فرجه الشريف للدراسات الإسلامية, قم المشرفة.
28. الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب.
29. الإمام جعفر الصادق عليه السلام, عبد الحلیم الجندى, إشراف: محمد توفيق عويضة, سنة الطبع: 1397-1977 م, المطبعة: مطابع الأهرام التجارية, القاهرة.
30. الإمامة وأهل البيت. محمد بيومى مهران, الطبعة: الثانية, سنة الطبع: 1415 هـ - 1995 م,

31. الأمان من أخطار الأسفار، السيد ابن طاووس، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: 1409 هـ -، المطبعة: مهر، قم.
32. إمتاع الأسماع، المقرئ، تحقيق وتعليق: محمد عبد الحميد النميسى، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: 1420 هـ -- 1999 م، الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
33. الأمثل فى تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازى.
34. أمل الأمل، الحر العاملى، تحقيق: السيد أحمد الحسينى، المطبعة: الآداب، النجف الأشرف، الناشر: مكتبة الأندلس، بغداد.
35. الانتصار، العاملى، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: 1422 هـ -، الناشر: دار السيرة، بيروت، لبنان.
36. الإنسان ذلك المجهول، الدكتور. الكسيس كارل.
37. الأنوار البهية، الشيخ عباس القمى، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامى، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: 1417 هـ -، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامى التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
38. الأنوار الساطعة، الشيخ غالب السيلوى، طبعة: الأولى، سنة الطبع: 1421 هـ -، المطبعة: علمية.
39. الأنوار العلوية، الشيخ جعفر النقدي، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: 1381 هـ -- 1962 م، الناشر: مكتبة الحيدرية، النجف الأشرف.
40. أوائل المقالات، الشيخ المفيد، تحقيق: الشيخ إبراهيم الأنصارى، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: 1414-1993 م، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
41. إيمان أبى طالب، العلامة الشيخ عبد الحسين الأمينى النجفى.
42. بحار الأنوار، العلامة المجلسى، الطبعة: الثانية المصححة، سنة الطبع: 1403 هـ -- 1983 م،

الناشر: مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان.

43. البداية والنهاية ابن كثير، تحقيق وتدقيق وتعليق: على شيرى، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: 1408-1988 م، الناشر: دار إحياء التراث العربى، بيروت، لبنان.

44. بشارة المصطفى، محمد بن على الطبرى، تحقيق: جواد القيومى الإصفهانى، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: 1420 هـ -، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامى التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

45. بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار، تصحيح وتعليق وتقديم: الحاج ميرزا حسن كوچه باغى، سنة الطبع: 1404-1362 ش، الناشر: منشورات الأعلمى، طهران.

46. بلاغات النساء، ابن طيفور، الناشر: مكتبة بصيرتى، قم المقدسة

47. بيت الأحزان، الشيخ عباس القمى، الطبعة: الجديدة الأولى، سنة الطبع: 1412 هـ -، المطبعة: أمير، الناشر: دار الحكمة، قم، إيران.

48. تاج العروس، الزبيدى، تحقيق: على شيرى، سنة الطبع: 1414 هـ -- 1994 م، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

49. تاج الموالي، الشيخ الطبرسى، سنة الطبع: 1406 هـ -، الناشر: مكتب آية الله العظمى المرعشى النجفى، قم.

50. تاريخ الإسلام، الذهبى، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمرى، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: 1407 هـ -- 1987 م، الناشر: دار الكتاب العربى.

51. تاريخ اليعقوبى، اليعقوبى، الناشر: دار صادر، بيروت، لبنان.

52. تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون. الناشر: مؤسسة الاعلمى للمطبوعات، بيروت لبنان. سنة الطبع: 1391 هـ -..

53. تاريخ الإسلام، حسن إبراهيم.

54. تاريخ الأئمة (المجموعة)، الكاتب البغدادي، سنة الطبع: 1406 هـ -، الناشر: مكتب آية الله العظمى المرعشي النجفي. قم.
55. تاريخ الطبري، الطبري، الطبعة: الرابعة، سنة الطبع: 1403 هـ -- 1983 م، الناشر: مؤسسة الأعلمی للمطبوعات، بيروت، لبنان.
56. تاريخ الكوفة، السيد البراقی، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: 1424 هـ الناشر: انتشارات المكتبة الحيدرية.
57. تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: 1417 هـ -- 1997 م، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
58. تاريخ عمرو بن العاص، الدكتور حسن إبراهيم حسن، الناشر: مكتبة مدبولي، القاهرة.
59. تاريخ مختصر الدول، ابن العربي.
60. تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، تحقيق: علي شيرى، سنة الطبع: 1415 هـ -، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
61. تاريخ مواليد الأئمة، ابن الخشاب البغدادي، سنة الطبع: 1406، المطبعة: الصدر، الناشر: مكتب آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم.
62. التبيان، الشيخ الطوسي، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي الطبعة: الأولى، الناشر: مكتب الإعلام الإسلامي.
63. تنمة المنتهى، الشيخ عباس القمي، طبع في طهران، سنة الطبع، 1333 ش - 1373 ق هـ
64. تذكرة الحفاظ، الذهبي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
65. تذكرة الخواص، السبط ابن الجوزي، طبعة طهران.
66. ترجمة الإمام الحسين عليه السلام، ابن عساكر، حقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، الطبعة: الأولى، الناشر: مؤسسة المحمودي للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.



67. التشيع العلوى والتشيع الصفوى، الدكتور على شريعتى. الناشر دار الأمير للثقافة والعلوم، المترجم: حيدر مجيد، الطبعة الأولى 1422 هـ -.

68. التعجب، أبو الفتح الكراچكى، تصحيح وتخريج: فارس حسون كريم.

69. التعديل والتجريح، سليمان بن خلف الباجى، تحقيق: الأستاذ أحمد البزار، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مراكش.

70. تفسير الإمام العسكرى عليه السلام، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، الطبعة: الأولى محققة، الناشر: مدرسة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف - قم المقدسة

71. تفسير البحر المحيط، أبى حيان الأندلسى، الطبعة: الأولى، طبع ونشر: لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية.

72. تفسير الجامع لأحكام القرآن، القرطبى، تصحيح: أحمد عبد العليم البردونى، الناشر: دار إحياء التراث العربى، بيروت، لبنان.

73. تفسير السمعانى، تحقيق: ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: 1418 عليه السلام - 1997 م، المطبعة: السعودية، دار الوطن، الرياض.

74. تفسير العياشى، محمد بن مسعود العياشى، تحقيق: الحاج السيد هاشم الرسولى المحلاتى، الناشر: المكتبة العلمية الإسلامية، طهران.

75. التفسير الكبير، الفخر الرازى. 76. تفسير الميزان، السيد الطباطبائى، الناشر: منشورات جماعة المدرسين فى الحوزة العلمية، قم المقدسة.

77. تفسير روح المعانى، الألوسى.

78. تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسى، تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: 1415 عليه السلام - 1995 م، الناشر: مؤسسة الأعلمى

ص: 271

79. تفسير مقاتل بن سليمان، مقاتل بن سليمان، تحقيق: أحمد فريد الطبعة: الأولى، سنة الطبع: 1424 هـ -- 2003 م، الناشر: دار الكتب العلمية.

80. تنقيح المقال فى أحوال الرجال، عبدالله بن محمد حسن المامقانى، المطبعة: المرتضوية، النجف، 1352 هـ -..

81. تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسى، تحقيق وتعليق: السيد حسن الموسوى الخرسان، الطبعة: الثالثة، سنة الطبع: 1364 ش، الناشر: دار الكتب الإسلامية، طهران.

82. تهذيب التهذيب، ابن حجر، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: 1404 هـ -- 1984 م، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

83. تهذيب الكمال، المزي، تحقيق وضبط وتعليق: الدكتور بشار عواد معروف، الطبعة: الرابعة، سنة الطبع: 1406 هـ -- 1985 م، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

84. تواريخ النبىّ صلى الله عليه وآله والآل عليهم السلام، الشيخ محمد تقى التستري، تحقيق الشيخ محمود الشريفي، الطبعة الأولى 1416 هـ - المطبعة أمير.

85. الثاقب فى المناقب، ابن حمزة الطوسى، تحقيق: نبيل رضا علوان، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: 1412 هـ -، الناشر: مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر، قم المقدسة.

86. ثواب الأعمال، الشيخ الصدوق، تقديم: السيد محمد مهدى السيد حسن الخرسان، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: 1368 ش، الناشر: منشورات الشريف الرضى، قم.

87. جامع أحاديث الشيعة، السيد البروجردى، سنة الطبع: 1399، المطبعة: المطبعة العلمية، قم.

88. جمال الأسبوع، السيد ابن طاووس، تحقيق: جواد قيومى، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: 1371 ش، الناشر: مؤسسة الآفاق.

89. جهاد الإمام السجاد عليه السلام, السيد محمد رضا الجلالى, الطبعة: الأولى, سنة الطبع: 1418 هـ -, الناشر: مؤسسة دار الحديث الثقافية.
90. جواهر المطالب فى مناقب على بن أبى طالب عليه السلام, أحمد الدمشقى الشافعى, تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودى, الطبعة: الأولى, سنة الطبع: 1415 هـ -, الناشر: مجمع إحياء الثقافة الإسلامية, قم, إيران.
91. چهارده نور پاک (فارسی), دکتر عقیقی بخشايشی, الطبعة: الأولى, سنة الطبع: تابستان 1381, الناشر: انتشارات نوید اسلام.
92. الحدائق الناضرة, المحقق البحرانى, الناشر: مؤسسة النشر الإسلامى التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
93. حلیة الأبرار, السيد هاشم البحرانى, تحقيق: الشيخ غلام رضا مولانا البروجردى, الطبعة: الأولى, سنة الطبع: 1411 هـ -, الناشر: مؤسسة المعارف الإسلامية, قم, ایران.
94. حواشى الشروانى, الشروانى, الناشر: دار إحياء التراث العربى, بيروت, لبنان.
95. حياة الإمام الحسين عليه السلام, الشيخ باقر شريف القرشى, الطبعة: الأولى, سنة الطبع: 1394 هـ -- 1974 م, المطبعة: مطبعة الآداب, النجف الأشرف.
96. حياة الإمام الرضا عليه السلام السيد جعفر المرتضى, سنة الطبع: 1398 هـ -- 1978 م, الناشر: دار التبليغ الإسلامى.
97. حياة الإمام الهادى, الشيخ باقر شريف القرشى.
98. حياة السيدة خديجة بنت خويلد من المهد إلى اللحد, حسين على الشهران, الطبعة: الأولى, دار مكتبة الهلال, بيروت.
99. حياة النبى, محمد قوام الشنوى. 100. حياة أمير المؤمنين عليه السلام عن لسانه, محمد محمديان, الطبعة: الأولى, سنة الطبع: 1417

هـ -، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامى التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

101. خاتمة المستدرک، الميرزا النورى، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: رجب 1415، الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، ايران.

102. الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندى، تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، بإشراف السيد محمد باقر الموحد الأبطحى، الطبعة: الأولى، كاملة محققة، سنة الطبع: ذى الحجة 1409 هـ -، الناشر: مؤسسة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، قم المقدسة.

103. الخصال، الشيخ الصدوق، تصحيح وتعليق: على أكبر الغفارى، سنة الطبع: 18 ذى القعدة الحرام 1403 هـ -- 1362 ش، الناشر: منشورات جماعة المدرسين فى الحوزة العلمية فى قم المقدسة.

104. الخصائص الفاطمية، الشيخ محمد باقر الكجورى، ترجمة: سيد على جمال أشرف، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: 1380 ش، الناشر: انتشارات الشريف الرضى.

105. الخلاف، الشيخ الطوسى، تحقيق: جماعة من المحققين، سنة الطبع: جمادى الآخرة 1407 هـ -، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامى التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

106. خلق الإنسان بين الطب والقرآن، دكتور: محمد على البار، الطبعة: الثامنة مزيدة ومنقحة، سنة الطبع: 1412 هـ -- 1991 م، الناشر: الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، السعودية.

107. الدر المنثور، جلال الدين السيوطى، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

108. الدر النظيم، ابن حاتم العاملى، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامى التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

109. الدرجات الرفيعة، السيد على خان المدنى، تحقيق: تقديم: السيد محمد صادق بحر

العلوم, سنة الطبع: 1397, الناشر: منشورات مكتبة بصيرتى, قم.

110. الدروس, الشهيد الأول, تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامى, الناشر: مؤسسة النشر الإسلامى التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
111. دفاع من وحى الشريعة ضمن دائرة السنة والشريعة, السيد حسين الرجا, الطبعة: الأولى, سنة الطبع: 1421 هـ -- 2000 م, الناشر: مؤسسة الإمامة للتحقيق والنشر, بيروت, لبنان.
112. دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه, أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى الحنبلى, تحقيق وتقديم: حسن السقاف, الطبعة: الثالثة, مزينة ومنقحة, سنة الطبع: 1413 هـ -- 1992 م, الناشر: دار الإمام النووى, عمان, الأردن.
113. دلائل الإمامة, محمد بن جرير الطبرى (الشيعة), تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية, مؤسسة البعثة, قم, الطبعة: الأولى, سنة الطبع: 1413, الناشر: مركز الطباعة والنشر فى مؤسسة البعثة.
114. دلائل النبوة, إسماعيل الأصبهاني, تحقيق: أبو عبد الرحمن مساعد بن سليمان الراشد الحميد, الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع.
115. ذخائر العقبي, أحمد بن عبد الله الطبرى, سنة الطبع: 1356 هـ -, الناشر: مكتبة القدسى لصاحبها حسام الدين القدسى, القاهرة
116. ذخيرة المعاد, المحقق السبزواري, الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.
117. الذرية الطاهرة النبوية, محمد بن أحمد الدولابى, تحقيق: سعد المبارك الحسن, الطبعة: الأولى, سنة الطبع: 1407 هـ -, الناشر: الدار السلفية, الكويت. راه زندكى, الكسيس كارل, ترجمة, دبيرى.
118. رحلة ابن بطوطة, أبى عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتى, طبع ومنشورات دار بيروت, بيروت 1405 هـ -..

119. رسالة فى المهمر، الشىخ المفيد، تحقيق: الشىخ مهدي نجف، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: 1414-1993 م، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
120. روضة الطالبين، محيى الدين النووى، تحقيق: الشىخ عادل أحمد عبد الموجود، والشىخ على محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
121. روضة الواعظين، الفتال النيسابورى، تقديم: السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان، الناشر: منشورات الشريف الرضى، قم.
122. الزندقة والشعوبيية، سميرة الليثى.
123. سبل الهدى والرشاد، الصالحى الشامى، تحقيق وتعليق: الشىخ عادل أحمد عبد الموجود، الشىخ على محمد معوض، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: 1414 هـ -- 1993 م، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
124. سر السلسلة العلوية، تقديم وتعليق: السيد محمد صادق بحر العلوم، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: 1413 هـ -- 1371 ش، الناشر: انتشارات شريف الرضى.
125. السقيفة وفدك، الجوهري، الناشر: شركة الكتبي للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، تحقيق: تقديم وجمع وتحقيق: الدكتور الشىخ محمد هادى الأمينى، سنة الطبع: 1413 هـ -- 1993 م.
126. سمط النجوم العوالى فى أبناء الأوائل والتوالى، عبد الملك العاصمى المكى.
127. سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد القزوينى، تحقيق وترقيم وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
128. سنن أبى داود، ابن الأشعث السجستانى، تحقيق وتعليق: سعيد محمد اللحام، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: 1410 هـ -- 1990 م، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
129. سنن الترمذى، الترمذى، تحقيق وتصحيح: عبد الوهاب عبد اللطيف، الطبعة: الثانية، سنة

الطبع: 1403 هـ -- 1983 م, الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع, بيروت, لبنان.

130. السنن الكبرى, البيهقي, الناشر: دار الفكر.

131. السنن الكبرى, النسائي, تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري, سيد كسروي حسن, الطبعة: الأولى, سنة الطبع: 1411 هـ -- 1991 م, الناشر: دار الكتب العلمية, بيروت, لبنان

132. سنن النبي صلى الله عليه وآله, السيد الطباطبائي, تحقيق وإحاطة: الشيخ محمد هادي الفقيه, سنة الطبع: رمضان 1419 هـ -, الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

133. سير أعلام النبلاء, الذهبي, اشراف وتخريج: شعيب الأرنؤوط, تحقيق: حسين الأسد, الطبعة: التاسعة, سنة الطبع: 1413 هـ -- 1993 م, الناشر: مؤسسة الرسالة, بيروت, لبنان.

134. سيرة ابن إسحاق, محمد بن إسحاق بن يسار, تحقيق: محمد حميد الله, الناشر: معهد الدراسات والأبحاث للتعريف.

135. سيرة الأئمة, مهدي البيشوائي, تعريب: حسين الواسطي, المطبعة: اعتماد, الناشر: مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام, سنة 1423 هـ -.

136. السيرة الحلبية, الحلبي, سنة الطبع: هـ - 1400, المطبعة والنشر: بيروت, دار المعرفة.

137. السيرة النبوية, ابن كثير, تحقيق: مصطفى عبد الواحد, سنة الطبع: 1396 هـ -- 1976 م, الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع, بيروت, لبنان.

138. السيرة النبوية, ابن هشام الحميري, تحقيق وضبط وتعليق: محمد محيي الدين عبد الحميد, سنة الطبع: 1383 هـ -- 1963 م, الناشر: مكتبة محمد علي صبيح وأولاده, بمصر.

139. الشجرة المباركة في أنساب الطالبية, الفخر الرازي, مطبعة سيد الشهداء قم المقدسة, الطبعة الأولى 1409 هـ -.

140. شجرة طوبى، الشيخ محمد مهدي الحائري، الطبعة: الخامسة، سنة الطبع: محرم الحرام 1385 هـ، -، الناشر: منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها، النجف الأشرف.
141. الشذورات الذهبية في تراجم الأئمة الاثني عشرية عند الامامية، ابن طولون الدمشقي الحنفي، طبعة بيروت.
142. شرح إحقاق الحق، السيد المرعشي، تعليق: السيد شهاب الدين المرعشي النجفي، تصحيح: السيد إبراهيم الميانجي، الناشر: منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، إيران.
143. شرح أصول الكافي، صالح المازندراني، تحقيق: مع تعليقات: الميرزا أبي الحسن الشعراني، ضبط وتصحيح: السيد علي عاشور، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: 1421 هـ -- 2000 م، الناشر: دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
144. شرح الأخبار، القاضي النعمان المغربي، تحقيق: السيد محمد الحسيني الجلالى، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: هـ - 1414، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
145. الشرح الكبير، المؤلف، عبد الرحمن بن قدامه، الناشر: دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
146. شرح النهج، ابن أبي الحديد، تحقيق: محمد أبى الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: 1378-1959 م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبي وشركاؤه.
147. شرح مسلم، النووي، سنة الطبع: 1407 هـ -- 1987 م، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
148. الشيعة فى الميزان، محمد جواد مغنية، الطبعة: الرابعة، سنة الطبع: 1399 هـ -- 1979 م، الناشر: دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان.



149. الصحاح، الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، الطبعة: الرابعة، سنة الطبع: 1407-1987 م، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.
150. صحيح البخارى، البخارى، سنة الطبع: 1401 هـ -- 1981 م، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
151. صحيح مسلم، مسلم النيسابورى، لناشر: دار الفكر، بيروت، لبنان.
152. الصحيح من سيرة النبي الأعظم، السيد جعفر مرتضى، الطبعة: الرابعة، سنة الطبع: 1415 هـ -- 1995 م، الناشر: دار الهادى للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
153. الصراط المستقيم، على بن يونس العاملى، تحقيق: تصحيح وتعليق: محمد الباقى البهردى، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: 1384 هـ -، الناشر: المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية.
154. الصوارم المهركة، الشهيد نور الله التستري، تحقيق: السيد جلال الدين المحدث، سنة الطبع: 1367 هـ -، المطبعة: نهضت.
155. صوم عاشوراء بين السنة النبوية والبدعة الأموية، نجم الدين الطبسى، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: 1422 هـ -، الناشر: منشورات العهد
156. ضحى الإسلام، أحمد أمين المصرى، المطبعة: مكتبة النهضة، القاهرة، مصر.
157. الطبقات الكبرى، ابن سعد، الناشر: دار صادر، بيروت.
158. الطرائف فى معرفة مذاهب الطوائف، السيد ابن طاووس، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: 1399 هـ -، المطبعة: الخيام، قم.
159. الطفل بين الوراثة والتربية، الشيخ محمد تقى فلسفى، تحقيق: تعريب وتعليق: فاضل الحسينى الميلانى، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: 1426 هـ -- 2005 م، الناشر: مكتبة الأوحى.
160. العباس، السيد المقرم.

161. العبر، الذهبي، طبعة الكويت.
162. العدد القوية، على بن يوسف الحلبي، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: 1408 هـ، -، الناشر: مكتبة آية الله المرعشي العامة.
163. العقد الفريد، بن عبد ربه الأندلسي، دار الكتاب العربي، بيروت.
164. العقد النضيد والدر الفريد، محمد بن الحسن القمي، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: 1423 هـ -- 1381 ش، الناشر: دار الحديث للطباعة والنشر.
165. علل الشرائع، الشيخ الصدوق، تحقيق: تقديم: السيد محمد صادق بحر العلوم، سنة الطبع: 1385 هـ -- 1966 م، الناشر: منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها، النجف الأشرف.
166. عمدة الطالب، ابن عنبه، تصحيح: محمد حسن آل الطالقاني، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: 1380-1961 م، الناشر: منشورات المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف.
167. عوالي اللئالي، أبو جمهور الأحسائي، تقديم: السيد شهاب الدين النجفي المرعشي، تحقيق: الحاج آقا مجتبي العراقي، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: 1403 هـ -- 1983 م، المطبعة: سيد الشهداء، قم.
168. عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق، تصحيح وتعليق وتقديم: الشيخ حسين الأعلمي، سنة الطبع: 1404 هـ -- 1984 م، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان.
169. عيون المعجزات، حسين بن عبد الوهاب، سنة الطبع: 1369 هـ، -، المطبعة: الحيدرية، نجف.
170. الغارات، إبراهيم بن محمد الثقفي، تحقيق: السيد جلال الدين الحسيني الأرموي المحدث.

171. غاية المأمول من علم الأصول, تقريرات بحوث السيد الخوئي رحمه الله, للشيخ محمد تقى الجواهرى.
172. الغدير, الأمينى, الطبعة: الرابعة, سنة الطبع: 1397 هـ -- 1977 م, الناشر: دار الكتاب العربى, بيروت, لبنان.
173. غرر الحكم ودرر الكلم, للآمدى عبد الواحد بن محمد التميمى الآمدى, مكتب الإعلام الإسلامى, قم.
174. الغيبة, الشيخ الطوسى, تحقيق: الشيخ عباد الله الطهرانى, الشيخ على أحمد ناصح, الطبعة: الأولى, سنة الطبع: شعبان 1411 هـ -, الناشر: مؤسسة المعارف الإسلامية, قم المقدسة.
175. الفاطمة المعصومة عليها السلام, محمد على المعلم.
176. فتاوى الأزهر.
177. فتح البارى بشرح البخارى, ابن حجر, الطبعة: الثانية, طبع ونشر: دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت, لبنان.
178. فتوح البلدان, البلاذرى, نشر وإلحاق وفهرسة: الدكتور صلاح الدين المنجد, سنة الطبع: 1956 م, الناشر: مكتبة النهضة المصرية, القاهرة.
179. الفصول المختارة, الشريف المرتضى, تحقيق: السيد نور الدين جعفرىان الاصبهانى, الشيخ يعقوب الجعفرى, الشيخ محسن الآحمدى, الطبعة: الثانية, سنة الطبع: 1414 هـ -- 1993 م, الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع, بيروت, لبنان.
180. الفصول المهمة فى معرفة الأئمة, ابن الصباغ, تحقيق: سامى الغريرى, الطبعة: الأولى, سنة الطبع: 1422 هـ -, الناشر: دار الحديث للطباعة والنشر.
181. فيض القدير شرح الجامع الصغير, المناوى, تصحيح أحمد عبد السلام, الطبعة: الأولى,

سنة الطبع: 1415 هـ -- 1994 م, الناشر: دار الكتب العلمية, بيروت.

182. قاموس الرجال, الشيخ محمد تقى التستري, الطبعة: الأولى, سنة الطبع: 1419 هـ, الناشر: مؤسسة النشر الإسلامى التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

183. القاموس المحيط, الفيروز آبادى.

184. قرب الإسناد, الحميرى القمى, تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث, الطبعة: الأولى, سنة الطبع: هـ - 1413, الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث, قم.

185. قصص الأنبياء, القطب الراوندى, تحقيق: الميرزا غلام رضا عرفانيان اليزدى الخراسانى, الطبعة: الأولى, سنة الطبع: 1418 هـ -- 1376 ش, المطبعة: مؤسسة الهادى.

186. كاروانى با سيزده كجاوه.

187. الكاشف فى معرفة من له رواية فى كتب الستة, الذهبى, الطبعة: الأولى, سنة الطبع: 1413 هـ -- 1992 م, الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية, جدة, مؤسسة علوم القرآن, جدة.

188. الكافى, الكلينى, تصحيح وتعليق: على أكبر الغفارى, الطبعة: الخامسة, سنة الطبع: 1363 ش, الناشر: دار الكتب الإسلامية, طهران.

189. كامل الزيارات, جعفر بن محمد بن قولويه, تحقيق: الشيخ جواد القيومى, لجنة التحقيق, الطبعة: الأولى, سنة الطبع: 1417, الناشر: مؤسسة نشر, الفقاهة.

190. الكامل فى التاريخ, ابن الأثير, سنة الطبع: 1386-1966 م, الناشر: دار صادر للطباعة والنشر - دار بيروت للطباعة والنشر.

191. كتاب العين, الخليل الفراهيدى, تحقيق: الدكتور مهدى المخزومى, الدكتور إبراهيم السامرائى, الطبعة: الثانية, سنة الطبع: 1409, الناشر: مؤسسة دار الهجرة.

192. الكتاب المقدس (العهد الجديد), الكنيسة. الناشر: دار الكتاب المقدس, سنة 1980.

193. الكتاب المقدس, مجمع الكنائس الشرقية. الطبعة: الثالثة, سنة 1983, الناشر: دار

194. كتاب سليم بن قيس, تحقيق محمد باقر الأنصاري.

195. كتاب عبدالله بن عباس, السيد محمد تقي الحكيم.

196. كذبة فارسية يفضحها الحق العربي, عبد الحميد العلوجي, الطبعة الأولى بغداد 1987 م, عن دار الشؤون الثقافية العامة.

197. كشف الغمة في معرفة الأئمة, أبو الفتح الإربلي, الطبعة: الثانية, سنة الطبع: 1405-1985 م, الناشر: دار الأضواء, بيروت, لبنان.

198. الكشكول المبوب, الحاج حسين الشاكري, الطبعة: الخامسة, سنة الطبع: 1418 هـ, المطبعة: ستارة.

199. كفاية الأثر, الخزاز القمي, تحقيق: السيد عبد اللطيف الحسيني الكوهكمري الخوئي, سنة الطبع: 1401 هـ, الناشر: انتشارات بيدار.

200. كفاية الأحكام, المحقق السبزواري, تحقيق: الشيخ مرتضى الواعظي الأراكي, الطبعة: الأولى, سنة الطبع: 1423 هـ, الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

201. كفاية الطالب في مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب, الحافظ الكنجي الشافعي, ط النجف.

202. كمال الدين وتمام النعمة, الشيخ الصدوق, تحقيق: تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري, سنة الطبع: محرم الحرام 1405 هـ -- 1363 ش, الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

203. كنز العمال, المتقي الهندي, ضبط وتفسير: الشيخ بكرى حياني, تصحيح وفهرسة: الشيخ صفوة السقا, سنة الطبع: 1409-1989 م, الناشر: مؤسسة الرسالة, بيروت, لبنان.

204. كنز الفوائد, أبو الفتح الكراكجي, الطبعة: الثانية, سنة الطبع: 1369 ش, الناشر: مكتبة المصطفوي, قم.
205. اللباب فى تهذيب الأنساب, ابن الأثير الجزرى, المطبعة: دار صادر, بيروت, الناشر: دار صادر, بيروت.
206. لسان العرب, ابن منظور, سنة الطبع: محرم ه - 1405, الناشر: نشر أدب الحوزة, قم, ايران.
207. لسان الميزان, الحافظ ابن حجر, الطبعة: الثانية, سنة الطبع: 1390 ه -- 1971 م, الناشر: مؤسسة الأعلمی للمطبوعات, بيروت, لبنان.
208. لمحات, الشيخ لطف الله الصافى, الناشر: قسم الدراسات الإسلامية, مؤسسة البعثة.
209. اللمعة البيضاء, التبريزى الأنصارى, تحقيق: السيد هاشم الميلانى, الطبعة: الأولى, سنة الطبع: ه - 1418, الناشر: دفتر نشر الهادى, قم, ايران.
210. لوايح الأشجان, السيد محسن الأمين, سنة الطبع: 1331, الناشر: منشورات مكتبة بصيرتى, قم.
211. مادران چهارده معصوم عليهم السلام, أحمد أميرى بور, انتشارات راز توکل, ط 3 سنة 1385.
212. المجالس الفاخرة فى مصائب العترة الطاهرة, السيد شرف الدين, مراجعة وتحقيق: محمود بدرى, الطبعة: الأولى, سنة الطبع: 1421 ه -, الناشر: مؤسسة المعارف الإسلامية, قم.
213. المجدى فى أنساب الطالبين, على بن محمد العلوى, الطبعة: الأولى, سنة الطبع: 1409 ه -, الناشر: مكتبة آية الله العظمى المرعى النجفى العامة, قم المقدسة.
214. مجمع البحرين, الشيخ الطريحي, تحقيق: السيد أحمد الحسينى, الطبعة: الثانية, سنة الطبع: 1408 ه -- 1367 ش, الناشر: مكتب النشر الثقافة الإسلامية.

215. مجمع الزوائد، الهيثمي، سنة الطبع: 1408 هـ -- 1988 م، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
216. مجمع النورين، الشيخ أبو الحسن المرندى، طبعة حجرية.
217. مجمع مصائب أهل البيت، الشيخ محمد الهنداوى، الطبعة الثانية، سنة 1378 ش، انتشارات: الشريف الرضى.
218. المجموع، محيى الدين النووى، الناشر: دار الفكر.
219. مجموعة الرسائل، الشيخ لطف الله الصافى.
220. محاضرات فى أصول الفقه، تقريرات بحث السيد الخوئى، للفياض، طبعة: الأولى، سنة الطبع: 1419 هـ -، المطبعة والنشر: مؤسسة النشر الإسلامى التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
221. مختصر بصائر الدرجات، الحسن بن سليمان الجلبى، طبعة: الأولى، سنة الطبع: 1370-1950 م، الناشر: منشورات المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف.
222. مدينة المعاجز، البحرانى، تحقيق: الشيخ عزة الله المولائى الهمدانى، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: 1413، الناشر: مؤسسة المعارف الإسلامىة، قم، إيران.
223. مروج الذهب، المسعودى.
224. المزار، الشهيد الأول، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ذى الحجة 1410، الناشر: مؤسسة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، قم المقدسة.
225. المزار، الشيخ المفيد، تحقيق: السيد محمد باقر الأبطحى، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: 1414-1993 م، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
226. مستدرک الوسائل، الميرزا النورى، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة: الأولى المحققة، سنة الطبع: 1408 هـ -- 1987 م، الناشر: مؤسسة آل

البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت، لبنان.

227. مستدرک سفینه البحار، الشيخ على النمازی الشاهرودى، تحقيق وتصحيح: الشيخ حسن ابن على النمازی، سنة الطبع: 1418، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامی التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
228. المستدرک على الصحيحين، الحاكم النيسابورى، تحقيق: إشراف: يوسف عبد الرحمن المرعشلى.
229. مستدرکات علم رجال الحديث، الشيخ على النمازی الشاهرودى، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: 1412، المطبعة: شفق، طهران.
230. مستند الشيعة، المحقق النراقى، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، مشهد المقدسة، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ربيع الأول 1415، الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم.
231. مسند احمد، احمد بن حنبل، الناشر: دار صادر، بيروت، لبنان.
232. مسند الإمام الرضا عليه السلام، الشيخ عزيز الله عطاردى، سنة الطبع: ربيع الآخر 1406 هـ -، المطبعة: مؤسسة طبع ونشر آستان قدس الرضوى، الناشر: المؤتمر العالمى الإمام الرضا عليه السلام.
233. مسند الشهاب، ابن سلامة، تحقيق: حمدى عبد المجيد السلفى، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: 1405-1985 م، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت.
234. مصباح المتهدج، الشيخ الطوسى، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: 1411 هـ - 1991 م، الناشر: مؤسسة فقه الشيعة، بيروت، لبنان.
235. المصباح، الكفعمى، الطبعة: الثالثة، سنة الطبع: 1403 هـ -- 1983 م، الناشر: مؤسسة الأعلمی للمطبوعات، بيروت.



236. معانى الأخبار، الشيخ الصدوق، تصحيح وتعليق: على أكبر الغفارى، سنة الطبع: 1379-1338 ش، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامى التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
237. المعجم الأوسط، الطبرانى، قسم التحقيق بدار الحرمين، سنة الطبع: 1415 هـ -- 1995 م، الناشر: دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع.
238. معجم البلدان، الحموى، سنة الطبع: 1399 هـ -- 1979 م، الناشر: دار إحياء التراث العربى، بيروت، لبنان.
239. معجم الفاظ الفقه الجعفرى، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: 1415-1995 م، المطبعة: مطابع المدوخل، الدمام.
240. المعجم الكبير، للطبرانى، تحقيق وتخريج: حمدى عبد المجيد السلفى، الطبعة: الثانية، مزودة ومنقحة، الناشر: دار إحياء التراث العربى.
241. معجم رجال الحديث، السيد الخوئى، الطبعة: الخامسة، سنة الطبع: 1413-1992 م.
242. معجم ما استعجم، البكرى الأندلسى، تحقيق وضبط: مصطفى السقا، الطبعة: الثالثة، سنة الطبع: 1403-1983 م، الناشر: عالم الكتب، بيروت، لبنان.
243. مفتاح الفلاح، البهائى العاملى، الناشر: منشورات مؤسسة الأعلمى للمطبوعات، بيروت، لبنان.
244. مقاتل الطالبين، أبو الفرج الأصفهانى، تقديم وإشراف: كاظم المظفر، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: 1385-1965 م، الناشر: منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها، النجف الأشرف.
245. مقتضب الأثر، تأليف أحمد بن عياش الجوهري، الناشر: مكتبة الطباطبائى قم.
246. مقتل الحسين عليه السلام، أبو مخنف الأزدي، تعليق: حسين الغفارى، المطبعة: مطبعة العلمية، قم.
247. المقنعة، الشيخ المفيد، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامى، الطبعة: الثانية، سنة الطبع:

1410 هـ -، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامى التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

248. مكارم الأخلاق، الشيخ الطبرسى، الطبعة: السادسة، سنة الطبع: 1392 هـ -- 1972 م، الناشر: منشورات الشريف الرضى.

249. مكيال المكارم، ميرزا محمد تقى الأصفهاني، تحقيق: السيد على عاشور، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: 1421 هـ -، الناشر: مؤسسة الأعلمی للمطبوعات، بيروت.

250. الملاحم والفتن، ابن طاووس، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: 1416، الناشر: مؤسسة صاحب الأمر عجل الله فرجه.

251. الملحمة الحسينية، العلامة الشهيد مطهرى، الطبعة الثالثة، 1413 هـ -، الناشر: المركز العالمى للدراسات الإسلامية، قم ايران.

252. من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، تصحيح وتعليق: على أكبر الغفارى، الطبعة: الثانية، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامى التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

253. مناسك الحج، السيد الكلبايكانى، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: رجب المرجب 1413 هـ -، الناشر: دار القرآن الكريم، قم المشرفة، ايران.

254. مناقب آل أبى طالب، ابن شهر آشوب، تصحيح وشرح ومقابلة: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، سنة الطبع: 1376 هـ -- 1956 م، الناشر: المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف.

255. مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، محمد بن سليمان الكوفى، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودى، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: 1412، الناشر: مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم المقدسة.

256. مناقب على بن أبى طالب عليه السلام، أحمد بن موسى بن مردويه الاصفهاني، جمعه ورتبه وقدم له: عبد الرزاق محمد حسين حرز الدين، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: 1424-1382 ش، المطبعة والنشر: دار الحديث

257. المناقب، الموفق الخوارزمي، تحقيق: الشيخ مالك المحمودي، مؤسسة سيد الشهداء عليه السلام، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ربيع الثاني 1414، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

258. المنتخب الحسنی، مكتبة الصدر، طهران.

259. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي المتوفى سنة 597 هـ، ط دار الكتب العلمية بيروت.

260. منتهى الآمال، الشيخ عباس القمي، الطبع في طهران.

261. منية المرید، الشهيد الثاني، تحقيق: رضا المختاري، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: 1409-1368 ش، المطبعة والناشر: مكتب الإعلام الإسلامي.

262. موارد الضمآن، الهيثمي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: 1411 هـ -- 1990 م، الناشر: دار الثقافة العربية.

263. موسوعة الإمام الجواد، السيد الحسيني القزويني، إشراف: أبي القاسم الخزعلي، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ذي الحجة هـ - 1419، المطبعة: أمير، قم، الناشر: مؤسسة ولي العصر عجل الله فرجه الشريف للدراسات الإسلامية، قم المشرفة.

264. موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ، محمد الريشهري، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: 1425 هـ -، المطبعة والناشر: دار الحديث للطباعة والنشر.

265. موسوعة التاريخ الإسلامي، اليوسفي الغروي، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ربيع الثاني 1417 هـ -، المطبعة: مؤسسة الهادي، قم، الناشر: مجمع الفكر الإسلامي.

266. موسوعة المصطفى والعترة عليهم السلام، الحاج حسين الشاكري، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: 1417 هـ -، المطبعة: ستارة، الناشر: نشر الهادي، قم، ايران.

267. موسوعة شهادة المعصومين عليهم السلام، لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، الطبعة:

الأولى, سنة الطبع: 1380 ش, المطبعة: اعتماد, قم, الناشر: انتشارات نور السجاد.

268. موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام, لجنة الحديث فى معهد باقر العلوم عليه السلام, الطبعة: الأولى, سنة الطبع: ربيع الثانى 1423 هـ -, المطبعة: الآثار, قم, الناشر: دار المعروف.

269. ميزان الاعتدال فى نقد الرجال, الذهبى, تحقيق: على محمد البجاوى, الطبعة: الأولى, سنة الطبع: 1382 هـ -- 1963 م, الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر, بيروت, لبنان.

270. ميزان الحكمة, محمد الريشهري, تحقيق: دار الحديث, الطبعة: الأولى, المطبعة والنشر: دار الحديث.

271. نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق, الشريف الادريسي, الطبعة: الأولى, سنة الطبع: 1409-1989 م, المطبعة والنشر: بيروت - عالم الكتب

272. نفس المهموم, الشيخ عباس القمى, مكتبة بصيرتى, قم.

273. نهاية الأحكام, العلامة الحلى, تحقيق: السيد مهدي الرجائى, الطبعة: الثانية, سنة الطبع: 1410 هـ -, الناشر: مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع, قم, إيران.

274. النهاية فى غريب الحديث, ابن الاثير, تحقيق: طاهر أحمد الزاوى, محمود محمد الطناحى, الطبعة: الرابعة, سنة الطبع: 1364 ش, الناشر: مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع, قم, إيران.

275. نهج البلاغة, شرح: الشيخ محمد عبده, الطبعة: الأولى, سنة الطبع: 1412 هـ -- 1370 ش, الناشر: دار الذخائر, قم, إيران.

276. نوادر المعجزات, محمد بن جرير الطبرى (الشيعة), تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف, الطبعة: الأولى, سنة الطبع: 1410 هـ -, الناشر: مؤسسة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف, قم.

277. النوادر, فضل الله الراوندى, تحقيق: سعيد رضا على عسكرى, الطبعة: الأولى, المطبعة والناشر: مؤسسة دار الحديث الثقافية, قم.

278. هوية التشيع, الشيخ أحمد الوائلي, الطبعة: الثالثة, سنة الطبع: 1414 هـ -- 1994 م, الناشر: دار الصفوة, بيروت, لبنان.

279. الوافي بالوفيات, الصفدي, تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى, سنة الطبع: 1420 هـ -- 2000 م, المطبعة والنشر: بيروت, دار إحياء التراث.

280. وسائل الشيعة (آل البيت), الحر العاملي, تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث, الطبعة: الثانية, سنة الطبع: 1414 هـ -, المطبعة: مهر, قم, الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث بقم المشرفة.

281. وفيات الأعيان, ابن خلكان, تحقيق: إحسان عباس, المطبعة والنشر: لبنان, دار الثقافة.

282. ينابيع المودة لذوى القربى, القندوزي, تحقيق: سيد على جمال أشرف الحسيني, الطبعة: الأولى, سنة الطبع: 1416 هـ -, المطبعة: أسوه, الناشر: دار الأسوة للطباعة والنشر.

ص: 291



## فهرس المحتويات

المقدمة 5

الفصل السادس

فاطمة بنت الحسن أم الإمام الباقر عليهم السلام

النسب الطاهر 11

كنيتها وألقابها 12

الدليل على كنيته أم عبد الله 13

من خصوصيات فاطمة بنت الحسن عليهما السلام 14

مقامها السامى 15

الزواج الميمون 16

المهدى حسيني الأب حسنى الأم 17

أولادها 18

النبي يبعث سلاماً لابنها الباقر عليه السلام 20

زيد الشهيد فى لسان المعصوم 21

ص: 293

الفرق بين العلوى والفاطمى 22

فاطمة بنت الحسن وعاء وحجر للمعصوم 24

الملائكة تنادى فاطمة بنت الحسن عليها السلام 25

من صفاتها الصّديقة 26

من صفاتها الرواية 28

من أخبارها فى آخر الزمان 29

الأوضاع السياسية فى عصرها 30

حضورها كربلاء 32

وفاتها ومحل دفنها 32

زيارة السيدة فاطمة بنت الحسن 34

الفصل السابع

فاطمة بنت القاسم أم الإمام الصادق عليهما السلام

اسمها ونسبها 37

منزلة والدها القاسم 39

نبذة عن جدها محمد بن أبى بكر 41

منزلته عند أهل البيت عليهم السلام 44

نظرة فى جدها من أمها عبد الرحمن بن أبى بكر 46

كمالاتها العالية 48

الصفات التى تتمتع بها 48

ص: 294



قوة الإيمان 50

شدة التقوى 52

من صفاتها الإحسان 54

من صفاتها الرواية 56

من صفاتها العلم 57

أم فروة وعاء وحاضنة للمعصوم 58

أولادها 59

إيثارها بنفسها 60

سبب تسمية ولدها بالصادق 61

النبي يكشف عن أسماء الأئمة وألقابهم 63

ولدني أبو بكر مرتين 67

المناقشة في سند الرواية 68

المناقشة في الدلالة 70

وفاتها ومحل قبرها 72

الفصل الثامن

حميدة بنت صاعد البربري أم الإمام الكاظم عليهما السلام

اسمها ونسبها 77

من ألقاب السيدة حميدة 77

ص: 295

اقتران السيدة حميدة بالإمام الصادق عليه السلام 81

حميدة الزوجة الأولى للمعصوم عليه السلام 83

اهتمامها بزوجه الصادق عليه السلام 85

تكامل صفات السيدة حميدة 85

المعلّى بن خنيس فى لسان المعصوم 86

الأملاك تحرس حميدة 88

حميدة من أهل العلم 89

حميدة من وكلاء الصادق عليه السلام 91

من صفاتها الرواية 92

أولادها 93

حميدة وعاء للمعصوم 95

علامات غيبية فى ولادتها للكاظم عليه السلام 96

حميدة ترعى أم الإمام الرضا عليه السلام 97

حميدة تزوج الإمام الكاظم عليه السلام 98

حرق دار السيدة حميدة 99

حزنها على زوجها 100

حميدة من أوصياء الصادق عليه السلام 101

وفاتها ومحل قبرها 103

## الفصل التاسع

نجمة النوبية أم الإمام الرضا عليهما السلام

نسبها ومولدها 107

السبب فى تعدد أسمائها 108

بلدها الأصلى 110

بلاد النوبة 112

صفات السيدة نجمة الكمالية 114

خلقتها العظیم 116

إتّها من الرواة 117

تربيتها فى بيت المعصوم 118

بُعدھا الدينى 119

الله يختار أم الرضا عليهما السلام 120

زواجها بأمر الغيب 121

إزالة توهم 122

السيدة نجمة وعاء للمعصوم 123

أولادها 125

الظروف المأساوية التى عاصرت السيدة نجمة 126

من بناتها فاطمة المعصومة عليها السلام 128

من صفات فاطمة المعصومة عليها السلام 129

وفاة المعصومة ومحل قبرها 129

فضل زيارة فاطمة المعصومة عليها السلام 131

وفاة ومحل قبر السيدة نجمة 132

الفصل العاشر

خيزران المريسية أم الإمام الجواد عليهما السلام

اسمها ونسبها 137

الحكمة من تعدد أسمائها 139

الاختلاف في بلدها بين المريسية والمرسية 140

مكانتها الرفيعة 142

الصفات الكمالية للسيدة خيزران 143

من صفاتها الطاهرة 144

من صفاتها المَطَهَّرَةُ 147

المقدسة 149

المنتجة 151

رسول الله يمدح السيدة خيزران 152

الإمام الكاظم يرسل لها سلامه 154

أزواج الإمام الرضا عليه السلام 155

اقتران السيدة خيزران بالإمام الرضا عليه السلام 157

ولادة السيدة خيزران للمعصوم 162

من المعجزات فى ولادتها للمعصوم 163

براءتها من الاتهام 164

وفاة ومحل قبر السيدة خيزران 166

الفصل الحادى عشر

سوسن المغربية أم الإمام الهادى عليهما السلام

اسمها ونسبها 171

بلاد المغرب 173

تكامل صفات السيدة سوسن 174

من صفاتها العارفة 175

من صفاتها المعصومة 177

الحراسة الإلهية للسيدة سوسن 177

السيدة سوسن من أهل الجنة 179

أزواج الإمام الجواد عليه السلام 181

اقتران السيدة سوسن بالإمام الجواد عليهما السلام 183

اهتمام الإمام الجواد بالسيدة سوسن 184

ولادة السيدة سوسن للهادى عليه السلام 185

أولادها 187

من بنات الإمام الجواد حكيمة 188

حكيمة ترعى أم الإمام المهدي 189

نبذة من حياة السيد موسى المبرقع 190

وفاة السيدة سوسن ومحل قبرها 192

الفصل الثاني عشر

سُمّانة النوبية أم الإمام العسكري عليهما السلام

اسمها ونسبها 197

سبب الاختلاف في تعيين اسمها 198

سمو مقام السيدة سمانة 199

السيدة سُمّانة مسلولة من كل الآفات 200

مطهرة من كل رجس 202

من صفات السيدة سُمّانة الرواية 203

تلقيها أسرار الإمام العسكري عليه السلام 204

أمانتها لميراث الإمامة 205

رجوع الناس إليها بعد العسكري عليه السلام 206

أولادها 208

ولادتها للإمام العسكري عليه السلام 209

ص: 300

الظروف السياسية التي مرت بها 211

وفاتها ومحل قبرها عليها السلام 214

الفصل الثالث عشر

نرجس الرومية أم الإمام الحجة المنتظر عليهما السلام

اسمها ونسبها 219

من هو شمعون الصفا 221

شمعون وصى نبي الله عيسى عليه السلام 223

الشبه بين نرجس وأم موسى عليه السلام 225

مكانة السيدة نرجس عند الله وأهل البيت عليهم السلام 227

الرعاية الإلهية لأم القائم عليه السلام 227

السيدة نرجس تكشف عن التحرك الغيبي 229

رسول الله! يخطب السيدة نرجس للعسكري عليه السلام 230

زيارة الزهراء للسيدة نرجس عليها السلام 232

كيفية أسر السيدة نرجس عليها السلام 232

وثيقة رجال الرواية 233

خلاصة القول في حال السيدة نرجس عليها السلام 236

السيدة نرجس تتكلم العربية 237

الإمام الهادي يبشرها بالمهدي عليه السلام 237

ص: 301

ولادة السيدة نرجس للإمام المهدي عليه السلام 238

العسكري يستقبل ابنه المولود المنتظر عليهما السلام 239

العسكري يجرى مراسم يوم السابع 240

ولادة السيدة نرجس عليها السلام للقائم عليه السلام بلسان آخر 240

ولادتها للمهدي المنتظر عجل الله فرجه الشريف عند المخالفين 243

محاولات لقتل السيدة نرجس والحجة عليهما السلام 249

أولادها 251

الظروف السياسية الأليمة التي مرت بها السيدة نرجس عليها السلام 254

حكيمة تتكلم عن المهدي وأمه عليهما السلام 255

إزالة وهم 257

شفاعة السيدة نرجس عليها السلام 258

من كرامات السيدة نرجس عليها السلام 258

وفاة السيدة نرجس ومحل قبرها عليها السلام 259

زيارة ضريح السيدة نرجس عليها السلام 262

فهرس المصادر 265

فهرس المحتويات 293

ص: 302



## تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم  
جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ  
(التوبة : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمة لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجاناً. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والندور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضاً الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟  
ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟  
تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلا:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر أباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : [www.ghbook.ir](http://www.ghbook.ir)

البريد الإلكتروني : [Info@ghbook.ir](mailto:Info@ghbook.ir)

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 021 - 88318722

قسم البيع 09132000109 شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية  
اصبحان

# الغمامة



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى  
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم  
**www.Ghaemiyeh.com**

[www.Ghaemiyeh.net](http://www.Ghaemiyeh.net)

[www.Ghaemiyeh.org](http://www.Ghaemiyeh.org)

[www.Ghaemiyeh.ir](http://www.Ghaemiyeh.ir)

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

